

مجلة
الدراسات
عربية



الجزء الثالث والخمسون
جمادى الأولى ١٤٠٤ هـ
فبراير ١٩٨٤ م



مجمع اللغة العربية بالقاهرة
١٥ شارع عزيز أباظة
(المعهد السويسرى سابقا) بالزمالك

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

الجزء الثالث والخمسون
جمادى الأولى ١٤٠٤ هـ - فبراير ١٩٨٤ م

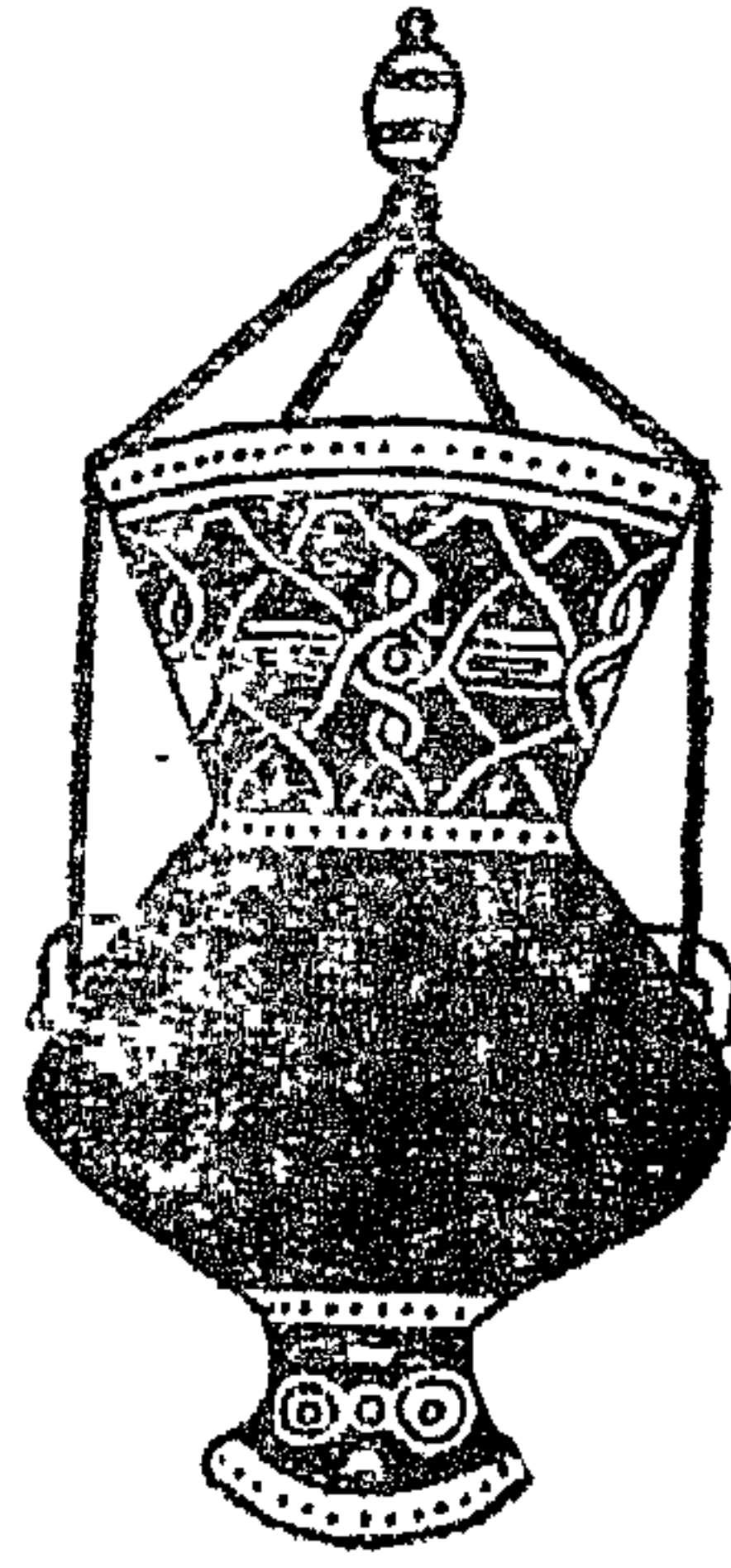
المشرف على المجلة :
الدكتور مهدي علام

رئيس التحرير :
إبراهيم التريزي

الفهرسب

- كلمة الأستاذ الدكتور مصطفى كمال حلمى
ص ١
- كلمة الأستاذ الدكتور ابراهيم مذكور رئيس المجمع
ص ٤
- كلمة المجمع اللغوية للدكتور حسنى سبيح
ص ٨
- لغة القرآن والحضارة والحياة
قصيدة للأستاذ محمد بهجة الأثرى
ص ١١
- رؤساء المجمع السابقين
للدكتور ابراهيم مذكور
ص ٢١
- معجم ألفاظ القرآن الكريم بين المراجع وكتب التفسير واللغة
لالأستاذ عبد السلام هارون
ص ٣٧
- مع الخالدين فى العيد الذهبى لمجمع اللغة العربية
قصيدة للدكتور عبد الرزاق محيى الدين
ص ٣٩
- مجمع اللغة العربية ولغة العلم
للدكتور محمود حافظ
ص ٤٢
- مجمع اللغة العربية والمصطلح العلمى
للدكتور محمود مختار
ص ٤٥
- مجمعيون شعراء
لالأستاذ محمد عبد الغنى حسن
ص ٥٣
- تحية لمجمع اللغة العربية وتهنئته بعيدة الذهبى
للدكتور عبد الله الطيب
ص ٧٦
- معجم القرن العشرين العربى
للدكتور عدنان الخطيب
ص ٨١

البحوث :



- ذكريات جميلة عن العمل مع الخالدين
للأستاذ عبد الله كنون
ص ٨٧
- المعجمات الطبية وتوحيد المصطلح الطبي
للدكتور حسنى سبيح
ص ٩٩
- لغة القانون في مصر
للدكتور عز الدين عبد الله
ص ١٠٩
- الخطوات الأولى لنشأة الفكر العلمى فى
تراثنا
للدكتور ناصر الدين الأسد
ص ١٤٢
- مجمع الخالدين
للأستاذ عبد الله بن خميس
ص ١٥٥
- رأى فى تيسير تعليم النحو
للدكتور أحمد عبد الستار الجوارى
ص ١٤٧
- نحو معجم موحدة لالفاظ الحضارة
للدكتور عبد الكريم خليفة
ص ١٦٨
- الكتابة العربية بواسطة أرقام الحساب
للدكتور عبد الهادى التازى
ص ١٨٢
- مزاعم الصعوبة فى لغتنا
للأستاذ سعيد الأفغانى
ص ١٨٨
- فى تحية مصر
قصيدة للدكتور إبراهيم السامرائى
ص ١٩٥
- تأملات فى الترجمة
للدكتور محمد عزيز الحبابى
ص ١٩٧
- بعض خصائص لغة المخاطبة بين الفصحى
واللهجات فى العالم العربى
للدكتور جريجورى شرباتوف
ص ٢٠٤



- تهنئة مجمع اللغة العربية في عيده
الخمسيني
للأستاذ حسن القرشي
ص ٢١٢
- العامية والفصحى في القاهرة والرباط
للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله
ص ٢١٤
- المعجمات العربية وتوحيد المصطلح العلمي
للدكتور يوسف عن الدين
ص ٢٣٩
- معجم العربية الفصحى الذي يصدر في
المانيا الغربية
للدكتور رمضان عبد التواب
ص ٢٥٠
- المعجم العربي في القرن العشرين
مصطلحاته ومناهجه في الجمع والوضع
للدكتور محمد رشاد الحمزاوي
ص ٢٥٩
- اللغة العربية والحاسب الآلي
للدكتور علي حسن فهمي
ص ٢٧٢
- تواربغ تأسيس مجمع اللغة العربية في
القاهرة بحساب الجمل شعرا ونثرا
للدكتور حسين علي محفوظ
ص ٢٧٦
- تحية مجمع اللغة العربية في الذكرى
الذهبية
قصيدة للدكتور حسين علي محفوظ
ص ٢٧٨
- قصيدة للدكتور حسين علي محفوظ
معلقة المجمع
ص ٢٨٠

كلمة الأستاذ الدكتور مصطفى كمال حلمي

نائب رئيس مجلس الوزراء للخدمات
وزير الدولة للتعليم والبحث العلمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الدكتور رئيس المجمع

الأساتذة الأجلاء

يسعدني أن أفتتح هذا المهرجان اللغوي العالمي للاحتفال بالعيد الخمسيني لمجمع اللغة العربية في القاهرة ، وأن ألتقي بأعلام اللغة والعلم ، والأدب والفن ، من أعضاء المجمع المصريين ، وزملائهم من أبناء الأمة العربية والمستشرقين ، ومن رؤساء الجامعات والهيئات العلمية والثقافية ، وممثليها من أنحاء العالم في الشرق والغرب.

كما يسعدني أن أوجه إليهم تحية التقدير والترحيب والشكر ، على سعيهم النبيل ، للاحتفال بهذه المناسبة الكريمة .

أيها الأساتذة الأجلاء :

إذا كانت اللغة هي الوسيلة المثلى ، للتعبير عن شعور الإنسان وفكره ، وتحقيق التفاهم بين الأفراد والجماعات ، وتوثيق الصلة بين ماضي البشرية وحاضرها ومستقبلها وإذا كانت لغتنا العربية قد اختارها الله سبحانه وتعالى لتكون لغة قرآنه الحكيم ، فنالت أعظم تشريف وتكريم ، وإذا كان مجتمعنا هذا معقل هذه اللغة الشريفة ، فإن ذلك يكسب هذا الاحتفال قيمة سامية مجيدة ، ويجعلنا نعتر بهذا المعقل اللغوي العظيم نهبي له ما يزيد من طاقاته الخلاقة ، لكي يواصل رسالته الحليمة ، في أوسع المجالات وأرفع المستويات .

(*) أُلقيت هذه الكلمة في الجلسة الافتتاحية للاحتفال بالعيد الخمسيني للمجمع في يوم الاثنين ٢٠ فبراير ١٩٨٤ م

أيها الأساتذة الأجلاء :

لقد كان للغتنا العربية التفوق والريادة على مدى عدة قرون ، ظلت فيها حضارتنا العربية الإسلامية مصدرا للحضارة في العلوم والفنون والآداب ، وكانت البعوث تتوافد من الخارج لتتلقى المعرفة في معاهدنا ، حتى قامت النهضة الأوروبية مستفيدة من حضارتنا ، وما زالت بعض المصطلحات والألفاظ العربية مستعملة في اللغات الأوربية شاهدا بما كان للغتنا وحضارتنا من آثار عظيمة في الحضارة الإنسانية ، تلك الآثار التي اعترف بها كبار المؤرخين والمفكرين العالميين .

هكذا عاشت لغتنا العربية في ازدهار وانتشار ، طوال مسيرتها الحضارية على مدى زماني امتد عدة قرون ، وعلى مدى مكاني امتد إلى كثير من بلدان العالم ؛

ولكن هذا الازدهار الحضاري لم يستمر حين تعرض أهله للفرقة وواجهوا الغزو ، مما استنفد طاقتهم ، وأخذت اللغات الأجنبية تفتحم مجتمعا وتغرب إلى لغتنا العربية

وحين تحررت بلادنا من قيود الاحتلال ونهضت ، أخذت لغتنا تزدهر مرة أخرى وتسعى لتلحق بالركب العلمي الحضاري وحقت انتصارات أكدت مكانتها على المستوى العالمي ، فصارت واحدة من اللغات الرسمية في الأمم المتحدة والمنظمات الدولية ، وصارت تسمع بالتقدير في المحافل والمؤتمرات التي تعقد في أرجاء العالم . وقد أخذت الدول الإسلامية في أفريقيا وآسيا ، وغيرهما تحرص على تعليم لغتنا العربية إلى جانب لغاتها القومية .

ولا يفوتني التنويه بما يلقاه إنتاجنا الأدبي والعلمي من إقبال يتزايد في كثير من الدول المتقدمة ، بترجمة روائعه الأدبية والعرفان لما يضيفه الفكر العربي إلى رصيد العلم في العالم .

أيها الأساتذة الأجلاء :

لقد أخذت لغتنا العربية تتقدم بخطى واثقة ، لتستعيد مكانتها بين لغات العالم المتحضر ولا يسعني في هذا المقام ، ونحن نحتفل بالعيد الذهبي للمجمع اللغوي ، إلا أن أشيد بإنجازاته الكبيرة ، من معجمات لغوية كمعجم ألفاظ القرآن الكريم ، والمعجم الكبير والمعجمين الوسيط والوجيز ، ومن معجمات علمية متخصصة ، في الجيولوجيا والفيزيكا والفلسفة ، والجغرافيا ، وما هو وشيك الصدور من المعجمات في البيولوجيا والطب والكيمياء والصيدلة ، والأحياء والزراعة وغير ذلك من العلوم .

ولا ريب أن إخراج هذه المعجمات العلمية المتخصصة - بما تحتويه من عشرات الألوف من المصطلحات - سيتيح لأمتنا العربية توحيد المصطلح العلمي العربي ، ويسر لها تحقيق حلمها الكبير في تعريب الدراسات العلمية من التعليم الجامعي .

كما لا يسعني كذلك إلا الإشادة بإنجازات المجمع في مجال ألفاظ الحضارة ، ومصطلحات الفنون ، وفي تيسير تعليم النحو العربي وتيسير الكتابة العربية ، وتصويب الألفاظ والأساليب ، ودراسة لهجاتنا القديمة والحديثة ولغة العلم والإعلام العربي ، والعناية بنشر تراثنا اللغوي وتشجيع إنتاجنا الأدبي وإعداد البحوث في قضايا اللغة والأدب والفكر .

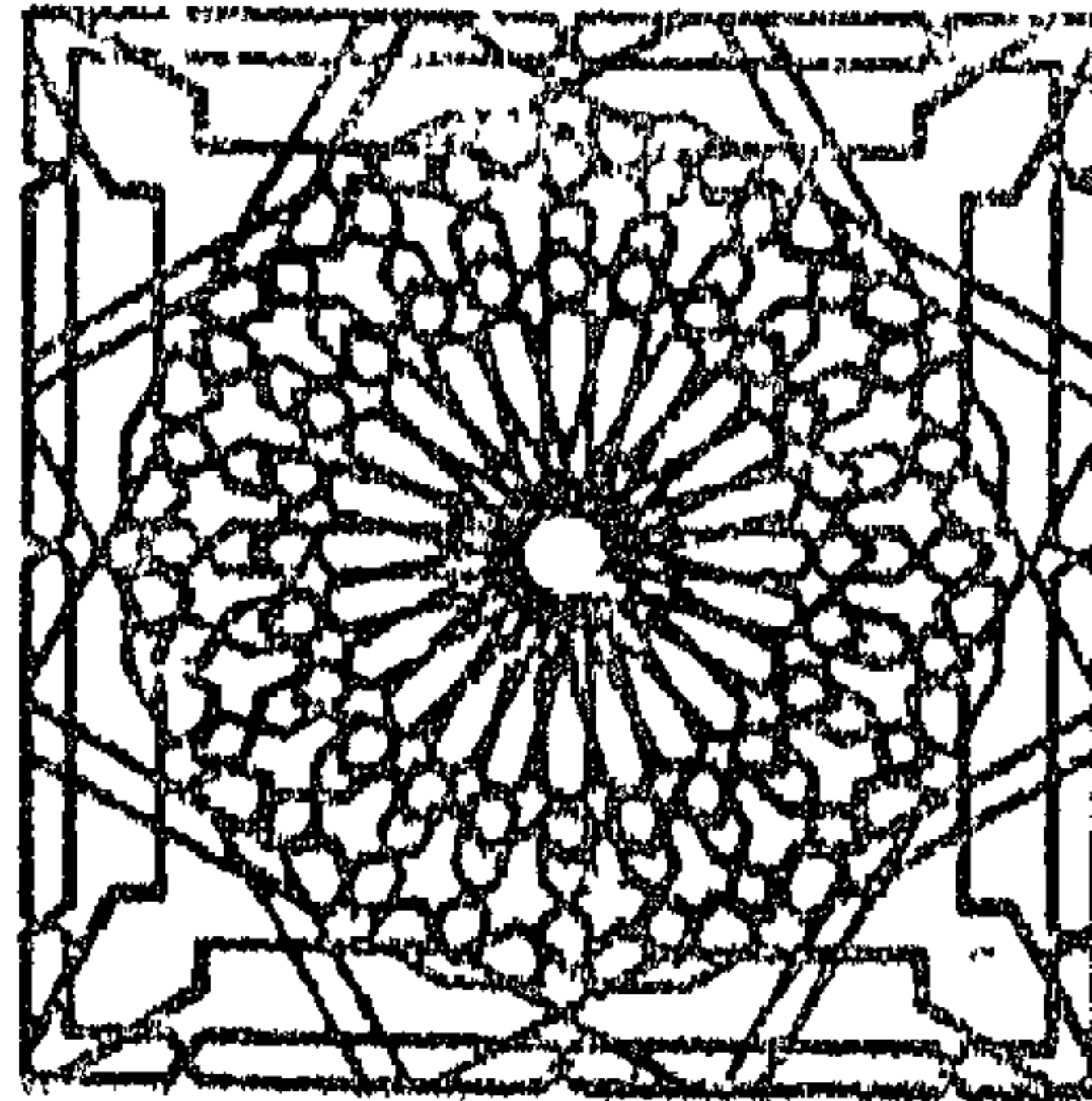
أيها الأساتذة الأجلاء :

كل هذا يشهد لأعضاء هذا المجمع بالليل بأنهم أمناء على لغتنا العربية ، وبأنهم قادرون على تحقيق آمالنا في أن تؤكد لغتنا مكانتها المرموقة ، بين اللغات العالمية الكبرى

فهنئة لكم بعيدكم الذهبي ، وشكرا متجدداً لضيوفنا العلماء الأعلام ، ودعاء خالصاً لله تعالى بأن يظل المجمع منارة للغتنا الخالدة وأميناً على خدمة أمتنا العربية المحيطة .

والله ولي التوفيق .

والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته



كلمة الأستاذ الدكتور إبراهيم كور رئيس المجمع

السيد نائب رئيس الوزراء ووزير التعليم والبحث العلمي .

السادة الزملاء الكرام .

سيادتي ، سادتي .

إنني أضخم صوتي إلى صوت السيد النائب في الترحيب بالضيوف الكرام ، وشكرهم على إسهامهم معنا في الاحتفال بالعيد الخمسين للمجمع لغة القرآن .. وكنا ولا نزال نعول على مشاركتهم ، ونعتد بعطائهم .

ولست في حاجة أن أقول: إن العربية سبقت اللغات الأوربية الكبرى في عالميتها ، فقد كانت لغة العلم الأولى في العالم بأسره طوال عدة قرون ، من القرن التاسع الميلادي إلى القرن الثالث عشر . وعنها أخذت السريانية والعبرية والأردية شرقاً . وأفادت منها اللاتينية غرباً . وهي التي وجهت نظر اللاتين إلى البحث عن الثقافة اليونانية والفارسية والهندية ، وقد كانوا لا يعرفون منها إلا قشورا .

وأصبح من المسلم به اليوم أن النهضة الأوربية الحديثة مدينة للعربية في وعيها وبقظتها ، في علومها وفنونها . وإذا كان البحث العلمي العربي قد توقف زمناً ، فما أجدره أن يستعيد نشاطه ، ويسترد مكانته ، وهامي ذى العربية تأخذ مكانها في المحافل الدولية إلى جانب اللغات العالمية الكبرى ، وكم أثير في طريقها من صعوبات واعتراضات ، وأحرص على أن أقرر أن مجمعكم هذا قد رد عليها جميعها ، وذلك بمحرريه ومختزليه .

(*) أقيمت هذه الكلمة في الجلسة الافتتاحية للعيد الخمسين للمجمع .

سيداتي ، سادتي :

إن خمسين عاما حقبة قصيرة في تاريخ المجامع اللغوية والعلمية ، ومع هذا يستطيع مجتمعكم أن يباهي بما تم به من طابع عالمي ، وما قام عليه من أساس موضوعي . صوب فيه إلى خدمة العربية في ذاتها على أيدي من يحسن خدمتها دون تفرقة بين جنس أو وطن ، وهذا اتجاه فريد في بابه ، بين المجامع اللغوية على اختلافها . تكون في البداية من عشرين عضوا نصفهم من المصريين . والنصف الآخر من العرب المستعربين . التقوا جميعاً على مائدة اللغة العربية . وتفاؤوا في خدمتها ، فكانوا يجتمعون مرة كل عام ، ولمدة شهر ونصف تقريباً ، ويعقدون نحو خمس وثلاثين جلسة . وما أشبه لقاءهم هذا بندوة علمية دولية يربط أفرادها غرض واحد ، وتجمع بينها غاية مشتركة والأخوة في العالم قد لا تقل عن الأخوة في النسب أو في الوطن . ولم يفرق شمل هذا المجمع الكريم إلا الحرب العالمية الثانية التي باعدت زمناً بين الأعضاء المصريين وزملائهم من العرب والمستعربين . ثم التأم الشمل مرة أخرى ولا تزال الحرب قائمة ، وعاد منهم من عاد إلى خدمة اللغة . وأذكر أنني رأيت واحداً منهم في زيه العسكري ، ولم يمنعه واجبه الوطني من أن يؤدي رسالة العلم والمعرفة . وقد احتفظ هؤلاء العرب والمستعربون بعضويتهم إلى أن لقوا ربهم ، وتفاؤوا في خدمة اللغة العربية ما وسعهم ، ولا أدل على هذه الأخوة العلمية الصادقة من أن المجامعيين جميعاً التقوا على أن يكلوا إلى مستشرق ألماني من بينهم لإخراج معجم عربي تاريخي ، وهذا المستشرق هو فيشر الذي أمضى من قبل نحو ٥٠ عاماً في جمع النصوص العربية القديمة ، وتخصص تماماً في العصر الجاهلي وصدر الإسلام . وكم وددنا أن لو تابع مهمته حتى النهاية ، ووضع المجمع تحت تصرفه كل ما هو في حاجة إليه من مراجع ، ومساعدين ولكن الحرب اعترضت طريقه ، ثم حال قصر الأجل دونه وإتمام ما تعاقد عليه .

ومن حسن حظ مجتمعنا أن تواردت عليه أفواج من صفوة الصفوة ، وشيوخ الأدب واللغة وكبار العلماء والمتخصصين وأئمة الفقه والقانون وقد أرخنا لهم في كتاب ظهر منذ عشرين عاماً بعنوان «المجمعيون في ثلاثين عاماً» ، ونعد كتاباً آخر للمجمعين في خمسين عاماً . ومن حقهم علينا أن ننوه بهم في عيدنا هذا وأن نسجل اعترافنا بجميلهم ، فقد عززوا المجمع بماضيهم ومجدهم ، وأثروه بعلمهم وبحشهم . ويطول بي الحديث إن وقفت فقط عند من لقي ربه منهم ، وفي ذكر أسمائهم ما يغني عن التعريف بهم . ومن ذا الذي يجهل في فوج المؤسسين الخضر حسن ، وحسين وآل ، وإبراهيم حمروش بين الأزهرين ، أو الإسكندري والعوامري والحارم بين شيوخ

دار العلوم : أو الأب انستاس الكرملى بين العراقيين أو كرد على بين السوريين ،
أو حسنى عبد الوهاب بين التونسيين وفى الفوج الثانى ، وعدته عشرة من المصريين ،
أئمة وأعلام لقوا ربهم بعد أن خدعوا أمتهم ولغتهم . وعلى رأسهم مصطفى المراغى ،
ومصطفى عبد الرازق بين الأزهرين ، ولطفى السيد وعبد العزيز فهمى بين رجال
القانون ، وعلى إبراهيم بين الأطباء ، وهيكى ، وطه حسين ، والعقاد ، وأحمد
أمين بين كبار الكتاب والباحثين . وفى الفوج الثالث ، عدته عشرة آخرون مصريون ،
أشباه وأفراز ، أمثال السنهورى بين القانونيين ، وعبد الوهاب عزام ، وعبد الوهاب
خلاف من مدرسة القضاء ، وزكى المهندس من دار العلوم ، وأحمد زكى ، ومصطفى
نظيف ، ومحمد شرف بين العلماء والأطباء وتلا هذا ١٥ عضواً وهو فوج رابع بين
مصريين وعرب رحم الله من رحل منهم وأطال فى أجل الباقين . وأذكر من بين
الراجلين رضاً الشببى شيخ العراقيين ، وقدرى طوقان عالم الأردن ، وأنيس
المقدسى أستاذ الأدب اللبنانى ، والبشير الإبراهيمى من رجال الصحوة الأولى
فى الجزائر ، والفاضل بن عاشور مفتى تونس .

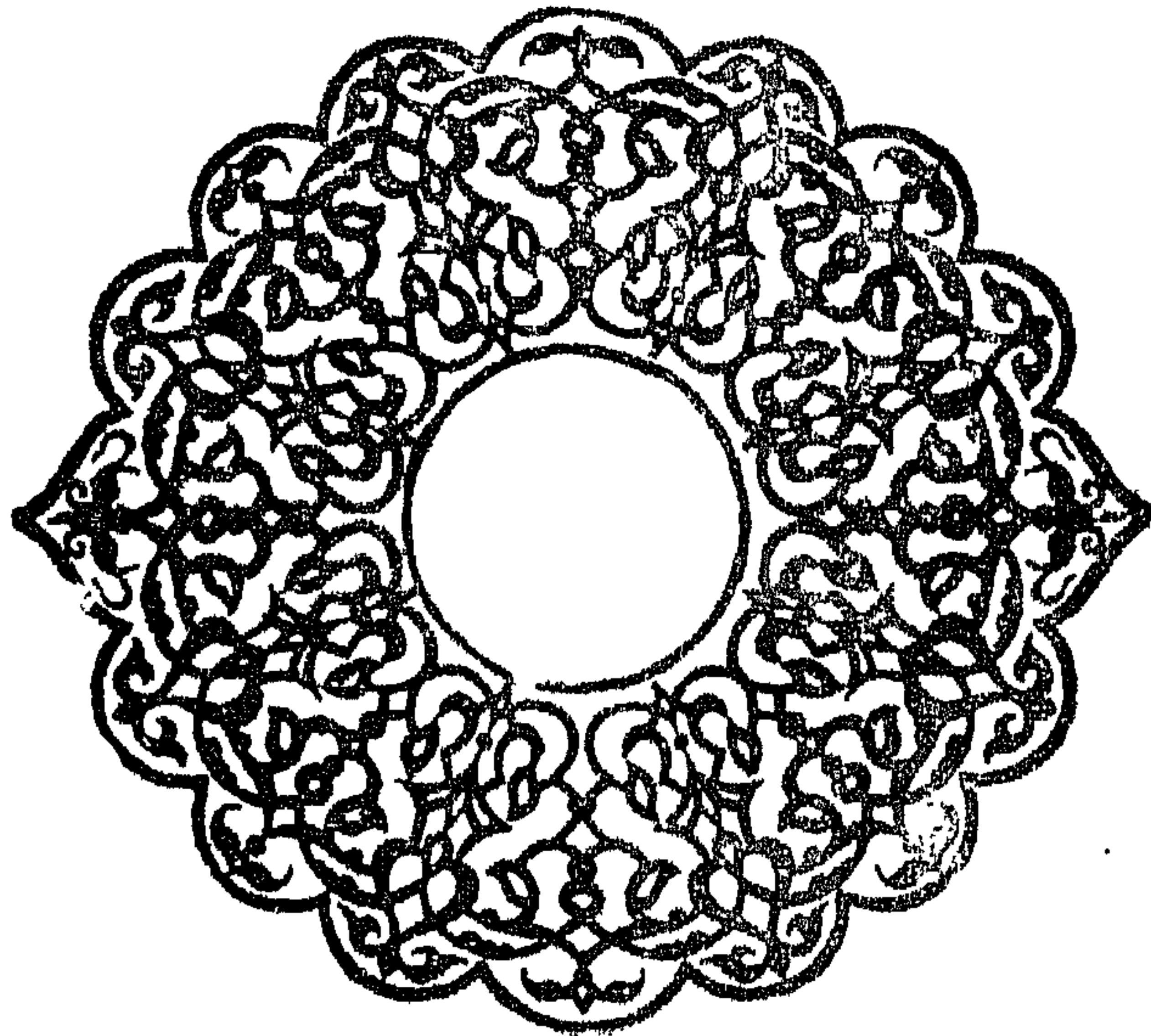
أفواج أربعة تعاقبت وكلها بالتعيين ، وعدتها ٥٥ عضواً : وانضم إليهم ما يزيد
عن ٧٠ عضواً اختارهم الجمعيون بأنفسهم . والأصل أن تتولى الحكومة التعيين فى
الكراسى الجديدة ، ثم تترك للمجمعين أن يستكملوا أعضاءهم بأنفسهم ، ولهم
دورة انتخابية مرة كل عام .

وقد زودوا المجمع بزاد وفير لاندكر منه إلا بعض من لقوا ربهم ، أمثال :
عبد الحميد بدوى ، وعلى بدوى ، ومصطفى القوتى بين القانونيين ، وعبد الرحمن
تاج ، ومحمد على النجار ، محيى الدين عبد الحميد بين الأزهرين ، وشفيق
غربال ، ومحمد رفعت وعبد الحميد العبادى ، وأحمد بدوى بين المؤرخين
ومحمد عوض ومحمد الصياد بين الجغرافيين ، وعلى توفيق شوشه ، ومحمد كامل حسين ،
وأحمد عمار بين الأطباء ، وإبراهيم مصطفى ، وعبد الحميد حسن وحامد
عبد القادر ، ومحمد خلف الله من أبناء دار العلوم وأنطون الجميل ، وتوفيق
دياب والمازنى ، وأحمد حسن الزيات من الصحفيين . ومحمود تيمور شيخ
القصاصين ، وعزيز أباظة الأمير الشافى للشعراء تغمدهم الله جميعاً برحمته ،
ومعذرة إن كان فاتنى ذكر بعضهم . وآمل أن يسجلوا جميعاً بالمجمع فى سجل
شرف يليق بهم .

على أن سجلهم الحقيقي في محاضر المجلس والمؤتمر ، وفي مجلة الجمع ومطبوعاته ، وفيما أبدوه من آراء ومقترحات ، وفيما انتهوا إليه من قرارات وتوصيات ، وما قعدوا من أصول فبرهنوا على حيوية العربية ومرونتها ، وقدرتها على مواجهة متطلبات العلم والتكنولوجيا . فأجازوا الاشتقاق من الحامد وكان ممنوعاً ، وترسعوا في المصادر الصناعية وما أكثر استعماله في أسماء المذاهب والمدارس الفكرية واستحدثوا صيغاً للدلالة على الآلة والمكان والزمان ، وسلموا بجواز النسب إلى الجمع كما ينسب إلى الفرد . وأقروا ألفاظاً واستعمالات حديثة كنا نتردد بالأمس في قبولها ولا أزال أذكر ملاحظة للمرحوم السنهوري عندما قال يوماً : يكفي الجمعيين فخراً أنهم أدخلوا كلمة أوبرا في معجمهم الوسيط وللمجمع مؤلفات متلاحقة تثبت ما قرر من أصول جديدة ، وما قبله من ألفاظ وأساليب مستحدثة .

سيداتي ، سادتي :

شكراً لكم على حسن استماعكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



كلمة الجامع للقرية للكوئتنى جمع نخبى لمجمع السورى

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد نائب رئيس الوزراء للخدمات ووزير الدواة لشئون التعليم والبحث العلمى : الأستاذ الحليل رئيس مجمع اللغة العربية فى القاهرة السادة الزملاء الأماثل أعضاء مجلس مجمع اللغة العربية بالقاهرة أيها السادة والسيدات .

إنه يسعدنى ويشرفنى أن أقف أمامكم ، لألقى كلمة مجمع اللغة العربية بدمشق بمناسبة الاحتفال بالعيد الخمسينى لمجمع اللغة العربية فى القاهرة ، يسعدنى أن أنقل إلى السادة الأعلام فيه ، مع التهنئة الخاصة تحيات زملاء لهم فى الجامع العربية الثلاثة من انشام إلى العراق فالأردن عن مدى اعتزاز الجميع واغترباطهم بما وفق إلى انجازه بمجمعكم الموقر . طوال هذه السنين الخمسين من عمره المديد إن شاء الله ، من منجزات باهرة ، وما قام فيها من أعمال جليلة ، وما خطا خلالها من خطى سديدة ، حرى بها التقدير والإعجاب ، وذلك فى سبيل إعلاء شأن لغتنا المقدسة لغة التنزيل العزيز لجعلها لغة عصرية قلبا وقالبا تفى بأداء حاجات الزمن الذى نعيشه وتسائر ركب الحضارة الماضى بخطى حثيثة ، زاده الله توفيقا وأمله بعونه ، وولى وجهتنا نحو كل ما فيه خير الإسلام والعروبة وبعد فإننا ونحن نحتفى اليوم جميعا بمرور خمسين عاما على قيام هذا الصرح المحيد من صروح العربية وذلكر ما أثر مؤسسه الأوائل فغمدهم الله برحمته وسائر من تعاقبوا على العضوية فيه ، فستمد من هديهم هديا يصح لنا تجاهل الطريق ومن ذكر عزماهم عزما يعيننا على المضى فيه .

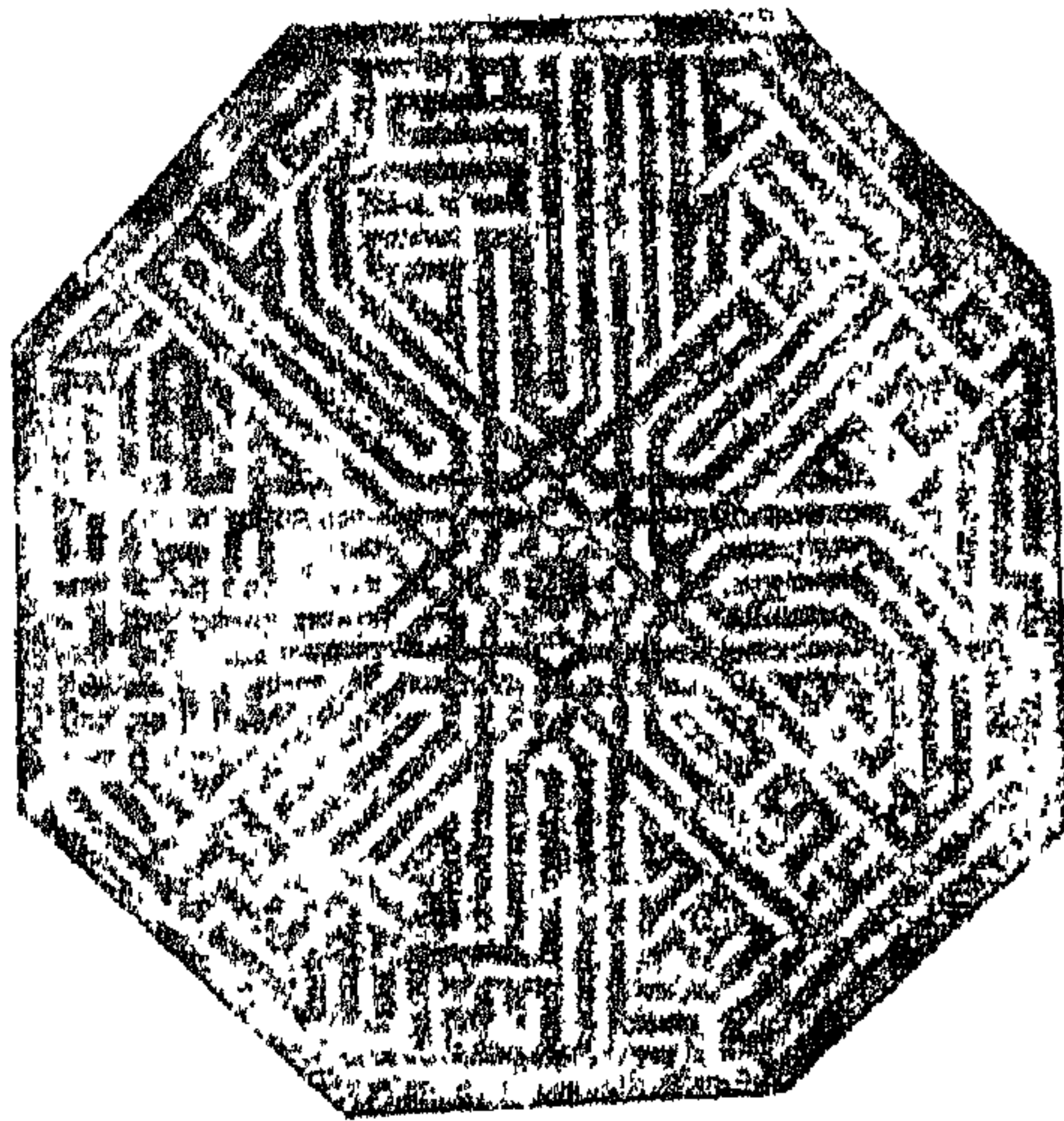
لقد كان مجمعا دمشق والقاهرة ولا يزالان شقيقين يعملان لغاية واحدة ، وكان قيامها تعبيرا عن إرادة هذه الأمة في حياطة لغتها التي هي أشرف ما نطق به البشر ، وحضارتها التي هي أكرم حضارة عرفها بنو الإنسان وتمهية أسباب النماء لها .

ولئن سبق مجمع دمشق في الظهور أخاه ببضع عشرة سنة لقد كان مما ساعد على قيامه مالقيه مؤسسه الأستاذ محمد كرد علي من تشجيع وعون من أكابر أصحابه في مصر ، من مهدوا اقيام مجمع القاهرة أيضا ومنهم أحمد تيمور باشا وأحمد زكي باشا وغيرهما رحمهم الله . حتى إذا قام مجمع القاهرة ، اختير بين مؤسسيه رئيس مجمع دمشق الأستاذ محمد كرد علي وعضوية الشيخ عبد القادر المغربي والأستاذ عيسى اسكندر المعلوف أيضا ، ثم لم يفتر التعاون بين المجمعين قط حتى إذا كانت سنة ١٩٥٨ وانتصرت إرادة الأمة في جمع القطرين الشقيقين مصر والشام في وحدة سياسية اندمج المجمعان في مجمع واحد ذي فرعين تدار شؤونهما بموجب القرار الجمهوري ١١٤٤ تاريخ ١٩٦٠ واستبدل مجمع دمشق لذلك اسم مجمع اللغة العربية باسمه الأول المجمع العلمي العربي ، حتى إذا شاء القدر أن تتصدع الوحدة السياسية عز على مجمع دمشق أن يتخلى عن اسمه الجديد وظل يعمل بموجب القرار المتقدم ذكره ثم كان أن اقترح مجمع دمشق سنة ١٩٦٩ وهو يحتفل بعيده الخمسيني قيام اتحاد يضم الجامعات العربية الثلاثة القائمة إذ ذاك فلبى الدعوة مجمعا القاهرة وبغداد وتم الاتحاد بين الجامعات الثلاثة ، ثم انضم إليه مجمع الأردن أيضا ، ولنا لننتظر اليوم الذي تقوم فيه دولة العرب الواحدة والتي تضم لكل أقطارهم ويكون لها مجمعها الواحد الذي تندمج فيه كل هذه الجامعات ولأنه لا تباذن الله ومشيئته .

ولا يسعني إلا أن أذكر بالإكبار الخطة الرشيدة التي اختطها مؤسسو هذا المجمع لتحقيق غايته النبيلة ، والأعمال الجليلة التي قام بها أعضاؤه ولحانه على مدى خمسين عاما من تأصيل أصول ، وتحرير قواعد ، ووضع مصطلحات في شتى العلوم والفنون ، إلى ما قاموا به أيضا من إحياء طائفة من آثار السلف ووضع (معجم ألفاظ القرآن الكريم) ، (المعجم الوسيط) و (المعجم الوجيز) وغيره وعملهم الدائب في إعداد (المعجم الكبير) .

وقد كان من تمام خطة هذا المجمع الرشيدة مؤتمره السنوى الذى يعقد فى مثل هذه الأيام من كل سنة ويضم أعضائه العاملين والمراسلين ومن اختارهم لعضويته من الأقطار العربية ، للنظر فيما تدارسته لجانه ومجلسه من مسائل وما اتخذته من قرارات ، ليؤخذ منها بما هو أحرى للنصواب .

وبعد ، فلئن من حق أرض الكنانة - حرسها الله - أن تفخر بجامعها الأزهر الذى مايزال من نحو أحد عشر قرنا القيم الأمين على موارث العربية والإسلام ، إنه من حقها أيضا أن تفخر بهذا المجمع الأزهر الذى نرجو أن تعود جهوده على هذه الأمة بالخير العميم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



لغة لقرآن والخصارة والحياة مؤلف: محمد مجيبة الأثرى

- ١ - شعشت كاسها أورف الضياء وعلاها ، من لينا السنا لألاء
- ٢ - وصفها ماؤها كما شف ماس ألفت في الضحى عليه (ذكاء)
- ٣ - لذة الطعم . . ما الشهاد لدها ؟ مارضاب العذراء ؟ ما الصهباء ؟
- ٤ - كل لطف مفرق في سواها هو فيها ، وكل حسن رواء
- ٥ - مثل وشى الربيع . . زانت يد الله (م) حلاه ، وأبدعت ما تشاء
- ٦ - وجنى النحل . . فيه من كل زهر ما حباه الربيع والأنداء
- ٧ - طاب في الذوق واستلذ ، وصارت منه للناس نعمة وشفاء
- ٨ - فيه من نشوة الشمول ، ولكن لا يصيب العقول منه باء
- ٩ - لغة ؟ أم مزاهر ؟ أم مناجيا ة عذارى فواتن ؟ أم غناء ؟
- ١٠ - يبهج السمع ، إذ تنغم ، والقلـ ب سرورا ، وتنتشى الأعضاء
- ١١ - قاد جرس الألفاظ فيها المعاني وتجارى إيقاعها والأداء
- ١٢ - عاطها حسك اللطيف ومعنا ك ، مما نحك لفظها ما تشاء

(*) ألفت القصيدة في جلسة افتتاح الاحتفال بالعيد الحسيني للمجمع .

(١) شعشع الضوء : انتشر خفيفا . (٢) ذكاء : الشس .

(٣) الشهاد : جمع الشهيد ، وهو العسل - الصهباء : الخمر .

(٨) النشوة : أول السكر - الشمول : الخمر . - الباء : الأسر .

- ١٣ - من درارى السماء لونا^١ ولحا^٢
 ١٤ - أو الألى (الخليج) : تزدهر اللب
 ١٥ - أو نبات الربيع : تبهى به الأر
 ١٦ - فى شذا الورد : هاج فى نفس الصب

* * *

- ١٧ - هى (ليالى) فى الليالى ، وترى
 ١٨ - يتملى - ملاوة - من نعيم
 ١٩ - ونعيمى فى حب (ليالى) أسمى
 ٢٠ - طرب دائم ، ووصل مقيم ،
 ٢١ - و (للىلى) عهد مع العمر باق
 ٢٢ - شهوات النفوس مختلفات
 ٢٣ - لا يلمنى اللوام إن جهلوني
 ٢٤ - اصطفتانى لها الذى نوع الخـ
 ٢٥ - قد تعلقته منه صبـباى بـ (ليلا
 ٢٦ - دون عشرين والصـبا فى عـرام
 ٢٧ - كل شىء سلوت ، إلا هواها
 ٢٨ - كيف أسـلو هوى به أنا أحيا
 ٢٩ - الثمانون . . قد أراها استقام الـ
 ٣٠ - ربما . . والفتى رهين الليالى

* * *

- (١٤) الخليج العربى : هو مأوى اللؤلؤ. - اللبة : موضع القلادة من العنق - الرواء : تحسن النظر فى البهاء والجمال.
 (١٥) تبهى : تحسن وتجميل .
 (١٧) الترب : المائل .
 (١٨) الملاوة : مدة العيش ، وتملى الجيب : عاش معه ملاة من السن .
 (٢٠) الخافق : القاب .
 (٢٣) الصباء : الحنين والميل .
 (٢٦) العرام : الشراسة والاشتداد - الغلاء : المقالات .
 (٢٨) الفتاء : الفتوة .

- ٣١- نعر الناعقون . لكن إليهم
 ٣٢- هي في أفقها الرفيع ، وهم في
 ٣٣- نخل عنك العلوج إن قرقرها
 ٣٤- خلهم عنك قرقرها أو أصواتها ،
 ٣٥- الثناعات دينهم ، والجافا
 ٣٦- جهلوا ، وهم مراض قلوب
 ٣٧- ثم دأب . ما أرى لهما الدهـ
 ٣٨- ومن الجهل للنفوس اغتيال
 ٣٩- كبرت أن ينسأها منهما اللغـ
 ٤٠- ما لدى القبح يستطار من الحسـ
 ٤١- انقلاب الزمان . أعري الزرازيـ
 ٤٢- وأرانا الجعلان قد ذمت السور
 ٤٣- طفح الكيل ، فالمهارق سود
 ٤٤- فلم البغض ، وهي للخلق نور
- وحدهم أعاد ما فروا وأسأوا
 غائط الأرض ركم وقمأ
 وفروخا هزلى علاها الصاء
 أى حسناء مالها أعداء ؟
 ة هواهم ، والسوأة السوءاء
 نخرة الحق لهم والبداء
 ر دواء يشفى ، فكل عيأ
 ومن الداء هلكة وفناء
 و ، دعيت بضيمها اللومأ
 ن ؟ وماذا أرايت الحسنأ ؟
 ر ، فصالوا ، واستوقح الأدعيأ
 د ، وعابت فراشة خنفسأ
 من قحاحات ، وحشوهن بـ
 يعالى ، وللحياة ضيأ

* * *

- ٤٥- لغمة المرء ذاته . إن تهن ها
 ٤٦- الحفاظ الحفاظ . يغلى به الصد
 ٤٧- وأصول الأرحام ، والوطن الغا
- ن وأضوى ، وزلت الكبرياء
 ور ، وتحمى ببأسه الحوبأ
 لى المفدى ، والعزة القعساء

- (٣٢) قباء : أذلاء صغار حقراء .
 (٣٤) أصواتها : صاحوا .
 (٣٥) الثناء : أشد البغض . - السوأة السوءاء : الخلة القبيحة ، وكل كلمة قبيحة أو فعله قبيحة فهي سوءاء .
 (٣٧) داء عيأ : شديد لا يبرء منه .
 (٤٢) الجعلان : جمع الجعل . وهو حيوان كالخنفساء ، يكون في مراحيق البقر ونحوها وفي مواضع الروث يموت من ريح الورد ، فاذا أعيد إلى الروث عاش (حياة الحيوان) .
 (٤٣) المهارق : الصحائف البيض .
 (٤٦) الحوباء : النفس .
 (٤٧) القعساء : المتبعة الثابتة .

- ٤٨ - لا يمارى إلا جهول . . تساوت
 ٤٩ - ودعى مـزـنـم متغـاض
 ٥٠ - ليس يعنيه ما يصمان ويرعى
 ٥١ - كثر العاثون فيها فساداً
 ٥٢ - ما لهم ، إن مخضتهم في امتحان
 ٥٣ - هم عليها ، ولست أغلو بحكم
 ٥٤ - يرسمون الحدود جهلاً كما يمـ
 ٥٥ - خبط عشواء في الظلام . . تلوى
 ٥٦ - يعلق الشوك جسمها فيدمى
 ٥٧ - رب غـاوٍ منهم قتيل غرور
 ٥٨ - أعرج النطق ، أعمش الفكر.. ماذا
 ٥٩ - ولكم مدع حفاظاً عليها ،
 ٦٠ - وعليها ، والحكم لله فيها ،
 ٦١ - عجب عجب .. صحيحة عين
 ٦٢ - ومعا في الرجلين . . جاء يداو
 ٦٣ - وعدو مكاشح . . يظهر الحـ
 ٦٤ - لست أدري ، وعـل غيرى يدري
 ٦٥ - ومتى ترعوى السفاهة عن غي
 ٦٦ - ومتى تجسـدع الأنوف ، وتلقى
- في غياه اللسـناء والبكماء
 عنده دعوة الحفاظ هـراء
 أعدو يغـوله ، أم بلاء
 وغلا بادعائها الجهلاء
 (ألف) من فنونها أو (بـاء)
 شهد (الله) ذو الجلال ، وباء
 الى هواهم ' وتشتهى الخيلاء
 درهما ، واستخفت به الأصواء
 أو تردى في هوة فتسـاء
 عنده اللحن والصواب سـواء
 من رزاياه يصلح الرفـاء
 وعليها من ضيمه ضمـراء
 أبدا منه غارة شعـواء
 تتولى قيادها عميـاء !
 به خيالاً من رجله عرجاء
 ب رياء ، وفي الضمير العداء
 فيم هذى الجهالة الرعناء ؟
 وطيش ، وينتهى السـفهاء ؟
 في الكناسات هذه الأقـداء ؟

(٤٨) يمارى : يجادل . - اللسـناء : الفصيحة البليغة . - غياه : غباوته .
 (٤٩) الدعى : المتهم في نسبه . - المزنم : المقطوع من أذنه هنة فتركت معلقة .
 (٥٥) يخطب خطب عشواء : يخطى ويصيب كالناقة التى يعينها سواء إذا حبطت بيدها . الأصواء : جمع صوى ،
 وهى ما ينصب من الحجارة ليستدل به على الطريق .
 (٥٨) يتلكأ (يتلكأ ، سهلت همزته) : يعتل . - العقل : ظلع يؤخذ في قوائم الدابة ،
 (٥٩) الرفاء : من يرفو (يرفأ) الثياب ونحوها .
 (٦٠) غارة شعواء : منتشرة متفرقة فاشية .

- ٦٧- ومتى يحفظ الذمام ، ويرعا
٦٨- ليس فيهم من الأشائب مفتو
٦٩- (لغة الوحي) جل ذا الذعت نعتاً
٧٠- شرف في السماء والأرض سماء
٧١- جلمجل (الوحي) في العلى بصداها
٧٢- مس قلب (الأمين) حتى إذا ما
٧٣- رج (أم القرى) ، وبارك في الده
٧٤- أى قدس تقدست باسمه (الفصح
٧٥- اصطفاه من علم البشر النطـ
٧٦- اصطفاه (وحيه) وهو نور
٧٧- يا لغات اسجدي ، ويا ناعق اصمت
٧٨- جوهر ثاقب ، على الدهر يذكو
٧٩- تتعالى من بعد أفق رفيع
٨٠- وتمد الحياة من كنزها الوفـ
٨١- كلما طال شوطها طاوعتها
٨٢- وكذلك الجياد تعطى قواها
٨٣- غدت العلم ما تفرع بالزا
٨٤- ونمى من نطافها الأدب العا
- ه الكرام الأحامس الأوفياء
ن غي ، أو معشر دخلاء
أين للسن هذه السيماء
كل علية من ذراه علاء
وتلقاه بالخشوع (حراء)
فاض منه تخاوض البلغاء
ر علاها ، واستغرزت آلاء
ى) ، وعزت بمجده (العرباء)
ق ، ومنه الأصوات والأسماء
يتألا بها ، ونعم الوعاء
وحدياك أيها الادعاء
ما استقامت دنيا ودام ذماء
نحو أفقى ، ودأبها الارتقاء
ر ، ويزكوما تجود الحباء
ما براها أين ولا إعياء !
والرجال الأحرار والكرماء
د كريماً ، وما ابتغى العلماء
لى ، ورفت أفذانه والزهاء !

- (٦٧) الذمام : الحق والحرمة . - الأحامس : الشجعان ، جمع أحمر .
(٦٨) الأشائب : الأخطا من الناس .
(٦٩) اللسن : اللغات
(٧١) حراء : من جبال مكة ، كان يتحنث فيه النبي صلى الله عليه وسلم وفيه نزل الوحي عليه .
(٧٢) تخاوص : غص بصره ، ويقال تخاوضت النجوم ، أى اصفرت الغلواء .
(٧٣) أم القرى : مكة المكرمة . - الآلاء : النعم .
(٧٤) عرب عرباء : صرحاء خالص .
(٧٥) يذكو : يشتد طيبه ويشتمل . - الذماء : قوة الثعلب .
(٨٠) الوفـ : الكثير . - يزكو : ينمو ويزيد . - الحباء : العطاء .
(٨١) الأين : التعب .
(٨٤) النطاف : المياه الجارية . الأفنان : الأغصان . رهاء الشيء : شخصه .

- ٨٥- ما استدار الزمان لوذا فلونا وتوالى على الحياة ابتلاء
٨٦- يخصب الجذب بالغيوث رواء وبها تخصب النهى والذكاء
٨٧- ويزان الثرى بغرس وزرع وهى فى الصحب زينة ووشاء

* * *

- ٨٨- رويت من ساساها العذب (مصر) مثلما (النيل) منه تروى الظماء
٨٩- وحمى ذخرها تليدا أصيلا وكذا تحرس العلى الأصلاء
٩٠- وحبته من الطريف فنونا من فنون يبهى بهن البهائم
٩١- شاد (عمرو) ، والفضل ما شاد عمرو فرعته المعاشر الأرباء
٩٢- أصل (الدين) و (العروبة) و (الفصه حى) ، فوفى (الفسطاط) والنبلاء
٩٣- دارة الطهر والبراعة ، والأهـ ل كرام أمثال نجباء
٩٤- هم بنو (مصر) ، (والمحبة) دين عندهم و (الأخوة) الزهراء
٩٥- ورثوها من (أنبياء) كرام علموهم . . يا حبذا (الأنبياء)
٩٦- وإذا صحت النفوس تصافت وتلاقى على الهدى الآراء !
٩٧- وزها (الأزهر المبارك) شأننا واستنارت بنوره الأمـلاء !
٩٨- ينشر (الدين) و (السماحة) و (الف صبوحى) ، ويأوى لركنه النبهاء
٩٩- الليوث الغيوث من كل نجر والصباح النيات والحنفاء
١٠٠- الحفاظ الأصيل والدأب الصمد ق ، هـداهم ، والرأب والابراء
١٠١- وتجارى الأنسال قرنا فقرنا وترضى الأبوة الأبناء
١٠٢- فجديد ، يشاد عند قديم وببناء ، يعلى عليه بناء
١٠٣- نعمت (الدار) هذه الدار . . أوفت فوق (نيل الجنات) منها سما

(٨٦) رواء : جمع ريان . (٨٧) الوشاء : كثرة المال .

(٨٩) التليد : المال الأصل القديم .

(٩٠) حبته : أعطته . الطريف : المستفاد من المال حديثا . يبهى : يحسن ويكمل .

(٩٢) عمرو : عمرو بن العاص رضى الله عنه ، فاتح مصر . الأرباء : العقلاء ،

(٩٧) الأملاء : الأخلاق . (٩٩) النجر : الأصل .

(١٠٠) الرأب : الإصلاح .

- ١٠٤ - حاكت (النيل) في العطاء ، فشيدت فوقه ، وهو تحتها غداء !
- ١٠٥ - ومن (النيل) للنفوس حياة ، ومن (الدار) للحياة غداء !
- ١٠٦ - هي (دار الفصحى) ، وللدار ربّ قد أعز (الفصحى) ومنه الرعاء
- ١٠٧ - أشبلت فوقها حناناً ورعيّاً فلهما كل عطفها والرفاء
- ١٠٨ - رمز (مصر) .. فكل قلب ب (مصر) زهى فيه الحبيبة السمراء !
- ١٠٩ - جيروا لله .. قلب كل كريم يعربى ، دار لها وفناء !
- ١١٠ - شمع (المجمع العظيم) ، وأعلى (لغة الوحي) جهده البناء
- ١١١ - جمع العلية الفصاح ، وعاشت بين جنبيه أمة أمنا
- ١١٢ - عبقريون. جاهدوا ، واستطابوا نصب الجهد حسبة ، وأفاءوا
- ١١٣ - أوسعوها تجلة واحتراماً وقياماً ، وما عراهم ونا
- ١١٤ - (لغة الوحي) . . لن يمكن منها ألبان ، تقواه فيها هواء
- ١١٥ - فصحت ، واستقام فيها بيان ليس فيه غير الصريخ هجاء
- ١١٦ - أبّت اللعب والتعابث والسخة ف ، وجدت .. وهكذا الصرحاء
- ١١٧ - أعطت (الدين) و (الحياة) ، ولم تعى بشئ - ولم يضمن العطاء
- ١١٨ - وإذا عيت اللغات بزاد تبتغيه الحياة ، فهي هذاء
- ١١٩ - قف هنا : في (كنانة الله) ، واصدع وخليق ب (شعبها) الإصغاء
- ١٢٠ - أنت في (دارة العروبة) حمر ، وذووها هم قومك الأصغفاء
- ١٢١ - (مصر) قلب ، ونحن نحن الشرايين ، ومنهما إليه تجرى الدماء
- ١٢٢ - هيكل محكم الأواصر فرد تعضد القلب^١ عنده الأعضاء
- ١٢٣ - التقينا ، ونحن إذ نرأم (الفصحى) ، هوأنا الحياة والإحياء

(١٠٥) غداء : ذاهب منطلق . (١٠٧) أشبلت : حنت . (١٠٧) الرفاء : الإصلاح .

(١٠٩) جير : يمين بمعنى حقاً . (١١٢) فعله حسبه : ملخرا أجره عند الله . - أفاء له الخير : جابهاه .

(١١٣) الوفاء : الفتور والضعف . (١١٤) الألبان : الكثير اللعب .

(١١٥) الهجاء هنا : تقطيع الألفاظ إلى حروفها ، والنطق بهذه الحروف مع حركاتها .

(١١٧) لم يضمن : لم يبخل . (١١٨) الهذاء : الهذر بكلام غير مفهوم .

(١١٩) كنانة الله : أرض مصر .

(١٢٢) الأواصر : جمع الآصرة ، وهى ماعطفت على غيرك من رحم أو مصاهرة ، أو معروف .

(١٢٣) نرأم : نحب .

- ١٢٤ - نحن نبغى من (الفصاحة) أن تفـ
 ١٢٥ - لفداء التمتام ، أثر عندي
 ١٢٦ - قرع (الله) من يقول ولا يفـ
 ١٢٧ - يا لقومي ! وبعض حالات قومي
 ١٢٨ - نحن في حلبة الحياة ، لنا السبـ
 ١٢٩ - (وطن العرب) سرّة الأرض ، و (العـ
 ١٣٠ - وعلى الأمة (الرسول) شهيد
 ١٣١ - جل هذا الإكرام من لدن (اللـ
 ١٣٢ - أي شأن لو وعيناه هذا الشـ
 ١٣٣ - جهلت نفسها الخلائف ، فاستـ
 ١٣٤ - صاح فيها الفناء ، فليصدق ذو
 ١٣٥ - إنما تحسن الصنيع البهاليـ
 ١٣٦ - هاكم من يد ل (بغداد) عهداً
 ١٣٧ - إن (عهد الحفاظ) : للوحدة الكـ
 ١٣٨ - يفرض العز أن يوثق بالصـ
- صـح منا (الأفعال) و (الأنباء) !
 من بيان لم يصطحبه فـداء
 ل ، فالقول شأنه الإيفاء
 شف داء ، والمصطلحون الدواء
 ق ، وفي أرضنا استطال العـلاء
 رب (على الناس حولهم شهداء
 كيف تهدي بهديه في الأحياء
 ه) ، وجل التشريف والإعلاء
 أن ، واسترعت به النعماء
 لت ذئاب عليهم نـزاء
 د لديهم ، وليقدم الشرفاء
 ل ، وتغشى الكرائه البسلاء
 بصدق الفعل عنده والوفاء
 برى ضمان ، وللحياة سناء
 ق دواماً ، ويقتضيه البقاء

الأستاذ / محمد بهجة الأثري

عضو المجمع من العراق

(١٢٦) تلميح إلى قول الله عز وجل في سورة الصف : (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) .

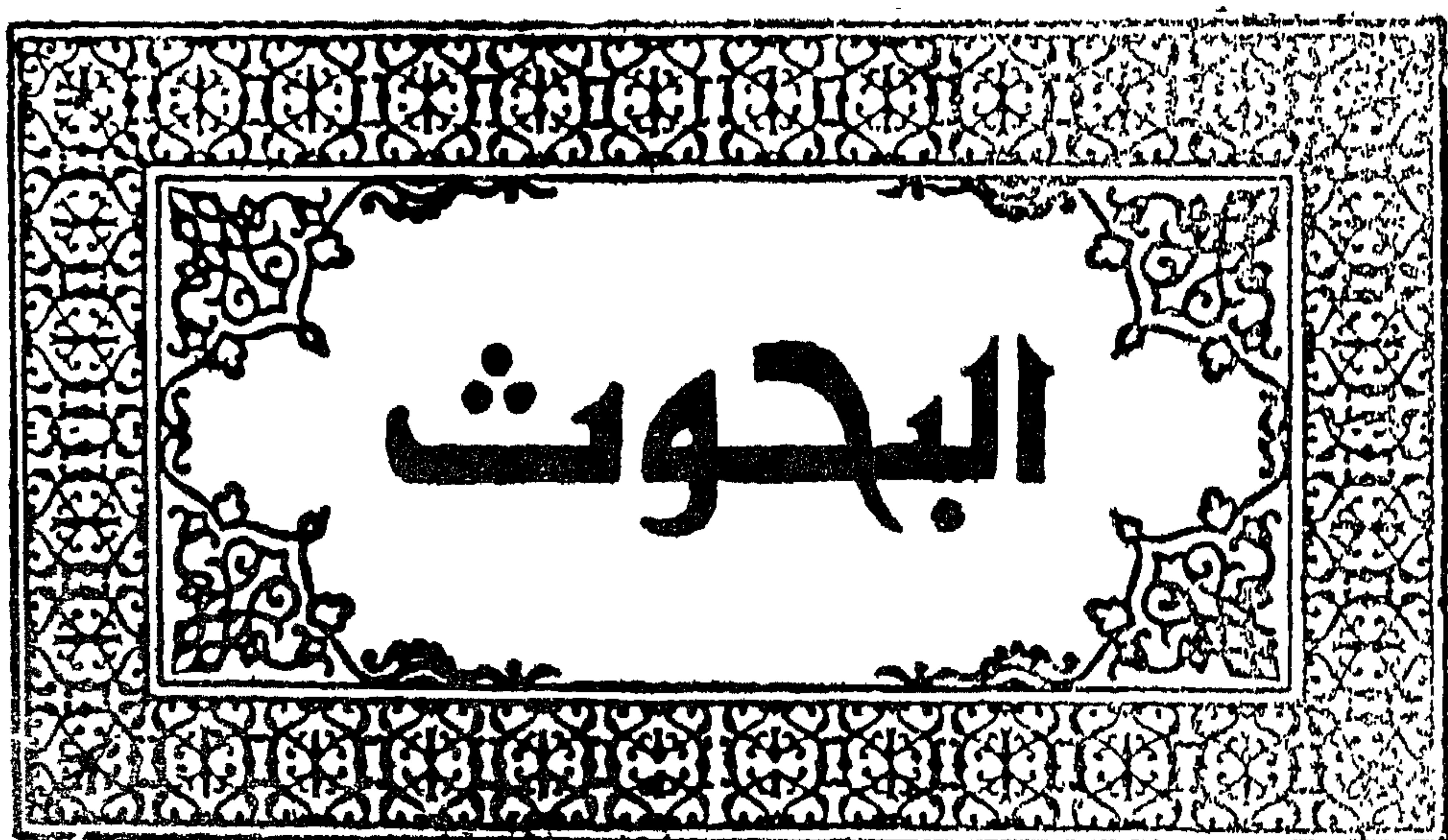
(١٢٩ - ١٣٠) تلميح إلى قول الله عز وجل في سورة البقرة (الآية ١٤٣) : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيداً) .

(١٣٣) نزاء : جمع نزاء ، مبالغة من نزا : إذا وثب .

(١٣٤) الذود : الدفع والطرده .

(١٣٥) البهاليل : السادة الجامعون لصفات الخير . - الكرائه : الحروب .

(١٣٧) السناء : الرفعة .



رؤساء الجمع السابقون للكتور إبراهيم مذكور

يقوم البحث والدرس على أساس من الخبرة الثابتة ، والرغبة الأكيدة . والعمل الدؤوب . ولا حياة لهيئة علمية إلا بانتظام عقدها ، وتضافر أعضائها ، وإيمانهم برسالتهم إيماناً جازماً . ومن حسن حظ مجتمعنا أنه قام أول ما قام على رعييل من شيوخ عصره ، بين مصريين ، وعرب ومستعربين ، وكل واحد منهم قمة في بابه وعلم في ميدانه . وتلاههم رعييل بعد رعييل وكلهم خيار من خيار . رسموا الخطة وأقاموا الصرح ، وأدعموا البناء . وساروا في طريقهم في هدوء وحكمة ، وحزم ودقة ووقفوا جهودهم على خدمة اللغة في منها وتركيبها . وعنوا عناية خاصة بوفائها بمتطلبات العلم والحضارة .

وفي عيد مجتمعنا الذهبي أرى واجبا على أن أنوه برؤساء الجمع السابقين الذين حملوا الراية ، وقادوا القافلة ، وأعطوا ما استطاعوا من أوسع علمهم وعظيم خبرتهم . واستمسك بهم زملاؤهم طوال حياتهم ، ولم يحرمهم منهم إلا رحلتهم الأخيرة إلى جوار ربهم وهم ثلاثة كرام تعاقبوا على رئاسة الجمع أربعين عاما ، وما أغناهم عن التعريف وأود فقط أن أشير إلى شيء من جهودهم الجمعية ، وما خلفوه من أثر في صحائف الخالدين .

وأولهم محمد توفيق رفعت الذي قاد السفينة عشر سنوات من عام ٣٤ إلى ٤٤ ؛ وشهد مرحلة التأسيس ، وهي دقيقة عادة . ولكنه استطاع بخبرته الطويلة وزاده الوفير أن يواجه الموقف مواجهة صادقة . وكان الجمع في سنيه الستة الأولى أشبه ما يكون بمؤتمر دولي صغير يضم عشرين عضوا ، نصفهم من المصريين ، والنصف الآخر من العرب والمستعربين ، والكل مؤمن بالعربية وراغب في النهوض بها لكي تصبح لغة العلم والحضارة ، وتسهم في هذا الميدان إلى جانب اللغات العالمية الكبرى . وكانوا يجتمعون طوال شهرين من كل عام ، ويعقدون نحو خمس وثلاثين جلسة . يغذونها أساسا بخبرتهم وعلمهم الغزير . واستطاع توفيق رفعت أن يحقق معهم تعاوناً تاماً وأخوة صادقة .

وشاء ، وهو الفقيه الضليع والقانوني القديم ، أن يبدأ المجمع عمله بوضع لائحته التي تنظم عمله وتحدد اختصاص هيئاته . وقضى المجمعون في ذلك ما يقرب من دورة كاملة ، ووضعوا أسسا ومبادئ لا تزال نهتدى بها حتى اليوم ، ومن أهم ما اتجهوا إليه تكوين لجان خاصة تقوم بالبحث والدرس ؛ قبل العرض على الهيئة العامة . وأصبح من تقاليد المجمع الثابتة ألا يعرض على مجلسه موضوع قبل أن يستوفى بحثه ودرسه على أيدي المختصين .

وكان المجمعون أنفسهم في البداية دعامة هذه اللجان ، ثم استعانوا بالخبراء ، وهذا تقليد آخر ربط المجمعين بأهل الصنعة ، كل في ميدان اختصاصه . ويعد هذا التقليد مبدأ هاما من مبادئ العمل المجمعى ، ونخطيء كل الخطأ إن زعمنا أن المجمعين صناع ألفاظ وتعبيرات ، ولجان المجمع مفتوحة لكل من له صلة بها من أعضاء ، وللاخبراء فيها منزلة خاصة . وحرص توفيق رفعت على أن يسهم في بعض هذه اللجان ، وكان له في بحوثها ومناقشتها دور ملحوظ . وفي هذا ما يؤكد أن رئاسة المجمع لم تكن يوما وظيفة شرفية ولا عملا إداريا ، بل هي مهمة تنظيمية يكفلها الزملاء إلى واحد منهم .

واستن توفيق رفعت سننا أخرى كتب لها البقاء والحياة ، ومنها بدء كل دورة بعرض ما تم من أعمال وقرارات في الدورة السابقة ، وكان يتولى هو بنفسه هذا العرض . ونما هذا التقليد وتوسع فيه ، واضطلع به الأمين العام للمجمع . وفيما عرضه توفيق رفعت وثائق تاريخية لها وزنها .

ومن سننه استقبال الأعضاء الجدد ، وتوديع الراحلين ، وتلك سنة رأى فيها المجمع آية من آيات الوفاء والتقدير ، وبابا فسيحا من أبواب البحث والدرس ، وعناية بالفكر المعاصر في مختلف نواحيه . ولكل من الاستقبال والتوديع جلسة علنية تسجل أعمالها ، وتنشر بحوثها ، وقد اضطلع توفيق رفعت نفسه باستقبال خمسة أعضاء جدد وهم أحمد إبراهيم ، وانطون الجميل ، وأحمد حافظ عوض ، وحسن القاياتي ، وعلى توفيق شوشه . وودع اثنين هما حسين والى ، وعبد القادر حمزة .

وله اقتراحات كثيرة نكتفى بأن نشير إلى بعضها ، وفي مقدمتها طبع معجم فيشر والتعاقد معه على إخراجيه ، ولهذا المعجم تاريخ طويل ، فقد عاش معه صاحبه نحو ٥٠ عاما ، وكنا نود أن نتوجه على أيدي مجمع القاهرة ، ولكن الحرب العالمية الثانية حالت دوننا وما نريد ، وحاولنا جمع ما تفرق من جزايات هذا المعجم ، ولم شمله دون جدوى ، وذهب مع التاريخ ، ولم نحصل إلا على قدر ضئيل .

وعنى توفيق رفعت بالمصطلح العلمى فشجع لجانته ونوعها ، ودعا إلى حفظ مقدراتها فى جزازات خاصة على نحو ما اقترحه مجمعى آخر ، وهو لويس ماسينيون ورأى فوق هذا أن تنشر فى «مجلة المجمع» ، وفى بعض النشرات الخاصة . وما أحوجنا أن نربط لغة العلم فى مصر بأخواتها فى العالم العربى جميعه ، وفى تكوين المجمع ما يهدف إلى ذلك . ولهذا شجع توفيق رفعت على اشتراك المجمع فى المؤتمرات العلمية التى تعقد فى مصر أو خارجها ، وفتح الباب لمن شاء أن يسهم فيها من أعضاء المجمع بل كان يحرص على أن يرسل باسمه ممثلون معينون .

ومع كل هذه التوجيهات والتجديدات لا يفوتنا أن نشير إلى أن رئيس المجمع الأول كان أميل إلى المحافظة وأحرص على القديم ، وشاء القدر أن يخلفه رئيس آخر من دعاة التجديد والإصلاح وهو أحمد لطفى السيد تلميذ جمال الدين الأفغانى ، وصديق محمد عبده ، وقد جراه فى القول بضرورة إنشاء مجمع لغوى ينهض بالعربية ويمكنها من أن تسد حاجات العصر ؟

ويعد لطفى السيد بحق أول من وضع فكرة إنشاء مجمع لغوى موضع التنفيذ على شكل واضح : بدأ بهذا عام ١٩١٦ فيما سعى «مجمع دار الكتب» ، التى كان مديرا لها وأريد به أن يكون كاتب سر هذا المجمع ، وقد كون من كبار الشيوخ والعلماء وجمع بين العرب والمصريين ، وقدر له أن يعمر بضع سنين ، ثم جاءت ثورة سنة ١٩١٩ ، فاعترضت طريقه ، وانخرط لطفى السيد نفسه فى غمار هذه الثورة ، وعد من قادتها . ولكنه لم يلبث أن عاد إلى فكرته الغالية عام ١٩٣٢ يوم أن كان وزيرا للمعارف ، واستطاع أن يحول هذه الفكرة من حركة أهلية إلى هيئة رسمية ، وصدر المرسوم الملكى بإنشاء المجمع عام ١٩٣٢ ، وصدر بتكوينه مرسوم آخر عام ١٩٣٣ ، ولم يكن لطفى السيد من أعضائه ، مع أنه كان الداعى والمحرك للموضوع ، وهكذا كان لطفى السيد دائما فى كل دعوات الإصلاح ؛ يذكر هدفه ، وينسى نفسه .

وفى عام ١٩٤٠ فقط ، دخل المجمع على رأس الرعيل الثانى الذى اشتمل على عشرة من صفوف أصدقائه ، أمثال محمد مصطفى المراغى ، وعبد العزيز فهمى ، أو من صفوف تلاميذه أمثال : مصطفى عبدالرازق ، ومحمد حسين هيكل ، وطه حسين ، وفى عام ١٩٤٥ ، اختير رئيسا للمجمع ، واستمسك زملاؤه برياسته طوال حياته إلى عام ١٩٦٣ ؛ برغم رغبته المتكررة فى أن يخفف من أعبائه ، وله فى المجمع أياد كثيرة وآثار خالدة .

فعلى يديه فرق بين مجلس المجمع ومؤتمره ويضم المجلس أعضاء المجمع المصريين الذين درجوا على أن يعقدوا جلسة يوم الاثنين من كل أسبوع ، وحددت دورة المجلس بثمانية أشهر ، تبدأ يوم الاثنين الأول من أكتوبر وتنتهى يوم الاثنين الأخير من مايو .

وأصبح هذا تقليدا ملتزما حتى اليوم ، وقد تضاف بعض الجلسات في أيام أخرى بموافقة المجلس ، ويجمع المؤتمر بين الأعضاء المصريين والعرب والمستعربين ، ويعقد مرة كل عام وكانت مدة انعقاده طويلة في البداية ، ثم قصت أعباء الحياة قصرها على أسبوعين رعاية لظروف الضيوف المشاركين ، ويعرض على المؤتمر في كل دورة ماسبق للمجلس أن أقره ، ولا ينشر شيء باسم المجمع إلا بعد إقرار المؤتمر له .

ولطفى السيد مستحدثات أخرى ، نذكر من بينها جوائز المجمع الأدبية ، فقد شاء أن يأخذ المجمع بيد شباب الكتاب وأن يشجعهم على التأليف والكتابة . وتشاء الظروف أن تكون أول جائزة أدبية للمجمع من تبرع سيدة كريمة هي هدى شعراوي . ثم خصص بعد هذا للجائزة الأدب اعتماد في ميزانية المجمع ، بدأ رمزيا ، ثم نما على مر الزمن .

وكان شباب الكتاب يسعدون بالجائزة الجمعية برغم تواضعها ، ويكفى أن أشير إلى أن الأستاذ نجيب محفوظ شيخ كتاب القصة المصريين اليوم كان من أوائل من حصّلوا عليها . وقد قصرت في البداية على شباب المصريين ، ثم فتحت بابها للمستفيدين في العالم العربي جميعا ، وأضيفت أخيرا جائزة أخرى لأحياء التراث ، وما كان أحوجنا إليه .

ويرمى لطفى السيد ظلما بأنه كان من أنصار العامية ، ويظهر أننا نسينا ما كان له من يد في تخريج جيل من أقلام الصحفيين الأوائل الذين جمعتهم «الباريعة» أمثال : طه حسين ومحمود عزمى ، ومحمد حسين هيكل ، وأحمد حسن الزيات .

وكان لطفى السيد قلمه ومحفوظاته القيمة في الأدب العربي ، وكثيرا ما أصغى لها الجمعيون واستمتعوا بسماعها ، وكان يهدف خاصة إلى أن يقرب العامة من الفصحى وأن يجمع الأمة العربية على لغة خطاب واحدة ، وهذا هدف نتمناه جميعا . ونأمل أن نصل إليه إن قضينا على الأمية ، وثقنا الناشئين بثقافة عربية كاملة ، ورغبة في التقريب بين العامة والفصحى ، دعا إلى البحث عما تشتمل عليه لغة أصحاب الحرف المختلفة من ألفاظ عربية الأصل ، وهذا هدف لا يزال الجمعيون ينشدونه . وقد دعا لطفى السيد إلى البحث عما اشتملت عليه لغة هذه الحرف من ألفاظ عربية تمكنا من مواجهة متطلبات العلم والتكنولوجيا المعاصرة ، وكون المجمع لذلك جنودا كان على رأسها إسماعيل مظهر .

وحرص لطفى السيد الحرص كله على أن يباعد بين المجمع والسياسة ، برغم أن مجتمعنا كان يحمل اسم المجالس على العرش ، فسمى «مجمع فؤاد الأول» ثم «مجمع فاروق» . ولم يكن لهذه التسمية أية دلالة خاصة لدى الجمعيين وحظى بعضوية المجمع بعض قدامى السياسيين ، ولكنهم كانوا يخلعون رداءهم السياسى قبل أن يتخطوا عتبة دار المجمع . ولا أشك فى أن كثيرين منهم كانوا يسعدون بالروح العلمية التى سادت بحثهم ومناقشتهم ، وكانوا يرون فى العمل المجمعى ضربا من الترويح . وشاعت بعض الأحزاب السياسية دون جدوى أن تبسط شيئا من سلطانها على هذه الحياة ، وأبعد لطفى السيد السياسى القديم هذه الأهواء عن صومعة الخالدين .

ورئيس المجمع الثالث هو طه حسين تلميذ لطفى السيد وربيبه ، اتصل به منذ فجر هذا القرن وتوفقت العلاقة بينهما على مر الزمن . وما كان أشد إخلاص التلميذ للأستاذ ، وأعظم إعجاب الأستاذ بتلميذه . جمعت «الجريدة» فى البداية بينهما ، وتأكدت العلاقة بينهما فى الجامعة المصرية القديمة ، وكان لطفى السيد صلة بها . وما إن عاد طه من بعثته حتى أتجه نحو الصحافة مرة أخرى ، وله فى السياسة الأسبوعية بوجه خاص توجيه ونشاط أثار الحركة الفكرية فى مصر . ويوم أن أصبح لطفى السيد مديرا لجامعة فؤاد الأول حرص على أن يربط الحاضر بالماضى ، وأن يضم الجامعة المصرية القديمة إلى الجامعة الحديثة ، وفتح الباب لطله حسين كى يؤدى رسالته فى كلية الآداب . ويوم أن اعتدت السياسة على استقلال الجامعة ، وأخرجت طه حسين من كلية الآداب لم ير لطفى السيد بداً من أن يقف إلى جانب تلميذه وصديقه وقدم استقالته التاريخية .

وعلى بساط مجمع اللغة العربية التقى طه حسين بلطفى السيد فى ميدان آخر ، وتعاونوا ما وسعهما على دفع حركة التجديد والسير إلى الأمام . وكان من أول الأمور التى واجهتهما مسألة وضع معجم ألفاظ القرآن ، وقد أيدها لطفى السيد وطه حسين معا ، وإن باعد هذا بينهما وبين الأستاذ الأكبر مصطفى المراغى بعض الشيء . وتلى هذا موضوع آخر كان أعظم خطورة ، وهو الاقتراح الذى قدمه عبد العزيز فهمى ، وهو صديق الطرفين ، داعيا إلى إحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية ، وقد قضى المجمع دورة كاملة ، فى مناقشة هذا الاقتراح : ومن الظلم أن يُعزى إلى طه حسين أنه كان من مؤيديه .

ويكفى أن أشير إلى أن المجمع كله رفضه جملة وتفصيلا . والحديث عن الحروف اللاتينية ألصق بالماضى ولا محل له فى الحاضر ، ومن اللغظ أن نعود إليه مرة أخرى . سبق

للمجمع أن تعاقد مع المستشرق الألماني فيشر على إخراج معجمه التاريخي ، إلا أن هذا العقد لم يحقق مع الأسف أهدافه ، وكان لابد للمجمع من أن ينجحوا آخر ، فشككت لجنة لذلك وكان من حظي أن أسهمت فيها ، وانعقد الرأي على أن هناك نصوصاً أدبية ولغوية قديمة ، وأن إحياءها شرط أساسي لاستكمال مصادر المعجم التاريخي ، ولهذا استقر رأي على أن يقنع المجمع الآن بإخراج معجم كبير يعنى بأصول اللغة ومستحدثاتها ويفتح صدره للغة العلم والحضارة ويكمل سلسلة المعجم الوسيط . وشاء طه حسين رغباً أن يتولى بنفسه أمر هذا المعجم وقضى عشر سنوات يعد له ، ويوم أن دُعي إلى الوزارة رغب زملاؤه جميعاً أن يخففوا عنه ولكنه أبى إلا أن يتابع جهده السابق وأخرج من هذا المعجم تجربة وزعت على الباحثين والدارسين لكي يبدو ما يعن لهم من نقد أو ملاحظة وكانت هذه التجربة دعامة العمل في المعجم الكبير ، وقد أخرج منه جزء في حياة طه حسين ولحقه جزء آخر بعد مماته والعمل فيه طويل النفس ، وسيدكر طه حسين ما ذكر هذا المعجم وما تداوله الباحثون والدارسون .

ولطه حسين مواقف أخرى في مجمع الخالدين سجلتها محاضر المجلس ومؤتمره ، وأختم حديثي بموقف واحد منها وهو تيسير النحو على الناشئين ، وتلك قضية عاش معها طه حسين منذ خمسين سنة تقريباً ، فقد اشترك في لجنة كونتها وزارة المعارف لهذا الغرض عام اثنين وثلاثين ، بناء على رغبة محمد بهي الدين بركات الذي كان وزيراً للمعارف حين ذاك ، وانتهت هذه اللجنة إلى مقترحات حفظت في ملفات الوزارة زماناً ، ثم رُئي عرضها على المجمع ولم يكن فيها أي جديد بالنسبة لطه حسين وكان كل همه بعد أن أقرها المجمع مع تعديل طفيف أن تأخذ طريقها إلى العمل والتنفيذ ، وطالب المجمع وزارة المعارف بأن تضع كتباً تتمشى مع هذه المقترحات وتبرع هو نفسه أن يسهم في هذه الكتب أو يراجعها ولم تستجب وزارة المعارف لدعوته ولكن فكرة التيسير تسير في طريقها ، وأعتقد أن القائمين على أمر تعليم اللغة العربية في مدارسنا الأميرية والخاصة يدركون تماماً أن اللغة تتعلم عن طريق الحوار والقراءة والمطالعة ، وكأني لأبهم يتخففون الآن من القواعد النحوية ما استطاعوا .

هؤلاء هم شيوخ الخالدين الثلاثة الذين قادوا السفينة ووضعوا تقاليد نهتدي بها ونسير على نهجها . وإذا كنا نذكرهم في عيد المجمع الذهبي فإن الباحثين والدارسين سيدكرونهم على الدوام .

الدكتور إبراهيم مدكور
رئيس المجمع

معجم ألفاظ القرآن الكريم بين المعاجم وكتب التفسير واللفظ د. سنان عبد السلام هارون

الأمين العام للمجمع

أصـ

القرآن الكريم منذ فجر الإسلام بعنايات فائقة ، مختلفة المناهج والضروب والألوان . ولعل أعظم موسوعة في دراسة تفسير القرآن ومناهج تفسيره ما قام به العالم الجليل الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه « التفسير والمفسرون » في أجزاء ثلاثة قاربت صفحاتها ١١٣٠ صفحة ، بحث فيها نشأة التفسير وتطوره ، وألوانه ومذاهبه ، وأجرى عرضا تفصيليا لأشهر المفسرين ، وتحليلا كاملا لأهم كتب التفسير من عهد النبوة إلى عصرنا الحاضر .

ومع هذا قد خلت صفحات هذه الموسوعة النفيسة من بيان مسلسل لنوع خاص من أنواع التفسير ، هو ما أطلق عليه كتب « غريب القرآن » ، وهو ما يعينى اليوم في مناسبة بحث تاريخ معاجم تفسير القرآن ، التي يقف على رأسها اليوم معجمنا « معجم ألفاظ القرآن الكريم » الذي أصدر مجمعنا الموقر طبعته الأولى في سنوات تأخذ من سنة ١٩٣٥ ممتدة إلى سنة ١٩٧٠ ويعمل الآن على إصدار طبعته الرابعة في مزيد من التحقيق والتنقيح . وإذا رجعنا البصر وتعقبنا المسرد التاريخي لهذا الضرب من ضروب التفسير المعجمي وجدنا أمرا مذهلا في هذه الزاوية المحدودة من زوايا خدمة كتابنا العزيز ، إذ نعر على محاولات جادة ذات قدر عظيم ، أكل الدهر والتاريخ معظمها ، وأبقى لنا منها خيرا محدودا .

وبتعقب كتب التاريخ والتراجم والدراسات القرآنية ، أمثال برهان الزركشى ، وإتقان السيوطي ، وطبقات القراء والمفسرين ، وفهرست ابن النديم ، وكشف الظنون ، نستطيع أن نسرد هذه السلسلة التاريخية في هذه الزاوية :

١ - غريب القرآن ، للصحابي الجليل عبد الله بن عباس المتوفى سنة ٦٨

(*) ألقى البحث في الجلسة الثانية من العيد الخمسين للمجمع .

- ٢ - لأبي سعيد أبان بن تغلب بن رباح البكرى المتوفى سنة ١٤١
- ٣ - لأبي الحسق مقاتل بن سليمان الباخى المتوفى سنة ١٥٠ وقد طبع بتحقيق الدكتور عبد الله شحاته ١٩٧٥
- ٤ - لأبي فيد مؤرج بن عمرو السدوسى المتوفى سنة ١٩٥
- ٥ - لأبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدى المتوفى سنة ٢٠٢
- ٦ - لأبي الحسن النضر بن شميل المتوفى سنة ٢٠٤
- ٧ - لأبي عبيدة معمر بن المثنى التميمى المتوفى سنة ٢٠٩
- وكتابه المعروف بمجاز القرآن . وقد طبع بتحقيق الدكتور فؤاد سركين . وقد عنتى أبو عبيدة بكلمة « المجاز » معناها اللغوى العام ، أراد المسلك والطريق إلى تفسير ألفاظ القرآن الكريم وتفهم أساليبه على ضوء طبيعة لغة العرب وأساليبها فى كلامها ، والتنظير بين هذه وتلك .
- ٨ - لأبي سعيد عبد الملك بن قريب بن على بن أصمع الباهلى ، المعروف بالأصمعى المتوفى سنة ٢١٣
- ٩ - لأبي الحسن سعيد بن مسعدة ، وهو الأخفش الأوسط المتوفى سنة ٢١٥ .
- ١٠ - لأبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٥٤
- ١١ - لأبي محمد عبد الله بن سلام الجهمى البصرى المتوفى سنة ٢٣٢
- ١٢ - لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ . واسم كتابه : « تفسير غريب القرآن » . وقد نشر بتحقيق السيد أحمد صقر سنة ١٩٥٨
- ١٣ - لأبي العباس أحمد بن يحيى بن يسار الشيبانى المعروف بشعلب ، المتوفى سنة ٢٩١
- ١٤ - لأبي طالب المفضل بن سلمة المتوفى سنة ٢٩٠ أو ٣٠٨
- ١٥ - لأبي بكر محمد بن حسن بن دريد المتوفى سنة ٣٢١ . وذكر السيوطى فى البغية أنه لم يتم كتابه . ونجد نصاً منه فى برهان الزركشى ٢ : ٢٧٩
- ١٦ - لأبي زيد أحمد بن سهل الباخى المتوفى سنة ٣٢٢

١٧- لأبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي العتكي المعروف بنفطويه ،
المتوفى سنة ٣٢٣

١٨- لأبي بكر محمد بن عثمان بن مسبح الشيباني ، المعروف بالجلعد المتوفى سنة ٣٢٠
ونيف . قال القفطي في إنباه الرواة : « وله كتاب صنفه في غريب القرآن ، وكان
لما فرغ من عماله أخذ نفسه بحفظه فلم يمكنه إلا يسيرا حتى توفي فلم يخرج الكتاب عنه .

١٩- لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري المتوفى سنة ٣٢٨ .

٢٠- لأبي بكر محمد بن عزيز ، بهيئة التصغير ، السجستاني ، المتوفى سنة ٣٣٠ .

واسم كتابه « نزهة القلوب » ويسمى أيضا بالعزيزي ، وهو من أشهر كتب غريب
القرآن إن لم يكن أشهرها . قال السيوطي في الإتيقان : « أقام في تأليفه خمس عشرة سنة
يحرره هو وشيخه أبو بكر بن الأنباري » . وهذا يدلنا على مبلغ عنايته فيه . وقد نشر
هذا الكتاب لأول مرة بعناية بدر الدين النعساني بمطبعة السعادة سنة ١٣٢٥ هـ ثم أعيد
طبعه بعد ذلك مرات أقومها طبعة مصطفى عناني سنة ١٩٣٦ م . ومن المؤسف ظهور نشرة
حادثة سنة ١٩٨٠ من عمل محمد الصادق قمحاوي اعتدى فيها على ترتيب مؤلفه ورتب
الكتاب على ترتيب السور والآيات .

٢١- لأبي عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد ، غلام ثعلب المتوفى سنة ٣٤٥ .

٢٢- لأبي أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة المتوفى سنة ٣٥٥ .

٢٣- لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ، شارح الحماسة وغيرها ، المتوفى

سنة ٤٢١

٢٤- لأبي محمد مكي بن أبي طالب حموش القيسي المتوفى سنة ٤٣٧ .

٢٥- لأبي عمر عبد الواحد بن أحمد المليحي المتوفى سنة ٤٦٣ .

٢٦- لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (أو الفضل) الراغب الأصفهاني
المتوفى سنة ٥٠٢ ، واسم كتابه « مفردات ألفاظ القرآن » . وقد طبع قديما في المطبعة الميمنية
بعناية محمد الزهرى الغمراوي مقابلا على مخطوطات الكتبخانة الخديوية سنة ١٣٢٤ .

٢٧- لأبي محمد عبد الرحمن بن عبد المنعم الخزرجي - المتوفى سنة ٥٦٤ .

٢٨- لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ، المعروف بابن الجوزي ، المتوفى

سنة ٥٩٧ . واسم كتابه : « تذكرة الأريب » ، بما في القرآن من الغريب .

٢٩ - لزين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، صاحب مختار الصحاح ، المتوفى بعد سنة ٦٦٨ . قال صاحب كشف الظنون :

ذكر فيه أن طلبة العلم وحملة القرآن ، سألوه أن يجمع لهم تفسير غريب القرآن فأجاب ، ورتبه بترتيب الجوهري ، وضم فيه شيئا من الإعراب والمعاني . وفرغ من تعليقه في سنة ٦٦٨

٣٠ - لأثير الدين محمد بن يوسف ، المعروف بأبي حيان ، المتوفى سنة ٧٤٥ . قال الصفدي في نكت الهميان : إن اسم كتابه « إتحاف الأريب ، بما في القرآن من الغريب » .

٣١ - لعلاء الدين علي بن عثمان بن إبراهيم المعروف بابن التركماني ، المارديني الحنفي ، المتوفى سنة ٧٥٠ . واسم كتابه « بهجة الأريب ، بما في كتاب الله العزيز من الغريب »

٣٢ - لأبي العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي ، الملقب بالسمين ، المتوفى سنة ٧٥٦ ، وهو تلميذ أبي حيان الأندلسي . واسم كتابه : « عمدة الحفاظ ، في تفسير أشرف الألفاظ » . وتبذل كلية اللغة العربية بالأزهر جهدا مشكورا في تحقيق هذا الكتاب .

٣٣ - لزين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي المتوفى سنة ٨٠٦ هـ وهو منظومة كما ذكر صاحب كشف الظنون . ولعله الكتاب الوحيد الذي ورد في هذا المجال على هذه الصورة النظمية .

ومن الواضح أن هؤلاء المؤلفين جميعا لم يكن لهم مناص من اتباع أحد منهجين في التأليف :

١ - المنهج الأول : التزام ترتيب السور وآياتها ، كما هو واضح في مجاز القرآن لأبي عبيدة . وقد غنى بكلمة المجاز ما ذكرته من قبل . وكذلك الأمر في غريب القرآن لابن قتيبة .

٢ - والثاني : الترتيب الهجائي أو المعجمي على اختلاف طرق المعاجم في اتباع الأبواب أو أوائل الكلمات ، مع اختلافهم كذلك في التبويب ، وفي ترتيب الأوائل . ويتضح لنا هذا المنهج فيما كتبه السجستاني في كتابه « نزهة القلوب » ، والراغب الأصفهاني في « مفردات ألفاظ القرآن » ، والسمين الحلبي في كتابه « عمدة الحفاظ » فالأول يتبع منهج سرد الكلمات الغريبة بالترتيب القرآني فحسب ، الأسبق فالتالي له وهكذا مع ترتيب الكلمات على الحرف الهجائي الأول فقط ، دون نظر إلى الثاني

أو ما بعده، لالتزامه بالورود القرآني فقط مع مراعاة الحركات الثلاثة في أوائل حروف الكلمات . .

مثال ذلك في الباء المكسورة : بسم الله ، بر ، بطانة من دونكم ، بضاعة ، بضع سنين بدارا ، بيع ، البغاء ، بدعا من الرسل . فالحرف الثاني غير مراعى في ذلك ، لأن ترتيب الورود في المصحف كله يقتضى هذا الوضع .

والكتاب الثاني وهو كتاب الراغب يتبع ذكر المواد اللغوية القرآنية ، ويذكر فيها تفسير الكلمات القرآنية مستطردا إلى تفسير ما يعن له من حديث نبوي أو أثر ، أو أى أسلوب كان ، أو أى لفظ كذلك من ألفاظ المادة .

والكتاب الثالث يتبع ترتيب المواد على نهج سابقه ، سائرا معه على ترتيب أساس البلاغة . ومهما يكن من أمر ، فالملحوظ فيما أبقاه لنا الزمان من هذا التراث النفيس أنه من العسير جدا أن نجد شيئا من هذه المصنفات خاليا من الاستطراد ، أو استطراد الاستطراد . ومع ما هذا من عظيم الفائدة ، أو من الفائدة المزدوجة ، نجد أنه لا يساير ماجد في عصرنا الحاضر من دقة نظام الوقت الذى يسرع بنا إلى أمور شتى معقدة ، تقتضيها كثيرا من الإيجاز العلمى المنظم ، الذى يصل بنا إلى البغية في وقت محدود مناسب .

ونضيف إلى ذلك أمرا آخر ، هو اختلاف النظر قديما وحديثا في ماهية الغريب من اللغات ، وهو كالأمواج : ما يرى غريبا بالأمس هو واضح اليوم ، وما بعد غريبا اليوم كان واضحا مألوفاً في الأمس .

وقد استقر نظام المعجمات في عصرنا الحاضر على ترتيب مواد اللغة بمراعاة ترتيب حروف الهجاء في أوائل المواد وما يليها ، في مواد اللغة وفي مفردات تلك المواد ، مهما اختلفت وجهة النظر في مراعاة مشتقات المادة وتصاريدها في داخلها .

والحق أن ما اتبعه المجمع في تأليف معجماته يتسم بجانب كبير جدا من المحافظة ، وبقدر كبير جدا كذلك من المعاصرة ، يبدو هذا واضحا في المعجم الكبير ، في المعجم الوسيط ، وفي المعجم الوجيز .

أما «معجم ألفاظ القرآن الكريم» ، فقد كان التفكير فيه وفي وضع منهجه وتنظيمه يجرى في بطن متحفظ ، وفي أناة حازمة ، وفي حوار متطاوّل ، ونقاش مسهب بين أعضاء المجمع على مدى ثلاث عشرة سنة ، إذ يرجع التفكير في إعداد هذا المعجم الذى يعتز به مجمع اللغة العربية إلى تاريخ قديم يمتد إلى سنة ١٩٤٠ في الجلسة الخامسة (من الدورة السابعة)

من دورات المجمع ، حيث بدأ الحوار الطويل بين أعضائه في كثير من التردد والتحفظ حول إقرار تأليفه ، وهل هو من اختصاص مجمع اللغة العربية أم هو من اختصاص الهيئات الدينية ؟ وهل يكون في المعجم الوسيط الذي كان إذ ذاك في دور الإعداد ، كفاية عنه ، إذ هو يتضمن تفسير الكثرة الغالبة من ألفاظ القرآن الكريم ؟

ولعل الفضل في بدء تحريك الفكرة بالتنفيذ، يرجع إلى الأستاذ الدكتور منصور فهمي ، الذي ذكر أن « القرآن الكريم هو الأساس المتين للغة العربية » ، وأن « العناية باللغة تتمثل في العناية بأهم عنصر فيها » .

وقد عرض الأستاذ أحمد أمين صورتين لهذا المعجم المرتقب ، ليقرر المجمع أيتهما يختار ليكون عليها معجم ألفاظ القرآن وهما :

١ - أن يكون ميسرا ليستفيد منه أكبر عدد من المثقفين بتيسير العبارات الواردة في الكتب القديمة .

٢ - أن يكون علميا وافيا بذكر الاشتقاقات والأصول ، وأقوال المفسرين ، مستخدما للعلم الحديث في إعداده بوسائله المختلفة . وفي الوقت نفسه أبدى رأيه في أن يسلك المجمع هذا المسلك الثاني .

وبعد هذا دار نقاش بين الشيخ محمد مصطفى المراغي ، والدكتور طه حسين ، حول طبيعة هذا المعجم ، ورأى الشيخ أن يكون المعجم بحيث ينتفع به أوساط الناس فلا تذكر فيه الخلافات الدينية ، ولا يتعرض فيه لذكر أشياء لم يكن يفهمها العربي وقت نزول القرآن ، ورأى الدكتور طه حسين أن تفسر الكلمات التي لم ينص المفسرون على أن لها أصولا غير عربية ، أن تفسر كما يفهما اللغويون الآن بعد أن تقدمت الدراسات اللغوية المقارنة ، ودراسة اللغات السامية ، وانتهى الأمر بينهما بما قاله الدكتور طه : « أنه لن توضع في معجم القرآن كلمة واحدة قبل أن يوافق عليها الشيخ المراغي ، لا باعتباره شيخا للأزهر ، بل باعتبار أننا نثق به ونطمئن إليه كل الاطمئنان » .

وفي الجلسة الثانية من جلسات المؤتمر في سنة ١٩٤٠ تقدم الدكتور محمد حسين هيكل باقتراح وضع معجم خاص بألفاظ القرآن لأن في ذلك خدمة جليلة لمثقفى العصر ، وأعاد الأستاذ أحمد أمين عرض فكرته التي سبق أن عرضها على المجلس ، وارتأى أن يكون هذا العمل عملا موسوعيا ، على غرار ما صنعه الأوروبيون في الكتاب المقدس ، ولا سيما ما يتعلق بالجغرافيا والتاريخ .

ودارت مناقشات جادة حول هذا المعجم ، وبعدها وافق المؤتمر على القرار التالي :

« قرر المؤتمر وضع معجم لغوى لألفاظ القرآن الكريم ، وتكليف لجنة المعجم البدء في هذا المعجم ، على أن تؤلف لجنة فرعية من بين أعضائها ، فكلما أتمت جزءا منه عرضته على اللجنة الأصلية ، وكلما أقرت اللجنة الأصلية قسما عرضته على الجميع . وبذلك قضى على فكرة التردد التي كانت سائدة وقتذاك .

وفي الجلسة الخامسة من جلسات هذا (المؤتمر) أى في سنة ١٩٤٠ عرض منهج العمل في المعجم في ثمانية بنود ، كان في مقدمتها ما يلي :

« يفسر المعنى اللغوى للكلمة كما جاء في النصوص العربية وكتب اللغة القديمة . ويرجع إلى ما يمكن أن يكون للكلمة من أصل في اللغات السامية أو غير ها . »

وقد اعترض الشيخ المراغى على ذلك ، وأشار إلى الاكتفاء بما عرف العرب أنه غير عربى ساعة نزول القرآن أما ما تنوسى أصله أو صار مجهول الأصل فذلك لا ينبغي أن يرد إلى أصله ، وأن علم حديثا أن له أصلا ساميا .

وكان من هذه البنود أيضا : « أن تبين المعانى التي اكتشفها المتأخرون ، المفسرون منهم واللغويون والعلماء ، وأن ينص على مواضعها في كتبهم وآثارهم العلمية المختلفة .

واعترض الشيخ المراغى أيضا بقوله : « إن القرآن ليس كتابا علميا . إنما هو كتاب هداية ووعظ ، كما أن المسائل العلمية تتغير من وقت إلى آخر » .

وانتهى الأمر إلى قرار بوضع هذا المعجم .

وبعد مرور ثلاثة أعوام في الجلسة (الثالثة) من جلسات (المؤتمر) في الدورة (العاشرة) سنة ١٩٤٣ - ١٩٤٤ أعيد النقاش في منهج المعجم ، وتباينت الآراء تباينا في الشكل وألفت لجنة لوضع المنهج العملى لإنشاء هذا المعجم من الدكتور هيكل ، والشيخ المغربي ، والشيخ أحمد إبراهيم ، والأستاذ جب .

وفي الجلسة (الثانية عشرة) من جلسات هذا (المؤتمر) عرضت هذه اللجنة تقريرها المتضمن للمنهج المقترح ، وتدارسه الأعضاء في شكله وفي موضوعه ، ووافق المؤتمر على هذا التقرير بعد إدخال تعديلات عليه ، وشكلت لجنة علمية للعمل في المعجم من الدكتور هيكل ، والشيخ مصطفى عبد الرازق ، والأستاذ على الجارم ، والشيخ إبراهيم حمروش والشيخ محمد الخضر حسين .

وفي الجلسة (التاسعة عشرة) من جلسات (المجلس) في هذه الدورة نوقشت ميزانية المعجم ، واتخذ المجلس قرارا لها بناء على موافقه من مكتب المجمع على ما ارتأته اللجنة من أن العمل يستغرق لإنجازه ثلاث سنوات ، ويقضى أن يخصص له مبلغ ثلاثة آلاف جنيه لشراء الكتب اللازمة ومكافأة الأعضاء والخبراء .

وفي الجلسة (الخامسة والعشرين) الختامية أعلن أن الشيخ محمد الخضر حسين استقال من اللجنة لكثرة أعماله في مشيخة الأزهر وبعض لجان المجمع ، فانضم الشيخ أحمد إبراهيم إلى اللجنة في المكان الذي خلا باستقالته .

وتمضي ثلاث سنوات أخرى فيعرض في الجلسة (السابعة عشرة) من الدورة (الرابعة عشرة) سنة ١٩٤٧-١٩٤٨ نموذج لمادة (بكر ، بكم) من المعجم ، ويدور نقاش مضمونه أن المعروض أم يكيد يخرج ، كما قال الدكتور مذكور ، عما جاء في مفردات الراغب الأصفهاني ، ولذلك حدث تعديل في منهج المعجم .

وبعد مرور عامين في (الدورة السادسة عشرة) ١٩٤٩-١٩٥٠ نظر (المؤتمر) في جلسيتين من جلساته في نماذج لبعض المواد جرى في أثنائها تعديل جديد في المنهج .

وفي (الدورة السابعة عشرة) ١٩٥٠ - ١٩٥١ خصصت (الجلسة السادسة) من جلسات (المؤتمر) في هذه الدورة للنظر في نماذج من مواد المعجم ، فكان من بين المقترحات أن يضاف إلى المعجم التعريف بالأعلام التاريخية والجغرافية وغيرها مما ورد في القرآن ، وشكلت لذلك لجنة من الأستاذ أحمد أمين ، والدكتور إبراهيم مذكور ، والأستاذ زكي المهندس .

وفي (الدورة الثامنة عشرة) ١٩٥١-١٩٥٢ خصصت الجلسة السادسة من جلسات (المؤتمر) لعرض نموذج من المعجم ، ناقشه المؤتمر ، وأصدر توصيات جديدة ، ووافق على طبع المواد التي تم إنجازها من نحو ١٧٥٠ مادة هي مواد القرآن ، وكانت قد قسمته على أربع لجان ، ب- لكل لجنة عضو من المجمع ، وخبير مساعد من خارجه . وقد خصص لكل لجنة ٤٥٠ مادة على وجه التقريب ، فأنجز ما أنجز ، ولم يبق إلا ٢٩٠ مادة ، فرئي أن يقدم للطبع في مطبعة وزارة المعارف ما تم عرضه على اللجنة التنسيق وأتمت النظر فيه .

وفي (الدورة التاسعة عشرة) ١٩٥٢ - ١٩٥٣ في الجلسة الرابعة من جلسات (المؤتمر) وافق المؤتمر على اقتراح الدكتور إبراهيم مذكور بالبدء في طبع المعجم ، وتفويض اللجنة في تقديم ما تراه .

وقد ظهرت أول طبعة للمعجم ما بين سنتي ١٩٥٣ و ١٩٧٠ وكان هذا في ستة أجزاء ، طبعت الثلاثة الأولى بالمطبعة الأميرية من سنة ١٩٥٣ إلى سنة ١٩٦١ . أما الرابع فقد أخرجه الأستاذ أمين الخولي سنة ١٩٦٨ وطبع بدار الكتاب العربي ، والخامس أخرجه الأستاذ حامد عبد القادر وطبع كسابقه سنة ١٩٦٩ . والسادس ، وهو ختام المعجم ، أخرجه الأستاذ محمد علي النجار ، وطبع في الهيئة العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧٠ وهذه الطبعة الأولى متعددة المناهج لم تسر على نظام موحد دقيق .

وقد أعيد طبع المعجم مرة أخرى في مجلدين في الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧٠

وشاءت دار الشروق أن تيسر الاستفادة من هذا المعجم فرغبت إلى المجمع في إصدار طبعة خاصة سدا للحاجة ، وتلبية للطلب المتزايد فأخرجته في مجلد واحد سنة ١٩٨١ والمجمع الآن بصدد إصدار الطبعة الرابعة من المعجم ، وقد شكلت لذلك لجنة برئاسة الأستاذ الدكتور إبراهيم مذكور رئيس المجمع ، وعضوية عبد السلام هارون الأمين العام للمجمع ، مع الاستعانة بثلاثة من الخبراء ومحررين من محرري المجمع ، ووضعت منهجا موحدا تتفادى فيه بعض ما ظهر من الأمور التي تحتاج إلى إعادة النظر ، وبدأت عملها في ١٣ من أكتوبر سنة ١٩٨٢ وهي تراجع مواد هذا المعجم مادة مادة ، وأنجزت منه إلى الآن ما انتهت فيه إلى حرف الطاء .

وكانت اللجنة موفقة في مراجعتها إذ بدا لها أخطاء طباعية ، وأخرى تحريرية درست بعناية كاملة ، وجرى إصلاحها في هذه الطبعة الرابعة مع إدخال تعديلات جديدة ، بعضها في طريقة عرض المادة بترتيب أدق في الأسماء والأنعام ، وفي العناية بالسياق الذي يضي معنى الكلمة .

ومما أضيف في المنهج الجديد ذكر الأعلام القرآنية مع التعريف الموجز والانتفاع بالسياق القرآني ومضامينه في هذا التعريف .

كما أضيف تفسير حروف المعاني ، كحروف الجرو والاستفهام والشرط والنداء ، ومعانيها في السياق القرآني ، مع الاكتفاء بمثال قرآني واحد لكل معنى من معانيها .

وإذا أردنا أن نعرض مناهج الأقدمين الذين ألفوا كتبهم بطريقة معجمية ، ونوازن بينها وبين منهج معجمنا المجمع ، نجد أن أهم ما وصل إلينا منها طباعيا لا يعدو خمسة كتب رئيسية في هذا المجال :

١ - غريب القرآن ، لابن عباس . وقد طبع مرارا باسم « تنوير المقباس » من تفسير

ابن عباس « جمعه أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز ابادي الشيرازي الشافعي ، صاحب القاموس ، من رواية عبد الله بن المأمون الهروي عن أبيه عن أبي عبد الله محمود بن محمد الرازي ، عن عمار بن عبد المجيد الهروي ، عن علي بن إسحاق السمرقندي عن محمد بن مروان ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وقد ظهرت أول طبعة منه منذ ٩٠ سنة على هامش الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للإمام السيوطي ، في المطبعة الميمنية سنة ١٣١٤ . وهذا التفسير مقول فيه ، فإن الكلبي قد اتهمه جماعة بالكذب . قال السيوطي في الإتيان : فإن انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير فهي سلسلة الكذب .

٢ - مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ، وقد سبق القول فيه .

٣ - غريب القرآن ، لابن قتيبة .

٤ - غريب القرآن ، لمحمد بن عزيز السجستاني .

٥ - المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني .

فلنقارن بين ما ورد في كل أو لثك تفسيراً لقوله تعالى في الآية ٦٤ من سورة الشعراء : « وأزلفنا ثم الآخرين » .

١ - في التفسير المنسوب لابن عباس المتوفى سنة ٦٨ نجد نص التفسير في ٤ : ٨١ : « وأزلفنا ثم الآخرين » يقول : جمعنا فرعون وقومه في النهاية ، ويقال في البحر . وكلهم كانوا كافرين .

٢ - في مجاز القرآن لأبي عبيدة المتوفى سنة ٢٠٩ يقول في كتابه ٢ : ٨٧ : « وأزلفنا ثم الآخرين ، أي وجمعنا . ومنه ليلة المزدلفة ، والحق أنها ليلة جمع . وقال بعضهم : وأهلكنا » .

٣ - وإذا سرنا في التاريخ إلى ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ وكتابه مرتب على السور والآيات وجدناه يقول في تفسير غريب القرآن ٣١٧ : « وأزلفنا ثم الآخرين : قال الحسن : أهلكناهم . وقال غيره : جمعنا أراد جمعناهم ، في البحر حتى غرقوا قال : ومنه قيل : ليلة المزدلفة ، أي ليلة الازدلاف ، وهو الاجتماع . ولذلك قيل للموضع : جمع . ويقال أزلفنا : قدمنا وقربنا . ويقال أزلفك الله ، أي قربك . ويقال أزلفني كذا عند فلان ، أي قربني منه منظرًا . والزلف : المنازل والمراق ، لأنهم تدنو بالمسافر والمراق والنازل . وإلى هذا ذهب قتادة فقال : قربهم الله من البحر

حتى أغرقهم فيه . ومنه : وأزلفت الجنة للمتقين « أى أدنيت ، وكل هذه التأويلات متقاربة يرجع بعضها إلى بعض .

هذا ما قاله الإمام ابن قتيبة ، وهو تفسير عظيم الفائدة ، ولكنه ضخيم الحجم عظيم الاستطراد . ومن الممكن أن يتناوله الاختصار والاختزال إلى سطرين اثنين .

وإذا عرجنا على غريب القرآن ، المسمى نزهة القلوب للإمام أبى بكر محمد بن عزيز السجستاني المتوفى سنة ٣٣٠ وقد رتب كتابه ترتيباً هجائياً ذكياً فريداً على أوائل الحروف بحركاتها الثلاثة ، كما أسلفت القول ، نجده يقول فى ص ١٦ - ١٧ من كتابه : أزلفنا : جمعناهم فى البحر حتى غرقوا . ومنه ليلة المزدلفة ، أى ليلة الازدلاف ، أى الاجتماع . ويقال : أزلفناهم ، أى قربناهم من البحر حتى أغرقناهم فيه ، ومنه أزلفى كذا عند فلان ، أى قربنى منه .

أما الراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢ الذى رتب مواد المفردات على صورة معجمية بمواد اللغة على نظام الزخشرى فى أساس البلاغة ، فهذا تفسيره للكلمة فى مادة (زلف) الزلفة : المنزلة والحظوة ، وقوله تعالى : « فإما رأوه زلفة » معناه لما رأوا زلفة المؤمنين وقد حرموها . وقيل استعمال الزلفة فى منزلة العذاب كاستعمال البشارة ونحوها من الألفاظ . وقيل لمنازل القمر . زلف . قال : « وزلفنا من الليل » . قال الشاعر :

* طى الليالى زلفا فزلفا *

والزلفى : الحظوة . قال الله تعالى : « إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى » . والمزالف : المراقى وأزلفته جعلت له زلفى قال : « وأزلفنا ثم الآخرين » ، « وأزلفت الجنة للمتقين » . وليلة المزدلفة خصت بذلك لقربهم من منى بعدا لإفاضة . وفى الحديث : « أزدلفوا إلى الله بركعتين » . أما معجم « عمدة الحفاظ » للسمين الحلبي المتوفى سنة ٧٥٦ ، وكتابه مزج فى تفسير غريب القرآن والحديث ، مع ترتيبه على المواد ، فإننا نجد فى مخطوطى مكتبة تيمور برقم ١٥٨ تفسير و ٣٣٧ لغة هذا التفسير :

قوله تعالى : « وزلفنا من الليل » أى ساعات والمعنى ساعة بعد أخرى تقرب منها ، من قولهم : أزلفته أى قربته . ومنه : « أزلفت الجنة » ، أى قربت . ومنه : « وأزلفنا ثم الآخرين » . والمزالف : المراقى لأنها نزلف من يرقى عليها أى تدنيه لما يريد الصعود إليه ، ويكون ذلك فى قرب المنزلة ، ومنه : « وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب » . وقيل المراد بقوله : « وزلفنا من الليل » : صلاة المغرب والعشاء . قال الشاعر :

طى الليالى زلفا فزلفا سماوة الحلال حتى أحقوقنا

وقيل : أصل الزلفة المنزلة والخطوة ، فأما قوله تعالى : « فلما رأوه زلفة » ففيه جوابان :

أحدهما : أن هذا مما عكس من الكلام كاستعمال البشارة في العذاب .

الثاني : أن المعنى : لما رأوا زلفة المؤمنين وقد حرموها . وأزلفته : جعلت له زلفى . ومزدلفة : اسم مكان معروف ، وخصت بذلك لقربهم من منى بعد الإفاضة ، وقيل : سميت بذلك لاجتماع الناس فيها ، فإن ليلتها تجتمع فيها الحجاج . والإزلاف : الجمع ، قال ابن عرفة في قوله : « وأزلفنا ثم الآخرين » أى جمعناهم . والأول أشهر .

وبعد هذا كله نجد استطرادا مطوّلا في المادة يمتد إلى نحو سبعة أسطر .

فإذا عدنا بعد هذه الجولة الطويلة إلى معجمنا « معجم ألفاظ القرآن الكريم ٢ : ٥٤١ فإننا نراه يتناول التفسير على هذا الوضع العلمى الدقيق :

أزلفنا : « وأزلفنا ثم الآخرين » ٦٤ - [الشعراء . أى أدنيناهم وقربناهم من موسى وقومه ليروهم ويدخلوا مداخلهم حتى يغرقوا .

مع وضع رقم (١) في الطبع تحت أزلفنا ، إشارة إلى أن هذه الكلمة لم ترد إلا في هذا الموضع الواحد من الكتاب العزيز .

وهذا التفسير مع دقته في عرض الكلمة بذكر موضعها من الكتاب ، ومع الإشارة إلى أنها وردت مرة واحدة في هذا الموضع ، تفسير شاف كاف ، تناول المعنى اللغوى والدلالة التاريخية ، مع الإيجاز وترك الفضول التى نجدها شائعة في معاجم السالفين .

ولنما أسهيت في هذا كله لأقول : إن فكرة مجمعنا اللغوى ، التى اختمرت في أول أمرها على مدى ثلاث عشرة سنة ، ويتناولها التنقيح والتعديل اليوم ، قد أثمرت هذا العمل الجليل ، الذى يعيد المجمع الآن طبعه للمرة الرابعة ، بعد تنقيحه وتحريره لإسهامنا في خدمة الكتاب العزيز ولغته الكريمة الخالدة .

وشكرا م

الاستاذ عبد السلام محمد هارون
الأمين العام للمجمع



مع الخالدین

فی العید الذہبی لمجمع اللغة العربیة

للدكتور عبدالرزاق محیی الدین

غنیت عیدک للأقلام والکتب فعیدت آبدات العلم والأدب
وقلت : مصر ایتنت صرحاً لمقولها فقال : کل لسان لیتنی آعربی
یا معربین وأرض العرب لاحنة وکاتبین ودنیاهم بلا قصب
ومائرین صراع الملك فی سغب وباسطین ظلال الملك فی لغب
إننا لمنکم وإن حادنا وقائدکم منا وسیان إن أخطئ وإن تصب
فما الإصـابة جازتکم بمنجیتی ولا الخطیئة أصمتکم لشرأف بی
قد ادعینا فلم تفلح دعاوتنا کما ادعیتـم ولما الأمر فی لجب
لا تسـقر سـماوات بآلهة فهل تقرّ وکل الحاکمین نبی
جربتموها خلافات بلا سبب فجربوها لبقاءات علی سبب

* * *

یا مجمع الخالدين الخالدين به لا بالحطامين من جاء ومن نشب
یهنیکم أن یعیش الناس فترثم وأن تعیشوا بمنجاة من العطب
کم تبعثون وکم تحيون فی زمن ما أنتم منه فی زی ولا دأب
وکم یقضی إلیکم فی محاکمة وما شہدتـم ویقضی الأمر من کشب
سبحانک الله علاماً وهبت لهم من فیض علمک ما استعصى علی الحقب

* * *

(*) ألقى القصيدة فی الجلسة الخامسة من الاحتفال بالعید الخمسين للمجمع
والقاهما الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى عضو المجمع من المراتب نیابة عن المرحوم الدكتور عبد الرزاق محیی الدین

علوت يا بيت إبراهيم مذكراً
 في كل عام لنا حجّ وتلبية
 لا يسقط الفرض من عجز ومن كبر
 من كل فيجّ عصي المتن في صعد
 مكبرين سواء أن يطالعنا
 وراء نادرة عزت وما التقطت
 أغنت عليها عصور وهي نابضة
 أو ارتجتها متون فهي موصدة
 بقايا على اللغة الفصحى وتعلية

* * *

يارادة السلم في حرب موججة
 مرابطون على بعد وربما
 وراصدون ثغور الفتح قاذفة
 نحنا ورداً وتعميراً وترجمة
 لاضائقين بما استعصت شكيمته
 لا يأخذ الجهد منكم أو يحبط بكم

* * *

بين العراق ومصر في الهوى نسب
 إننا بدأنا وأسسنا وقسام على
 إننا روينا وروينا وتم على
 إننا قعدنا وقعدنا وتم على
 إننا افترعنا من الإسلام جامعة
 بدا الخليل وأملأها وقام على

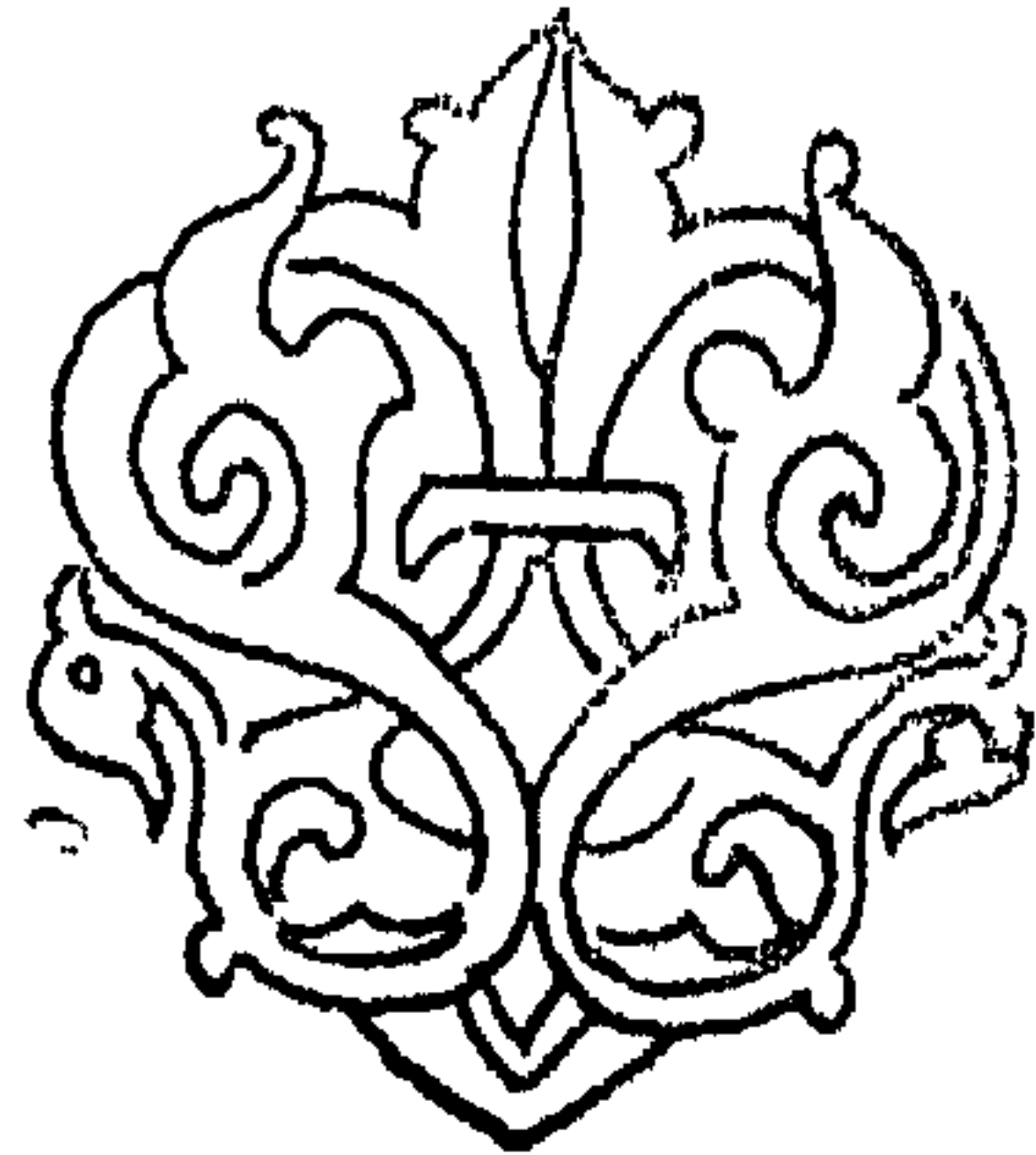
وإن يكن كل أرض العرب من نسب
 بنائنا ما أشاد الناس من قيب
 سماعنا ما شدته البيد من أدب
 قيسنا ما أفاد الرأي من غلب
 ليس الغريب تولأها بمغترب
 تنظيرها سيبويه الفرس والعرب

تصدّر الحسن البصري مجلسها وجمال جولته النظام في الشعب
وشام ما حولها الكندي فانبجست من صوب حران أقطار من السحب
لا دجلة الخير ضاقت من تدفقها ولا الفرات تلقاها بمضطرب
ألقي الغناء جفاء حول شاطئه وردّها لفرات سائح عذب
وسوف تبقى ولا دفع يززعزعا عن السراط ولا نزع لمنقلب
ومصر ما مصر في دنيا عروبتنا إلّا الجنان وإلّا ملتقى العصب
كبرى الشقائق أحناهن عاطفة وسطى الطرائق إن تمنع وإن تهب
أعلت على قمم الأهرام هامتها والأزهر الفند أسراها مع الشهب
الفاطميون أعلوا من منائرها وأوصلوها لآل البيت في حسب
ووسعته بنو أيوب واتسعت للمسلمين حنايا صدره الرحب
فالوافدون سوائه في كفاله كما تلاقى بنو العلات عند آب
وسوف تبقى ولا ردع يززعزعا عن السبيل ولا نزع لمنقلب

* * *

يا مصر دورك باق ما بقيت له أولا فما القوم من نبع ولا غرب
تألّفى ما تنسأى من مذاهبنا وقرّنى فهو أزكى البر والقرب
حييت عمان في أعلام مجمعها ومجمع الشام في أعلامه النجب

عبد الرزاق محيي الدين
عضو المجمع من العراق



مجمع اللغة العربية ولغة الغانم

للكتور محمود حافظ

منذ عهد بعيد إبان القرن التاسع عشر بدأت صحوة عربية للحاق بركب العرب والحضارة ودعوة قوية أن تعيد الأمة للغة العربية سابق مجدها بعد أن نخم عليها تخاف قرون ثلاثة سابقة انعكست آثاره على اللغة والعلم والمعارف الإنسانية كلها، فظهرت في مصر وكذلك في شقيقاتها العربيات حركة مباركة في هذا السبيل على يد نفر من المصلحين والمجددين .

ولكن لعل أعظم إنجاز قومي وعربي أخذ بيد اللغة العربية ونخطا بها خطوات فسيحة إلى الأمام، بل انطلق بها إلى آفاق رحبة لتواكب عصر العلم ومقتضيات التطور، هو إنشاء المجمع اللغوية في الوطن العربي ، في مصر وفي بداية الثلاثينيات عام ١٩٣٢ أنشئ مجمع اللغة العربية ولو أن محاولات أخرى جادة في هذا السبيل قد سبقت لإنشاءه في مطلع هذا القرن وسبقت هذه المحاولات إلى ذلك أيضا دعوة قوية في أخريات القرن التاسع عشر ، وقد تحقق بإنشاء هذا المجمع أمل عزيز لها لما تطلع إليه أهل العلم واللغة في مصر ليقوم بدوره البناء نحو اللغة والحفاظ عليها وعلى أصالتها وتراثها ، وليحمل على كتفيه عبء النهوض بها وتطورها وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون وملائمة للحياة العصرية المتطورة، ودراسة المصطلحات وغير ذلك من المهام في مختلف المجالات . وقد اهتم العلميون بصفة خاصة بإنشاء مجمع اللغة العربية نظراً للدور الرئيسي الذي يمكن أن يقوم به في مصر، بل في الوطن العربي، في تعريب العلم وترسيخ لغة العلم ونشرها، وكذلك للعون الكبير الذي يمكن أن يقدمه لهم في مجال المصطلحات العلمية السليمة وقد سار المجمع في هذين الاتجاهين شوطا بعيدا بنشاط ملحوظ ودفع حركة النشر والترجمة والتعريب خطوات فسيحة إلى الأمام، وشاع استعمال المصطلحات العلمية السليمة في كثير من المعاجم والمؤلفات ، وقد أدلى فيها المجمع بدلوه وأبلى فيها أحسن البلاء .

الكيمياء والفيزياء والرياضيات وعلوم الأحياء والعلوم الهندسية والطبية والصيدلية والزراعة

وغيرها ، وقد امتد نشاطها قرابة أربعين عاما حتى اليوم ، وعلى سبيل المثال توفرت لجنة علوم الأحياء والزراعة طوال هذه السنوات على دراسة مصطلحات علوم النبات والحيوان والحشرات والوراثة وعلوم البحار والزراعة ووضعت بحوثا قيمة في بعض هذه المجالات وقد بلغت جملة المصطلحات العلمية في علوم الأحياء والزراعة التي درستها اللجنة ، ووضعت لها المقابلات المناسبة باللغة العربية ، وشرحت معانيها ، نحو عشرين ألف مصطلح علمي ، وقد نشر منها عدة آلاف ظهرت في مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي يصدرها المجمع كل عام .

كما حققت اللجنة مئات الألفاظ من أسماء النبات والحيوان المحولة إليها من لجنة المعاجم بالمجمع وأضافت إليها الشروح والدلالات في العلم الحديث كما وضعت بحوثا قيمة في أنواع الحيتان والثعابين والألفاظ الخاصة بالنخيل ونشرت كلها في مجلة المجمع ، كما قامت اللجنة بوضع مصطلحات التحضيرات الخاصة بالفحص المجهرى (الميكرو تكنيك) وكذلك نظرت في المصطلحات التي أصدرتها منظمة الأغذية والزراعة الخاصة بالبيئة النباتية وأبدت فيها رأيها العلمي وراجعت بعضها مراجعة علمية ولغوية ، هذا بالإضافة إلى ما تقوم به اللجنة (وكذلك اللجان العلمية الأخرى بالمجمع) من البحث المستمر في أمهات الكتب القديمة التي كتبها أسلافنا العرب وفي مختلف المعاجم والمراجع ، قديمها وحديثها ، مما يساعدها في عملها ويسر لها إنجازاتها .

وقد اضطلعت طوال السنين الأخيرتين بعمل معجم وسيط أو وجيز في علوم الأحياء دفعت بجزئه الأول مؤخرًا إلى المطبعة وفي سبيل إنجاز الجزء الثانى منه في وقت قريب ويضم هذا المعجم نحو عشرة آلاف مصطلح من المصطلحات العلمية مزودة بالشروح والمقابلات التي أقرها المجمع وقصد بهذا المعجم (اقترح فكرته وعمله المغفور له الدكتور محمود توفيق حفاوى عضو المجمع) أن يكون عونًا لطلاب المعاهد والجامعات في دراستهم لعلوم الأحياء والزراعة . وقد أنجز المجمع كذلك معاجم أخرى متخصصة في علوم الكيمياء والفيزياء والجيولوجيا وغيرها ، وقد بلغ عدد المصطلحات العلمية التي أنجزها المجمع في مختلف فروع العلم البحث والتطبيقات نحو مائة ألف مصطلح مزودة بشرحها ومعانيها ومقابلاتها باللغة العربية .

وحين تتصدى اللجان العلمية بالمجمع لترجمة مصطلح أو تعريبه تدرس المصطلح معنى ومبنى وأصله اللاتينى أو اليونانى وتبحث عن أفضل المقابلات له وقد ترجع في ذلك إلى المعاجم اللغوية القديمة والحديثة وقد تجد مقابلا أو ماثورا دقيقا غير مطروق في الكتب القديمة فتأخذ به ليشيع استعماله ويمر المصطلح بمراحل عدة من الدراسة والمناقشة والتمحيص في اللجان العلمية ومجلس المجمع ومؤتمره السنوى كهيئة بصقله وصوغه الصياغة

المثلّى وإقراره" وقد أدت آلاف المصطلحات التي أنجزها المجمع بهذا الأسلوب الأمثل والرصين خدمات جليلة للغة العلم ودعمها وترسيخها ونشرها في مختلف المجالات .

ولعل أهم ما يشغل البال بالنسبة لموضوع المصطلحات هو توحيدها في الوطن العربي وهو أمل طالما تطالع إليه المشتغلون بالعلم واللغة لتقضاء على بلبلة قائمة في استعمال المصطلح الواحد بمقابلات مختلفة في البلاد العربية ، ومما يجدر الإشارة إليه أن مجمع اللغة العربية في مصر يقوم بجهود مرموقة في هذا السبيل ، وذلك في مؤتمره السنوي الذي يعرض فيه من المصطلحات العلمية ، ويحضر هذا المؤتمر عدد من أعضاء المجمع اللغوية في الوطن العربي يشاركون في مناقشاته وأعماله .

ولست في حاجة إلى القول إنه إذا كانت حركة التعريب العلمي والنقل إلى اللغة العربية في مختلف مجالات العلوم الأساسية والتطبيقية قد خطت خطوات فسيحة إلى الإمام في الخمسين سنة الماضية مع ظهور المئات بل الآلاف من الكتب والمؤلفات والمعاجم العربية في مصر والوطن العربي فإن اللغة العربية بمجامعها وحفظتها وكانت ولا شك المعين الذي لا ينضب والبحر الزاخر الذي اغترف منه المؤلفون والدارسون كؤوسا مترعة بآلاف المصطلحات والمقابلات التي زخرت بها كتبهم وأسفارهم مما ينهض دليلا ساطعا على قوة هذه اللغة وتراثها وشمولها واتساع آفاقها وقدراتها الفائقة على استيعاب التطور المتلاحق في شتى قطاعات العلم والمعرفة ودحضا للفرية التي انتشرت بين المتعلمين في أن اللغة العربية تقصر أحيانا عن الوفاء بمطالب العلم الحديث والإيقاع السريع الذي نشهده في هذا العصر لحركة العلم والتقدم العلمي .

تحية إلى مجمع اللغة العربية في مصر في عيده الذهبي ومرور خمسين عاما على إنشائه هيئة مباركة قوامه على اللغة ، وتحية إلى علمائه الأعلام يعملون جادين مخلصين ليعيدوا إلى اللغة العربية - لغة العلم - سالف مجدها وهم بالغوه بإذن الله .

والله ولي التوفيق . . .

الدكتور محمود حافظ

عضو المجمع



مجمع اللغة العربية والصطلح العلمى

للدكتور محمود مختار

السيد الأستاذ الدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع .
سيدائى وسادئى ضيوف المجمع فى عيده الذهبى . زملائى الكرام .

أحييكم أجمل تحية فى هذه المناسبة السعيدة فى العيد الذهبى لمجمع اللغة العربية الخالدة ، وبعد .

يقولون إن العلم هو معيار حضارة الأمم وبه تصنف إلى أمم متقدمة وأخرى نامية وثالثة متخلفة . ومن المعلوم أيضاً أن مطية السير فى ركب العلم هى لغته ، بوصفها الصلة الفكرية بين العلماء بعضهم وبعض ثم بينهم وبين مجتمعهم .

وللعلم لغة تتميز عن لغة الأدب ولغة الدين بمفهوم ذى أبعاد ثلاثة هى : طبيعتها وأسلوبها ومفرداتها ، فطبيعة لغة العلم هى الوضوح التام لفظاً ومعنى . وأسلوبها التركيز مع الاستعانة بالرموز والأشكال والرسوم والمعادلات . وأخيراً تأتى مفرداتها وهى المصطلحات التى يتحدد كل منها بمفهوم واحد ودلالة واحدة .

وإذا كان العلم المطلق لا وطن له ولا حدود ، فإن لغته تختلف من مجتمع لآخر ، وتباين قوة وضعفاً بتباين قوة المجتمع وضعفه . فالمجتمع القوى تغزو لغته العلمية أفقاً بعيدة وتفرض نفسها على أنماط الحياة الحضارية بوجه عام والمجتمع الضعيف قد يسلك أحد طريقين : فهو إما أن يعزل لغته العلمية عن مسايرة اللغات العلمية الحية ، فيعزل نفسه عن ركب الحضارة ذاتها ، أو أنه قد ينساق خلف مجتمع متقدم منقاداً بلغته العلمية مكتفياً بالتقاط ما يمن به عليه من فتات العلم . ومن الواضح أن كلا من طريقى العزل والانسياق أبغض من الآخر .

(*) ألقى هذا البحث فى العيد الخمسينى للمجمع فى الجلسة السادسة (الختامية) .

وقد يكون من أهم أسباب عجز اللغة العلمية في مجتمع ضعيف إهمال اللغة القومية في التعليم وإحلال لغة أجنبية مكانها ، والنتيجة الحتمية لذلك هي جمود اللغة القومية واضمحلالها وإنحياز الدارسين لتبعية فكرية أجنبية تجرهم لنوع من الولاء أو الانتماء لمن استقوا العلم بلغتهم . وتلك للأسف إحدى وسائل المجتمع القوى لإحكام قبضته على المجتمع الضعيف .

لأنقل الآن إلى اللغة العربية لأتبين موقعها من مقتضيات العلم ومتطلباته فأقول ، إنها دون شك من أقدر اللغات إيفاء بها . وخير دليل على ذلك هو تألق اللغة العلمية العربية في عصر النهضة الإسلامية ، التي كتب فيها العرب أعظم المؤلفات العلمية وأخذها عنهم علماء النهضة الأوروبية ، وشيدوا بها أسس نهضتهم الحديثة ، وربما كان أروع مثل لذلك كتاب الشفاء لابن سينا الذي يقع في أكثر من عشرين مجلدا تناولت شتى مجالات العلوم وترجمت إلى عدد كبير من اللغات الأوروبية . وقد امتد هذا العصر الذهبي لعدة قرون . ولكن نجمه لم يلبث أن أفل في عصور الاضمحلال والتخلف ، فأصيبت لغة العلم هي الأخرى بالهزال وبالعقم .

وفي نهاية القرن التاسع عشر بدأت صحوة عربية لإعادة اللغة العلمية العربية إلى سابق مجدها ، فنشطت حركة التأليف والترجمة في علوم الطب والزراعة والصيدلة والفيزياء والفلك والرياضة ، وظهر عدد من المعاجم العلمية المتخصصة ، ولكن خطى المسيرة لم تلبث أن تباطأت مع بدء نكبة الاحتلال الأجنبي . وتسالت إلى مجتمعنا العربي دعوى عقم العربية وعجزها عن مسايرة ركب الحضارة . وفرض المحتل لغته على التعليم العام والتعليم العالي مركزا على التعليم الهندسي والطبي والأساسي ، أما التعليم الزراعي والتعليم التجاري فقد حاربوا هذه الدعوة واحتفظوا وما زالوا باللغة العربية العلمية .

وفي الثلاثينيات من هذا القرن تعالت الصيحات والنداءات محذرة من أخطار التعليم الجامعي بلغة غير العربية ومنادية بضرورة تعريب التعليم الجامعي في كافة تخصصاته . ووب قائل يقول إن موضوع التعريب في الجامعات لا يحتاج لأكثر من إصدار تشريع أو قانون يلزم الجامعات بتدريس العلوم باللغة العربية . وهذا صحيح تماما ، ولكنه لا يعدو أن يكون نقطة بداية فقط ، أو أنه الضوء الأخضر الذي يفتح الطريق للسير فقط . أما الطريق ذاته فله ضوابط وأحكام يجب أن يلتزم بها من يطرقه ليبلغ مداه بنجاح . ولدينا تجربة حمة على ذلك ، فقد سبق لأول جامعة في مصر والعالم العربي أن نصت

في صدر قانون إنشائها من نحو نصف قرن أو يزيد على أن تكون لغة التدريس فيها هي العربية، ولكنها تحفظت تخوفا من أخطار العجلة ، فأجازت التدريس بلغة أجنبية إذا لم تكتمل للدراسة بالعربية كل مقوماتها . وفعلا كان هذا التشريع فتحا للطريق أمام الجامعيين وحفز الهم على ارتياده ، ولكن المعوقات كانت أكبر من جهدهم . فالتعليم الجامعي في العلوم الأساسية والتطبيقية الحديثة كان هو نفسه جديدا عليهم ، وكانت الأساتذة والمراجع والكتب كلها بلغة أجنبية ، فأبطأت موجة التعريب من خطاها حتى بتضح مسارها وسط عاصفة عاتية من تطور سريع في العلوم التقليدية وظهور علوم بيئية وعلوم جديدة ، وما صاحب ذلك كله من أنهار مصطلحات علمية جديدة لم تتمكن اللغة العربية العلمية من استيعابها ومواجهتها في وقت قصير . وقد رأت بعض الجامعات في الوطن العربي بدافع من القومية العربية المتحمسة تجاوز هذه العقبات وفرض التعليم الجامعي كله بالعربية بتشريع ملزم ، دون اعتبار لاستكمال مقوماته . فعزلت علماءها عن ركب العلم الحديث .

ولا يتسع المجال هنا لتناول كافة المقومات للتعريب بالبحث والتحليل ، واكتفي بإلقاء الضوء على ما يحتل منها المقام الأول في الأهمية وهي :

- وضع المصطلحات العلمية الموحدة على مستوى الوطن العربي

- تشجيع التأليف والترجمة العلمية :

- تطويع اللغة العلمية العربية لمتطلبات العلوم الحديثة .

- العناية بلغة أجنبية حية إلى جانب العناية باللغة العربية .

ومن الواضح أن هذه المقومات الأربعة تمثل أهم مركبات البناء المتكامل لصرح تعريب التعليم الجامعي ، ويأتي وضع المصطلحات العلمية في المقام الأول منها بوصفها اللبنة التي يقوم بها البناء . وسوف أقصر في حديثي اليوم عن هذا المقوم الأساسي وما تبذل فيه من جهود دون انتقاص بطبيعة الحال من أهمية المقومات الثلاثة الأخرى التي قد يحتاج كل منها لأكثر من حديث منفصل .

والحديث عن المصطلحات العلمية العربية ليس جديدا علينا، فقد سبق أن تناولته هيئات علمية عديدة ومجامع للغة العربية وأفراد كثيرون في الوطن العربي الكبير . وعقدت له المؤتمرات والندوات وألقيت الأحاديث وكتبت المقالات التي يضيق المقام عن حصرها، ولكن معظم هذه الجهود ظلت حبيسة المجالات والملفات، وظل التعليم الجامعي يعاني مرضه المزمن بلغة أجنبية . وإذا تقصينا أسباب هذا التعثر في محاولة لعلاجها برز لنا أكثر من سبب :

أولاً : إن المصطلحات قد وضعت بجهود فردية مرتجلة غالباً ، قام بها لغوى أو علمى بمفرده . ولا يخفى أن أى جهد فردى قد يخطئ مرة بقدر ما قد يصيب أخرى . والطريق الأصوب إذن ، هو تضافر مجموعات من العلميين واللغويين فى كيان متكامل يظللهم جميعاً هيئة موحدة للتنسيق .

ثانياً : ظهور المصطلح الأجنبى المتخصص الواحد فى معظم المعاجم العلمية بعدد من المقابلات العربية ، مما يترتب عليه زيادة البلبلة فى أى المقابلات أصلح . وبالتالى زيادة مشاكل التأليف والترجمة والتعريب ، والطريق الأمثل إذن هو الاقتصار على مصطلح عربى واحد ، مقابل المصطلح الأجنبى الواحد المتخصص ، وهذا يستلزم هيئة موحدة للإشراف والتقنين .

ثالثاً : ظهور المصطلحات فى المعاجم العلمية العربية غير معرفة ، مما يترتب عليه موضح المعنى المقصود واللبس ، فتعريف المصطلح هو أشبه بالملذكرة التفسيرية التى تلحق بالقانون لإيضاحه .

رابعاً : عدم وجود نهج أو أسلوب موحد متعارف عليه يلتزم أو يستنير به واضع المصطلح وينأى به عن الارتجال أو التزمت ، سواء كان هذا التزمت تمسكاً بقديم مهمل أو بمغلاة فى تعريب مطلق .

وقد كانت النتيجة الطبيعية لهذه العلل فتور الدعوة لتعريب التعليم الجامعى ، بل وظهور لغة مولدة عقيمة تمتزج فيها لغة محلية عامية بلغة أجنبية ركيكة ضعيفة . وقد استشرت هذه اللغة - إن جاز لنا أن نسميها لغة - فى جميع الكليات العلمية الجامعية فى معظم أرجاء الوطن العربى .

فى نخضم هذه الزوبعة العاتية ، ولد مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ خمسين عاماً . ووكل إليه إلى جانب اضطلاع برسائله الحيوية فى الحفاظ على سلامة اللغة العربية أن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون ملائمة للحياة العصرية الحديثة . ورأى المجمع أن المصطلحات العلمية هى العقبة الأساسية التى عليه مواجهتها . فاتخذها هدفاً رئيسياً من بين أهدافه ، ووفر لها الإمكانيات والمقومات التى تكفل لها الصلاحية وتقيها أسباب التعثر التى أشرت إليها من قبل . وسار المجمع متأنياً فى أول الأمر حتى استقرت خطاه ، ثم اتسعت وتسارعت شيئاً فشيئاً يحدوها تعاون وثيق بالهيئات العلمية ويحفزها توفيق مطرد .

فأنشأ المجمع لكل فرع من فروع العلوم الأساسية والتطبيقية لجنة علمية لغوية متخصصة تجمع عددا من اللغويين والعلميين من بين أعضائه وعددا من الخبراء المتخصصين في المادة ، وتزايد عدد هذه اللجان تباعا لتغطي معظم المجالات العلمية حتى بلغ عددها الحالي تسع لجان يعمل فيها نحو ٣٠ عضوا مجتمعا و ٥٠ خبيرا . وكان أحدثها لجنة المعالجة الإلكترونية للمعلومات أو ما يمكن أن نطلق عليها اسم لجنة الحاسبات الإلكترونية . وهذه اللجان التسع هي :

لجنة الرياضيات بفروعها .

لجنة الفيزيكا :

لجنة الكيمياء والصيدلة .

لجنة الهندسة بفروعها .

لجنة الجيولوجيا .

لجنة الأحياء والزراعة بفروعها .

لجنة الطب بفروعه :

لجنة البترول :

لجنة المعالجة الإلكترونية للمعلومات .

ومهمة كل لجنة من هذه اللجان المتخصصة هي إعداد المصطلحات إعدادا علميا ولغويا دقيقا وتعريفها تعريفاً معجمياً ، وذلك وفق نهج مفصل ومحدد رسمه لها مجلس المجمع وأقره مؤتمره العام .

وتعرض أعمال اللجنة المتخصصة على مجلس المجمع لمناقشتها وتهذيبها أو تعديلها أو ردها إلى اللجنة لإعادة نظرها . ويلى ذلك خطوة هامة وأخيرة وهي عرضها على المؤتمر السنوي للمجمع في حضور أعضائه من مجامع اللغة العربية الشقيقة ؛ لمناقشتها على مستوى عربي شامل وتقنين صلاحيتها للاستعمال على المستوى العربي .

وبإكمال هذه المراحل في صياغة المصطلح العلمي وتقنيته وتعريفه ، يسجل في النشرة الدورية للمجمع ليكون في متناول الجميع ، كما يسجل في جزازات ترتب وفق الحروف الهجائية في مجموعات متخصصة . وتحفظ بادرة خاصة بالجزازات والتي نأمل أن يوفر لها حاسب الكتروني في القريب لتيسير الرجوع إليها ودقة العمل بها .

أما النهج المفصل لاختيار المصطلح الذي أشرت إليه فقد أولاه المجمع اهتماما خاصا :
فعهد بوضعه إلى لجنة خاصة من بين أعضائه العلميين واللغويين ، في ضوء
التوجيهات والتوصيات التي كانت ترد تباعا في جلسات المجمع وما سبق من
أحاديث وبحوث في مؤتمرات التعريب في الوطن العربي : وخرجت اللجنة من
كل ذلك بمشروع نهج لاختيار المصطلح العلمي ، عرض على المجلس فناقشه ،
وانتهى فيه إلى صورة سجلت في محاضرة وأخرجت في نشرة خاصة مفصلة وزعت
على نطاق واسع في الوطن العربي : وما زالت متاحة لمن يطلبها :

وأستأذنكم في أن أوجز ماجاء بهذه النشرة بقدر استطاعتي : فقد استهللت
بذكر مبادئ مستقاة من قانون إنشاء المجمع ، وهي الحفاظ على التراث العربي والوفاء
بأغراض التعليم الجامعي ومسيرة النهج العلمي العالمي : ثم تناولت النشرة بعد
ذلك أسلوب اختيار المصطلح نفسه في كل من حالي ترجمة المصطلح وتعريبه ،
وأحاطت كلا منها بضمانات وأحكام :

وبدأت بالترجمة فأثرتها على التعريب ما أمكن ، واشترطت فيها أن يتفق المصطلح
العربي مع المدلول العلمي للمصطلح الأجنبي دون التقيد بدلالته اللفظية . فلا يقال مثلا
تحت التيار مقابل down stream بل يقال مهبط التيار ، ولا يقال قنبلة راديوم مقابل
radium bomb بل يقال مصدر إشعاع راديومي .

وأوصى النهج بالحفاظ على الألفاظ العربية الأصل التي انتقلت إلى اللغات
الأجنبية مثل القرنية مقابل cornea . وأجاز التحلل من القديم إذا ثبت عدم صلاحيته
للاستعمال الحديث مثل الغول مقابل alcohol . كما أوصى بإيثار الألفاظ غير
الشائعة لأداء المصطلحات العلمية ذات الدلالات المحددة مثل لفظ كم مقابل quantnm
بدلا من كمية . ونص على تجنب الألفاظ الغريبة والمبتذلة :

ولما كانت اللغة العربية تتميز بطواعية كبيرة للاشتقاق والتصريف والتوليد والقياس
والمحاز لا تتوفر في أية لغة أخرى ، فقد أوصى النهج بالاستفادة من هذه الميزة على
أن يولبها اللغويون في اللجان عناية خاصة وييسرونها ما أمكن ، حتى لا يبلجأ العلميون
لاستسهال التعريب .

أما تعريب المصطلح فقد أجاز به النهج إذا لم تيسر الترجمة ، وأخضعه لضوابط
كذلك . منها أن يكون المصطلح الأجنبي مشتقا أصلا من لفظ إغريقي أو من لغة
علمية حية وانتشر استعماله عالميا . وعلى أن يقاس المصطلح المعرب على اللسان العربي

ويكون قريباً ما أمكن من الأصل الإغريقي ، مثال ذلك لفظ فيزيقا مقابل physics بدلا من فيزياء .

وأوصى النهج باعتبار المصطلح المعرب لفظا عربيا تجرى عليه قواعد اللغة العربية مثل التأين والبسترة والأكسدة . وأوصى بإقرار مآدرج المختصون على استعماله من مصطلحات خاصة بهم أو مقصورة عليهم مثل فلورة وهدرتة مقابل -fluorescence hydration . وتصحيح الخطأ الشائع أينما يوجد مثل حاسب إلكتروني بدلا من عقل إلكتروني .

وفي كلتا حالتى ترجمة المصطلح وتعريبه أوجب النهج تحديد الدلالة العلمية له تحديدا علميا دقيقا وذلك بضرورة وضع تعريف علمى له، مصاغاً بأسلوب معجمى: فالمصطلح بدون تعريف كالبناء بدون أساس .

ونص النهج على إفراد المصطلح الواحد بلفظ واحد : ما أمكن لتسهيل الاشتقاق منه والنسبة والإضافة إليه وتثنيته وجمعه . فلا يقال مقياس درجة الحرارة بل ترمومتر : وأوصى النهج بتوحيد المصطلحات المشتركة بين المواد المختلفة إلا إذا اختلفت دلالاتها .

ومن المعلوم أن التركيب والنحت فى اللغة العربية غير مستحب لأنه يجافى طبيعتها. ولكن اللغة العلمية تضطر أحيانا لقبوله ، بل وتميل للتوسع فيه . وقد سبق أن استساغت اللغة ألفاظا مركبة كالبسمة والدرعى والبرمائى .

وأجاز النهج كذلك استخدام السوابق واللواحق والتوسع فيها لمواجهة السيل الحارف من الألفاظ العلمية الحديثة . ولكنه أحاطها أيضا بضوابط تتفق وطبيعة اللغة العربية وأحكامها . منها قصر إلحاق السابقة العربية على لفظ عربى مثل لاسلكى ، وقصر إلحاق السابقة المعربة على لفظ معرب مثل بيوفيزيكا . وهذا معناه عدم المزج بين شقين لمصطلح واحد منحوت من لفظين مختلفى الأصل ، ولأهمية موضوع السوابق واللواحق أفرد له المجمع نشرة خاصة وذبلها بمجموعة كبيرة من الأمثلة فى شتى العلوم .

سيداتى وسادتى :

هذا هو جانب واحد من جهود المجمع فى إعداد المصطلح العلمى ومايستلزمه من أحكام وضوابط له اختياره ولتعريفه ولتقنيته . يبقى بعد ذلك جانب آخر هام ، وهو نشر

هذه المصطلحات بإصدارها في معاجم علمية متخصصة . وهذه أيضاً قد تبناها المجمع
فأنجز منها هذه المعاجم :

- معجم الفيزيكا النووية ويشمل نحو ١٢٠٠ مصطلحا
 - معجم الحيولوجيا ويشمل نحو ٤٥٠٠ مصطلحا .
 - معجم ألفاظ الحضارة والفنون ويشمل نحو ١٢٠٠ مصطلحا .
 - معجم الفلسفة ويشمل نحو ١٢٠٠ مصطلحا .
 - المعجم الطبي (جزء أول) ويشمل نحو ٨٠٠٠ مصطلحا .
 - معجم الفيزيكا الحديثة (جزء أول) ويشمل نحو ٤٥٠٠ مصطلحا .
 - معجم الكيمياء والصيدلة (جزء أول) ويشمل نحو ٥٠٠٠ مصطلحا .
 - معجم الأحياء والزراعة (جزء أول) ويشمل نحو ٥٠٠٠ مصطلحا .
 - معجم علم النفس والتربية (جزء أول) ويشمل نحو ١٠٠٠ مصطلح .
- وهناك عدد من المعاجم العلمية في مرحلة الإعداد باللجان المختصة .

سيداتى وسادتى :

هذه صفحة من إنجازات مجمعنا الخالد تناولتها في إيجاز أرجو ألا يكون مغلا ،
بها أثريت اللغة العربية بعشرات الآلاف من المصطلحات العلمية الحديثة في المجالات
العلمية البحتة والتطبيقية ، قياما بواجب المجمع نحو جعل اللغة العربية وافية بمطالب
العلوم والفنون والحضارة الحديثة ، وفتحاً لطريق تعريب التعليم الجامعى وتذليلاً لأكبر
معوقاته .

ويشرفنى أن أختم حديثى بتوجيه التحية والتقدير لمجامع اللغة العربية الشقيقة في
دمشق وبغداد وعمان وإلى مركز تنسيق التعريب بالرباط وجميع العاملين في ميدان التعريب
والمصطلحات العلمية . وأدعو لتضافر الجهود بين العلميين العرب بعقد المؤتمرات
العلمية بينهم باللغة العربية ، وعقد ندوات للتعريب والمصطلحات بصفة دورية لمتابعة
الجديد فيها . وفى هذا كله ما يحفز الهيئات الجامعية على فرض تعريب التعليم فيها
دون حاجة لتحفظ ، وبه يوثق الرباط بين أفراد الأمة العربية ويعلو شأنها بين
الأمم المتحضرة لتكون خير أمة أخرجت للناس .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الدكتور محمود مختار

عضو المجمع

مجمعيون شعراء دراسة محمد عبد الفنى حسن

يجمع الشعر بخياله الواسع وآفاقه المحلقة مع اللغة والنحو
بدراساتهما المنهجية المتزمنة .

قد

ومنذ البدايات الأولى لظهور اللغويين والنحاة رأينا أن بعض علماء هذين العلمين
قد انتقاد لهم الشعر ، وذل لهم عصيه ، فنظموا وحلقوا فى الخيال ، وأثر عن كثير
منهم الأبيات السائرة ، والأشعار المستحسنة . ونستطيع فى هذا المقام أن
نعد عشرات من اللغويين القدامى الذين دخلوا ميدان الشعر بجانب المجال اللغوى
فأجادوا فيه . ومن هؤلاء اللغويين الشعراء : الخليل بن أحمد ، وابن السكيت ،
وابن فارس صاحب «المجمل» و «المقاييس» وابن خالويه ، وأبو سعيد السيرافى ، ومكى
ابن أبى طالب القيسى القيروانى ، صاحب «الكشف عن وجوه القراءات السبع» ،
و «شكل إعراب القرآن» وغيرهما ، وأبو عبد الله الماتقى القرطبى وغيرهم .
وهل ننسى الأبيات الرفيعة التى قالها «الخليل بن أحمد» حينما طلبه الخليفة
سليمان بن عبد الملك للوفود عليه فى حضرته ، فاعتذر فى شمم العالم المعتز
بالله قائلاً :

أبلغ سليمان أنى عنه فى سعة وفى غنى غير أنى لست ذا مال
سمخا بنفسي أنى لا أرى أحداً يموت هزلاً . ولا يبقى على حال
والرزق عن قدر ، لا الضعف ينقصه ولا يزيدك فيه حولٌ محال

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الخامسة من الاحتفال بالعيد الخمسينى للمجمع .

وهل ننسى (ابن فارس) اللغوى الذى عز عليه أن يشكو حاجته ، فقال فى عزة الغنى بالله :

وقالوا كيف حالك ؟ قلت خير تقضى حاجة ، وتفوت حاج
إذا ازدحمت هموم الصدر قلنا عسى يوماً يكون لها انفراج ؟
وهل ننسى « ابن السكيت » الذى نسب إليه صاحب (شذرات الذهب)
البيتين التاليين :

يصاب الفتى من عثرة بلسانه وليس يُصاب المرء من عثرة الرجل
فعرثته بالقول تُذهب رأسه وعرثته بالرجل تبرا على مهل
وهل يغيب عن بالنا قول « ابن خالويه » المنظوم على الحكمة :

إذا لم يكن صدر المجالس سيدا فلا خير فيمن صدرته المجالس
وكم قائل : مالى رأيتك راجلا فقلت له من أجل أنك فارس .

وهل يفوتنا البيتان البديعان فى الحث على الإقلال من الزيارة « لمكى
ابن أبى طالب » ، مع الاستشهاد المحكم الدقيق بمشال من الواقع المحسوس ، وهما :

عليك بإقلال الزيارة إنها إذا كثرت كانت إلى الهجر مسلكا
ألم تر أن القطر يُسأم دائباً ويُطلب بالأيدى إذا هو أمسكا ؟

وأخيراً هل يضيع منا قول « أبى عبد الله المالى القرطبي » - النحوى اللغوى - فى
حسن الظن بالله ، والأمل العظيم فى جميل إحسانه فى الغد ، كما أحسن بالأمس ،
حيث يقول :

سهرت أعينى ونامت عيون لأمر تكون ، أو لا تكون
فاطرح الهم ما استطعت عن النفس س فحملانك الهموم جنون
إن رباً كنّاك بالأمس ما كا ن سيكفيك فى غد ما يكون ..

وبعد : فهذا مدخل لم يكن منه بد للدخول على موضوع « المجمعيون الشعراء »
وهم - بارك الله فيهم - مظنة أن لا يجمعوا بين اللغة والشعر ، ولكنهم جمعوا
فكتب الله لهم التوفيق فى المجالين .

وقد كان أمير الشعراء أحمد شوقي أحق بالدخول في مجتمعنا قبل أن يلجّه من الشعراء والجبّ ، وكان أولى بأن يكون واحداً من أفراد فوجه الأول سنة ١٩٣٣ لولا أن المنية أدركته سنة ١٩٣٢ ، فحُجب عن ساحته .. وبهذا حُرم المجتمع نعمة الظفر بشاعر لم تجد به العروبة منذ ألف عام .

ونستهل الحديث عن شعراء المجتمع « بإبراهيم المازني » ، ولو أنه دخل الحرم المجمعى سنة ١٩٤٧ متأخراً عن زميله « على الجارم » الذى دخل المجمع فى أول فوج سنة ١٩٣٣ ، وعن رفيقه ، وزميله « عباس محمود العقاد » الذى دخل المجمع سنة ١٩٤٠ ، « والمازني » جدير بأن يتبوأ مكان الصدارة فى الحديث عن المجمعين الشعراء ، بشهادة العقاد له فى المقدمة التى كتبها للطبعة الثانية من ديوان المازني الذى نشره المجلس الأعلى للفنون والآداب سنة ١٩٦١ حيث يقول : (وللمازني أسلوب خاص لا يدلّك على أنه أسلوب السليقة والطبع أكثر من هذا التآلف الذى تجده بين قلمه ونفسه ، فإن قلمه يتحرى الفخامة فى اللفظ والروعة فى حوك الشعر ، كما تتحرى نفسه - على لطافتها - الفخامة فى المشاهد ، والروعة فى مظاهر الكون والطبيعة) .

وما أصدق المازني وهو يحدثنا عن « الشعر » وقيّمته فى مقطوعته : (قبر الشعر) التى يقول فيها :

ليت ديوانى يكون له	من بديع الزهر تيجان
فكأنّ الشعر فى جدث	فوقه وردٌ وريحان
يا لها من جفيرة عجب	كلّ ما تطويه أشجان
كلّ بيت فى قرارته	جثةٌ خرساء مرنان
خارجاً من قلب قائله	مثلما يزفرُ بركان

وإذا كان الجزء الأول والثانى من ديوان المازني قد ظبعا فى حياة الشاعر وصنعا على عينه ، فإن الجزء الثالث قد طبع سنة ١٩٦١ بعد وفاة المازني ، وقد

كان : جموعاً عند شقيقه أحمد عبدالقادر الذى قدمه إلى لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب ، فتولى المجلس إصداره بمراجعة الشاعر « محمود عماد » وضبطه وشرحه . وهذا ظهرت أجزاء ديوان المازنى الثلاثة فى مجلد واحد .

ومن الغريب أن الشاعر المجمعى « المازنى » رضى عن شعره أول الأمر ، ثم أنكره بعد ذلك وهدجه ، ثم أعرض عن نظم الشعر جملة وتفرغ للنثر ، ولكن شعره الخالد لم يهجره ، بل ظل منتصباً إليه ، منسوباً له ، لصيقاً به التصاق الابن بأبيه ، والمرء بذويه ..

ويجرتنا الحديث عن « المازنى » المجمعى الشاعر إلى رفيقه وزميله المجمعى الشاعر : « عباس العقاد » . وللعقاد رأى فى الشعر والشاعر جاء فى خلال قصيدته (الحب الأول) حيث يقول :

إنى ألوذ بشعرى حين يطرقنى من الطوارق نزال وضيغان
والشعر من نفس الرحمن مقتبس والشاعر الفد بين الناس رحمان
الحب والشعر دينى والحياة معاً دينٌ لعمر ك لا تنفيه أديان
هى الحياة جنين الحب من قدم لولا التجاذب ما ضمتك أكوان
والشعر السنة تُفضى الحياة بها إلى الحياة بما يطويه كتمان

وعلى الرغم من حركة (الديوان) التى قام بها العقاد مشتركاً مع المازنى فى الحمله على (شوقي) الشاعر بوصفه الرمز الذى تمثلت فيه كل خصائص الشعر التقليدى القديم ، لم يُسقط شعر المناسبات من حسابيه إذا ما عني الشاعر فيه بأصالة الفكر والشعور . وبهذا أتاح العقاد لنفسه ولتلاميذ مدرسته أن ينظموا فى المناسبات على شريطة ألا يجعلوا منها معرضاً لتأنيق الصناعة وبراعة الأسلوب وحسب ، على نحو ما كان يفعل القدماء ، بل على شاعر المناسبة أن يوقف بها من مقام الخصوصية والذاتية إلى مستوى الشعور الإنسانى العام فإن العناية فى الشعر بالصياغة وحدها لا تنتج شعراً له قيمة ، وإنما تنتج جملاً جيدة الوصف ، هيئة الشعور .

والحق أن الحملة القاسية التي قام بها العقاد على المدرسة القديمة للشعر العربي ، وعلى « أحمد شوقي » بالذات كانت تخرج في كثير من الأحيان إلى الجور والتجني على أمير الشعراء ، ولكنها أنجبت لنا شعراء أفادوا من توجيهات العقاد والمآزني وملاحظاتهم ، مع عدم المساس ببناء القصيدة العربية التقليدية ؛ وإن كان بعض الشعراء المتحررين انتهزوا الفرصة ليتخلصوا من قيود الوزن والقافية .. وتلك قضية لا نتعرض لها اليوم لأنها لا تدخل في موضوع بحثنا .

وقد انفرد « العقاد » في شعره بالأصالة وعدم التقليد ، فهو في الشعر العربي كيان متميز وحده ، ومن هنا أكبره الدكتور طه حسين وقال عنه : (إنني أكبر العقاد لأنني إذا قرأت شعره مرة ومرة ومرة ، لم أستطع أن أقول لنفسى : قد قرأت هذا الكلام من قبل ، أو أين قرأت هذا ؟ أفى شعر الباحثرى ؟ أم عند أبى تمام ؟ أم سبق أبو نواس إلى مثل هذا الكلام ؟ كلاً ! إنما تقرأون العقاد فتقرأونه وحده ، لأن العقاد ليس مقلداً ، ولا يستطيع أن يقلد ، ولو حاول التقليد لفسدت شخصيته وشخصية العقاد فوق الفساد ..) .

وعلى الرغم من أن « المآزني » زهد في الشعر وخلص للنثر ، وأن عبد الرحمن شكري زهد في الشعر وفي النثر وفي الناس وفي الحياة كلها ، فإن « العقاد » ظل موالياً للشعر والنثر على حد سواء ، فما أجبل ولا نصبت قريحته ، كما ظل وفياً لأصدقائه وزملائه المجمعين . وكأن دموعه وهو في المجمع كانت وقفاً على رثاء الراحلين من أعضائه . وما زالت محاضرات المجمع وصفحات مجلته حافلة بمراثيه لأحمد لطفى السيد ، والدكتور محمد حسين هينكل ، ومصطفى عبدالرازق وعبد القادر حمزة ، وإبراهيم المآزني ، وعلى الجارم . كما أن دواوينه حافلة بمراثيه للزعيم محمد فريد ، وسعد زغلول ومحمد محمود ، والكاتبة النابغة مى زيادة وأحمد ماهر ، وهدى شعراوى ، ومحمود فهمى النقراشى ، وحافظ إبراهيم ، والأديب محمد السباعي وغيرهم من شوامخ مصر الحديثة .

ويحملنا اعتبار (الأقدمية) في دخول المجمع على الحديث عن الشاعر المجمعى :
«على الجارم» . وللاقدمية اعتبار في التسجيل ، وإن كان ليس لها اعتبار في
التقدير والتفضيل . ولم يكن «الجارم» هو الشاعر الوحيد الذى ظفر بعضوية المجمع
في أول فوج سنة ١٩٣٣ ، فقد كان من العشرين المعيّنين الشيخ محمد الخضر
حسين الذى صار فيما بعد سنة ١٩٥٢ ، شيخاً للأزهر . وهو شاعر وله ديوان طبع
بالقاهرة سنة ١٩٤٧ ، ثم أعيد طبعه من عهد قريب ، وعنوانه (خواطر في الحياة) .

ولقد نظم أستاذنا «الجارم» الشعر وهو طالب في الأزهر ودار العلوم ، وفي
إنجلترا ، وبعد عودته من البعثة ، وظل حياته كلها مواظباً على نظم الشعر ، لم
يتخل عنه لحظة واحدة ، بل شاء الله أن تدركه منيته فجأة وهو يصغى إلى ولده
(بدر الدين) وهو يلقي قصيدة والده في حفل تأبين الزعيم محمود فهمى النقراشى
سنة ١٩٤٩ م. ونظم «الجارم» الشعر في أغلب الأغراض المعروفة في دواوين العرب
فمدح ، وهنأ ، ورثى ، ووصف ، وتغزل وافتخر . ولم يدع مناسبة إلا قال فيها
وأبدع . ولعله من أوائل شعرائنا الذين ارتفعوا (بالمناسبة) إلى مستوى الأصالة
الفكرية والشعور الإنساني العام ، مما جعله مرموق المكانة على الرغم من النظر الشؤم
الذى كان يوجهه إليه أصحاب المدرسة الحديثة ... والحق أن الجارم استطاع
في ذكاء عجيب أن يوائم بين المدرسة التقليدية في الشعر ، وبين متطلبات
المدرسة الحديثة . وقد ظهر هذا جلياً في ديوانه (سهجات الخيال) الذى جمعه
ولده «بدر الدين» ونشر في مجموعة (في ظلال الوحي) الصادرة عن
دار المعارف سنة ١٩٦١ . ولم يفت العقاد - رحمه الله - وهو يقدم «لسهجات الخيال»
أن يشير إلى هذه المواءمة بين السلفية والعصرية عند الجارم أن يقول : (إن
الجارم ركن من أركان مدرسة شعرية تستحق الآن أن تعرف بعلامتها ، وأن
تستقل بعنوانها ... إنها مدرسة يجوز لنا أن نسميها بمدرسة دار العلوم ...
فالدرعوى لغوى عربى سلفى ، عصرى ولكن على منهج فريد في بابه بين مناهج المعاهد
السلفية والمدارس الفرنجية ، وبين - مناهج المحافظة والتجديد ، ومناهج الإبداع

والتقليد... ولا يسمعك وأنت نقرأ قصيدة لشاعر من أركان المدرسة الدرعية أن
تجيب فكرة « اللغة » عن خاطرك ، وأن تنسى أن قائل هذا الشعر يثبت على
القديم وإن أخذ بنصيبه من الجديد ، وحرص على انتسابه إليه حرصه على انتسابه
إلى التراث القديم...) . ولعل رأى « الجارم » نفسه في قضية الشعر يوضح
لنا القيمة الحقيقية لكل شعر جيد حيث يقول :

دولة قامت تنافى دولة فنعمنا في ظلال الدولتين
ربما في الشعر قامت صفحة بالذى يعيا به ذو الصفحتين
إنما الشعر على كثرته لا ترى فيه سوى إحدى اثنتين
نفحة قدسية أو هذر ليس في الشعر كلام بين بين

وبعد ، فإن ديوان (سباحات الخيال) « لعل الجارم » ليس شعراً جديداً له ،
بل كل ما فيه جاء في الأجزاء الأربعة - لديوان الجارم ، ولكن ولده الأملعى أراد
أن يرد رداً عملياً على الذين كانوا يتهمون والده العظيم بشعر المناسبات التقليدى ،
فانتزع من ديوان أبيه قصائد ومقطوعات تدل على الشعر العاطفى والوجدانى والإنسانى
عند أبيه ، وتؤكد أن المناسبة عند « الجارم » ترتفع عن المستوى الذاتى المحض إلى مناهج
الشعور العام ...

وإذا كان « الجارم » يرقى في غزله إلى حد قوله في « الكافية » التى تغنيها
أم كلثوم :

مالي فتشت باحظك الفتاك وسملوت كل مليحة إلأك
يسراك قد ملكت زمام صوابتي ومضيتى وهداى فى يملك
فإذا وصلت فكل شىء باسم وإذا هجرت فكل شىء باكى

فإنه يصلب ويشتك حين يدعو إلى العزم والتسامى نحو القمم فى قوله :
كتب الله أن يعيش غريبها كل ذى دعوة إلى الحق ناه

لا ترى فوق قمة الطود . إلا بطلاً لا يهاب هول صعبه
كل ذات الجناح طير ، ولكن عرفَ الجو قسره من غرابه

، إذا كانت جنهات مجسمنا هذا - في مختلف الدور التي سكنها - قد دوت
بشعر « الجارم » وصوته وإلقائه الجميل المتبر على منابره ، فإن المجمع لا ينسى له
قصائده العُصم في افتتاح الدورة الثانية سنة ١٩٣٤ ، والدورة الثالثة سنة ١٩٣٥
ومرثيته لأستاذنا الشيخ أحمد الإسكندري والشيخ حسين والي ، والمستشرق نلليز
سنة ١٩٣٩ م .

وقد شاء الله ألا يُحرم المجمع شاعرًا جهير الصوت عالي المكان ، يسد المكان
الذي كان يشغله « علي الجارم » . ولم يطل أمد الانتظار ، فبعد عشر سنوات
من وفاة الجارم - وبالتحديد في سنة ١٩٥٩ - دلف إلى محراب الخالدين
الشاعر « عزيز أباطة » ، دخل بأسلوبه العربي المشرق ، وبيانته الناصع ،
وفكره الوضاء ، وكأنه واحد من مدرسة دار العلوم - أو مدرسة الدراعمة - التي
أشار إليها العقاد في سلف من قول ؛ مع أنه من رجال القانون والحقوق ، ولكن
الله يُعطي ما يشاء لمن يشاء ... فأعطى (عزيز أباطة) ذلك البيان وذلك الإشراف
وتلك الفحولة في الشعر التي كادت تضيع بعد « أحمد شوقي » . وبهر « عزيز
أباطة » الناس وفجأهم بديوان يُعدُّ لونا جديدا في دواوين الشعر العربي .
هو ديوان (أنات حائرة) الذي ظهر في سنة ١٩٤٣ ليقول للناس : إن هذا أول
ديوان كان كله وقفاً على رثاء زوجة ، ورفيقة عمر وشريكة حياة .. وأكبر
الناس هذا الصنيع من شاعر جعل رثاءه لقرينته الراحلة براعة استهلاله . وقدم
طه حسين (أنات حائرة) بكلام مؤثر قال فيه : (لا عليك يا سيدي ! احتمل
حزنك كما احتملته إلى الآن جلداً كريماً ، ورفّه على نفسك كما فعلت إلى الآن بمثل
هذا الشعر الذي أقل ما يوصف به أنه يرفعك عن الأثرة ، ويجعل من مصابك
غذاءً لبعض النفوس ، وعزاءً لبعض القلوب ...) .

وكان من حظي حينما أُهْدِي إلى «عزيز أباظة» ذلك الديوان الحزين أن أَسْتَقْبَلَهُ
بِبَحْثٍ وَافٍ في إحدى مجلاتنا العربية عن «رثاء الزوجات في الأدب العربي» .
ومن هنا توثق الود بيني وبين عزيز أباظة ثم ازداد الود حينما عملت معه وتحت
رئاسته عضواً في لجنة الشعر بالمجلس الأعلى ، للفنون والآداب .

وكانَّ مجمع اللغة كان روضها أغنَّ لشاعرية «عزيز أباظة» ، وتجلّى ذلك
في مراثيه الخالدة لزملائه المجمعيين : العقاد ، ورضا الشببي ، وعلى عبدالرازق
ومحمد علي النجار ، وأحمد حسن الزيات والدكتور مصطفى القلي ، والفاضل
ابن عاشور ، والدكتور عبد الرزاق السنهوري .

لنا ، وإذا كان «عزيز أباظة» قد أثرى الشعر بمسرحياته التي منها قيس ولبنى ،
والناصر ، وغروب الأندلس ، والعباسة وغيرها ، فإنه يعد الرائد الثاني – بعد
شوقي – للمسرح الشعري الحديث .

لقد أَلِفَ «عزيز أباظة» منذ ماتت زوجته البكاء والرثاء ! فهو يبكي زوجته
في «أنات حائرة» ، ويرثي بعد ذلك زملاءه في المجمع وغير المجمع ، وكأنه
نَذَرَ حياته للدموع . ولعل من أحر دموعه قصيدته (ذكريات) التي يقول في المقطع
الأول منها :

يدكرنيك كلُّ جليل أمر	وس يسيرو فتـ ذوب نمرى
إذا سكب الصباح فأننت همى	وإن وقب المساء فأننت أنسى
جمعت على الهوى طرفي نهاري	كأنى لم أرعُ بنـ والكِ أمسى
رعاكِ الله ما فارقت روى	وإن فارقت بعض الوقت حسى
أراك كما رأيته حين كنا	على حرم الصبا نضحى ونمسي

وما دمنّا في معرض الحديث عن شعراء الديباجة والرصانة في مجمعنا ، فلن يفوتنا
الوقوف قليلاً أمام السيد «حسن القاياتي» وقد نبغ في نظم الشعر في سن مبكرة .

ونشر الجزء الأول من ديوانه سنة ١٩١٠ وهو فى السابعة والعشرين ؛ حتى جاز لنا أنه نلقبه (النابغة القاياتى) نسبة إلى بلده « القايات » من أعمال مديرية المنيا . وإذا كنا ألفنا أسماء محبوبات الشعراء القدامى ، من مثيلات هند ، ودعد ، وليلى ، وعزة ، وبشينة ، فإن القاياتى شبيب بمحبوبته : (إحسان) ، وهو اسم جديد فى سجل شعراء الغزل ...

ولما حظيتُ بنشر شعرى فى (الأهرام) منذ سنة ١٩٢٧ تحت لقب : « شاعر - الأهرام » ، كان شيخنا « القاياتى » ينشر شعره فى الأهرام أيضا تحت توقيع (حسن القاياتى . السكرية) ، وهو الحى الذى كان يسكنه قريبا من ميدان باب الخلق . ولم يثنه عمله بالمجمع عن نشر الشعر - وخاصة المقطعات - فى صحف ذلك العهد . ومن أوائله أنه كان من شعراء الحرب السابقين إلى وصف المخترعات الحديثة مثل التليفون ، والتصوير الفوتوغرافى ، والمركبات التى تتهاذى فى الجزيرة بالبحسان والفونوغراف الذى أسماه : (مسمعة الغناء) ، ولكنه سُمى (الحاكى) بعد ذلك ... ومن رقيق شعره فى المركبات والاحسان الراكبات فيها قوله :

تملك ظيُّ	بالجزيرة	لُبَّهُ	فما عتبُهُ	والمالك القلب غالبُهُ
مراكب مثلُ	السحب خيَّبن	ظَنَّهُ	ذواهب عدواً .	أبسخلُ الغيم ذاهبُهُ
تعلنَ لمن	يُلقي شباك	لحاظِهِ	رؤيدك ! لا يقتلك	ما أنت ناصبُهُ !
يطأَنَّ الثرى	لينا ، فلو كان	وقعها	على زئبق غصَّ	لما ارتجَّ ذائبُهُ ..

وقد جمع « القاياتى » بين أناقة المظهر وأناقة الشعر . وهو تأنق لم ألقه إلا فى الشاعر « محمد الأسمر » . وكان على عفة لسانه فى الحديث هجاءً مفحشاً فى الشعر . ولم يكن ذلك لطبع فيه ، وإنما كان يصنعه على سبيل (رياضة النفس) كما يقول فى ديوانه ، وكما كان يفعل كبار الشعراء قبيل عهده من أمثال البارودى ، وإسماعيل صبرى . ولم يقف القاياتى - ولو مرة واحدة - على منبر المجمع ليلقى شعراً كما كان يصنع « على الجارم » و « عباس العقاد » ، و « عزيز أباطة » .

ويدخل معنا في مجال الشعر الرصين الدكتور « عبد الوهاب عزام » . ولكن لشعر عزام مذاقا خاصا وجوا خاصا وفكرا خاصا ؛ تأثر فيه بدراسته للشعر الفارسي والتركي . فقد ترجم « بياض مشرق » لمحمد إقبال عن الفارسية ، كما ترجم له « ضرب الكلیم » ، وديوان « الأسرار والرموز » . وعلى الرغم من صلات « عزام » بالمجتمع ، وخاصة في أثناء اشتغاله بالسلك السياسي ، فإننا لا نراه شاعر مناسبات على الإطلاق، بل نراه وقد غمر نفسه في لجج التصوف والفكر العربي الإسلامي . وحين أصدر ديوانه : (المثنى) سنة ١٩٥٤ قدّم له العقاد بمقدمة واعية توضح ما بين التصوف وبين السياسة في أشرف معانيها من روابط . وتصوّف « عزام » لا ينعزل عن الحياة ولا يهرب من غمراتها ، وفي الوقت نفسه لا ينكص عن المعالي ، بل يجعلها سلما إلى حياة فاضلة . . . وكل رباعيات « عزام » و « مثنويه » من البحر الخفيف ، إلا الرباعية الثالثة ، والرابعة فهما من « الرمل » . ولعله اختار الخفيف لسهولة تقليب المعاني عليه . وتكشف لنا الرباعية التاسعة عن بواعث الشعر الظاهرة والخفية التي لا يحيط بها الشاعر :

ينبع الشعر والشواغل شتى كأنبجاس المياه بين الرمال
تُبصِرُ الماء صافيا لست تدري كم فيافٍ سرى بها وجهال !

و « عزام » مثل « حسن القاياتي » لم يشترك في مناسبة واحدة من مناسبات المجمع بقصيد أو ببعض القصيد .

ومن شعراء المجمع حفنة كريمة لم يهتم واحد منهم بجمع شعره ، أو صنعه في ديوان أو أكثر ، كما صنع « علي الجارم » و « العقاد » ، و « عزيز أباظة » ، وحتى (المازني) الذي زهد في الشعر بعد جمعه شعره في الجزأين الأولين منه . . . ومن هذه الحفنة « طه حسين » ، و « مصطفى عبد الرازق » ، و « الفاضل بن عاشور التونسي » ، و « عبد الفتاح الصعيدي » والدكتور « إسحاق موسى الحسيني »

يمثل فلسطين ورمزها الخالد في مجمع الخالدين .. وقد كان طه حسين ينظم شعراً تقليدياً بحسن الصياغة ، وينشره في العقد الأول من هذا القرن في صحافة ذلك العهد . كقصيدته التي نشرها سنة ١٩٠٩ مخاطباً الإنجليز :

تيمّموا غير وادى النيل وانتجعوا فليس في مصر للأطماع متسع
كفّوا مطامعكم عنا ! أليس لكم ممّا جنيتم وما تجنونه شبع ؟

ولكنه ترك نظم الشعر جملةً ، وإن كان قد تناوله بالعرض والنقد والدراسة والتحليل بعد ذلك ، كما فعل في « حديث الأربعاء » ، و « من حديث الشعر والنثر » و « حافظ وشوقي » ، و « مع المتنبي » وغيرها . وظل حب طه حسين للشعر يتمثل في رواية البيت أو الأبيات المؤثرة في مواطن الاستشهاد .

أما الشيخ « مصطفى عبد الرازق » فكان يقرض الشعر في شبابه ، كتهنئته لأستاذه الشيخ محمد عبده التي نشرت في « المنار » سنة ١٩٠٣ ، ومرثيته لوالده حسن باشا عبد الرازق سنة ١٩٠٧ . وقد كان شعره واعداً بمستقبل عظيم ، لولا أنه انصرف عنه في أثناء طلبه العلم بفرنسا ؛ ولما كتب إليه شقيقه (علي) يسأله عما صرفه عن الشعر أجابه قائلاً : (إننا شغلنا هنا بالحقيقة عن الخيال ...) .

أما « الفاضل بن عاشور » فكان ينظم الشعر ، ويعمل الأناشيد استجابة لدواع وطنية وقومية عالية حتى سنة ١٩٣٩ ، ولكنه انصرف عنه كما جاء في كتابه : (تراجم الأعلام) المطبوع بتونس - سنة ١٩٧٠ م . ويتواضع ابن عاشور فيقول رحمه الله : (ولست مدعياً أني شاعر ، وإن تعاطيت نظم مقاطيع وقصائد كنت راضياً عن بعضها أحياناً) ...

أما « عبد الفتاح الصعيدي » فكان فيه قدرة على نظم الشعر ، وإن كانت الموهبة لم تتجل فيه واضحة كشعراء المجمع الآخرين^{٢٩} ... وحين تغلبه المناسبة كان يستجيب للشاعرية الكامنة فيه . ولعل داليته التي ألقاها في مؤتمر المجمع ببغداد سنة ١٩٦٥ هي الأثر الباقي من أشعاره ...

والذى أعرفه من صديقى وجارى فى مؤتمرات المجمع الدكتور « إسحاق موسى الحسينى » أنه شاعر وإن كان مقلاً . وفيه قدرة على الارتجال حين يقتضيه الموقف . ففى مؤتمر الدورة السادسة والأربعين لسنة ١٩٨٠ رأيت يستعير قلماً ويسجل على ورقة كانت معه أبياتاً حضرته بمناسبة ختم أعمال المؤتمر ، وإذا به يلقيها علينا فى تأثر عميق ، لغياب بعض إخواننا العرب عن شهود لقائنا قائلاً :

فى كل عام لنا فى مصر مأدبة غنية بغذاء الروح والجسد
فلتبقي مصر على الأيام شامخة تزداد فخراً بلاحد ولاعد
وليبقى مجمعنا للعرب مئذنة تداع من فوقها الفصحى إلى الأبد

وأذكر من شعره الوطنى الرائع قوله :

أحبيب بلادك واعشق ريح تربتها فالروح من روحها والجسم من تُرب
طوفت فى الأرض لم أعثر على بلد يحكى محاسنها فى الشرق والغرب

سادتى : كنت قد أسلفت القول عن مدرسة أسماها العقاد : (مدرسة دار العلوم أو مدرسة الدراعمة) فى معرض تقديمه لديوان « سبحات الخيال » لعلى الجارم . وقد رأيت من باب الوفاء للحق أن أشير هنا إلى ثلاثة من أعلام هذه المدرسة ، يسمعون أن أجىء تالياً لهم ، وأن أكون رابعهم . وهم : على الجندى ، ومحمد خلف الله أحمد ، رحمهما الله ، والدكتور محمد مهدي علام بارك الله فى عمره .

ولقد كان « على الجندى » شاعراً من رأسه إلى قدمه ، وكان يتميز بالأسلوب الناصع والديباجة المشرقة . وقد أعانته كثرة محفوظه من الأدب العربى ، وقوة حافظته أن يدير الأفكار والمعانى فى شعره على أفانين من القول ، فلا تخطئه عبارة ، ولا يخونه استعمال ، ولا تعز عليه قافية . وأماى وأنا أكتب هذا البحث دواوينه الثلاثة : أغاريد السحر ، وألحان الأصيل ، وترانيم الليل ، وكلها تدل على شاعرية محلقة ، وأستاذية فى الشعر متمكنة . والحق أن على الجندى كان

شاعراً في مشيئته ، وفي حركاته ، وفي نبضه ، وفي نطقه . والحق أن الاستشهاد بشعره هنا هو عمل شاق محير ، فالمرء يتحير أي شعر يأخذ ، وأيّه يدع .

ولكن الذي يحضرنى هو قصيدته « صورة الرحمة » التي صنعها وقدمها إلى الطبيب الجراحى الدكتور « ألبرت دوس » حينما تولى علاج ابنته (خالدة) فكتب لها الله الشفاء على يديه ، وفيها يقول :

ففى الطب ! صُنْعُكَ لَا يُكْفَرُ	لدىّ وفضلك لَا يُنْكَرُ
أَحْطَتْ ابْنَتِي بِضُرُوبِ الْحَنَانِ	وَرَحَّتْ عَلَى عَمَرِهَا تَسْهَرُ
وَكُنْتُ لَهَا فَوْقَ مَا يَرْتَجَى	مَنْ الْوَالِدُ الْوَلَدُ الْأَصْغَرُ
فَأَنْقَذْتَهَا وَالرَّدَى نَاشِبُ	بِمَهْجَتِهَا ظَفَرُهُ الْأَحْمَرُ
وَأَنْقَذْتَ نَفْسِي بِإِنْقَاذِهَا	وَأَنْتَ بِحَبِي لَهَا أَخِيرُ
وَأَوْلَادُنَا ثَمَرَاتُ الْفَوَادِ	بِهِمْ عَيْشُنَا نَاعِمٌ أَخْضَرُ
أَجَىءُ إِلَيْكَ مُعْنَى الْحَشَا	وَدَمْعِي عَلَى وَجْنَتِي يَقْطُرُ
وَأَرْجِعُ وَالنَّفْسُ رِيَانَةٌ	سَرُورًا ، وَوَجْهِي مُسْتَبْشِرُ
شَكَرْنَا « لِأَلْبَرْت » مَعْرُوفَهُ	وَمَعْرُوفَهُ عِنْدَنَا يُشْكِرُ
ثَنَائِي عَلَيْهِ ثَنَاءُ الرِّيَاضِ	تَعَهَّدَهَا الْعَارِضُ الْمَطَرُ
يَقْدِمُ الشَّعْرَ أَمْدَاحَهُ	وَقَلَّ لَهُ الْبَدْرُ وَالْجَوْهَرُ

ولا أذكر بعد هذا شيئاً من شعر على الجندي ، فكل شعره حرى أن يذكر ، وألا يتطرق إليه إغفال أو نسيان ، ولكن الذى أذكره أننى فى يوم تأبينه بالمجمع سنة ١٩٦٣ رثيته بقصيدة باكية ، منعته من إلقائها علّة حسبتها القاضية ، وتفضل بإلقائها نيابة عنى الزميل الكريم الأستاذ محمد شوقى أمين ، بارك الله فى عمره ، ولم أكن يومئذ قد ظفرت بشرف الانتماء إلى مجمع الخالدين .

أما العضوان محمد خلف الله ، والدكتور مهدي علام فلم يهتمّا بجمع أشعارهما في ديوان . وبائية خلف الله التي نظمها وألقاها في حفل توديعه سنة ١٩٢٩ - بمناسبة سفره في بعثة علمية إلى إنجلترا تعد من روائع بواكيره التي أكدت شاعريته ، وإن كانت سبقتها قصيدته اللامية في يوبيل دار العلوم سنة ١٩٢٧ ، والتي مطلعها :

ملكتم زمام القول والجمع حافل فهل بعدكم يختال بالقول قائل .

وقد كان خلف الله يتسلى بنظم الشعر بعد ذلك ، ولكنه لم يشتغل به كما فعل الدراعمة الشعراء من أمثال محمود غنيم ، وعلى عبد العظيم ، وعبد العزيز عتيق ، وفايد العمروسي ... وكان يستجيب للمناسبة حين تدعوه . فحين نشرت مجلة الثقافة سنة ١٩٨٢ أبيات أستاذي الدكتور مهدي علام ، وأبياتي في حادثة تبادل معطفينا على سبيل الغلط ، إثر رحلة من رحلات المؤتمر إلى السويس ، رأينا خلف الله - وهو حبيس العلة في منزله بالشجر الإسكندري - يدخل المداعبة الشعرية بيني وبين الدكتور مهدي بقصيدة أسماها « حاشية المعطفين » . نشرها « ... » ، وخلع علينا من فضله ما شاء أن يخلع .

وللدكتور مهدي علام أشعار ومقطوعات ومطارحات شعرية دار بعضها بينه وبينى . ولن أجزى لنفسى نشرها إلا إذا أذن لي بذلك . وباليته يجمع شعره المبعثر ويصنع ديوانه على عينه وفي حياته المباركة . وحين يدعى الدكتور مهدي إلى الشعر لا يصرفه عنه صراف ، فهو سريع التلبية لندائه ... وتلك كانت وسياتي لاستدراجه لنظم الشعر . ومن ذلك ما صنعه حين أهديت إليه نسخة (وحيدة) باقية من ديواني الثاني : (من نبع الحياة) وكانت ممزقة الغلاف . فلم أجد بداً من إهدائها مصحوبة باعتذارى في شعر دعائي ، فما كان منه إلا أن رد عليّ بأبياتٍ كريمةٍ جاء فيها قوله :

إذا اعتذرت عن التمزيق في ورق فذا غلاف للب صين في صحف
والتبر في تربه كنز يقدره العارفو فضله من أقدم السلف
إن النضار إذا ما شابه صمداً ما زال معسده رمزاً على الترف

وللدكتور مهدي علام قدرة فائقة على ارتجال الشعر حين تدعو المناسبة. وهنا تسعفه البديهة الحاضرة بما لا تُمدّه به الروية والإعمال. ولعل من مرتجلاته اللطيفة ما نظمه في أول جلسة عقدت لممثلي جامعات الجمهورية العربية المتحدة من الإقليمين الشمالي والجنوبي، وكانت ساعة جامعة القاهرة - في خلال انعقاد الجلسة - تنغم الأجراس ثم تدقُّ كل ربع ساعة دقائق يعاود صوتها على أصوات المجتمعين ، فأوحت إليه المناسبة على الفور بالأبيات التالية :

ساعةٌ قد رُكِّبت من فوقنا ما تنبئ في دقِّها أو تسكتُ
كلما دار حديثٌ بيننا دقت الساعة دقًّا يُعْنِتُ
وإذا ما قال عضو كلمةً كادت الكلمة منا تفلت
صوتها يعاود على أصواتنا فكأننا قد جلسنا نُنصت !
أنكرُ الأصوات صوت العير.. بل أنكرُ الأصوات هذي الساعة !

ومن أجمل شعر « الروية » عند الدكتور مهدي علام قصيدته الياثية التي استقبل بها مولد ولده الدكتور حسام الدين سنة ١٩٣٤ والتي يقول فيها :

في انبلاج النهار أشرقَت ياطف لي ، كما يُشرق الضياءُ حيًّا
مثل عُمر النهار في الصُّبح تبدو ثم تنمو مع النهار فتبدا
تقطع الليل ، والنهار ، وتبقى في بُرود الصُّبى غلامًا زكيًا

بقي أن نستكمل الجولة مع بعض زملائنا الشعراء في العالم العربي الواسع ... ففي المغرب نجد الأستاذ « عبد الله كنون » يصدر مجموعته الشعرية الأولى : (أ) (لوحات شعرية) سنة ١٩٦٦ ، ثم يتبعها بعد ذلك بمجموعته : (إيقاعات الهموم) التي صدرت سنة ١٤٠١ هـ . وفي الأولى مشنويات حكمية تذكرنا بمثنائي « عبد الوهاب عزام » الصوفية . وقد عالج فيها بعض الشعر الحر ، مع ما نعهده من روح المحافظة عنده ، لعله يثبت مقدرته على خوض كل ميدان جديد .. وفي مجموعته الثانية شعر ديني ،

وشعر للأطفال ، وتأملات في الحياة حتى ولو كانت من وحي المقابر ... ومن
السودان الشقيق نستقبل « أصدقاء النيل » و « أغاني الأصيل » من شعر الزميل
« عبد الله الطيب » . ويبدو صاحبنا نافرًا من الناس مستوحشًا منهم ، كأنه يطوى
الضلوع على حذر وحزن عميق ، وإن كان يجد في الكتاب عونًا على نوب الزمان
حيث يقول :

فزعت إلى « الكتاب » ، فكان عوني على الأيام والنوب الصّعب
وألقيتُ الكتاب يسألوحُ منه جبينُ الله في الظلم الرّهاب
كتوم السر مطوى حشاه على مثل ابتهاجي واكتشائي

ومن العراق يطالعنا الزميل الشاعر « محمد رضا الشبيبي » سنة ١٩٤٠ بديوانه
الذي صدر عن لجنة التأليف والترجمة بمصر سنة ١٩٤٠ . وشعر الشبيبي مملوء
بالوطنيات ، والحكم ، والشعر الاجتماعي ، والأخلاقيات والوجدانيات والوصف
والرثاء . كما يطالعنا الأستاذ « محمد بهجة الأثري » بديوانه (ملاحم وأزهار)
الذي طبع في مصر سنة ١٩٧٤ . ولعل قصيدته : (الشعر) تكشف لنا عن مفهومه
له حيث يقول :

ابن الحقيقة ، والحقيقة نهجه والصدق في أرب الحياة خدينه
العبقريّة نبعه ، والبابلية -ة دنه ، وهوى المحبة دينه

ولا يزال علامتنا الأثري ينظم الشعر حتى اليوم ، ولاننسى قصيدته الرائعة التي
ألقاها في مؤتمر الدورة الماضية : التاسعة والأربعين . ولانعرف للدكتور « عبد الرزاق
محي الدين » ديوانًا مطبوعًا ، وإن كنا نعرف عنه الشاعرية الحق أيام الزمالة
والطلاب في دار العلوم . ولعل آخر شعر قاله هو مرثيته التي نظمها في تأبين الدكتور
طه حسين بجمعنا (ديسمبر سنة ١٩٧٣) وقد اعتذر فيها بأنه ترك نظم الشعر منذ
سنتين عديدة، ولكنه عاد لينظم رثاءً شعرياً. لطه جنين . (لأن الشعر مدين لطه جنين
دينًا لا يُنسى ...) كما يقول . ثم جاء أخيرًا ليمتعنا بقصيدته اليوبيلية العامرة .

بقى لنا من أرض العروبة لبنان وسورية . وإذا كان «لغزام» و«عبد الله كنون»
مثنائي ومثنويات ، ولغيرهما رباعيات ، فلم لا يكون للبنان (سداسيات) ينظرها
الدكتور « عمر فروخ » ؟ وعمر في ديوانه البديع : (فجر وشفق) الصادر عن
بيروت سنة ١٩٨١ - عربي صميم ، ومسلم صادق اليقين ، ومؤرخ واع ، وإنسان
يفيض بالعاطفة الصادقة والشعور الرقيق ، وشاعر محلق ، ومداعب فكاهة خفيف
الروح .. وهو في غزله عفو الضمير والنظر . وقصيدته (فلانة) تدل على ذلك .
وهي تذوب رقة ، ولولا أنه نظمها سنة ١٩٤٨ لقلنا : شيخ نصابي !! (ديوانه
ص ١٧٢) .

أما الدكتور « أمجد الطرابلسي » فهو من شعراء سورية المحلقين ، ولشعره نغمة
عذبة مع علو الأسلوب وعمق الفكرة . وآخر شعره ما نظمته وأنشده في باريس
سنة ١٩٨٢ على قبر زميله وصديقه الدكتور « حكمت هاشم » مدير جامعة دمشق
سابقاً وغضبو مجملها اللغوي ، حيث قال :

أتيتُ « يا حكمة » أبكى ودك أذكر عهدى ههنا وعهدك
أبكى علينا ، لا عليك وحسبك ههنا مصيرى يا أخى بعهدك
من يا ترى إذا قصدت قصيدك يذكر لحدى ، أوزير لحدك ؟

وما دمننا قد تحدثنا هنا عن زميلنا الشاعر المراسل الدكتور « أمجد الطرابلسي » ،
فلابد لنا من الحديث عن اثنين من السعوديين ، وثالث من العراق . فالشاعر حسن
عبد الله القرشي قد ازدحمت علينا نفحات شعره الرقيق الذى يمثل نفحات الجزيرة
العربية ورياحها العطر . والحق أن القرشي جعلنا دائماً من شعره في زحام . ويشهد
بذلك ديوانه : (زحام الأشواق) . وقد يظن أن الأشواق هنا تمثل الشوق إلى المحبوب
وحده مادام الناس قد انصرفوا إلى هذا المعنى . ولكن شاعرنا يؤكد أن مجموعته تمثل
ألواناً من الأشواق المتراكمة .. كالشوق إلى المجهول ، والشوق إلى الحقيقة ، والشوق
إلى تغيير الواقع المرير ، الذى يعيشه العرب اليوم ، والشوق إلى مستقبل أفضل
للإنسانية :

وإذا كنا نترك للقمرشى أشواقه إلى المحبوب وحده لينعم في رياض الحب كما
يشاء ، فإننا لا نجد مفرًا من أن نشترك معه في ندائه للوطن العربي الكبير ، حيث
يقول والأمل يملؤه :^١

يا وطني الباكى ! يا وطني العربي المطرق فوق الجرح

انهض لا تمكث مهمومًا ، يا وطني سوف يجيء الصبح

أما زميلنا الأديب السعودي الكبير عبد الله بن خميس ، فقد عرفناه فوق
كتبه ودراساته الأدبية الجادة شاعرًا يذكرنا بنفحات نجد. والحق أن فيه من صفاء
البادية وكرم طباعها شيئًا كثيرًا.. وعلى الرغم من غزلياته في قصائده : حنين ،
نجل العيون ، وبلابل الروض ، وباليثني ، وغيرها مما نظم في عهود الشباب الزاهرة ،
وضر الله أيامها ، فإن مقارعة الأيام علمته أن يطوى أحناؤه على انتفاضة أمل كبير
في العروبة ، حيث يقول في ديوانه الرقيق : (على ربي اليامة) :

يقول تاريخنا : هل أنتم عرب وهل نتمكم إلى أذوائها مضر؟

وما علمنا بأن الغيب يرقبنا في موعد عنده البركان ينفجر

يسأني على البغي إربي في ضراوته فيستبيه ، ولا يبقى ولا يذر

أما زميلنا العضو العراقي العامل بجمع العراق الدكتور يوسف عز الدين فيمثل
الإنسان الطيب الصابر ، الذي تتألق البسمة على شفثيه وفي قلبه جرح عميق ..
وتمثل دواوينه وخاصة (في ضمير الزمن) و (لهاث الحياة) لوحة شعرية صادقة
من حياته ، أتمها بكتابه : (من رحلة الحياة) . وإذا كان شعره يعكس حبه العميق
للناس فإنه قد أكد هذا المعنى بقوله في مقدمة كتابه هذا : (أنا أحب الناس ، وما دخل
قلبي بغض لأحد منهم .. إني أحاول أن أعوض بحبي للناس وخدمتهم ما فقدته من
حنان المجتمع ، وبر الحياة . وما كرهت شيئًا في حياتي لأن الكراهية مرض يفتك
بالنفوس ...) .

وإذا كان لطابع الحزن والألم في شعر الدكتور يوسف عز الدين أسباب اجتماعية ومعاشية ذكرها هو بصراحة حبيبة في دواوينه وكتبه ، فإنه مع ذلك متفائل مملوء بالأمل كما يقول في مقطوعته : حياتي ، من ديوانه : « لهاث الحياة » :

سَأَصْمُدُّ ، لَا تَلْدَى أَخَاكَ حَوَادِثُ أَقْبَلُ آلاَمِي بِكُلِّ حَنَّانٍ

وَأَمْسَحُ جُرْحِي بِاسْمِافِي سَعَادَةٍ وَأَهْزَأُ مِنْ دَهْرِي وَصَرَفِ زَمَانِي

وكما اجتمع المهندس الشاعر على محمود طه ، والطبيب الشاعر إبراهيم ناجي منذ عقود من السنين على ساحة الشعر الرومانطيقى ، اجتمع الشاعر المهندس الدكتور « إبراهيم الدمرداش » . والشاعر الطبيب الدكتور « حسن على إبراهيم » اليوم في مجمعنا على ساحة القريض التقليدى المحافظ . ولا تزال مرأى الدكتور الدمرداش للراحلين من زملائنا ترن في آذاننا . ومنها مراثيه للأساتذة الراحلين : زكى المهندس وإبراهيم أنيس ، وعباس حسن ، ومحمد خلف الله ، وبدر الدين أبو غازى . كما لا تزال نفحات من قصيدة الدكتور « حسن إبراهيم » في وقفته أمام قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقصيدته الأخرى في الروح تهب علينا رقيقة ، فتحملنا إلى عوالم من الإيمان والاطمئنان .

وإذا كان الحب هو الخيط الذى يجمع بين الحياة والشعراء جملة ، فإننا لا نجد شاعراً واحداً من شعراء مجمعنا تخلى عن الحب ، أو خلا ديوانه من أحرف الحب ، حتى عند شيخنا « محمد الخضر حسين » الذى تجلت آيات حبه في مرثيته الحزينة لزوجته التى اختارها الله إلى جواره عقب توليه مشيخة الأزهر... ولكن أوضح وأجهر ما بدا « الحب » عند زميلنا وصديقنا الشاعر الدكتور محمد محمود الصياد في ديوانه (ثم جاء الخريف) الذى صدر عن بيروت من عهد غير بعيد ويشيع الحب في ديوان الصياد من أوله إلى آخره ، حتى كاد الكتاب يكون غزلاً كله ، إلا مرثية واحدة لصديق ، وقصيدة بعنوان : فى قرىتى ، وهى صورة بارعة ناطقة القرية المصرية ، ومحاسن الطبيعة فيها . وأحاديث أهلها وأسماهم ، وصور الفقير ، والجهل فيهم .

وبا أصدقته وهو يقول :

وقرية في صميم الريف هانئة من حولها عزبٌ شتّى وغيطان
سمراء هادئة الأركان تحسدها مدائن هي للضوضاء ميدان
فقيرة ليس فيها للغنى أثر لكن لها بكفاح القوم غنيان
دخلتها وشعاع الشمس ممتقع كأنه عاشق أحبابه بانوا ...

ويبدو لنا « الصياد » في ديوانه هذا مصراً على الحب ، عازماً على عدم التوبة
من الحب ؛ كما تكشف عن ذلك قصيدته : (لن أتوب) التي يقول فيها :

عُدُّوا على مآثمي عُدُّوا أنا ما ارتويتُ من الهوى بعدُ
سأعيشُ أنهلُ من منابعه حتى يضمَّ رفاتي اللحد ...

وصدق الدكتور الصياد ما وعد ! فقد ظل ينهل من ينابيع الحب ، وظل يروينا
من أصفى منابعه ، إلى أن اختاره الله إليه ، وهو ما يزال ظمآن إلى الحب الواسع
العريض الذي لم يسعفه به غرور الحياة ... !

سادتي : بقي من شعراء المجمع أربعة ، رأينا من عدم الإنصاف للعلم والحق
ألا نلّم بهم ، ونحن على يقين أنهم عالجوا الشعروا أكثروا من نظمه ، بل كان لبعضهم
ديوان مطبوع ، ول بعضهم ديوان مخطوط . لقد كان عبد العزيز فهمي
باشاعراً قادراً متمكناً من الشعر الجيد وله فيه مآثورات . وديوانه مخطوط . جمعه
أحد مريديه ، ولكن عناية الله لم تدركه بالطبع . كما كان الشيخ حسين والي
معروفاً بالشعر الجزل الشديد الأسر ، واشتهر فوق ذلك بالشعر التاريخي ، وأل التاريخ
الشعري ، الذي كان يبنيه على التاريخين الهجري والميلادي ، فيلزمه التوفيق
في إصابة التاريخ ، مع إجادة التعبير ، وله فيه ديوان (عصا موسى) .

أما ثالث الأربعة فهو الأستاذ أنيس المقدسي ، وقد كان ينظم الشعر العربي الرصين ، والشعر المترجم عن الإنجليزية ، مع التزام الدقة وعدم البعد عن الأصل . وله ديوان لا يزال مخطوطاً .

أما رابع الأربعة فهو الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف ، وكان ينظم الشعر ويتسلى به في كثير من الظروف ، وله فيه مداعبات ومطارحات ، ويكفيه يداً على الشعر العربي أنه والد الشعراء المهجريين الثلاثة : فوزي ، وشفيق ، ورياض . وله في رثاء (فوزي) المعروف بشاعر الطيارة ، قصيدة مطولة يقول فيها :

وقفننا لفوزي كل ما كان عندنا من الأمل البسائي بمسماه مجدنا
وقد نقض الدهر المروع عهدنا يقول خليلي : كيف صبرك بعدنا ؟
فقلت : وهل صبر فيُسأل عن كيف ؟

بقي واحد من شعراء المجمع فاجأنا بالأمس بقصيدة رائية جميلة نظمها ، وألقاها علينا صباح الثلاثاء بمناسبة العيد الخمسيني للمجمع هو الزميل الدكتور إبراهيم السامرائي . وقد علق بحافظتي بيت من أبيات رائيته الرقيقة هو قوله :

أسلية الأمجاد معذرة أن قد تخلف عني الشعر

وليسمح لي الصديق « السامرائي » اللغوي الشاعر ، أن أقول : إن الشعر ، لم يتخلف عنه ، ولم تفارقه الشاعرية منذ أن أبدعها الله فيه ... ولكنه هو الذي قصده - باختياره - أن يتخلف عن الشعر ويتركه انصرافاً منه إلى البحث اللغوي الذي عرفناه منه في دراساته اللغوية الجادة .

أما وقد جذبه يوبيل المجمع إلى خميلة الشعر فنحن ننتظر منه كل رائع وجميل .
واعل من باب « الشيء بالشيء يذكر » أن نستطرد فنقول : إنه عندما احتفل في مدينة زحلة اللبنانية سنة ١٩٣٧ بإزاحة الستار عن تمثال فوزي المعلوف شاعر ملحمة « على بساط الرياح » ، حضر أخوه الشاعر شفيق معلوف صاحب ملحمة (عبقر)

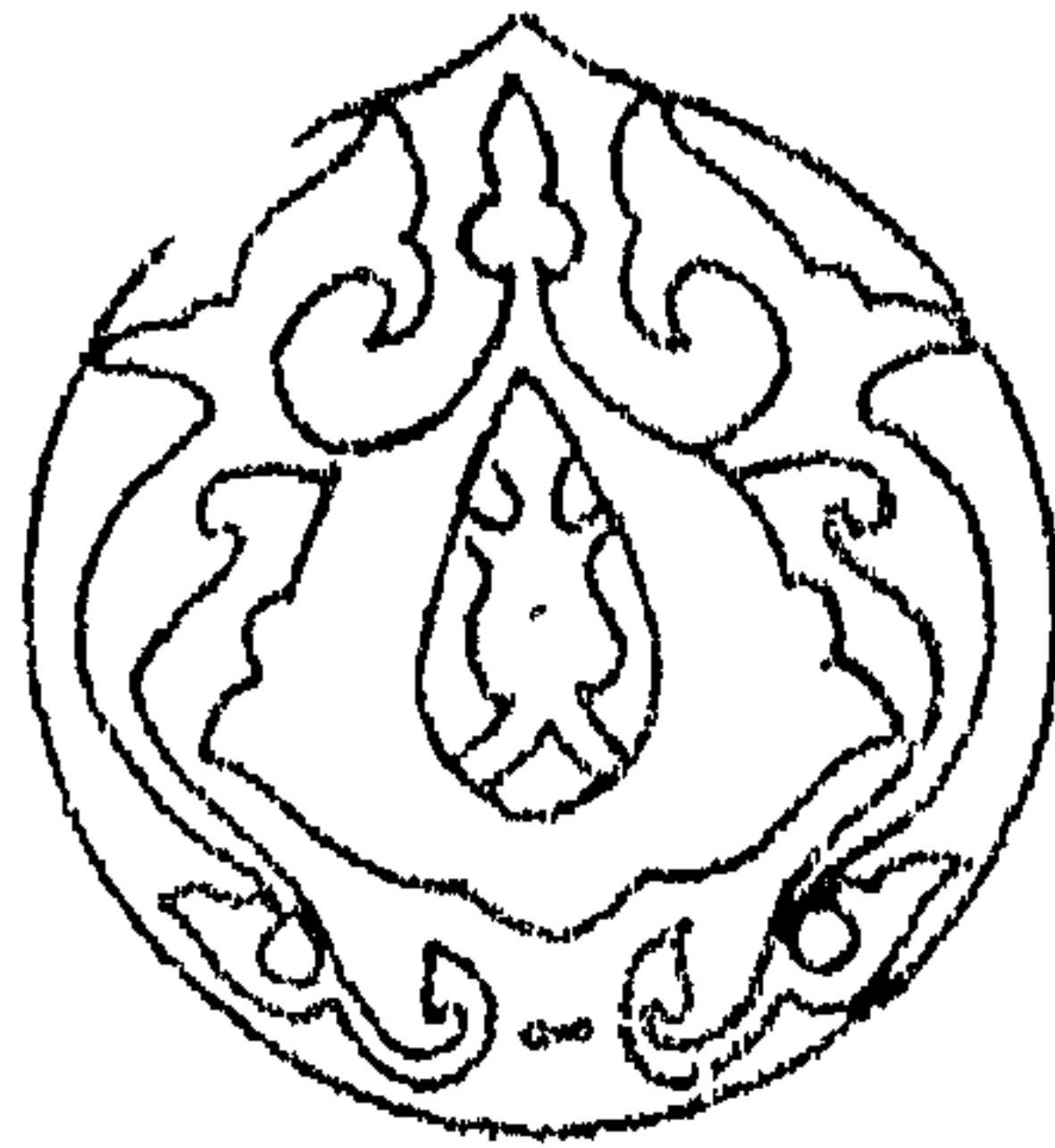
من البرازيل نَحْصِيَّةٌ لهذه المناسبة ليشهد حفل إزاحة الستار عن تمثال أخيه ، ووجه الخطاب إلى تمثال شقيقته قائلاً من مقطوعة مؤثرة رقيقة :

فوزى ! ومالى فى الخطوب يدان ما هكذا الأخوان يلتقيان
قَرَّبْتُ صَدْرِي لِلْعِشَاقِ ، فلم أَقْعْ إِلَّا على حَجَرٍ من الصوان

وبعد : فيخجلنى أن أقف هنا ، وفي ختام كلمتى مرتجلاً عن أخى وصديقى الشاعر الأردنى الدكتور ناصر الدين الأسد ، وهو شاعر فحل ، ولكنى لسوء الحظ افتقدت شعره كله ، فلم يجمع كما أعلم فى ديوان ، وقد سبق أن ألقى قصيدة فى تونس منذ أعوام ، وكانت رائعة من روائعه ، وضاعت القصيدة . ولكنه هو لم يضع ؛ لأن مكانته عنده وعند أدباء العربية ونقادها لاتزال محفوظة ومذكورة .

وبعد : فهؤلاء هم شعرائه مجمع الخالدين بمصر ، على اختلاف مذاهبهم فى الشعر ، وفى الخيال والوجدان ، والأداء ، والأسلوب .. وقد أربوا على الثلاثين شاعراً ، وأرجو ألا يكون أفلت منى شاعر مجدى ، وإلا فإن ذلك غير مقصود ولا متعمد ، فإنما الأعمال بالنيات ، والعصمة لله وحده .

محمد عبد الفنى حسن
مضو المجمع



نحية لمجمع اللغة العربية وتخصته بعيد الزهبي للدكتور عبد الله الطيب

مَضَى عَلَى مَجْمَعِ الضَّمَا دِ نِصْفِ قَرْنٍ فَحَيُّوا
خَمْسُونَ عَامًا تَصَرُّمٌ نَ وَهُوَ بَعْدُ صَبِيٌّ
يَقُولُ إِنِّي بَدَأْتُ أَلَا مَسِيرَ نِعَمِ الْمَضَى
إِنَّ التَّخْلُفَ عَارٌ إِذَا الْعُقُولُ الْمَطَى
خَمْسُونَ عَامًا تَصَرُّمٌ نَ سَيْرَهَا جُلْدِي^(١)
أَحْيَا الْفَصِيحَةَ فِيهِ نَ جُهْدُهُ الْمَرْخَى
وَقَدْ أَطْلَ عَلَى النَّيْبِ لَ عِيْدُهُ الدَّهْبِيُّ
وَغَابَ عَنْهُ رَجَالٌ مَا الدَّمْعُ فِيهِمْ عَصِيٌّ
وَلِلْمَنْزَايَا بِهِمْ هَامٌ تَرْفِي وَنَحْنُ الرَّمَى
كَانُوا نَجُومًا هِدَاةً إِذْ لَيْلُنَا نَابِغِيٌّ
لَمَّا نَعُوا لِي أَنْيَسًا كَمْ حَزَّ ذَاكَ النَّعْيُ
هَمِي عَلَيْهِمْ سَحَابٌ مِنْ رَحْمَةٍ سَرْمَدِي^(٢)

* * *

(*) أُلْقِيَتِ الْقَصِيدَةُ فِي الْجُلُوسَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْإِحْتِفَالِ بِالْعِيدِ الْخَمْسِيْنِيِّ لِلْمَجْمَعِ

(١) الْجُلْدِيُّ بِضَمِّ الْجِيمِ وَكَوْنِ اللَّامِ أَيْ سِيرَةُ الشَّدِيدِ

(٢) الدُّكْتُورُ إِبْرَاهِيمُ أَنْيَسٌ عَضُو الْمَجْمَعِ رَحِمَهُ اللَّهُ .

بِالضَّيَادِ تَعْتَزُّ مِصْرُ^١ وَشَعْبُهَا الْعَرَبِيُّ^٢
 وَلَنْ يَزَالَ لِابْنِ مِصْرٍ^٣ لِلضَّيَادِ حِزْبٌ وَفِي^٤
 وَلِلْجُنْدِيِّ رُكْنٌ^٥ فِي أَرْضِ مِصْرَ قَوًى^٦
 وَالنَّيْلُ مِنْ جَنَّةِ الْ- خُلْدِ مَاوَهُ الْكَوْثَرِيُّ^٧

* * *

قَدْ هَيَّجَ الشُّعْرَ هَذَا الْ- لِقَاءُ^١ وَهُوَ حَرِيٌّ^٢
 إِذْ هَزَّ أَعْمَاقَ نَفْسِي^٣ مَجَالَهُ الْفِكْرِيُّ^٤
 وَالشُّعْرُ وَالْفِكْرُ صِينُوا^٥ نَ قَدْ قَضَى الطَّائِي^٦
 وَصَاحِبِي مِنْ بَنِي الْحِجْنِ^٧ نَ مُسْلِمٌ سِنِي^٨
 تَلَا بِحَرْفِ الْيَزِيدِ^٩ يَ مَارَوِي الدُّورِيُّ^{١٠} (٤)
 وَالْأَرْبَعِينَ حَدِيثًا^{١١} وَمَذْهَبُ مَالِكِي^{١٢}
 وَسَمَّاكَ بِجُنَيْدٍ^{١٣} وَعَقْدُهُ أَشْعَرِي^{١٤}
 وَفِي السِّيَاسَةِ عِنْدِي^{١٥} طَرِيقُهُ مُرْجِي^{١٦}
 وَقَدْ يُشَارِكُ فِي النَّقْدِ^{١٧} إِذْ إِيَّاهُ تَحْلِي^{١٨}
 وَلَمْ يَغِبْ عَنْهُ فِي النَّقْدِ^{١٩} إِذْ مَذْهَبُ بِنِي^{٢٠} (٥)
 نِعْمَ السَّرِّيُّ^{٢١} وَمَا ذُمْ^{٢٢} مَ فِي الْقَرِيضِ الرَّثِي^{٢٣}

* * *

(٣) الطائي هو أبو تمام وقال في الشعر ولكنه صوب المقول ، وقال خذها ابنة الفكر.

(٤) يحيى الزبيدي عن أبي عمر وابن العلاء أحد القراء السبعة والدوري أحد الرواة عن اليزيدي وأهل الك . وفي طريقة الحنيد السالك .

(٥) ولك أن تقول «مذهب منوي» .

قد أحسن ابن خميس وبهجت الأثرى^(٦)
 وعاد مدكور روح من الحماس فتى
 أعان ذلك بيان كأس وقلب ذكى
 كما يقول ويشفى بقوله مهدي
 وما لخل العلاء نجل هارون سى^(٧)
 وكم أفاد علوما تحقيقه العلمى
 والمجمعون كل بحادثة ألمعى
 وآخذ بسبيل بها يتم الرقى
 وفى ربوع المعالى لهم أثاث ورى

* * *

وابن خميس قوافيـ جـرهن شجى
 ثم المعانى الرشيقا ت لفظهن سوى
 يشد لطف الحجازى أسره النجدي
 رقيقه خصرى وجـزله بدوى
 والشيخ من منبع الشعـ ر غارف وغذى

* * *

وبهجت أبهج القـ ب نسجه اليشكرى^(٨)
 يمدد النفس الحر ر وألف وأد الجرى

(٦) كان هذا أول بيت فى القصيدة حركه فى النفس سماع قصيدتى عضوى الجمع الأستاذ محمد بهجت الأثرى والأستاذ عبد الله بن خميس ثم توالى الأبيات .

(٧) خل العلاء إشارة إلى قول أبي العلاء فى سقط الزند (أهدى السلام إلى عبد السلام الخ) والمراد بالإشارة إلى اسم الأستاذ عبد السلام هارون أمين الجمع .

(٨) اليشكرى صاحب المملقة وقصيدة الأثرى همزية من الخفيف .

قَدْ اطْمَاسَانَتْ قَوَافِيهِ وَاتَلَّابُ الرُّوْيِ
 أَمَّا الْمَعَانِي فَقَدْ شَعَّ عَن نُّورِ هُنَّ السَّنِي
 فَأَعْجَبَ النَّاسَ صِدْقُ فِيهَا وَقَصْدُ جَلِي
 وَحَبَّةٌ مِنْ مُجِيدِ قَصِيدُهُ مَرْوِي
 شَيْخُ جَهْدٍ يَرُّ مَنِيرٌ مَوْقُوقٌ أَرِيحِي
 وَمَا تَشَكَّى الثَّانِي نَ إِذْ شَكَا الْمَزْنِي^(٩)
 فَزَادَهُ اللَّهُ عُمَرًا يَزْدَادُ وَهُوَ هَنِي
 مَا أَنْفَكَ يُعْطَى الْعَطَاءُ إِلَّا كَثِيرٌ وَهُوَ السَّخِي

* * *

وَمِنْ أَحَدِ الْأَعَارِي ضِ مَضْمَرٍ رَائِي^(١٠)
 حَيًّا بِهِ مَجْمَعُ الضَّمَا دِ خَطِيطٍ رَافِدِي
 شِمْنَا بِهِ بَارِقَ الشُّعْ رَ لَاحٍ مِنْهُ حَبِي
 فَالَسَّامَرَائِي وَبَلُّ بِهِ وَسَيْلُ آتِي^(١١)
 وَفَوْقَ حَزْنِ الْمَعَانِي رَوْضٍ وَقُطْفُ جَنِي

* * *

فَقُلْ لِمَنْ عِنْدَهُ الْوَزْ نُ مِنْ مَذْهَبٍ رَجَعِي
 دَعِ الْمُحَاكَاةَ وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَحَاكَاةَ عِي
 وَسِنْخُهَا لَوْ تَأَمَّلْ تَ كُلُّهُ أَجْنَبِي
 إِنْ اسْتَجِيدَ لَدَى الْقَوِ وَمَ نَازَرِي
 هُوَ الصَّدَى؛ وَزْنَ ذَا الشُّعْ رَ طَيْرُنَا الْمَحْكِي

(٩) المزني هو زهير بن أبي سلمى وقوله معروف .

(١٠) الأحد المضممر مجزؤه من بحر الكامل وبه جاءت قصيدة الدكتور إبراهيم السامرائي وقافيتها راء مضمومة .

(١١) السامرائي هنا بتخفيف الراء المراد الدكتور إبراهيم السامرائي عضو الجمع .

وَعُمُقُهُ جَزَى	الْوَزْنَ شَيْءٌ أَصِيلٌ
هُ مُعْجَزًا يَا أُخَى (١٢)	وَالْجَاحِظُ الْفَحْلُ سَمًا
هُ قِيلَ تَفْعِيلِي	لَيْسَ كَشَيْءٍ سَمِعْنَا
إِذَ الشَّيْبَابُ غَوَى	مَنْ قَبْلُ حَاولَناه
إِذَ الْجَدِيدُ شَهَى	نَعْدَهُ تَجَدِيدًا
تَوَفَّرُ جِدَى	وَكَاثِمًا عَلَيَّهِ
تَبَيَّنَ مِنْهُ الْخَفَى	ثُمَّ تَرَكَناه لَمَّا اسد
شِعْرُ الَّذِي هُوَ حَى	إِذْ لَمْ نَجِدْ فِيهِ رُوحَ الشَّ
فَرَاغُهُ الْفَنَى	وَصَحَّ حَقًّا لَدَيْنَا
شِعْرُهُ الْبَهْرَجَى	وَرَبَّ قَوْمٍ طَبَاهُمُ
أَبَاهُ مَنَّا الْأَبَى	إِنَّا رَفَضْنَاهُ ؛ إِنَّا

* * *

وَأَفَى وَأَهْدَتْهُ مِ	هَاجَ الْفُؤَادَ خِيَالٌ
بِهَا وَشَرَّخِي طَرَى	حَسَنَاتُهَا مِ فُؤَادِي
هِيَ الْبَيَانُ النَّقَى	إِنَّ الْجَزَالَ عِنْدِي
هُوَ الْهُوَى الْعُذْرَى	وَحِبُّهَا فِي فُؤَادِي
كَ وَشَيْئُهَا الْعَبْقَرَى	فَحْيُهَا حِينَ حَيَّا

* * *

لِإِنَّهُ لَغْنَى	عَبْدُ الْغَنَى وَبِالْفَضَى
هُ الْحَكِيمُ الْعَلِي	أَشَّادُ بِي فَجَزَاهُ اللَّ
لَهُ الثَّنَاءُ الزَّكِي	خَيْرَ الْجَزَاءِ وَعِنْدِي
وَكَلِّكُمْ بِي حَفِي	ثُمَّ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ

الدكتور عبد الله الطيب
عضو المجمع من السودان

(١٢) قال هذا الجاحظ في أوائل كتاب الحيوان .

(١٣) هو الأستاذ الشاعر محمد عبد الغنى حسن عضو المجمع وألقى كلمة عن شعراء المجمع .

معجم القرن العشرين العربي

للكوثر عثمان الخطيب

القرن ماضٍ وانقضى معظمه فهل يرى كوعدهم ، معجمه ؟

إذا

تفاخرت اللغة كل بمعجمها ، فالفخر كل الفخر لأُمها الضاد ، إذ لم يعرف العالم أمة كالعرب فاقوا سائر الأمم عناية بلغتهم ، وسعيًا في جمعها وتدوينها وبحثًا في مفرداتها وتعقبًا للدلالة الحرف الواحد من حروفها بحسب موقعه من اللفظ الواحد .

يعترف بهذه الحقيقة المستعرب جون أ . هيوود كبير أساتذة الدراسات العربية في جامعة درهام الإنكليزية في كتابه « صناعة المعاجم في العربية » (١) أو إذا صح التعبير « معجمة اللغة عند العرب » إذا يقول « . . . وكان لدى العرب معجم شامل هو (لسان العرب) كانت دونه دقة وشمولا معاجم سائر اللغات قبل القرن التاسع عشر . فكيف يكون الفخر بالمعجم العربي إذا ما أضفنا إلى اللسان : التهذيب والصحاح والمقاييس والأساس والقاموس وتاج العروس الذي كان من نتاج القرن الثامن عشر الميلادي .

هذا ما كان عليه المعجم العربي ، يوم هلّ القرن التاسع عشر ، غير أن معاجم لغات الغرب أخذت تواكب نهضته العلمية وحضارته المادية لتتق بمطالبات النهضة والحضارة ، فماذا صنع العرب بمعجمتهم الموروث للحاق بمعاجم لغات الأمم المتمدنية ؟ لقد بدأ القرن التاسع عشر والعرب متوقعين على أنفسهم في ظل حكم يحاول اللحاق بموكب الحضارة الغربية ، يعثر خطواته التخلف المستشري في إدارته وطبقات شعوبه المتعددة ، حتى إذا ما غزا نابوليون مصر وقام فيها حكم محمد علي وأسرته ، وهجمت الإرساليات التبشيرية على بلاد الشام ، وأخذت تتنافس فيما بينها ، استفاق العرب من سباتهم وظهرت بوادر الصحوة فيهم مبشرة بوثة معجمية رائعة . وما دخل القرن العشرون

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة الثالثة من العيد الخمسين

إلا وآتت جهود العلماء ثمارها ، فظهرت المعاجم تترى ، وفي كل منها جهد يشكر عليه صاحبه ، وليس مقامنا مقام تعداد تلك المعجمات أو الحديث عن مزايا كل واحد منها وعيوبه ، على أننا نستطيع الجزم بأنه لم يكن بينها المعجم العربي المنشود .

وتعدد علماء العربية المشتغلون بالمعجم العربي ، وتعددت المؤسسات التي تساهم في ذلك ، وكان في طليعتها مجمع اللغة العربية في مصر الذي نحتفل اليوم بعيده الذهبي ، فإليه تزجى التهناني وعليه تعقد الآمال لتحقيق الوصول بمعجمه الوسيط إلى مصاف معاجم اللغات العالمية .

لقد وضع المجمع نصب عينيه ، منذ تأسيسه هدفا ، عمل جاهدا لتحقيقه هو تجديد المعجم العربي ، فلما كانت سنة ١٩٦٠ صدرت عنه الطبعة الأولى من المعجم الوسيط وقد تهيأ له ما لم يتهيأ لغيره من وسائل التجديد ، واجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره من خصائص ومزايا (على حد قوله في المقدمة) ولكنه في الحقيقة لم يكن المعجم المنشود وإنما كان خطوة هامة باتجاهه إذ ظهرت فيه أخطاء وعيوب عديدة ، حملت المجمع على إصلاحها أو تجنبها ما استطاع خلال عشر سنوات أو تزيد ، فلما كانت سنة ١٩٧٢ ظهرت الطبعة الثانية من الوسيط بعد أن أعادت لجنة المجمع قراءة الطبعة الأولى من المعجم مادة مادة مرددة فيها نظرات فحص وتمحيص ، فتبعت ما ترك المعجم من بعض الألفاظ أو فروع المعاني لتزوده منها بما يسوغ ، وبحرت في مراجعة الشروح والتفسيرات أن تجعل عباراتها أيسر منالا وأقرب إلى دقة وإحكام . . . وأضافت إلى المعجم طائفة كبيرة من أمهات المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة التي أقرها المجمع كما تقول اللجنة الجمعية .

وكان المعجم الوسيط في طبعته الثانية خطوة جديدة عظيمة نحو المعجم المنشود ، ولكنه لم يكن إياه .

أنا لا أريد تعداد عيوب الطبعة الثانية من الوسيط التي حالت دون أن يكون المعجم المبتغى ، غير أنني أحب وضع معالم في الطريق إليه ، وحسبي أن أذكر مثلا واحدا ثم أبين ما أرى ضرورة الالتزام به لتثمر الجهود المبذولة في إعداد الطبعة الثالثة المثمرة الطيبة المرجوة .

سبق أن حاولت بعد صدور الطبعة الأولى من المعجم الوسيط إبداء بعض الآراء فيها وبثت تلك الآراء في كتابين طبع أحدهما في دمشق^(١) والآخر في القاهرة^(٢) وهاكم قصة رأى منها :

للحنف في العربية معان كثيرة رددتها كل المعجمات، وعلماء اللغة مختلفون على المعنى الأصيل للحنف، ويمكن القول بأن آراهم المتضاربة تدرج في ثلاث زمر هي :

أولا : يقول عدد كبير من علماء اللغة بأن المعنى الأصيل للحنف : الميل والاعوجاج والحنيف من مال عن الضلالة فترك الشرك إلى التوحيد ، ومن القائلين بهذا ابن فارس وابن سيده والزمخشري والفيومي .

ثانيا : تقول طائفة من العلماء بأن لفظة الحنف من الأضداد فهي تعني الاعوجاج والميل تارة ، وتعني الاستقامة تارة أخرى وفي طليعة القائلين بهذا الرأي الفيروز ابادي وأخذ بهذا الرأي معددا معجم ألفاظ القرآن الكريم الذي صنعه مجمع اللغة العربية بمصر ، فقال : حنف : مال ، ولما لم يجد في ألفاظ القرآن الكريم إلا معنى واحداً قال : والحنيف : المخلص الذي أسلم لأمر الله فلم يلتو في شيء من دينه .

ثالثا : هناك من يقول بأن المعنى الأصيل للحنف : الاستقامة ، وأثبت هذا الرأي صاحب اللسان فقال : قال ابن عرفة في قوله عز وجل (بل ملة إبراهيم حنيفا) قد قيل إن الحنف : الاستقامة وإنما قيل للمائل الرجل أحنف ، تفاؤلا بالاستقامة ، وقال أبو زيد : الحنيف : المستقيم وأنشد :

تعلم أن سيهديكم إلينا طريق لايجور بكم حنيف

وعلق صاحب التاج على قول ابن عرفة قائلا : قلت وهو معنى صحيح وكان المعجم الوسيط في طبعته الأولى قد أخذ بالرأى الأول مثبتا في مستهل تعريفه للحنف أشد حالات الاعوجاج فقال : « حنف الرجل حنفا : اعوجت قدمه فصار ظهرها بطنها حلقة » وكنت فصلت الكلام عن كل هذا في نقدي للطبعة الأولى من الوسيط فلما صدرت الطبعة الثانية ظل الاعتماد فيها على الرأى الأول غير أنها تلطفت في وصف الحنف فقالت : حنف الرجل : اعوجت قدمه إلى الداخل ، مبقية في التعريف قول أبي البقاء في الكلبيات (وهو من علماء القرن السابع عشر الميلادي) إذ قال : إذا

(١) المعجم العربي ونظرات في المعجم الوسيط من مطبوعات المجمع العلمي العربي دمشق ١٩٦٥ .

(٢) المعجم العربي بين الماضي والحاضر من مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية .

ذكر الحنيف مع المسلم فهو الحاج ، كقوله تعالى : «ولكن كان حنيفا مسلما» ١٠ ولم
ذكر وحده فهو المسلم كقوله تعالى :

« فأقم وجهك للدين حنيفا » فهل ما ذكره أبو البقاء من المعاني الأصلية لمادة لغوية ؟
إنه بأقوال المفسرين أشبه

سقت قصة مادة (حنف) في طبعتي المعجم الوسيط لأقول : إن المعجم العربي
ليكون معجم القرن العشرين لابد له من مبادئ يلتزم بها وأساليب يتبعها، وسأحاول
تعداد أهمها فيما يلي :

أولا : الانتقاء ، فليس كل ماورد في المعجمات القديمة ، يصلح للبحر في معجم
القرن العشرين ، كما هي الخطوة المتبعة في المعجم الكبير ، ويجب أن يلاحظ
عند الانتقاء وضوح المعنى وأصالته ، وسهولة الألفاظ وأنسبها ، لتواكب لغة
المعجم مسيرة الحياة الحضارية المعاصرة ، يستبعد منها الحوشى والغريب ، وتسقط
الأساطير والأقوال الضعيفة التي تناقضها بعض المعاجم وتحذف التعريفات المنافية
للعلم المحقق .

ثانيا : الالتزام بمقررات مجمع اللغة العربية المتعلقة ببناء المعجم العربي ، وفي
طليعتها قراره إكمال المادة اللغوية إذا لم يرد بعض مشتقاتها في المعجمات القديمة ،
مادام يجرى على سنن العربية وقواعدها الأصلية وكانت الحياة المعاصرة بحاجة إليه .

ثالثا : الامتناع عن إثبات أى كلمة في المعجم إذا لم تكن عربية النجار إلا إذا
ألحقت برمز يذنب عن صفتها ، معربة كانت أو دخلية ، مولدة أو محدثة ، عامية فصحيحة
أو غير فصحيحة ، أو كانت من مصطلحات العلوم والفنون والحضارة ، أقرها المجمع
أو هو في سبيله إلى إقرارها .

رابعا : إلحاق كل لفظة تدل على بعد أو وزن أو كيل ، أو كان لها ذلك ، بما يفيد
معادل قيمتها المستعمل في العصر الحديث ، فلا يقبل من معجم حديث أن يعرف بردى
مثلا : بأنه نهر دمشق الأعظم يخرج من قرية الزبستاني على خمسة فراسخ من دمشق مما يلي
بعلبك ، ثم يعرف النيل بأنه نهر مصر والسودان .

خامسا : الالتزام بالتماثل في التعريف بالعدلاء ؛ ففي السماء مثلا اثنا عشر برجاً ، ومن المنتقد أن يجد امروء في معجم حديث تفاوتاً في التعريف بها فيجد :

الأسد : أحد بروج السماء .

الجدى : برج في السماء بجوار الدلو .

الدلو : برج من بروج السماء .

القوس : برج في السماء هو تاسع البروج .

أما الميزان فقد سها المعجم الوسيط عن ذكره في طبعته .

وفي السنة اثنا عشر شهراً ، ومن غير مقبول اليوم أن لا يجد المرء تعريفاتها متفاوتة فحسب بل يرى مع التفاوت ميلاً عن الصحة أو بعداً عن الدقة منقولاً من معجمات قديمة ، لم يدقق أصحابها فيما نقلوه عن غيرهم ، فيجد مثلاً :

الكانون : ج (كوانين) وكانون الأول : (ديسمبر) ، وكانون الثاني (يناير)
شهران في قلب الشتاء بين تشرين الثاني وشباط ، ولا شهر بينهما ، ويسميهما العرب :
شهرى قماح .

آذار : الشهر السادس من الشهور السريانية يقابله مارس من الشهور الرومية .

نيسان : الشهر السابع من شهور السنة السريانية يقابله إبريل ، وهو الشهر الرابع من شهور السنة الرومية (الميلادية) ، ونيسان في الحقيقة هو الشهر الرابع من شهور السنة الشمسية ، عرفه البابليون باسم نيسانو NISANU وعرفه العبرانيون القدماء باسم نيس NIS وعرفه السريانيون باسم نيسون NEESON ودخل الضاد معرباً بلفظة نيسان فقال البحترى
مثلاً :

فكان دينا للسماء على الثرى سلفاً قديماً حل في نيسان

وقديماً قال عدى بن الرقاع يصف عيرا وأتناً رعين البقل في إبانته ثم نضبت المياه
حتى تعذرت : (عليهن في نيسان باقية الشرب) .

فنيسان رابع أشهر السنة لا سابعها ، ولفظه معرب قديماً وليس كالإبريل دخيلاً على العربية من قرن مضى ، وقد أثبت المعجم الوسيط في طبعته الثانية تعريفه المذكور آنفاً دون أن يشير إلى حقيقة لفظه كما فعل في تعريف شهر (ديسمبر) إذ أشار إلى أن لفظه من الدخيل .

هذا والمشرّف على طباعة معجم في القرن العشرين ، غدا يتمتع بجميع مزايا التقّـدم التقني الحديث في وسائل الطباعة المعاصرة ، فالطباعة بوساطة آلات الصّـف التصويري وبإشراف الحاسب الآلي الإلكتروني توفر جهود الأفراد في الصّـف والشكل ومعرفة الخطأ وسهولة استيعاده قبل الطباعة .

إن الحاسب الإلكتروني بقدرته التنبيه على أمور كثيرة يحب المسؤولون عن المعجم الحديث أن لا يراها الناس فيه ، فتراهم يبادرون إلى منع ظهورها في معجم . فهو يستطيع تحديد المواد التي وردت فيها كلمات ، تسمح القواعد المقبولة برسمها في صورتين لتوحيد هذا الرسم في المعجم ، مثل الأعداد المركبة مع لفظ مئة ، وداوود ، وأوكسجين . ويستطيع الحاسب الإلكتروني أيضا تحديد المواد التي وردت فيها كلمات مثل أوروبا مرسومة بصيغة تنهى بالألف مع تحديد المواد التي وردت فيها الكلمة نفسها منتهية بالتاء المربوطة ، ومع هذا التحديد يتمكن المسؤول من اختيار أحد الرسمين .

غير أن الحاسب المذكور ، إذا كشف عن أن كلمة سورية وردت في إحدى مواد المعجم برسم ينتهي بالألف ، يعجز عن التنبيه على أن سورية لا تحب أن ترى اسمها ، لأسباب تاريخية ، مرسوما بالألف لأن القانون فيها يلزم أطفال المدارس بكتابة اسم سورية بالتاء المربوطة ويفرض على موظفي الحكومة أن لا يكتبوا اسم الدولة إلا بالرسم الذي المرتضاه لها .

كما أن الحاسب الإلكتروني لا يستطيع تخير الرسوم والصور الجيدة التي تمثل الشيء المراد إيضاح تعريفه ، كما لا يستطيع تلقائيا أن يدون تحت الرسم نسبته إلى الحقيقة كبراً أو صغراً ، كما هي سمة المعجمات الحديثة ، إنما يمنع ذلك كله مهندس أو خبير .

إن معجم القرن العشرين اللغوي ، لا يضعه اللغويون فحسب ، إنما يصنعه العلماء في اللغة والمتخصصون في علوم كثيرة أخرى ، متعاونين مع أفراد يتقن الواحد منهم ضرباً من الفن الذي لا بد منه لإخراج معجم يرضى أساطين اللغة وغيرهم من العلماء ، ويعجب الطلاب وسائر القراء .

إن معجم القرن العشرين لا يصنعه بالعربية ، إلا رجال يؤمنون بالفصحى ويحبونها ، يدافعون عن سلامتها ويسهرون الليالي في خدمتها ، وكلمة صنع الضمادية تتضمن معنى لا نظير له في كلمة تقابلها في لغات سائر الأمم ، إنها تتضمن « العمل بإجادة وإتقان ، عن ترتيب وإحكام لما تقدم العلم به ، ليوصل إلى غاية مراده منه » . « على ما جاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم »

الدكتور عدنان الخطيب

عضو المجمع من سورية

ذكريات جميلة عن لعامل مع النخل الدين مؤسساز عباده كنون

كان

للإعلان عن إنشاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة أو مجمع الملك فؤاد الأول كما سمي بادىء بدء في العام الثاني من العقد الرابع لهذا القرن ، صدى استسحان وابتهاج في جميع الأقطار العربية ، لما يحس به جميع المثقفين العرب من حاجة اللغة إلى تطور وتجديد لمسايرة العصر والنهضة العلمية الحديثة . وتشرفت كما تشرف غيرى لأعمال هذا المجمع . ونحن على يقين بأن مصر ، ومالها من قدرات مادية ومعنوية وما تزخر به من أدمغة علمية وأدبية ، ستنفخ في لغتنا الضادية روحا جديدة وتبعثها من مرقدها الذى نامت فيه حقبا طويلة ، وكانت المواصلات المتقطعة في أغلب الأحيان تحول بيننا وبين الاطلاع على ما يصدر عن المجمع من إنتاج ، وإنما نتسقط أخباره على قلة من بعض الصحف والمجلات الأسبوعية التى لا تشفى غليلا من فكرة ولا ثقافة ، بل إنها ربما تندرته به وبرجاله ، وهى التى روجت لمصطلح «الشاطر والمشطور وبينهما كامخ» زعماً بأن المجمع وضعه لما يسمى بالساندويش ، وكنت كثير الحرص على مجلة المجمع التى لا تعرفها شركات التوزيع ، أتطلبها بكل الوسائل ، كما أفعل في مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ، ولا أحصل على هذه ولا على تلك إلا بمشقة ، وليس دائماً ، فى حين أن مجلة المقتطف التى تتولى توزيعها الشركات المختصة ، قلما تفوتنى ، وكانت هذه المجلات الثلاث هى التى تشبع نهى العلمى .

واتصلت مباشرة بالمجمع لأول مرة فى سنة 1975 حين كنت فى زيارة لمصر ، وحضرت جلسة علنية له ، تكلم فيها الدكتور منصور فهمى الأمين العام للمجمع ، كما تكلم الأستاذ شفيق غربال ، وحضرها ممن عرفت مفتى القدس الحاج

أمين الحسيني وهو الذي اصطحبني معه إلى المجمع ، وقبل انعقاد هذه الجلسة طرحت سؤالاً على بعض من تحلقنا معهم في قاعة الانتظار عن كلمة (المطبات) وكنت سمعتها كثيراً أثناء الكلام عن السفر بالطائرة ، ولا حظت أن الناس في المشرق يغاب عليهم أن يقولوا منى بضم الميم في اسم هذه القرية من مشاعر الحج ، والمعروف فيه الكسر ، فأنشد سماحة المفتي البيت المشهور :

منى إن تكن حقاً تكن أحسن المنى وإلا فقد عشنا بها زمناً رغداً
لكنه أكد أن اسم القرية هو منى بكسر أوله وأن ما يجرى على ألسنة بعض الناس إنما هو من التعلل بالمنى والتشابه بين اللفظين . وكان اعتذاراً لطيفاً من سماحته لهؤلاء الناس . وذلك مما استفدته بالقرب من أخلاق المجمعين ، وأنا في ذلك الحين أشرف بعضوية المجمع العلمي العربي بدمشق ، إذ التحقت به سنة 1956 بقرار من الرئيس شكرى القوتلى ، وقد عرّجت على دمشق قبل وصولي إلى القاهرة ، عائداً من الحج أنا ورفاقى في الوفد الرسمي ، فزرنا المجمع في بنيته الأثرية ، ورئيسه يومئذ الأستاذ خليل مردم بك ، فاحتفل بنا وتعرفنا ببعض أعضائه وأمينه العام وقتئذ وهو الأمير جعفر الحسيني وكان الأستاذ مردم يحقق ديوان ابن الخياط على عدة نسخ ، منها نسخة مغربية الخط ، فسأل عن بعض الكلمات التي تردد في قراءتها ، وأخبرته أن عندنا في المغرب نسخة جيدة منه فطلب إتخافه بها ، وهى من خزانة السيد اليزيد بن صالح باشا تطوان سابقاً ، فأرسلت إليه صورة منها ، وقد قال في مقدمة الديوان عند نشره إنها أقدم النسخ التي عثر عليها تاريخاً وأقلها أخطاءً .

وهكذا كتبلى في هذه الرحلة الاحتكاك بالمجمعين في مصر والشام ومخاطبتهم عن قرب ، بعد أن كانت صلتى بهم عن طريق المراسلة ، وخاصة الزملاء السوريين وأولهم الرئيس محمد كرد على الذى كاتبته ببعض الملاحظات على ما قرأته في المجلة ورد على طالباً مواصلة الكتابة إليه وأهدانى نسخة من كتابه كنوز الأجداد فور صدوره .

وفي سنة 1961 أشعرت بانتخابي عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،

غير طالب ولا سعى ولا تشوف - علم الله - لأننى لم أكن هناك عند نفسى ، فأحرى عند غيرى ، والناقد بصير كما يقولون ، وقد كان الأمر كذلك فى عضوية مجمع دمشق ، فالقضية إذن إنما هى قسمة وحظ ونصيب ! . . وكيفما كان الحال فالأمر جد ويجب أن يُعطى ما يستحقه من الأهمية ، ومجمع القاهرة له مؤتمر سنوى يحضره الأعضاء العاملون للمشاركة بالرأى والمناقشة فيما أنجزه من أعمال طول السنة وتقديم ما يكون لهم من أبحاث لغوية وأدبية ، إضافة إلى تمتين الروابط بين الأعضاء الوافدين من الأقطار العربية وإخوانهم المصريين ، وهى روابط تمثل وحدة اللغة والفكر والثقافة ، لا سيما وقد عُيِّن معى فى تلك السنة عشرة أعضاء من مختلف البلاد العربية ، وهم الأساتذة : أحمد عقبات ، إسحاق الحسينى ، أنيس المقدسى ، عبد الله الطيب ، على الفقيه حسن ، عمر فروخ ، قدرى حافظ طوقان ، محمد البشير الإبراهيمى ، محمد بهجة الأثرى ، محمد الفاضل ابن عاشور .

كان استقبال هذا الفوج الجديد من الأعضاء جماعياً ، قام به الدكتور إبراهيم مذكور وهو يومئذ الأمين العام للمجمع ، ورد عليه باسم بقية الأعضاء الشيخ البشير الإبراهيمى . واشتملت كلمة الدكتور مذكور على التعريف بمهمة المجمع ووضع اللغة العربية فى الحاضر وما يؤمل أن تكون عليه فى المستقبل وقال عن الأعضاء الجدد « إنهم بين أديب ولغوى وفقيه وقانونى وعالم ومؤرخ وصحفى وسياسى ، فى غنى عن التعريف ولا سبيل لأن أوفيههم حقهم » ولكنه قدم كل واحد منهم بكلمة موجزة تبين تخصصه واهتماماته ، وكان ذلك فى المؤتمر السنوى للمجمع . وفيه ابتداء عملنا فى المجمع ومشاركة كل بما تهيأ له من بحث لغوى أو أدبى أو تاريخى ، مع الإسهام فى مناقشة ما يعرض من أبحاث ومصطلحات وقرارات يقدمها مجلس المجمع أو أعضاؤه ، وكان إسهامى الأول ببحث لغوى يحمل عنوان : « لِمَا بِهِ وَالْفَظْ أُخْرَى . . . » وقد نوقش هذا البحث ووقع التنويه به ، وتلقيتُ بعد ذلك ولمدة طويلة من غير واحد من الزملاء شواهد تؤيد ما قلته فى تعبير « لما به » وكلمة الواسطة من الألفاظ التى ذكرتها معه .

ومن أحسن ما أرويه في هذا الصدد أنه وقعت المذاكرة فيما عُرض على مؤتمر المجمع من اقتراح يقضى بتخصيص موضوع واحد للأبحاث التي يقدمها الأعضاء للمؤتمر ، فكان هناك مُساندون للاقتراح ومعارضون ، وكان الأستاذ عباس محمود العقاد من المعارضين قائلاً إن في ذلك تقييداً لحرية الأعضاء وتضييقاً عليهم في مجالات البحث الواسعة ، وضرب المثل ببحثي المتعلق بتعبير «لما به» وشرحه الذي لولا ترك الباب مفتوحاً في وجه الأعضاء لطُرِق ما يعنُّ لهم لما ظفِرْنَا به .

وكان الأستاذ العقاد إنما يحضر بعد افتتاح الجلسات ، ويتابع بعض فقرات جدول الأعمال ويناقش ما يستدعي المناقشة بعمق ، وخصوصاً المصطلحات العلمية ثم ينصرف قبل اختتام الجلسة . كما أنه لا يحضر الاستقبالات والمآدب والرحلات التي ينظمها المجمع . وبعبكس ذلك الرئيس الدكتور طه حسين فإنه كان يحضر الجلسات من الأول ويفتتحها هو على ما كان به من مرض مُزمن ، ويدخل قاعة الاجتماع محمُولاً تقريباً ، ومعه زوجته التي تمسح على رأسه وتُصالح هُندامه . وهو يبتسم ، ويتتبع سير العمل ولكنه لا يقول شيئاً ، إلا إذا مَرَّت كلمة أو ذُكر نصٌ مما يمتُّ لألفاظ القرآن بصلة ، فإنه يذكر الآية التي وردت فيها تلك الكلمة ، أو تُشاكل النص باللفظ ، وإن لم تكن شاهداً على ما يجري الكلام فيه .

وهكذا كانت آى القرآن الكريم على طرف الثُّمام منه . يقرأها وكأنه ينظر في مصحف ، وهكذا كانت رئاسته فيما أدركناه تشريفية فقط ، أما تسيير الجلسة وما تتطلبه الرئاسة فكان من شأن الأمين العام الدكتور إبراهيم مدكور . على أنه بعد اشتداد مرضه صار يتخلف عن الحضور كثيراً وينوب عنه في رئاسة الجلسات خليفته الأستاذ زكى المهندس .

وعلى ذكر جدول الأعمال نُشير إلى أنه يكون ذا جوانب مُتآكل واحد منها يستشير فريقاً من الأعضاء ذوى الاختصاصات المختلفة ، فقوائم المصطلحات تهم أهل العلم من جهة وأهل العربية من جهة أخرى . وألفاظ الحضارة ولغة الصحافة تغنى الجميع . وكان يعتنى بجمعها وتقديمها الأستاذ محمود تيمور . ومذكرات

لجنة الأصول والألفاظ والأساليب تحظى بدراسة حادة من علماء العربية . ومواد المعجم الكبير تستقطب أهل اللغة والأدب والعلوم واللغات السامية والمؤرخين وسواهم ثم البحوث التي يُلقِيها أصحابها في أبواب المعرفة المتنوعة ، وهي بحسب موضوعاتها تكون محطَّ عناية العالمين بتلك الموضوعات .

وتحتدم معارك المناقشة في هذه المجالات ، ففي المصطلحات العلمية الجديدة التي يضعها المجمع بمعرفة اللجان المختصة ربما حُور مصطلح أو أُخِر لإعادة النظر فيه أو استُبدل بغيره مما يقترحه أحد الأعضاء وتكون المناقشة فيها بين أهل الاختصاص وعلماء العربية ، أولئك في تحديد معناها بالضبط وهؤلاء في موافقة صياغتها للقواعد وهذا مع العلم بأن المجمع يُرسل قوائم هذه المصطلحات إلى الأعضاء العاملين بالبلاد العربية للاطلاع عليها وإبداء نظرهم فيها قبل عرضها على المؤتمر لإقرارها ، ولذلك تكون المناقشة فيها خفيفة . وكذلك تُناقش الألفاظ الحضارية والصحفية ويُقرَّ منها ما يُقر ويُسْتبعد ما يُستبعد . ولكن المناقشة تحتد كثيرا وتطول في قرارات لجنة الأصول ولجنة الألفاظ والأساليب ، ويقف علماء العربية منها مواقف مُحفظة ولا يسلمون منها إلا القليل . وكان للمرحوم الشيخ محمد علي النجار في هذا الصدد مصادمات مع غير واحد من الأعضاء المتساهلين الذين يصفونه بالتزمت والتشديد وخلفه في ذلك المرحوم الأستاذ عباس حسن ، بل إن هذا كان أكثر تصديا وتعرضا لكل مخالفة للقواعد والأصول يواجهها بالنص والدليل الحاضر ولا يدعها تمر بوجه من الوجوه وكان يحمل دفترًا صغيرًا في جيبه يتضمن نصوصا وشواهد من مختلف الكتب الأمّيات والمتون المستعملة والشروح والحواشي في عبارات وجيزة مع الإشارة للمصدر بالاسم والصفحة والطبعة ، فلا يفتأ يرجع إليه ويستظهر به . ويتضايق بعض الأعضاء من استقصائه ، وتُحاول الرئاسة أن تُقفل الموضوع ، ولكنه يمضي لطيبته لا يلوى على شيء حتى يتم (مُرافعته) مستمنحا حِلْم المُتضايقين . . ولا يختص هذان العضوان بالمنافحة القوية عن العربية وسلامتها لحد الغضب والتشنج كما رأينا ، فهناك آخرون من مصر كالأستاذ الشاعر محمد عبد الغنى حسن والأستاذ

محمد بهجة الأثرى من العراق ، والدكتور عمر فروخ من لبنان وغيرهم . والقضية قضية اتجاهين ، اتجاه محافظ واتجاه مجدد ، والكل يريد الخير للغة العربية ويعمل على تقدمها وازدهارها . وقد يقع هذا التعارض بين رجال من أهل العلم التجريبي ويصل إلى المهاجمة ، فلا أزال أذكر كيف وقف الدكتور عبد الحليم منتصر ، وهو عالم نباتي كبير في وجه الدكتور محمد كامل حسين ، وهو طبيب وأديب وكان يتكلم على تطوير العربية والتحليل من (الأشمونيات^١) والكتب الصفراء فرد عليه الدكتور منتصر في ثورة عارمة وقال له إن الأشمونيات والكتب الصفراء هي التي حفظت لنا لغتنا وصانتها من العُجمة ، وأنت نفسك إذا أردت تحقيق مسألة من طب لا بد أن ترجع إلى الكتب الصفراء وأشمونيات الطب ! ولا ننسى أن الدكتور اكامل حسين هو صاحب كتاب النحو المعقول^٢ . .

وللدكتور محمد أحمد سليمان وهو طبيب أيضاً مواقف من هذا القبيل ، فليس الأمر مقصوراً على علماء العربية ، أي اتجاه المحافظة ، ولا خلافه مختصاً بأهل العلم العام ، فمن أنصار التجديد الدكتور مهدي علام الأمين العام الحالي للمجمع وهو دكتور أدب وفلسفة ، ومنهم الأستاذ محمد شوقي أمين وهو أستاذ لغة ونحو ، وكثير من الأعضاء ينهجون نهج التوسط وعلى رأسهم الدكتور إبراهيم مدكور . وإذا كان لي أن أحشر نفسي في هذا المقام غافياً أميلاً إلى التجديد ولكن في حدود أريد كل ما يثرى اللغة ويوسع دلالاتها ، وأفضل أن يكون عمل المجمع منصبا على سد الفراغ وكفاية الحاجة في كثير من أسماء المواد والآلات والمستحدثات العمرانية والحضارية والعلمية ، وما أكرهه وأكون محافظاً فيه كان المحافظة هو الهدم والتجاوز للأصول والقواعد المحررة بدعوى التسهيل والتيسير ، فكم أسفنت لإلغاء حكم الممنوع من الصرف مثلاً ، وهو حكم مبني على قياس صحيح واستقراء تام ، وإن كنتُ أحمدُ الله على أن أحداً لم يأخذ بهذا (التجديد) أو التسهيل . وما زالت الأسماء الممنوعة من الصرف والعِلل الموجهة لمنعها محترمة من الجميع . وأعتقد أن كل ما كان من هذا القبيل مبنيًا على نظر سديد وتعليل معقول سيبقى بمنجى من التعديل والتحويل .

ويُتصل بهذا الموضوع أن الرئيس الدكتور إبراهيم مذكور طلب منى ذات يوم أن أُرأس جلسة المجمع ، وكان جدول الأعمال يشتمل على مذكرة للجنة الألفاظ والأساليب ، فقال لى أحمد الزملاء إن الرئيس كلفك برئاسة الجلسة حتى لا تُناقش ، فقلت له ليست هذه أول مرة أُرأس فيها الجلسة وأناقش ... وعند عرض مواد الجدول جاءت المذكرة المشار إليها وكان فيها توجيه ما جرى به العمل وخاصة فى الشرق من حذف كلمة ابن بين الأسماء المتعددة المستعملة علماً للشخص الواحد مثل أحمد محمد عبد الله وأصله أحمد بن محمد بن عبد الله ، وقد صححت المذكرة هذا الاستعمال وأعربت به بعدة وجوه منها جراسم الثانى بالإضافة إلى الأول ورفع الثالث أو على الأصح إتباعه للأول . فاستأذنت الرئيس فى المناقشة بحكم أن رئاستى بالنيابة وقلت إن هذا الإعراب لا يصح لأن فيه الإتياع بعد القطع وهو لا يجوز ، فوافق الرئيس والمجلس وألغى هذا الإعراب . وهذا مما يُظهر توسط الدكتور مذكور بين التجديد والمحافظة .

والمعجم الكبير الذى يُعد من أهم أعمال المجمع ، هو أيضاً مما تتوجه إليه عناية الأعضاء على اختلاف اختصاصاتهم ، فبعد ما تنكب اللجنة المُحضرة لمادته وتبذل جهودها طوال السنة فى إعداد مسودة قد تزيد أحياناً على مئة وخمسين صفحة تُرسل إلى الأعضاء العاملين خارج مصر للنظر فيها والملاحظة عليها ، وتطرح هذه المسودة على المؤتمر للمناقشة ، فيتدخل خبراء اللغات السامية وغيرها للتأصيل ، وخبراء اللغة العربية للتصحيح ، وخبراء التاريخ والجغرافية والأدب والعلم ، فيدلى كل بدلوه ، وتدافع اللجنة المُحضرة عن رأيها إذا كانت هناك انتقادات . . وقد يُستغنى عن بعض المعلومات أو الشروح التى يرى أنه لا حاجة إليها أو ليست مما تتضمنه المعاجم والكتب ممن يساهم فى تحرير هذا المعجم ببعض التحقيقات اللغوية وإضافة ما يراه ضرورياً من المعلومات المتعلقة بتاريخ المغرب الكبير والأندلس وتراجم أعلام من الشرق والمغرب وغير ذلك ، فيؤخذ ذلك بعين الاعتبار فى غالب الأحيان وحبّة رمل فى صرح هذا المشرع الكبير هى من التعاون الذى لا تتحقق الأمور العظيمة إلا به .

وبالمناسبة أذكرُ أنى كنتُ حريصاً على وضع المعجم الوجيز ، أثناء الاشتغال بالمعجم الوسيط وبعد صدوره . وأثناء الاشتغال بالمعجم الكبير ، وكنتُ أطلب التعجيل به ولا سيما فى الجلسة الختامية للمؤتمر ، ليوضع بأيدي الطلبة والصحفيين وناشئة الأدب ، عسى أن يكتفوا به عن بعض المعاجم المدخولة التى ملأت الساحة . وقد صدر والحمد لله ، وأتمنى لو أُعطى امتيازُه لبعض دور النشر الكبيرة بعد مراجعته لإخراجه فى طبعة فاخرة وتوزيعه على أوسع نطاق فى البلاد العربية ليكون بمتناول جميع الراغبين .

وتحتلُّ البحوث اللغوية ، محل الصدارة فى الأعمال اليومية للمؤتمر بحيث يكاد لا يخلو يوم من إلقاء بحث أو بحثين ، إما ابتداءً أو بعد عرض قوائم المصطلحات ولا يكتب كل الأعضاء أبحاثاً بل إن منهم من لم يكتب بحثاً أصلاً وخصوصاً القدامى منهم ، ويتشرف الجميع إلى سماع بعض المتكلمين من ذوى الاختصاصات المتنوعة ، أو المعروفين بالإجادة فيما يتناولونه من الموضوعات ، ومن حسن المعاملة التى نلقاها نحن الضيوف من إخواننا المصريين فى المجمع أنه إذا كان هناك متكلمان مصرى وعربى وافداً ، يقدم الّوafدُ على المصرى فى الكلام ، وهو أدب رفيع لم أره فى غير مجمع اللغة العربية بالقاهرة . وتُعقَّب المناقشة أو التعاليق كل بحث . وتُحال بعض الأبحاث على اللجان المختصة ، وتحظى بعضها بالإطراء لما تتسم به من الجودة والعمق . ويضيق المقام حتى عن إعطاء الأمثلة فهى كثيرة ، فضلاً عما فى ذلك من الحرج .. ولكنى أذكر فيما يخصنى أنى قلما حضرت مؤتمراً للمجمع ولم أقدم بحثاً . وأبحاثى التى قدمتها تتراوح بين موضوعات اللغة والنحو والأدب والتراجم . وبالإضافة إلى بحث « لما به وألفاظ أخرى » المذكور آنفاً كان لى بحث بعنوان شبيه بهذا وهو : « القُنداق وألفاظ أخرى » أثبت فيه الفرق بين القنداق والفنداق ، على خلاف ما درَج عليه ابنُ منظور فى لسان العرب وبينت معناه ، وبحث بعنوان « هل اسم خلدون ونحوه مُكبر على الطريقة الإسبانية » فندت فيه ما زعمه (دوزى) ! وتبعه غير واحد من الكتاب العرب أن هذه الأسماء التى على وزن فعْلون مقيسة على^{٢١}

الإسبانية وذكرت أمثلة لها من عصر الجاهلية وصدر الإسلام قبل أن تفتح إسبانيا وشرحت قاعدة التكبير في الإسبانية بما يستبعد تطبيقها على هذه الأسماء العربية ، وكان لهذا البحث صدى استحسان إلى حد أن الأستاذ إبراهيم اللبان هنأني وقال لي : لقد دافعت عن رأيك بحجة لا تردُّ وزاد قائلا : إن إخوانك المصريين يحبونك ويقدرّون علمك وخلّقتك ، وهو كلام قال لي مثله الدكتور إبراهيم أنيس أكثر من مرة . وإنما أذكرُ هذه العبارات التي تنضج بالود والخلق الكريم اعتزازاً بها وتنوياً بأصحابها جزاهم الله خيراً - فالمقام بحاله وقد قال معيار : « اذكرونا مثل ذكرانا لكم » . ومما يتعلق ببحث فعلون أننى تقابلت مع الأستاذ عباس حسن صاحب كتاب « النحو الوافى » فى أحد الاستقبالات وكان لم يدخل المجمع بعد . فلما تعارفنا قال لى أنت الذى ألقىيت بحثا فى الأسماء على وزن فعلون . فعلمت أن خبره تجاوز أبهاء المجمع .

ومن الأبحاث اللغوية التى ألقىيتها بحث ، بعنوان « السليقة عند العرب المحدثين » بينت فيه أن السليقة فى العربية كالاقتصاد فى الفقه لم ينقطعا بنة ، فصحت بعض الألفاظ التى كان الأدباء يتحفظون بإزائها ويعدونّها من العامية كالفنان وكالطيارة التى تجرى على الأقلام الخ ، وبحث فى علم الجنس الذى يقابل علم الشخص ، وبحث يتعلق بتحقيق رسالة فى أحكام الاختصاص للعلامة عبد السلام بن الحاج الجرفطى ونظمها فى رجز جعلته ذبلا لباب الاختصاص فى الفية ابن مالك أقول فيه :

تكلمة	لباب	الاختصاص	تسُدُّ منه	موضع	الخصاص
وترفعُ	الأجفاف	بالتأكيد	عَمَّا لَدَى	الناظم	والمكودى
فإن قارئهما	لو أنصفا	لقال كلُّ	منهما قد	أجحفها	

ولما ألقىيته علّق عليه بعض الأعضاء وقال لى الأستاذ زكى المهندس نائب الرئيس وأستاذ العربية الذى تخرج على يده عدة أجيال : لقد أفدتُ من هذا البحث كثيرا وأعجبني نظمك له وسأخلو معه وأستمع بقراءته على انفراد .

والذكريات من هذا القبيل كثيرة يطول تتبعها ، ولكن أطرفها أو من أطرفها ما حكاه نى الدكتور كامل مُراد ، وكنتُ ألتقى به أحياناً فى حدائق «كروبي» عشية فيجلس إلىّ ونتحدث عن المجمع وما مرّ فى جلساته من مداولات ، وكأنّه آنس منى ما جعله يحكى لى أنه كان فى رحلة بالكويت وأن وفداً من جمعية إسلامية زاره وطلب منه التفضل بمحاضرة فى نادى الجمعية عن الإسلام ، فقال له أنا مسيحي لا أعرف عن الإسلام شيئاً ، وضحك وضحكتُ معه وعرفت مايريده . وكنتُ فعلاً أجهل أنه مسيحي ! . .

وإن أنس لا أنسى الرّحلات التى ينظمها لنا المجمع إلى بعض المدن كالإسكندرية وبور سعيد وإلى بعض المعالم التاريخية كأهرام سقارة أو بعض المنشآت الصناعية وغيرها ، وتكون فرصة لنا للاطلاع على مآثر مصر ومظاهر نهضتها الحديثة ، ومناسبةً للاجتماع والاحتكاك بجميع موظفى المجمع والعاملين فيه من محررين وكتاب ومديرين ومنتطى متن حافلة كبيرة ويختلط ببعضنا ببعض ونتحدث فى مختلف الشؤون ، ويكون خروجنا من القاهرة مُبكرًا ، فنتناول وجبة الفطور ببعض المحطات الريفية ويُوزّع علينا الدكتور مهدى علام من جرّاب يصحبه معه حَفَنَات من اللوز والفول السودانى. وعند الوصول تستقبلنا الجهة المقصودة بحفاوة بالغة ونتفرج على العمل ونطوف بالبلد أو نقف على الأثر ونستمع إلى البيانات المفيدة ، ونتناول طعام الغداء على مائدة المستقبلين ثم نعود مُودّعين بما استقبلنا به من حفاوة ، ولا يتخلف هذا التقليد فى مؤتمر من مؤتمرات المجمع ، ويكون مرتين فى كل مؤتمر أى رحلة وزيارة فى يومى عمل يتخفّف فيهما الأعضاء من تعب العمل ويستفيدون مما يرونه على الطبيعة ما يزيدهم معرفة بمصر قلب البلاد العربية النابض وقبّة الإسلام كما عبر عنها أحد رحالتنا الكبار .

ولا أستطيع أن أُلَمّ بهذه الرحلات العديدة فلاأشر إلى واحدة منها ، وفى مثلها يُقال يكفى من القلادة ما أحاط بالعنق ، وتلك هى التى زرنا فيها المُفاعِل الذرى

بالصحراء ، فأخذتنا النشوة بالاستماع إلى الخبراء الواقعين عند كل جهاز من أجهزة المركز ، وهم يتحدثون إلينا عن سير العمل بلغة عربية سليمة ، عامية مصرية ولكنها عربية خالصة تستوعب جميع التفاصيل عن تشغيل الجهاز وجميع المصطلحات إلا في النادر حين يضطر الخبير إلى استعمال مُفردة أجنبية ، معذرا عن عدم معرفته لمرادفتها العربية - راجياً من المجمع أن يسميها - وفي المفردات التي يستعملها هو ، ما لم يضع المجمع له اسماً بعد ، فيلاحظ الأعضاء أنه مصطلح لا بأس به أو أنه أوفق الكلمات للمفردة الأجنبية فيشجعونه على المضي في الحديث ، ويستمر هو في الحديث ويُطبق القول على الفعل عشر دقائق أو خمس عشرة دقيقة أو عشرين ، من غير أن يتوقف أو يتلعثم أو يستعمل كلمة أجنبية فأحرى جملة إلا في القليل النادر كما ذكرت آنفاً ، وهذا الخبير غالباً ما يكون شاباً أو فتاة ، دكتوراً في الخامسة والعشرين وما قاربها . وهو أمر يُدخل الغبطة على النفس ويُفهم القلب بالسرور .

ولعلني أطنبت في هذه الذكريات الجميلة ، ومع ذلك بقيت أشياء وأشياء لم أَلَمْ بها ، وهى الهمسات الخفيفة بين المتجاورين في الجلسة وكنت دائماً جازاً للدكتور مهدي علام وهو صاحب ملاحظات وتعقيبات شعرية ونثرية ، والدكتور أحمد عمار وهو صاحب نكت ولطائف . وكنت أنشدته مرة مما جر إليه الموضوع هذين البيتين :

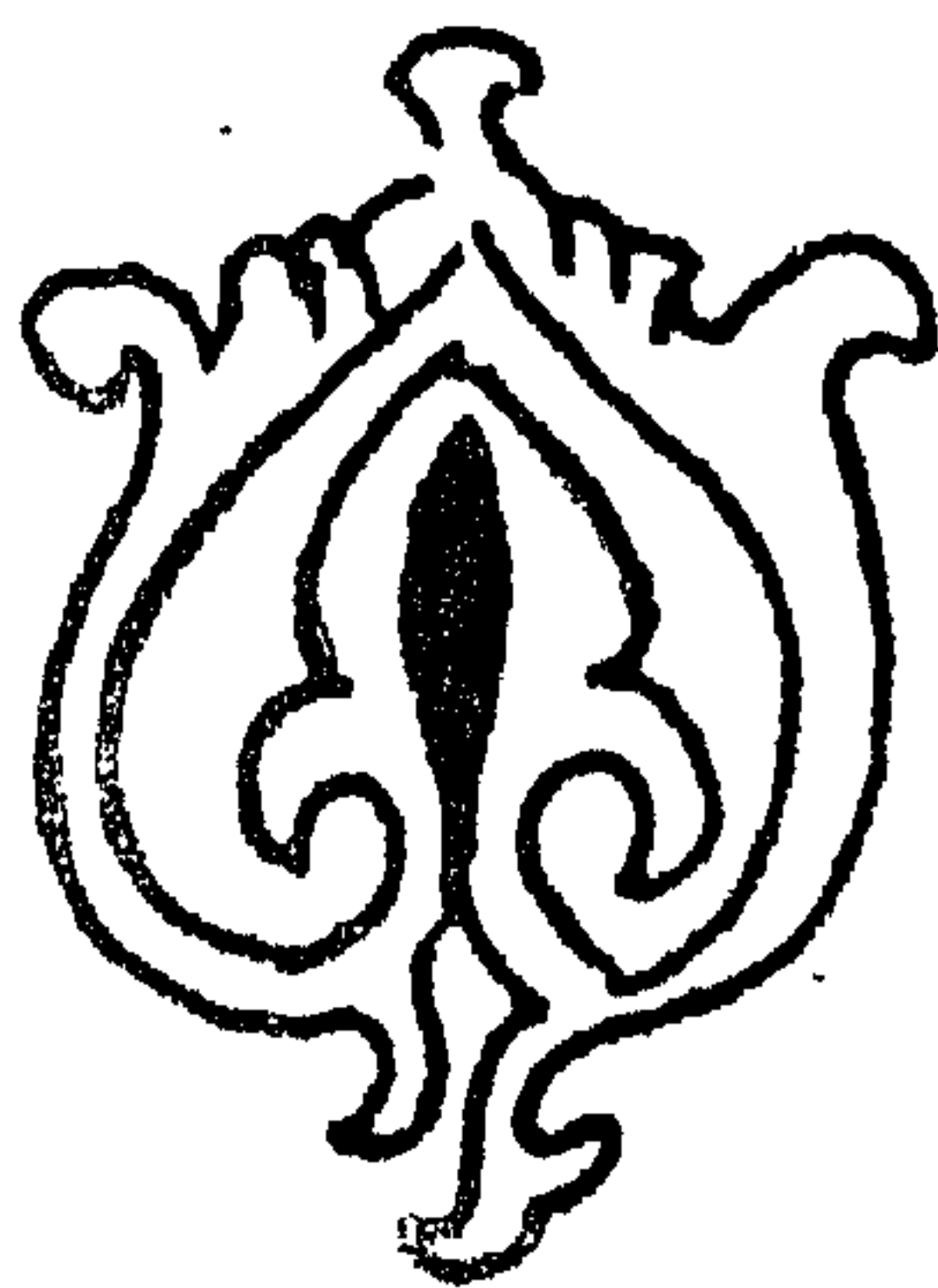
العلماء كلهم من سادا أو لم يسد لم يَبْلُغ المراد
فرزقهم مُرَحَّم منادى (كياسعاً فيمن دعا سعادا)

فلم يتمالك من الإعجاب بهما وصار ينشدهما مرات في المجلس وكلماتنا تقابلنا وكان كثيراً ما يطرح على بعض الأسئلة على سبيل الاختبار كعدد حروف القرآن ونصفه بالكلمة أو الحرف والكلمة التي تتركب من عشرة أحرف مما كنا نتعاطاه في الكتاب فألقى عليه أسئلة مماثلة^{١٢} ، وكان كثير الانبساط والانشراح والضحكه صوت عال يشير انتباه الأعضاء من بعيد . وفي بعض الأحيان يكاد يجعلني لا أتابع ما يقال

فى المجلس بمُستملحات وإنشاءات ، وقلتُ فى العام الماضى للدكتور علام إن الدكتور
عمار يُدخِن كثيراً فقال لى لقد صارت حياة عمار عبارة عن التدخين والنكتة ،
فيا لله كأنه كان يسرع إلى أجله . ومن الأشياء التى فاتتني فى هذه الذكريات بعض
المطارحات الشعرية وخاصة مع الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ، ومنها الإشارة إلى
كيفية تسيير الجلسات وضبط المناقشة وفن الإدارة مما تميّزه السيد الرئيس الدكتور
إبراهيم مذكور ، ولكن الكلام طال وربما أدى إلى الملل وفى العنوان ما يدل على الجواب .

فتحيةً للخالدين فى العيد النّهْبي لمجمعنا الموقر ، وفّر الله جمْعَهم وبارك فى أنفاسهم
ورحم من ودع منهم وبوأهم مقعد صدق فى المأأ الأعلى ، والسلام .

الأستاذ عبد الله كنون
عضو المجمع من المغرب



المعجم الطبي وتوحيد المصطلح الطبي للككتور حسنى سرىح

أعنى بالمعجمات الطبية فى بحثى هــذا ، المعاجم الشائبة اللسان الأعجمية العربية (فرنسية - عربية ؛ وهى الأقدم وإنكليزية - عربية ؛ وهى حديثة نسبة) سواء فيها الشامل فى مفرداته لمعظم علوم الطب (وقد أربا عددها على العشرين) أو المختص الذى اقتصرت مواده على فرع واحد من فروع الطب أو أحد أجزاءه فرع ما . وما أريد به من المصطلح العربى ما شاع استعماله فى طب يومنا هذا ما بين قديم موروث عن الطب العربى الإسلامى أو مولد حديث النشأة من مبتكرات القرنين الأخيرين للميلاد .

من المعاجم ما هى من صنع هيئة أو لجنة لها من المؤهلات العلمية واللغوية ما يجيز لها العمل ، ومنها ما هى صنع أفراد من الأطباء ، أو آخزين ليسوا على شىء من الثقافة الطبية ، فجاء صنعهم أبتراً قرب ما يكون بحاطب ليل ، لا شأن له فى هذا الموضوع . وثمة معجمات عربية - أو (أعجمية - عربية) ذات شروح للمعانى وهى قلة بين سواها لا بد من الإشارة إليها فى حينه .

أربع عواصم عربية كانت مراكز لوضع المصطلح الطبى ، وهن : القاهرة ودمشق وبغداد وبيروت . كان البدء فى مصر سنة ١٨٢٧ م يوم أسس فى أبى زعبل فقصر العينى أول مدرسة للطب الحديث ، وكان التدريس فيها على النسق الفرنسى ، إلا أن لغتها كانت العربية وحدها ، وظل الأمر على ذلك حتى منيت البلاد بالاحتلال الإنكليزى سنة ١٨٨٩ م ، وصارت تلك المدرسة إلى « كلية طب القاهرة » وفرضت الإنكليزية لغة للتدريس فيها . وقد كانت أيام الوحدة مع سوريا محاولة للعودة إلى تدريس الطب فيها بالعربية ، غير أنها باءت بالإخفاق .

أقبل أساتيد مدرسة قصر العيني بهمة لا تعرف الكلال على ترجمة الأمهات من كتب الطب الفرنسية ، واختطوا في باب المصطلح خطة رشيدة . فأحبوا ما وجدوه وافياً بالغرض من مصطلحات الطب العربي الإسلامي ، وما لم يجدوا له مقابلاً في طب أسلافهم مما جد في الطب الحديث لجؤوا فيه إلى الترجمة ووضع أسماء له من أصول عربية ، ولم يعمدوا إلى تعريب اللفظ الأجنبي إلا إذا لم يجدوا عن ذلك مندوحة . ومن تصفح عشرات الكتب التي طبعت في تلك الحقبة لا يسعه إلا أن يكبر ما قام به هؤلاء الرواد الأوائل ويؤمن أن المصاعب لا تلبث أن تلين أمام همم الرجال ، ويود لو أنه أتيح لخلفهم أن يتابعوا السير على الطريق نفسه .

غير أن ما وضع في تلك الحقبة التي امتدت ستة عقود ونيفاً من مصطلحات ظل منشوراً فيما ألفه وترجمه هؤلاء الرواد ولم يجرده ، فيما أعلم ، في معجمات خاصة غير أن الطبيب المصري محمود رشدي البقلي (ت نحو ١٣٠٧ هـ - ١٨٩٠ م) وضع معجماً باسم « قاموس فرنساوي عربي » طبع في باريس (سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م) ويقع في ٣٥٨ صفحة تشتمل على نحو ٧٠٠٠ لفظ .

واستأنف العمل في وضع مصطلحات الطب في أوائل العشرينيات من هذا القرن الميلادي ، عندما وضع الدكتور محمد شرف معجمه الطبي واسمه « معجم إنجليزي - عربي في العلوم الطبية والطبيعية » ، وهو كما يدل عليه اسمه معجم شامل يحق له أن يعد أباً لكل ما ظهر بعده من معجمات طبية (أعجمية - عربية) طبع ثانية سنة ١٩٢٩ فجاءت هذه الطبعة في ألف صفحة من القسط الكبير ، وكان ثمرة جهد دائب امتد بضعة عشر عاماً ، وعزيمة صادقة لا يؤتي مثلها إلا القليل من أفذاذ الرجال . وكان منهجه في وضع المصطلح نحو المنهج المأخوذ به اليوم ، غير أنه كان كثيراً ما يضع مقابل اللفظ الإنكليزي عدة ألفاظ عربية ، وكأنه أراد بذلك أن يترك لغيره ولمن يأتون من بعده أن يختاروا منها ما يرونه أوفى بالمعنى المراد .

انتخب الدكتور محمد شرف عضواً عاملاً في هذا المجمع الجليل سنة ١٩٤٦ واستأثرت به رحمة الله عام ١٩٤٩

ولمجمع اللغة العربية في القاهرة « ونحن نحتفل بعيدة الذهبي في هذه الأيام » القدح المعلي في وضع المصطلحات على اختلاف ضروبها . إلى جانب فضله الكبير في

تحرير قواعد وإيجاد منهجية قيمة في وضعها، ولجنة مصطلحات الطب فيه سعى متميز ولا سيما في عهد رئيسها الصديق الراحل الدكتور أحمد عمار « نائب رئيس المجمع » إذ أبلى بلاء حسنا في وضع مصطلحات الطب وأسهم إسهاما عميقا تغمدته الله برحمته .

وأصدر المجمع سنة ١٩٣٥ مجلته الخاصة وتحتوى ما يطرح في مجلس المجمع وفي مؤتمره السنوى من بحوث وما يقرر فيه من مصطلحات، ناهيك بالمقالات القيمة التى ينشئها أعضاؤه الأعلام . وأفرد للمصطلحات كتباً خاصة تصدر سنوياً أيضاً باسم « مجموعة المصطلحات العلمية والفنية » بلغ عددها ٢٥ ، تكاد تؤلف لو جمعت عدة مجلدات ضخمة جديدة بأن تعد في عداد ما اصطلح على تسميته بموسوعة المصطلحات .

وفي القاهرة أيضاً أبدت الجمعية الطبية المصرية التى تأسست سنة ١٩١٩ اهتماماً خاصاً في عهد رئيسها المرحوم على باشا إبراهيم « وهو عضو عامل في هذا المجمع أيضاً » وبعد أن أبدلت بالمؤتمر العربى الأول اسم مؤتمرها الثامن المنعقد في بغداد سنة ١٩٣٨ ، اتخذ فيه القرار التاريخى للسعى إلى توحيد مصطلحات الطب ، وكان بعد ذلك أن تم الاتفاق سنة ١٩٤١ تضافر جهدها وجهد مجمع اللغة العربية بأن تألفت لجنة خاصة لهذه الغاية وعقدت اجتماعات أسبوعية انتهت بها إلى وضع مصطلحات طبية في مختلف علوم الطب كالتشريح والفسيوجيا والطب الباطنى وعلم الرمد وحفظ الصحة وغيرها وبشرت بنشرها في زاوية خاصة عنوانها « صحيفة المصطلحات الطبية العربية » من مجلتها « المحلة الطبية المصرية » ابتداء من المجلد ٣٣ سنة ١٩٥٠ وتابعت النشر عدة سنوات . أطلعت على معظم ما استل من المحلة من نائل في علوم الطب المنوعة وإذا بها تتشابه مع ما نشره مجمع اللغة تشابهاً كلياً مع بعض الخلاف .

حظيت بيروت بشانية المدارس التى درست الطب بالعربية ، مدرسة المبشرين الأمريكان الإنجليز الذين أموا الثغر في النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى للتبشير بمذهبهم ، وكان فيهم عدة أطباء عكفوا على دراسة اللسان العربى فأتقنوه ، وافتتحوا سنة ١٨٦٦ ما دعوه بـ « الكلية السورية الإنجيلية » وهى التى صار اسمها بعد الحرب العالمية الأولى « جامعة بيروت الأمريكية » وكان من فروع تلك الكلية مدرسة للطب ، وقد ظل تدريس العلوم جميعاً في هذه الكلية بالعربية حتى عام ١٨٨٣ م ثم حلت الإنكليزية محل العربية

وضع أساتذة الكلية السورية الإنجيلية هذه بضعة عشر كتاباً في مختلف العلوم :
الكيمياء ، والنبات ، والحيولوجيا ، وكان منها عدة كتب في فروع الطب المختلفة ،
وكان فيما استعملوه من مصطلحات ، طائفة استمدوها من كتب الطب العربي القديم
ولا يبعد أنهم اقتبسوا عدداً مما وضعه أساتذة قصر العيني ، كما ترجموا طائفة أخرى
محافظين في الغالب على اللفظ الإنكليزي كما هو بلا تبديل أو بإدخال تغيير يسير
عليه ، ولم يجرّدوا فيما أعلم ما استعملوه من مصطلحات في معجم خاص .

ولا بد لي هنا من الإشارة إلى أنه أنشئت في بيروت أيضاً سنة ١٨٨٥ م جامعة
أخرى فرنسية ، أنشأها الآباء اليسوعيون ولم يكن لكلية الطب الفرنسية هذه أي
إسهام في المصطلح الطبي العربي .

وما اطلعت عليه من مؤلفات أحد أساتذة كلية الطب الفرنسيين الدكتور دي
برون ترجمة لكتابه بعنوان «الخلاصة الطبية» ، طبع مطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٨٨٨ م
لم يخرج المترجم فيه عن مصطلحات مدرسة قصر العيني .

وفي بيروت أيضاً صدر سنة ١٩٦٧ بمناسبة الاحتفال بالعيد المئوي للجامعة
الأمريكية ، معجم طبي إنكليزي عربي باسم « قاموس حتى الطبي » صنعه الدكتور
يوسف حتى أستاذ الأمراض الباطنة والتشريح في كلية الطب بالجامعة الأمريكية حتى
سنة ١٩٢٨ ظهر له ثلاث طبعات آخر ، كان آخرها سنة ١٩٧٩ ، وهو في غاية
الأناقة والإتقان ، يقارب عدد صفحاته الألف ، وقد ألحق مؤلفه بطبعته الأخيرة
لوحات ملونة إيضاحية ، ومسردا عربيا إنكليزيا للألفاظ مرتبا على حروف
المجاء ، عدد الألفاظ فيه يربى على ١٠٠٠٠ كلمة . وقد اعتمد الدكتور حتى في معجمه
هذا على المصطلحات التي جاءت في منشورات المجامع اللغوية الثلاثة ، مضيفا إليها ما جاء
في معجمات أخرى في علمي الحيوان والنبات وغيرهما ، ولذا يكثر أن يقع
مقابل اللفظ الإنكليزي فيه عدة ألفاظ عربية مما نقله عن المصادر المذكورة ، وتكرر
طبع هذا المعجم أربع مرات خلال اثني عشر عاما يدل على ما لقيه من رواج .

أما بغداد فقد بدأ مجمعها العلمي العراقي أن ينشر في مجلة المجمع العلمي العراقي سنة
١٩٦٧ «المجلد الخامس عشر» ما أنجزته اللجنة الجمعية للمصطلحات الطبية ، وفي مقدمتها
مصطلحات التشريح ثم علم الجراحة وعلم الولادة ولم أطلع على سوى ذلك . تختلف
المنهجية التي سلكت في المصطلحات الطبية عن ماهي متبعة في كل من مصر والشام ، كما
أن السوابق واللاحق في المصطلحات لا تخلو من اختلاف أيضا .

وللمرحوم داود الحلبي معجم تخصصي في أمراض الجلد حسن الوضع :

وما طبع مرة في بغداد وأخرى في الموصل من المعجم الطبي الموحد فسيأتي ذكره حين البحث في توحيد المصطلحات .

وأما دمشق فقد رافق وضع المصطلحات الطبية فيها استعمالها بالفعل من اليوم الأول الذي أسست في دمشق مدرسة سنة ١٩١٩ عربية اللسان باسم « المعهد الطبي العربي » وفي عهد حكومة الأمير فيصل بن الحسين قبل أن يتوج ملكا على سورية وكان هذا المعهد خلفا من « مدرسة الطب العثمانية » التي فتحت أبوابها في دمشق سنة ١٩٠٣ وانتهى أمرها سنة ١٩١٨ بعد أن أصبح مستقرها في السنوات الثلاث الأخيرة في بيروت في مباني كلية الطب اليسوعية التي مر ذكرها والتي صادرتها الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى .

وكان التدريس في هذا المعهد الذي آل فيما بعد إلى كلية الطب في « الجامعة السورية » وهذه أصبحت اليوم « جامعة دمشق » بالعربية ولم يقو الانتداب الفرنسي الذي فرض على سورية بعيد إنشاء المعهد واستمر ربع قرن من الزمن .

لم يقو على تحويله عن ذلك ، وكل ما هنالك أنه زيد في مناهجه درس للغة الفرنسية إذ دخل في هيئة التدريس فيه ثلاثة أساتذة فرنسيين للطب الإنساني وأستاذ فرنسي واحد لمدرسة طب الأسنان يلقون محاضراتهم بالفرنسية ، وكانت محاضراتهم في بادئ الأمر تترجم إلى العربية :

نشط أساتيد هذا المعهد في وضع المصطلحات الطبية يؤازرهم في ذلك « المجمع العلمي العربي » الذي أسس سنة ١٩١٩ أيضا . وكانت خطتهم في ذلك نحو من الخطة التي اختطها أساتيد مدرسة قصر العيني : أحيوا ما وجدوه وافيا بالغرض من مصطلحات الطب العربي الإسلامي القديم ، واجتنبوا ما استطاعوا اللجوء إلى تعريب الألفاظ الأجنبية . وكان مما ساعد ذلك أن جل الأساتيد الأوائل في هذا المعهد قد تخرجوا في كلية الطب العثمانية في إسطنبول ، ومنهم من درس في مدرسة الطب العثمانية في دمشق ، وكان الأطباء الأتراك قد وضعوا لمصطلحات كثيرة أسماء بالعربية وأدخلوها في لغتهم :

كانت المحاضرات في هذا المعهد تبلى في بادئ الأمر على الطلاب إملاء ، إلا أن أساتيدته سرعان ما تخطوا هذه المرحلة إلى مرحلة التأليف بالعربية الفصحى ، وكان للطبعة الجامعة السورية التي أنشئت سنة ١٩٢٣ الفضل في تيسير نشر ما يؤلفون في مختلف علوم الطب

ومنذ سنة ١٩٢٤ أخذ المعهد يصدر مجلة شهرية شارك في الكتابة فيها أطباء ولغويون من مختلف الأقطار العربية ، وكانت بحوثهم ومناقشاتهم مما أعان على تحرير كثير من المصطلحات واختيار ما تثبت أولويته من الألفاظ المقترحة .

ومن السنن الحسنة التي أخذ بها أساتيد هذا المعهد وكانت توطئة لظهور معاجم المصطلحات ، أن كان كل منهم يالحق بكل كتاب يؤلفه مسردا للمصطلحات التي استعملها في ذلك الكتاب . وتلا ذلك وضع معجمات مختصة كان في طليعتها معجم الفيزياء « وكان هذا العلم وعلوم الكيمياء والحيوان والنبات مما يدرس في السنة التحضيرية لمعهد الطب » وضعه الدكتور جميل الخاني رحمه الله وألحقه بكتابه « القطوف البنيعة في علم الطبيعة » الذي أتى به بكل ما جاء إذ ذاك في هذا العلم ، ولم يقتصر اعتماد مصطلحاته على كلية الطب بل أخذ بها مدرسو التعليم الثانوي أيضا وفي مصالحي أخرى في القطر ، ولما كان الدكتور الخاني يدرس أمراض الجلد أيضا ، وضع في هذا الفرع من علم الطب مصطلحات ما يزال أكثرها مأخوذا به .

وتلا معجم الفيزياء « معجم الألفاظ والمصطلحات الفنية في فن الجراثيم » وضعه الأستاذ الدكتور أحمد حمدي الحياط رحمه الله سنة ١٩٣٤ وأتى فيه بمئات من المصطلحات العلمية ، وعمله هذا يعد فتحا جديدا في بابيه لم يسبق إليه .

ومن المعجمات المختصة ما قمت بوضعه في الأمراض الباطنة ، في سنة ١٩٣٥ أخرجت معجما فرنسيا عربيا وعربيا فرنسيا في أمراض الحملة العصبية ، وفي سنة ١٩٣٦ أخرجت معجما آخر في الأمراض الإنفانية والطفيلية ، تلاه سنة ١٩٣٧ معجم في أمراض جهاز التنفس .

وفي مصطلحات الكيمياء ألف الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي سنة ١٩٣٦ معجما كان كثير مما تضمنه مما وضعه هو نفسه ، طبع هذا المعجم ثمانى طبعات وكان الدكتور الكواكبي أستاذ الكيمياء في كلية دمشق ، درس مدة في كلية بغداد فكان — على ما حكى — أول من درس فيها بالعربية .

ووضع الأستاذ الدكتور مرشد خاطر « وهو من خريجي كلية الطب اليسوعية في بيروت » عدة كتب في الأمراض الجراحية ألحق إليها معاجم متخصصة كما أن مجلة المعهد الطبي العربي وهو المشرف عليها ، لم يخل أى من مجلداتها الحادية والعشرين من مسرد في مصطلحات الطب . والمعجم الشامل الوحيد الذي صدر في دمشق ، كان من وضع اللجنة — المصطلحات العلمية في كلية الطب من الجامعة السورية ، وقوامها من الأساتيد مرشد خاطر ،

وأحمد حمدي الحياط ، ومحمد صلاح الدين الكواكبي ، واسم المعجم هو معجم المصطلحات الطبية الكثر اللغات للدكتور أ. ل. كابر فيل وكثرة لغاته نابعة من أنه يحوي إلى الجانب الفرنسي الأصلي ، مسردين باللغتين الإنكليزية والألمانية ، وبانضمام الترجمة العربية إليه ، أصبحت لغاته أربع .

طبع النص العربي من هذا المعجم في مطبعة الجامعة السورية سنة ١٩٥٦ ومحمد كليات ١٤٥٣٤ في ٩٦٠ صفحة .

طلب إلى ساني المرحوم الأمير مصطفى الشهابي أن أشرف بهذا المعجم في باب التعريف النقد من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ولدى نظرتي السريعة الأولى إليه ، إذا به يستحق أن يكتب عنه فيما لا يستعيبه هذا الباب من العناية ، فتحوّلت إلى باب المقالات وكان عدد المقالات التي نشرتها في هذه المرحلة ١٤ ثم بدا لي من الخير أن أشفع هذه النظرة الأولى بنظرة أخرى أقرب إلى انتأني والاستقصاء وكان منها سائر المقالات ، وذلك بعنوان « استدراك وتعقيب » جاءت في ٥٣ مقالة .

نظرت في مصطلحات المعجم بعدئذ مادة بعد مادة ، ودونت وجهة نظري في الكثير منها مستنداً إلى المراجع الموثوق بها من معجمات طبية أجنبية مختلفة ومعجمات لغوية عربية ، وموازننا بين تلك المصطلحات وبين ما أقره مجمع اللغة العربية في القاهرة وما سبق أن شاع استعماله من قبل في كلية الطب في دمشق ، إلى جانب إثبات الترجمة الإنكليزية لبعض المصطلحات التي لا تنطبق على المصطلح الفرنسي ، وهكذا بلغت عادة المقالات ٦٧ ، ولما جمعت نسائلكها كون مجموعها مجلداً آربي عدد صفحاته على الألف في آخره : ولست أدعي أنني جئت فيما عرضت له بالقول الفصل ، بل بأكبر ظني أنني لو أتيت لي معاودة النظر — بعد طول هذه المدة — في هذا الذي كتبت لزدت أشياء واستدركت أشياء ، إلا أنني كما أرجو أن أكون بما صنعت — قد أسهمت إسهاماً ضئيلاً في وضع مصطلحات الطب ، وأن أكون قد دلت بعض المصاعب ، لأن الطريق طويل ، والحاجة إلى متابعة العمل وتضافر الجهود فيه ستظل قائمة مادام العلم في تطور العلم والله من وراء القصد .

وهناك معجم طبي آخر « فرنسي — عربي » شرحت الألفاظ فيه شرحاً موفياً ، من صنع المرحومين مرشد خاطر وأحمد حمدي الحياط يقع في أربعة أجزاء ، صدر منه الجزء الأول قبل عدة سنوات بإشراف نجل الدكتور هيثم الحياط نجل الدكتور أحمد حمدي الحياط بعد أن أضاف إليه ما يقابل اللفظ الفرنسي من لفظ إنكليزي وتوقف بل تريت لإتمام نشره

بانتظار الانتهاء من توحيد المصطلحات ، الأمر الذي لا بد وأن يحمله من إعادة النظر فيه إزاء التعدد في المصادر ، والجهات التي عنيت بمصطلحات الطب العربية وما بدا في وضعها وصياغتها من مفارقات ليست بالقليلة ، وما حدث في شأنها من بلبلة واضطراب ، إزاء هذا كله ، كان لا بد من التفكير والسعي وراء توحيد ما اختلف فيه ، وما أكثره ؟ ومن أحق منا نحن معشر الأطباء بأن يضطلع بهذا الأمر الخطير ، فلا عجب أن ينهض اتحاد أطباء العرب مشكورا وأن يعد لهذا الأمر عدته باتخاذ قرار سنة ١٩٦٦ بتوحيد مصطلحات الطب العربية وأن يسند تحقيق هذه الأمنية إلى صفوف مختارة - كما جاء في القرار - من أساتيد وأطباء راسخين في علمهم ومتمكنين من لغتهم الضادية - وأنالم أكن بينهم في بادئ الأمر - جاعلا منهم لجنة لم تلبث أن والت اجتماعاتها طوال عدة سنوات متنقلة بين العواصم العربية المختلفة .

تولى الزميل الأستاذ محمود الحليلى - نائب رئيس المجمع العلمي العراقي - مقرو اللجنة - رئاسة تحرير هذا المعجم ، وقام المجمع العلمي العراقي مشكورا في مطبعته بطباعة بعض التجارب من المصطلحات المقررة ممن يعينهم أمرها لاستطلاع الرأى فيها - وكان عدد من استجاب لهذه الرغبة قلة - ويا للأسف - وتم طبع الطبعة الأولى من المعجم - المعجم الطبي الموحد - إنكليزي عربي سنة ١٩٧٣ في بغداد ، أثبت على غلافه - طبعة خاصة - إذ جاء في آخر صفحاته وعددها ٣٨٥ ما يلي : استدراك وتصويب : بعد إنجاز طبع هذا المعجم أعيد النظر فيه مرة أخرى وأجريت التعديلات والاستدراكات الآتية ، وبلغ عددها ٣٧٦ في أربع عشرة صفحة . ومع هذا أعيد طبع هذا المعجم بالأوفست في القاهرة سنة ١٩٧٧ بصورته السالفة بلا تغيير وبعد سنة أخرى (١٩٧٨) طبع في مطبعة جامعة الموصل طبعة ثانية مصححة :

وكان من مقررات مجلس وزراء الصحة العرب سنة ١٩٧٩ السعي إلى إيجاد معجمين طبيين أحدهما إنكليزي عربي والثاني فرنسي عربي يعتمد عليهما المكتب الإقليمي لمنطقة الصحة العالمية بشرق البحر الأبيض المتوسط ، حسما للخلاف الكثير البادى في المصطلحات الطبية والصحية في التقارير وفي ترجمة المنشورات في مختلف أقطار الوطن العربي بعد أن أخذ كل واحد يعمل على هواه ، وأوكل أمر تحقيق هذه الأمنية إلى المكتب الإقليمي المذكور وسرعان ما دعا مدير المقر في الإسكندرية أعضاء لجنة المعجم الطبي الموحد ، لاستطلاع الرأى فيما هو عاقد العزم عليه ، وبعد المذاكرة رأى المجتمعون أن تكلف لجنة جديدة تضم بين أعضائها معجم أعضاء اللجنة السابقة

لاتحاد أطباء العرب ، مع زملاء جدد من ذوى الثقافة الفرنسية ، مهمتها إعادة النظر فى المعجم السابق وإضافة ما ينبغى أن يضاف إلى المعجم ما فات إثباته فيه من المصطلحات .

وبعد عقد عشر لقاءات فى بلدان شرقى الوطن العربى وغربه على مدى أربع سنوات أنهت اللجنة عملها ، ووكلت الإشراف عليه إلى مقرر اللجنة الزميل النشيط الدكتور محمد هيثم الحياط عضو مجمع اللغة العربية بدمشق ومن أساتيد كلية الطب فيها ، فبذل - جزاه الله خيرا - الجهد المشكور ومضى فى التحرير والإشراف على الطباعة - وقد تمت فى سويسرا ، بعد أن أضاف إليه مسردا عربيا إنكيازيا ليعين به الباحث العربى فى إيجاد ما يقابل الكلمة العربية من لفظ إنكليزى ، فضلا عن مئات الصور الإيضاحية ، آخر الكتاب ، فجاء هذا المعجم الثلاثى اللغات : إنكليزى - عربى - فرنسى ، أفضل من سابقه ومما صدر من هذا النوع من معجمات طبية شاملة ، وأخرج المعجم بحلة قشبية تسر الناظرين ، اشتمل على ٢٣٠٠٠ مادة فى ٧٦٠ صفحة وعلى ١٥٠٠٠ كلمة فى المسرد المشار إليه والمرتب على الحروف الهجائية وهكذا تم إنجاز المعجم بشكله الحالى على نفقة منظمة الصحة وإسهام مady من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة للجامعة الدول العربية ويؤمل أن يصدر قريبا نسخة منه بترتيب فرنسى - عربى - إنكليزى ؛ لتلبية الحاجة الأقطار العربية التى درس أطباؤها ومثقفوها اللغة الفرنسية .

لقد عمل القائمون على هذا المعجم ما فى وسعهم فى طبعته الثالثة على أمثل صورة ممكنة ولا يدعى لعملهم أنه جاء منزها عن الخطأ ومبرءا من كل عيب ، وإنما هو خطوة على الطريق الطويل - كما قلت آنفا - ولا بد أن يتعاقب على هذا العمل فيه لجان بعد لجان ليضاف إليه ما يجد من جهة ، وليتناول ما سبق من جهة أخرى ، وبالتنقيح والتهذيب والإصلاح على هدى ما يظهر صوابه ، مما يقوم إليهم من مقترحات وما يوجه إلى عملهم من نقد هادف .

هذا آخر ما أدت إليه المساعى الحميدة من أجل توحيد المصطلحات الطبية العربية ولا شك أن غيرها من العلوم الأخرى لقيت وستلقى الاهتمام المرتبى ، لنخلص إلى التأكيد بأن لغتنا المقدسة لغة حية خالدة .

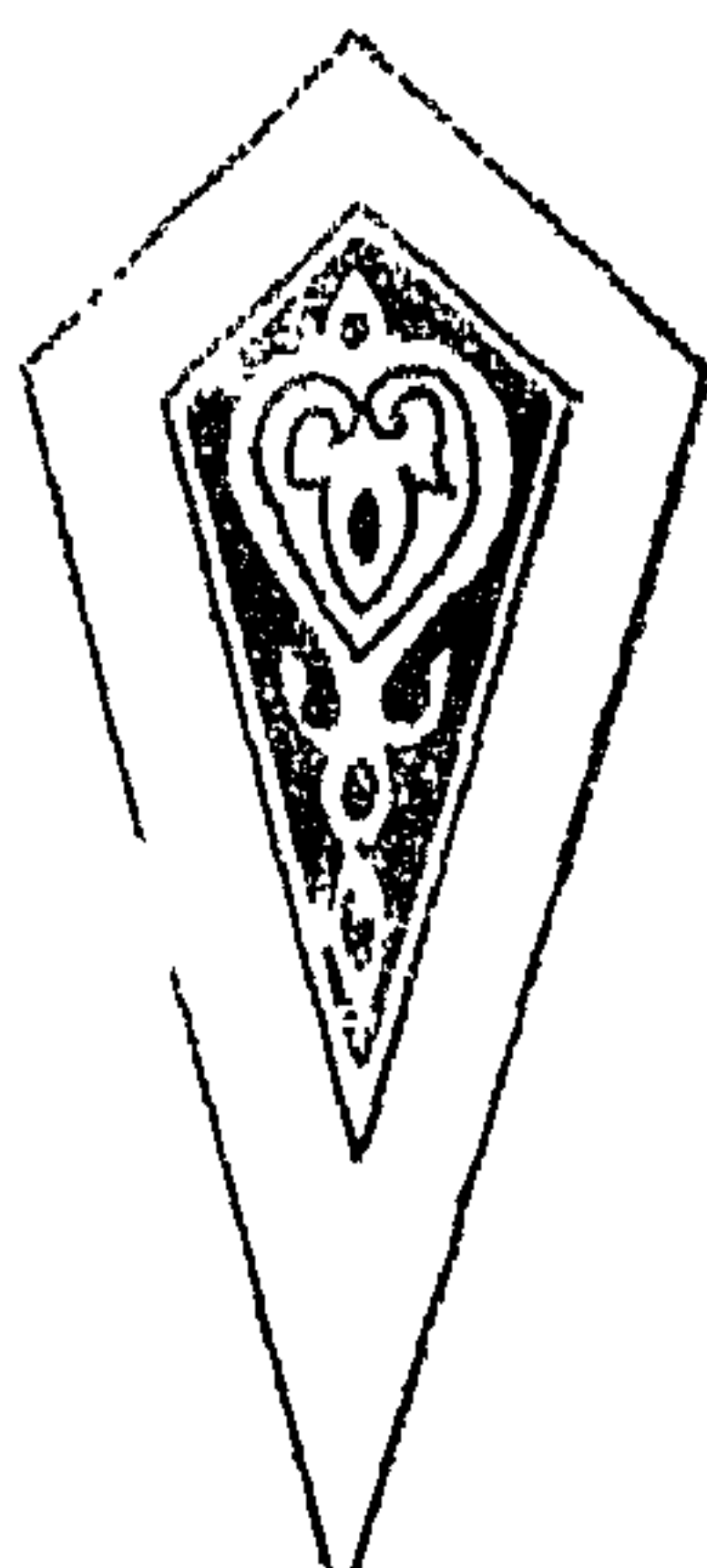
* * *

هذا ما كان من أمر توحيد المصطلحات فى شرقنا العربى الأوسط أما المغرب العربى وفى مدينة الرباط وفى معهد الدراسات والأبحاث للتعريب على التخصيص فإن ، مديره النشيط الدكتور أحمد الخضر غزال يقدم على عمل ، الأول من نوعه فى العالم العربى ، يرجى فيه

الخبر العيم وذلك من أجل توحيد المصطلحات العلمية ومن بينها مصطلحات الطب ، موضوع بحثي هذا ، وذلك بالاستعانة بالحاسوب - الكمبيوتر - إحدى عجائب هذا العصر .

إن ما صنعه الأستاذ غزال كما رواه إلى ورأيت بعضه ، حينما أتيح لي زيارة معمله قبل بضعة أشهر ، أنه حضر مئات الألوف من جزازات تحوى كل ما نشر من معجمات و مسارد لغوية في دنيا العروبة قاطبة ، ثم أخذ بتصنيفها فتدقيقها ومن بعد تمحيصها ونخلها ليخلص بعد هذا كله إلى ما هو جدير بالأخذ به لخزنه ، وقال : « لي إن حصيلة ما خزنه حتى يوم لقائنا إذ ذاك ، بلغ ٤٠٠ ألف » ، ثم خزنه وبرمجته في مركز الحاسوب العالمى في روما . وبعد هذا أصبح من السهل جدا ، أن يلجأ الباحث إلى الحاسوب بالتلكس للبحث عن مطلوبه فيتلقى الجواب بعد دقيقة أو أكثر قليلا ، ماثلا أمامه بخط عربي مشكول وبجانبه اللفظ الأجنبي على شاشة شبيهة بشاشة التلفاز ، طلب إلينا الأستاذ اختبار عمله فاخترت بعض ألفاظ طبية أذكر منها ثلاثة : أولها المصطلحات التي تنتهى بالكاسعة thie بالفرنسية أو thy و thia بالإنكليزية من أمثال neuropathy و myopathy وما حملنى على هذا الانتقاء الاختلاف الواقع في ترجمة هاتين الكلمتين وما كان على شاكتهما فقد جاءت ترجمة neuropathy في معجم شرف : مرض عصبي و myopathy مرض عضلى ، مرض العضلات أو النسيج العضلى . وفي معجم كليرفيل : عصبية في الأولى ومرض عضلى في الثانية وما أثبتته في النظرة - نقد معجم كليرفيل - هو اعتلال عصبي واعتلال عضلى للأولى والثانية ، وهو ما أثبت في المعجم الطبى الموحد . ولدى استفتاء الحاسوب كان اعتلال عصبي ، إصابة عصبية في الأولى واعتلال عضلى في الثانية .

الدكتور حسنى سبيح
عضو المجمع (دمشق)



لغة القانون في مصر

للدكتور عز الدين عبد السيد

تمهيد :

نقصد بلغة القانون « لغة علم القانون » . ولما كان القانون هو مجموعة القواعد التي يقوم عليها نظام المجتمع وتحكم سلوك الأشخاص وعلاقاتهم فيه ، ويكفل احترامها ما للسلطة العامة من قوة الجبر والإلزام ، كان منطقيا أن يتخذ علم القانون مكانه بين سائر العلوم الاجتماعية التي يطلق عليها أيضا « العلوم الإنسانية » ، وأن يكون متصلا بها معتمدا عليها في إقامة قواعده . فالقانون يتصل بعلم السياسة عندما يعنى بوضع قواعد النظام السياسى في المجتمع ، ويتصل بعلم الاجتماع من حيث الاعتماد عليه في معرفة الحقائق الاجتماعية في المجتمع ، ويتصل بعلم التاريخ للإفادة من تجارب الماضي لمختلف النظم القانونية ، كما أنه يتصل بعلم الاقتصاد عندما يعنى بتنظيم الروابط الاقتصادية .

هذا وليس ثمة شك في أن من أوليات المسائل في أى علم من العلوم وضع مصطلحاته وضبط تعاريفه . وقد بالغ البعض في التعبير عن هذا المعنى بقوله « كل علم ما هو إلا لغة محكمة الصنع » . وللمصطلحات والتعريفات أهمية خاصة في العلوم الاجتماعية من حيث كون المبتدئ منها بصفة أساسية هو التعبير « بكلمات » عن « أفكار » تمثل بذاتها « حقائق » .

وعلى ذلك فإنه يلزم لغة القانون وضع مصطلحات القانون وضبط تعريفاته . وهى ، بعده ، لغة تتصف بسمات ثلاث ، هى : الدقة والبساطة والوضوح ، يترتب على تخلف أى منها الوقوع في التخليط وصعوبة الوصول إلى فهم حقيقة المراد . ولا يحول الحفظ على هذه السمات دون انتقاء الجزل من الكلام والشيق من أساليب التعبير .

(*) أستاذ كرسى القانون الدولى الخاص بكلية الحقوق بجامعة القاهرة حتى ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٥٦ - عميد كلية الحقوق بجامعة عين شمس من ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٥٦ حتى ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٦٦ ، وأستاذ كرسى القانون الدولى الخاص بهذه الكلية حتى يولية سنة ١٩٧٤ ، وأستاذ متفرغ بها حتى سبتمبر سنة ١٩٧٧ ، ثم أستاذ غير متفرغ بها حتى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٧٨ ، تاريخ اعتزاله العمل بناء على طلبه .

والقانون الذى نضطلع ببيان لغته هو ما أستخدم على تسميته « القانون الوضعى » . وهذا مصطلح فى لغة القانون استقر فى الفقه المصرى ترجمة للمصطلح الفرنسى droit Positif الذى يعنى « مجموعة القواعد القانونية التى تكون « النظام القانونى » الذى يحكم فعلا حياة جماعة من الناس فى مكان معين وزمان معين . وبهذا المعنى يقال « القانون الرومانى » و « القانون الفرنسى القديم » و « القانون الفرنسى الحالى » و « القانون المصرى الحالى » . فالمقصود بصفة « الوضعية » للقانون هو توافر « الإيجابية » أو « الفعالية » (وهى الترجمة الدقيقة للكلمة الفرنسية (Positif Positif) لقواعده بمقتضى ما يصاحبها فى التطبيق من إجبار على احترامها وسريانها ، تفرضه السلطة العامة فى المجتمع .

والقانون الوضعى بهذا المعنى هو موضوع علم القانون ، الذى يبحث فيما هو « كائن » ، وذلك على خلاف « علم فلسفة القانون » الذى يعنى بالبحث عما « يجب أن يكون » ، فهو لا يتناول نظاما قانونيا لجماعة من الناس فى زمان معين ، بل يتناول القانون فى شمول ، مفتشا عن الأصول والخصائص العامة لتطوره التاريخى ، ومتخذنا فى تقديره معيارا من العدل المثالى الذى يفرضه العقل وحده .

ويرتبط تاريخ لغة القانون فى مصر بتاريخ بداية وجود « القوانين الوضعية » فيها . وبيان ذلك أن ولاية القضاء فى مصر كانت موزعة بين جهات عديدة ، تطبق كل منها شريعة خاصة بها . ويأتى فى صدارة هذه الجهات المحاكم الشرعية ، وكانت ولايتها عامة من حيث مادة الخصومة ، فتشمل المواد المدنية والمواد الجنائية ومسائل الأحوال الشخصية ، وذلك فيما عدا ما يكون من هذه المسائل خاصة بغير المسلمين فيلجأون فى شأنها إلى مجالسهم الطائفية (أى المجالس المليية) وقامت بجانب هذه الجهات « المحاكم القنصلية » ، وهى محاكم أجنبية تطبق كل منها قانون الدولة التى تتبعها . وقد جاءت هذه المحاكم وليدة نظام الامتيازات الأجنبية التى نشأت فى مصر فى القرن السادس عشر إبان تبعيتها للدولة العثمانية (وقد نشأ) « الامتياز الأول » بمعاهدة أبرمت مع فرنسا فى سنة ١٥٣٥ ، وجاء بعده « الامتياز الأكبر » بمقتضى معاهدة أبرمت مع فرنسا فى سنة ١٧٤٠ وتلتها امتيازات مماثلة تقرر بمعاهدات أبرمت مع عدد من الدول الأوروبية خلال القرن الثامن عشر ، وبمعاهدة أبرمت مع الولايات المتحدة الأمريكية فى سنة ١٨٣٠ . واعتاد رجال الإدارة (الحكام) الفصل فيما يرفع إليهم من خصومات ، فاجتزأوا بذلك جانباً من ولاية القضاء .

وظلت الحال كذلك حتى عهد محمد علي باشا فامتدت يده إلى القضاء ليصلحه . وكانت الخطوة الأولى في سبيل هذا الإصلاح هي إنشاء مجلس قضائي سمي أول الأمر « جمعية الحقانية » ، وسمى فيما بعد « مجلس الأحكام » ، (سنة ١٨٣٩) . ونيطت بهذا المجلس مسائل كثيرة ، من تشريعية وقضائية ، أخصها ذكرها القضايا العامة التي تقدمها إليه « دواوين الحكومة » . ثم مست الحاجة لهيئة تتولى الفصل في المواد التجارية ، فأنشئ « مجلس تجار الإسكندرية » ليفصل في المنازعات التجارية بين « الأهالي » (أي الوطنيين) بعضهم وبعض ، أو بينهم وبين الأجانب . ثم أنشئ « مجلس تجار مصر (القاهرة) » على غرار مجلس تجار الإسكندرية . وفي عهد عباس الأول تم إنشاء خمسة مجالس قضائية للأقاليم . وأخذ الزمن يحكم على هذه المجالس جميعا من حيث كفايتها للغاية المبتغاة منها ، ألا وهو تكوين هيئة قضائية . وكان الحكم حينها ضدها فتلغى وترد وظائفها إلى رجال الإدارة (كما حصل في عهد سعيد باشا سنة ١٨٥٧) وأحيانا لصالحها فتتعدد ويتفرع تربيها وتشكيلها ، حتى استقرت في عهد إسماعيل إلى أن عصفت بها يد الإصلاح الحارف الشامل . وفي سنة ١٨٧٣ أنشئت « المجالس الحسبية » لتختص بمسائل الولاية على المال .

وقد كان هذا التعدد في جهات القضاء وعدم وجود ضوابط دقيقة تحدد ولاية كل منها ، مؤديا إلى وقوع التنازع في الاختصاص فيما بين بعضها والبعض ، وإلى تحقق تضارب الأحكام الصادرة منها ، مما وصف بحق بأنه « فوضى النظام القضائي » ، الذي صاحبه فوضى النظام التشريعي . ودعت هذه الحال إلى التفكير الجاد في الإصلاح الشامل ، وجاءت الخطوة الأولى في سبيله بإنشاء المحاكم المختلطة « (وهي محاكم مصرية تولى من مصريين وأجانب) على غرار الأنظمة القضائية الأوروبية الحديثة ، وذلك في سنة ١٨٧٥ ، وأصدرت مجموعات قوانين (تقنينات) نقلا عن القانون الفرنسي ، تطبقها هذه المحاكم فيما يدخل في ولايتها من مسائل (وهي القانون المدني والقانون التجاري والقانون البحري وقانون المرافعات والقانون الجنائي وقانون تحقيق الجنايات) . وجاءت الخطوة الثانية في سبيل هذا الإصلاح بإنشاء « المحاكم الأهلية » (في سنة ١٨٨٣) وإصدار مجموعات قوانين تطبقها فيما يدخل في ولايتها من مسائل ، وذلك على غرار المجموعات (التقنينات) المختلطة .

وبصدور مجموعات القوانين المختلطة ومجموعات القوانين الأهلية وجد « القانون الوضعي » ، بمعناه السابق ذكره ، في نطاق واسع في مصر ، ووجدت « لغة القانون

الوضعي» ، وهى لغة أجنبية بالنسبة للقوانين المختلطة والمحاكم المختلطة ، ولغة عربية بالنسبة للقوانين الأهلية والمحاكم الأهلية وكان ما يصدر من قوانين ينشر فى الجريدة الرسمية بهاتين اللغتين . وقد زال هذا الإزدواج فى لغة القانون فى ١٥ من أكتوبر سنة ١٩٤٩ ، وهو التاريخ الذى انقضى أجل المحاكم المختلطة بحلوله تنفيذا لأحكام اتفاق إلغاء الامتيازات الأجنبية فى مصر المبرم فى سنة ١٩٣٧ . وانفردت لغة القانون العربية فى الميدان القانونى . وكما انقضى أجل المحاكم المختلطة ، انتهى العمل بمجموعات القوانين المختلطة . واستمر العمل بمجموعات القوانين الأهلية ، وكان قد لحق بعضها التعديل ، إذا أصدر فى سنة ١٩٠٤ قانون العقوبات وقانون تحقيق الجنايات اللذان حلا محل قانونى سنة ١٨٨٣ ، ثم أصدر فى سنة ١٩٣٧ قانون عقوبات جديد لا يزال ساريا حتى الآن . وقد نشطت الحركة التشريعية لتعديل هذه المجموعات بعد العمل باتفاق إلغاء الامتيازات واستكمال مصر سيادتها التشريعية ، فصدر القانون المدنى فى سنة ١٩٤٨ وصدر قانون المرافعات فى سنة ١٩٤٩ ليعمل بهما ابتداء من ١٥ أكتوبر سنة ١٩٤٩ ، كما صدر قانون الإجراءات الجنائية (وهى التسمية الحديثة لقانون تحقيق الجنايات) فى سنة ١٩٥٠

على هذا الوجه نشأت « لغة القانون الوضعى » فى مصر . وهو تعبير ينصرف ، إذا ما أطلق إلى « لغة علم القانون » أو « لغة الفقه » ، لأن فقهاء القانون هم الذين يصنعونها ، وهى لغة تتصف بها تقدم ذكره من السمات ، ويتفرع منها فى الميدان القانونى لغة التشريع ولغة القضاء ولغة المحاماه ، ويكون لكل منها خاصة أو أكثر تميزها من غيرها .

أولا - لغة التشريع :

وكانت لغة التشريع أسبق فى الوجود فى مصر من سائر هذه اللغات بما فى ذلك لغة علم القانون ذاتها . وليست هذه الأسبقية فى الوجود أمرا مستغربا ، لأن « القانون الوضعى » دخل مصر فى صورة تشريع تضمنه « مجموعات قوانين » (أى تقنينات) وضعت باللغة الفرنسية ، ثم ترجمت « مجموعات القوانين الأهلية » إلى اللغة العربية ، وكانت هذه الترجمة أول « لغة تشريع عربية » فى مصر فى مجال القانون الوضعى . وكانت مهمة المترجم شاقة وعسيرة . فهو قد واجه مصطلحات ونظما قانونية لا تتفق تماما فى المعنى والمضمون مع مثيلاتها فى الفقه الإسلامى ، كما واجه مصطلحات ونظما قانونية

غير معروفة في هذا الفقه . ولم يبلغ الأمر عنده هذا القدر من المشقة بالنسبة للسائل القانونية التي أستقيت أحكامها من الشريعة الإسلامية ، مثل الشفعة وبيع المريض مرض الموت .

وإذا ما قيس جهد ناقل هذه المجموعات القانونية إلى اللغة العربية بزمانه لكان جهدا جديرا بالتقدير والاحترام ، وبخاصة عند من يعاني النقل إلى اللغة العربية من لغات أجنبية فيما استجد من فروع القانون أو في موضوعات كل منها ، في زماننا الذي نعيشه . على أنه رغم هذا الجهد الكبير الذي بذل في نقل هذه المجموعات إلى اللغة العربية ، سرعان ما بدا الخلاف في بعض المواضع بين النص الفرنسي والنص العربي . ووقف القضاء حائرا أمام هذا الخلاف . فرأى بعض المحاكم « وجوب الأخذ بالنص الفرنسي لأنه الأصل الذي وضعت به المادة ، فضلا عن أن اللغة الفرنسية هي لغة القانون » . ورأى البعض الآخر من المحاكم « وجوب الأخذ بالنص العربي ، وذلك أولا — لأن القانون استلزم النشر . وهذا يكون باللغتين العربية والفرنسية ، وجمهور الأفراد يجهل اللغة الفرنسية فيتعين الأخذ بالنص العربي . وثانيا — لأن لغة المناقشة في القوانين هي اللغة العربية » . ورأى بعض الفقهاء « وجوب التوسط بين الرأيين واعتبار اللغتين العربية والفرنسية لغتين أصليتين ، ويرجع إلى ظروف كل حالة ويؤخذ بالنص الذي يظهر أنه يتفق مع غرض المشرع » .

على أن هذا الوليد الجديد « لغة التشريع » قد تولاه بالعناية والنماء رجال القانون الأوائل ، رواد القانون الوضعي المصري ، فتناولوا نصوص مجموعات القوانين ، وغيرها من التشريعات ، بالشرح والتفسير وإزالة غموض النص وسد نقصانه حيث وجد ، ونقد عبارة النص أو حكمه ، واقتراح البديل المستحسن لما هو وارد في التشريع من مصطلحات أو تعريفات أو تعبيرات أو أحكام . وكان من هؤلاء الرجال أساتذة بمدرسة الحقوق (كلية الحقوق بجامعة القاهرة فيما بعد) وقضاة ومحامون . وكان بين هؤلاء وأولئك القاضي الفقيه والحامي الفقيه ، مما يشبه ما كانت عليه الحال عند الرومان ، إذ كثيرا ما وصف رجل القانون الروماني بأنه فقيه وقاض ومشرع . ونذكر من هؤلاء الرواد الذين بدأ نشاطهم في أواخر القرن الماضي وتوالى في أوائل القرن العشرين الأساتذة : أحمد فتحي زغلول وأحمد قمحة ومحمد حلمي عيسى وعبد العزيز فهمي وعلي ماهر وعبد الحميد بدوي وعبد الحميد أبو هيف وعبد الفتاح السيد وأحمد لطفي وأحمد نجيب الهلالي ومحمد صادق فهمي وعبد السلام ذهني ومحمد كامل مرسى وأحمد أمين وأحمد نشأت وعلي زكي العراقي وعبد الرزاق أحمد السنيهوري ومحمد صالح وعلي الزيني وكامل ملش ومحمود سامي جزيه وأحمد صفوت وعزيز خانكي .

والواقع من الأمر أن عناية هؤلاء الرواد بلغة التشريع إنما جاء خلال صنعهم لغة علم القانون أو لغة فقه القانون . ولقد صاحب جهدهم في لغة التشريع جهد آخر بذلته « إدارة قضايا الحكومة » . ولهذا الإدارة تاريخ قديم . ذلك أنه لما أنشئت المحاكم المختلطة عقد لها الاختصاص بنظر الدعاوى التي ترفع بين الحكومة والأجانب ، الأمر الذي اقتضى أن يكون للحكومة من يمثلها أمام هذه المحاكم من الموظفين رجال القانون . لذلك عنيت الحكومة بإنشاء قوميتيه (تعريب الكلمة الفرنسية Comité) قضايا الحكومة « أى «لجنة قضايا الحكومة» لتتولى الدفاع عنها أمام هذه المحاكم ، ثم تولت هــ ـ هذا الدفاع أمام المحاكم الأهلية بعد إنشائها . كان إنشاء هذه اللجنة في سنة ١٨٧٤ . وتناول نظامها التعديل في سنة ١٨٧٦ فأعتبرت « هيئة استشارية للحكومة وممثلة لها أمام القضاء » . وتوالى تعديل هذا النظام في سنة ١٨٨٠ ثم في سنة ١٨٨٤ حيث أضيف إلى اختصاصها « تحضير القوانين والأوامر واللوائح » . وفي سنة ١٨٩٦ أنشئت « اللجنة الاستشارية لسن القوانين واللوائح » مهمتها « وضع مشروعات القوانين والأوامر واللوائح في صيغة قانونية القوانين والأوامر واللوائح في صيغة قانونية وجعل نصوصها ملائمة للقوانين المتبعة » . وفي سنة ١٩٢٣ صدر القانون الأخير « بتنظيم أعمال إدارة قضايا الحكومة » التي آلت إليها اختصاصات مختلف هذه الهيئات ، وأخصها ذكرها وضع مشروعات القوانين والأوامر واللوائح في صيغة قانونية . وظلت هذه الإدارة تمارس هذه المهمة حتى آلت إلى مجلس الدولة منذ إنشائه في سنة ١٩٤٦ . ويجرى التعبير عن هذه المهمة في قانون هذا المجلس الصادر في سنة ١٩٧٢ بما تنص عليه المادة ٦٣ منه أنه « على كل وزارة أو مصلحة قبل استصدار أى قانون أو قرار من رئيس الجمهورية ذى صفة تشريعية أو لائحة أن تعرض المشروع على قسم التشريع لمراجعة صياغته ، ويجوز لها أن تعهد إليه بإعداد هذه التشريعات » .

وهكذا ، منذ أواخر القرن الماضي وخلال الربع الأول من القرن العشرين ، ولدت لغة التشريع وأخذت تنمو وتبدأ ، وإنما بخطى مدروسة وجهود صادقة . وهى لغة وصفها أستاذنا الفقيه القاضى المشرع الدكتور عبد الرزاق السنهورى بقـوله « يجب أن تكون واضحة دقيقة . فاللغة المعقدة تجعل القانون مغلقا ، كما أن اللغة غير الدقيقة تجعل القانون مبهما . ويجب أن يكون للتشريع لغة فنية خاصة به ، يكون كل لفظ فيها موزونا محدود المعنى . ولا يجوز أن يتغير معنى اللفظ الواحد باستعماله في عبارات مختلفة . كما أنه إذا عبر عن معنى بلفظ معين ، وجب ألا يتغير هذا اللفظ إذا أريد التعبير عن هذا المعنى مرة أخرى . ولا يتنافى أن تكون لغة التقنين غنية على أن تكون بسيطة تنزل إلى مستوى فهم الجمهور » .

واستمرت لغة التشريع ترتقى صعوداً خلال الثلاثينات والأربعينيات وأوائل الخمسينيات . وهو ارتقاء أسهم فيه كل من اشترك في إعداد التشريع أو مراجعة صياغته أو نقده . في هذه الحقبة من الزمان . فبعد أن قام النظام النيابي في مصر بالعمل بدستور سنة ١٩٢٣ وجدت الهيئة التشريعية مجسمة في البرلمان (مجلس الشيوخ ومجلس النواب) ، وضمت اللجان التشريعية المشكلة داخلها أكفأ من رجال القانون ، أكثرهم من كبار المحامين المتفهمين في القانون . وبذلك اتفرت لهذه الهيئة مكنة الارتقاء بلغة التشريع ، وذلك بجانب مجهود مجلس الدولة منذ إنشائه ، وجهود فقهاء القانون من أساتذة الحقوق وغيرهم من المشتغلين بالقانون . ويجب أن يذكر بالعرفان والتقدير في هذا المقام فضل اللجان التشريعية التي تولت وضع مشروعات عدد من التقنيات الجديدة ، مثل التقنين المدني (الصادر في سنة ١٩٤٨) وتقنين المرافعات (الصادر في سنة ١٩٤٩ ثم التقنين الصادر في سنة ١٩٦٨) .

وأن من يدرس مختلف هذه التقنيات ليستظهر في يسر ويقين مستوى ارتقاء لغة التشريع في مصر واتصافها بما سبق ذكره من السمات . تأمل المادة الأولى من التقنين المدني وهي تقول : « تسرى النصوص التشريعية على جميع المسائل التي تتناولها هذه النصوص في لفظها أو في فحواها . . . » ، والمادة ٩٠ منه وهي تقول : « التعبير عن الإرادة يكون باللفظ وبالكتابة وبالإشارة المتداولة عرفاً ، كما يكون باتخاذ موقف لا تدع ظروف الحال شكاً في دلالاته على حقيقة المقصود . . . » . والمادة ١٢٩ منه وهي تقول : « إذا كانت التزامات أحد المتعاقدين لا تتعادل البتة مع ما حصل عليه هذا المتعاقد من فائدة بموجب العقد أو مع التزامات المتعاقد الآخر ، وتبين أن المتعاقد المغبون لم يبرم العقد إلا لأن المتعاقد الآخر قد استغل فيه طيشاً بيناً أو هوى جاحماً ، جاز للقاضي بناء على طلب التعاقد المغبون أن يبطل العقد أو أن ينقص التزامات هذا المتعاقد . . . » . ثم تأمل المادة الثالثة من تقنين المرافعات الصادر في سنة ١٩٦٨ (وهي منقولة عن المادة ٤ من تقنين المرافعات الصادر في سنة ١٩٤٩) وهي تقول : « لا يقبل أى طلب أو دفع لا تكون لصاحبه فيه مصلحة قائمة يقرها القانون ، ومع ذلك تكفى المصلحة المحتملة إذا كان الغرض من الطلب الاحتياط لدفع ضرر محقق أو الاستيثاق لحق يخشى زوال دليله عند النزاع فيه » . أفبعد هذا دقة في بيان المراد وبساطة ووضوح في التعبير ، مع جزالة اللفظ وحسن الأسلوب !!

وقد انبسطت لغة التشريع هذه في عدد من البلاد العربية التي تأثر مشروعها بالتقنيات المصرية فيما أصدرته من تقنيات جديدة استعانوا في وضعها ببعض الفقهاء المصريين ، وبخاصة الأستاذ الدكتور عبد الرزاق السنهوري . نذكر من هذه

التقنيات القانون المدنى السورى (الصادر فى سنة ١٩٤٩) وقانون أصول المحاكمات السورى (أى قانون المرافعات الصادر فى سنة ١٩٥٣) والقانون المدنى العراقى (الصادر فى سنة ١٩٥١) والقانون المدنى الليبى (الصادر فى سنة ١٩٥٣) والقانون الكويتى رقم ٥ لسنة ١٩٦١ بتنظيم العلاقات القانونية ذات العنصر الأجنبى .

على أن موجة عارمة من التشريع سادت مصر فى الخمس وعشرين سنة الأخيرة صاحبها الإسراع فى إعداد وإصداره . وقد ترتب على التعجل فى التشريع عدم إيفائه بالغاية المقصودة منه وظهور العجز فيه ونقصانه فى بعض الحالات ، مما يشهد به أن تشريعا يصدر ولا يكاد يمضى عام أو أكثر إلا ويجرى تعديله أو إلغاؤه وإصدار تشريع جديد . ومهما قيل من أن سرعة تطور أحوال البلاد وتنوع احتياجاتها كانا يقتضيان هذا التعجل فى التشريع ، فإن ذلك لا يبرر ما جرى ، وكان من المستطاع توخى مزيد من الدقة فى التقدير . هذا من حيث أحكام التشريع . أما من حيث لغة التشريع فقد أصابها الهزال وبدأت فى بعض الأحيان فاقـة بعض سماتها المذكورة آنفا ، وتوقف ارتقاؤها ، لا بل إنها أصيبت بنكسة قد تعود بها إلى الوراء . وليس من الإنصاف فى شيء أن تلقى المسؤولية عن كل ذلك على كاهل الجهات التى عهد إليها بإعداد التشريع أو مراجعة صياغته ، أى مختلف اللجان التشريعية الخاصة ومجلس الدولة ، فقد وقعت أحداث وتوافرت ظروف ، يعرفها ويعيها كل من عاش خلال هذه المدة ، شاركت فى هذه المسؤولية حتى أنه ترمى إلى السمع أن بعض التشريعات كان يصدر دون أن يعرض على مجلس الدولة . ترى متى يأتى فجر صحوة تستعيد بها لغة التشريع سابق رفعتها وتزدهر مسائرة سنة التطور .

ثانيا - لغة الفقه :

وإذا كنا قد قدمنا الكلام فى لغة التشريع على الكلام فى لغة علم القانون (أو لغة الفقه) فما ذلك إلا مراعاة للترتيب التاريخى . فقد نشأت الأولى قبل الثانية ، وإن كانت قد تمت وترعرعت فى ثنايا هذه الأخيرة . ويحق علينا الآن أن نفسح المجال للكلام فى لغة الفقه . ولقد مرت هذه اللغة فى مراحل ثلاث ، يمكن أن نطلق على أولها « مرحلة التكوين » وعلى ثانيها « مرحلة الإزدهار » ، وعلى ثالثها « مرحلة الارتقاء أو النكس » .

وتشمل المرحلة الأولى الربع الأول من القرن العشرين وما يزيد عليه قليلا . وقد عاش فى هذه المرحلة من أسميناهم فيما تقدم « رواد القانون » ، الذين بنوا لغة فقه القانون ،

وهم يتحملون مشقة النحت في صخره و مساعدهم عل تحملها هدوء النفس وبطء جريان الزمن والإيمان بالعلم والأمانة فيه . فهم يدرسون القانون بلغة أجنبية ، وينقلون ما يدرسونه إلى اللغة العربية بما يقضيه ذلك من وضع المصطلح الدقيق والتعريف الذى لا يتسع لغير المراد ولا يضيق به . مع حسن التعبير ورقة الذوق فيه . ولقد عبر الأستاذ زكى عريبي المحامى عن هذه المعانى بقوله (فى المجلد الثانى من الكتاب الذهبى للمحاكم الأهلية من سنة ١٨٨٣ إلى سنة ١٩٣٣) : « وأنت فى مصر — كاتبا كنت أو أستاذا فى جامعة ، محاميا أو قاضيا ، مهندسا أو طبيبا — لا تكاد تذكر أمامك اللغة حتى تتجه بفكرك إلى مختلف الصعوبات التى تعانها إذا طلب منك أن تكتب أو تدرس أو تحاضر فى فرعك الخاص . لقد أخذت — كما أخذ أفراد هذا الجيل والذى تقدمه — العلم عن أوربا . أخذته سهلا ميسورا بلغة أجنبية لقنتها صغيرا فى طرازها الأخير فحصلت بها على أداة رقيقة مطواعة لحاجات العصر ، قد استوفت دقائقها من مسميات وأفعال وتعبيرات لها دلالتها الخاصة المحدودة . درست بهذه الوسطة فى لين وسهولة . وإذا بك انتقلت فجأة بمحصولك العلمى إلى محيط يريد أن يفهم منك ما فهمته ويأخذ ما أخذته . وليس سبيل التفاهم مع هذا المحيط إلا بلغة قد يكون معانها ذهبا ، ولكنه ذهب لا يزال تبرأ . . . وإن كثيرا من المشتغلين بالقانون فى مصر — بل قل غالبيتهم المطلقه — درسوا القانون بلغة أجنبية استجمعت شروط الصلاحية للتعبير عن كل فكرة انتجها الفكر الحديث . وجميع هؤلاء — محامين كانوا أو قضاة أو وكلاء نيابة — مطلوب منهم أن يصوغوا ما تعلموه بالفرنسية أو الإنجليزية كلاما عربيا فصيحاً . . . ولكن أيمكن حصر الصعوبات فى هذا السبيل ومعالجتها . . ؟ أن ما نواه فى عالم الحقوق يميز لنا أن نعتقد أنه ليس فى اللغة أدواء أصيلة نمنعها من أن تأخذ مكانها تحت الشمس كالغة عصرية تضرب بسهم فى مختلف العلوم والفنون . . . » .

وهذا العسر فى إنشاء لغة عربية لفقه القانون ، وضرورة هذا الإنشاء وأهميته ، كلها أمور كانت قائمة فى ذهن المشتغلين بالقانون فى هذه المرحلة وعبروا عنها فيما نشره من مؤلفات .

وإذ كان الفقه « هو استنباط الأحكام القانونية من مصادرها العلمية » نرى الأستاذ أحمد فتحى زغول (فى مقدمة كتابه « شرح القانون المدنى » المنشور فى سنة ١٩١٣) يقول : « مضى جيل منذ وضعت القوانين الحاضرة ، ولا زال شرحها غامضا أو غائبا عن أذهان ذوى الحاجات وأرباب الخصومات لقلة المصنفات على كثرة المشتغلين بتطبيقها والمحترفين بها » . ثم يضيف فى مقام بيان ما اتبعه فى تأليف كتابه قوله :

« أبدلت من بعض الألفاظ ألفاظاً أخرى لورودها في المعنى المراد أو لكونها أقول أدل عليه من الأولى . ولولا أن النص العربي أسرف في الألفاظ ما ورد الحكم الواحد بأكثر من عبارتين مختلفتين معنى ومبنى ، وسمى الشيء الواحد بأسماء هي أقرب للتناقضات منها إلى المترادفات في علم التشريع — لولا ذلك لقلنا خطأ مشهور خير من صواب مهجور . على أني لم أطرق هذا الباب إلا مع الحذر . وتكاد الكلمات التي اخترتها تعد بالسهولة لقلتها . وإنما أردت فتح باب أرغب إلى المشتغلين بالقانون أن يدخلوا منه إلى لفظ أمكن وعبرة أسد ، حتى تصح لغة القانون ، ويكون لنا في علم الحقوق معجم نستعين به على الشرح والتصنيف . وإذا كان لامناص من لفظ جديد فخير لنا أن نختار ما يطابق المعنى المراد من أن نحشوا الحافظة بكلمات قهرها المترجمون في هذا الزمان على غير معانيها . وذلك أقرب إلى الفهم وأبقى في الذاكرة وأسهل في الانتفاع بالكتب العربية وأقوم للغة ، وما هو بالشيء القليل . ولسنا نحتاج إلا إلى قليل من الإرادة والصبر حتى تصقل الألفاظ الجديدة بالتداول ويعتادها اللسان وتطمئن إليها الآذان . »

بهذا الأسلوب الناصع الدقيق عبر الأستاذ أحمد فتحي زغلول عن سمات لغة الفقه ويحيى بعده الأستاذ الدكتور عبد الحميد أبو هيف ليقول في كتابه (المرافعات المدنية التجارية والنظام القضائي في مصر الذي نشرت طبخته الأولى في سنة ١٩١٥) : « لم أقصر في هذا الكتاب على درس المرافعات من الوجهة النظرية فان هذه الطريقة عقيمة إن هي لم تقترن بدراسة المرافعات من الوجهة العلمية ، لذلك عمدت إلى أحكام المحاكم وعاداتها فجعلت من اهتمامي نصيباً كبيراً ، ولكني لم أفراط في عقدها حيث وجدتها تتناقض مع القواعد الصحيحة المستنبطة من الطريقة التاريخية ومن مقارنة الشرائع وإذا كانت هاتان الطريقتان هما العمدة لمشرعي هذا العصر في تفسير القانون وإصلاحه فلذلك لم آل جهداً في تبيان هاتين الطريقتين وكيفية الانتفاع بهما في إصلاح القانون الحاضر وتحضير قانون المستقبل . »

ولقد كان نشر هذا الكتاب للدكتور عبد الحميد أبو هيف حدثاً كبيراً في ميدان القانون ، وكتب في تقديره أساتذة وقضاة ومحامون كلمات تعبر بدورها عن ارتقاء لغة فقه القانون من ذلك ما قاله الأستاذ الدكتور عبد السلام ذهني ونصه : رأينا أن العالم الأوربي ينظر إلى مؤلفه كنظر المالى إلى رأس ماله ، يتعهده كل آن بالثناء والزيادة . . . ومرافعات الدكتور أبو هيف هو الكتاب البكر في فن القانون . . . إذا قرأت من الصفحة الأولى منه فلا تشعر بعد زمن إلا وقد طرحت بك الجاذبية

إلى المائة فتتلهف للمائتين ثم تعدو للثالثة : ترى أبو هيف يقف بك أمام القانون الأهلى المصرى ويعمل لك مقارنة بالقانون المختلط يطوف بك على القانون النمساوى والألمانى ثم يمر بك على أهل التأليف . ثم يقف به لحظة يعرض فيها عليك رأيه الشخصى فترى آيات النقد تتدفق وأساليب التعبير المنطقى يضىء وحجة العمل تؤيده فلا تشعر بمثل فى دراسة علم المرافعات ، على ما هو معروف عن هذا العلم من الجفاف الطبيعى وشدة ضغطه على الروح والأنفاس أن وجد عيبا فى التشريع ينبهك إليه وإن اختلف فى رأى مع القضاء أبان لك أوجه الخلف وعزز رأيه بالدليل الوافى فالقضاء لا يفات من نقده ولا المشرع نفسه .

ويقول الدكتور محمد بهى الدين بركات فى كلمة قدم بها كتاب الدكتور عبد الحميد أبو هيف : « عمل الفقيه المصرى عمل شاق ودقيق ، يحتاج إلى التيقظ المستمر الدائم ، وإلى المقارنة بين الشرائع ووزن الألفاظ وتقدير الظروف التى وضعت فيها تقديرا حكما . . . لذلك كانت مهمة المؤلف عندنا وعرة المسلك ينوء بحمائها كل من قدر مسئوليته » قدرها .

ويقول الأستاذ عزيز خانكى فى وصف كتاب الدكتور عبد الحميد أبو هيف « لم يترك محلا للنقد إلا أظهر خطأه رأياه يذك بعض الأحكام دكا ، وينسف بعض النصوص نسفا ، لم ينظر إلى القائل بل نظر إلى القول ، وحكم على كل نص أو رأى أو حكم بآثاره ونتائجه ، مهما علت منزلة واضعه أو قائله أو مصدره . ما خاف أحد إلا الحق وما راعى شيئا إلا المصلحة العامة » .

وإذا كان ما تقدم هو قليل مما قيل فى فقه الدكتور أبو هيف وفى لغته الفقية ، فانه قد جلب من ذاكرتى أمرا عاصرته يتعلق بهذا الموضوع . فقد حدث أن شكلت لجنة فى سنة ١٩٤٥ لمراجعة مشروع قانون المرافعات المدنية والتجارية (والذى صدر فى سنة ١٩٤٩) وكنت فى ذلك الوقت مدرسا بكلية الحقوق بجامعة القاهرة ومنتدبا سكرتيرا فنيا لهذه اللجنة ، وشهدت كيف كان كتاب الدكتور عبد الحميد أبو هيف مرجعا أساسيا تستهدى به اللجنة وتحتكم إليه عندما يحتدم الجدل بين أغضائها . ولقد أفادت اللجنة الكثير من مواقفها من التشريع الذى كان قائما ومن مقترحاته فى تعديله سواء فى حكم النص أو فى صياغته التشريعية .

وإذا ما طفنا فى هذه المرحلة الأولى من مراحل لغة الفقه أو مرحلة التكوين ، بعد استعراض هذه اللغة فى مؤلفات من سبق ذكرهم من الفقهاء ، وجدنا الأستاذ محمد

حلمى عيسى يقول في مقدمة كتابه «شرح البيع في القوانين المصرية والفرنسية وفي الشريعة الإسلامية» (منشور في سنة ١٩١٦) : «وقد سلكت في تأليفه الطريق الذي سلكه الشارع في وضع القانون ، قارنت أولا بين مراده (من أهلى ومختلط) وبين مصدره الشريعة الإسلامية والقانون الفرنسى . وجعلت المقارنة في الشريعة على كتاب مرشد الخيران للمرحوم قدرى باشا ومجلة الأحكام العدلية لوضعها على نسق القانون ترتيبا ومواد . . . وعلى هذا النحو سرت في الشرح لأن واضع القانون لم يترك لنا مذكرات إيضاحية ولا أعمالا تحضيرية لتكون مرشدا وهاديا لكل باحث يدرك منها غرض الشارع ويقف على حكمة ما أثبت وما علة ما عدل أو ابتكر . بل ترك الناس حيارى يذهبون كل مذهب في تأويل قوله وتعليل عمله . . . كذلك آخذ الكثيرون واضع القانون بالإسراف في التعبير حيث يغنى الإيجاز . وبالقصد حيث يجب البيان ، والتراخي في تحرى الإصلاح ، بل ويضعف التركيب وسقم العبارة وعجز الألفاظ التي استعملها عن أداء ما يراد بها وبموضعها إلى حد يحتاج معه المطلع للرجوع إلى النص الفرنسى لاستيضاحها وهو عيب كبير واقع ما له من دافع غير ما أظهره أولئك المنكرون من محاولة تلافى هذه النقائص في مؤلفاتهم والعمل على استبدال ما استنكروا بإصطلاحات أو في بالغرض وأنسب للقانون . وإنا على آثارهم مهتدون فقد أثبت ما عثرت عليه من الاصطلاحات التي ظننتها كذلك ولعلى وفقت . . . ولكننا إن آخذناه بكل ذلك فيجب ألا ننسى أن هناك غرضا ظاهرا للشارع يصلح أن نسترشد به في شرح قانونه وهو الرجوع إلى نفس مصادر الأحكام التي دونها فيه . . . ثم يضيف المؤلف قوله : «لسنا نجعل أو فنكر عمل الشارع في هذا السبيل وهو يشرع لأقوام مختلفة الجنسية متعددى الأحوال الشخصية خاضعين لامتيازات أجنبية يجب مراعاتها في معاملاتهم ، كما نجب مراعاة الأخذ بأسباب الرقى والانتفاع بما أظهرته تجارب الأمم الراقية ودواعى الحضارة . . . ولقد راعيت ما استطعت في تحرير هذه السهولة في العبارة والبسط في القول والإفاضة في الشرح والإحاطة بمختلف المذاهب وتنوع الآراء وتعدد الأحكام ، والتفصيل في التعليل ، لأنى رأيت أن ذلك أدعى لرسوخ المسائل في الذهن وأقرب لفهم أحكامها وأنمى للملكة التفقه وأسهل لمعرفة طرق الاستنباط وسبل القياس وأظهر في كيفية تحليل المواد وتطبيق الحوادث على جزئياتها والتدليل على ما استخلص من الآراء منها . . . »

وإذا ما أردنا رؤية صورة لتطبيق هذا المنهج الذى التزم به المؤلف في مقدمة كتابه لأوردنا مقتطفات منه تأتى في صدارتها العبارة التي استهل بها الفصل الأول (في البيع على العموم) ونصها : «أصل البيع هو المقايضة . فهي أول ما عرف الإنسان من

أنواع التعامل وكيفية ذلك أن الإنسان خلق مدنيا بطبعه فلا يستطيع أن يعيش بمفرده ولا يستطيع أن يسد حاجته دون معونة بني جنسه . فهو منظر لمعاملاتهم وتبادل المنفعة معهم يأخذ منهم ما تمس إليه حاجته ويعطيهم ما زهد فيه أوزاد عن لوازمه ، فطرة الله التي فطر الناس عليها فتبادل المنفعة أو الأخذ والعطاء الذي انساق إليه الإنسان من أول نشأته هو المسمى بالمقايضة أو المعاوضة كما سماها القانون المصري » ثم يقول المؤلف في تعريف البيع ، البيع لغة مقابلة شيء بشيء مالا أولا . واصطلاحا عقد يلتزم به أحد المتعاقدين نقل ملكية شيء للآخر في مقابلة التزام ذلك الآخر يدفع ثمنه المتفق عليه بينهما» ويذكر المؤلف أن هذا التعريف (وقد ضمنه المادة ٣٣٥ من القانون المدني الأهل) مستمد من أحكام الشريعة الإسلامية والقانون الفرنسي اللذين هما مصدر التشريع المصري. ويقول المؤلف بعد ذلك : « والتعريف الذي اختاره المشرع المصري هو ما يميل لتعزيزه علماء القانون الفرنسي في مؤلفاتهم ويمتاز تعريف القانون المصري عن تعريف القانون الفرنسي بأن حكم البيع والغرض منه وهو نقل الملك منصوص عليه فيه صراحة بعكس القانون الفرنسي فإنه مستفاد دلالة ثم نرى المؤلف وهو يقف «موقف الناقد من نص تشريعي يوضح أساس النقد ويقترح العلاج لميب النص . نجد مثالا لذلك موقفه من المادة ٢٦٧ من القانون المدني الأهل التي تقضي بأنه يشترط لصحة البيع أن يكون البيع مما يجوز التبايع فيه » فيقول المؤلف ما نصه « بظهر من مقارنة عبارة (مالا يجوز التبايع فيه) بما يقابلها في النص الفرنسي أن هناك تصرفا في التعبير قصر مؤدى العبارة العربية على البيع ، مع أن النص الفرنسي يصدق على البيع كما يصدق على غيره ، وربما كان التعبير لا يقبل التعامل فيه أو (لا يجوز التصرف فيه أو الاتجار به) أوفى بالمراد ، لأن المقصود من التعبير الفرنسي هو قابليته الشيء للعقود عليه لأن يكون محلا للعقد . والتعامل يراد به لغة التصرف من بيع ونحوه ، فاستعماله بكون أكثر مطابقة للإصلاح الفرنسي وسنجرى على استعماله منعاً للبس الذي ينشأ من استعمال عبارة القانون المصري قليلا بحفظ ذلك . . . »

ومثال آخر لجهود الرواد الأوائل في إنشاء لغة الفقه نتخذ من لغة الأستاذ أحمد نجيب الهلالي في كتابه « شرح القانون المدني - في العقود - الجزء الأول في البيع والحالة والمقايضة » المنشور في سنة ١٩٢٢) . فهو يستهل كلامه في عقد البيع بقوله « البيع أعظم العقود شأنًا وأكثرها شيوعًا وأولها بالعناية ، فهو واسطة التجارة عند الأمم المتحضرة ، وعليه يتوقف نظام المعاش وإتساع الرفه والنعيم ، وهو ضروري للحفاظ على العمران الإنساني

وتيسير أسبابه ولولاه لاختل نظام الحياة وكسدت سوق الأعمال فبقيت البضائع عروضاً جامدة، وبطلت التجارة أو كادت وتفشيت سوق النهب والسرقة والحيلة والسؤال حتى يحصل الناس على أقواتهم وحاجات منازلهم، فبالبيع والشراء يتداول الناس العروض والبضائع وسائر أنواع الثروة ويستجلب المحتاج ما يرغب فيه من الضروريات والحاجيات والكماليات بقيمتها ممن لا حاجة له بها، ولذلك نجد أنه لا يكاد يمر بالإنسان يوم واحد من غير أن يتكرر منه البيع أو الشراء، وإن صح أن إنساناً لا يبيع شيئاً لأنه لا ملك له، فما من إنسان ألا وهو محتاج للشراء حتى يتوصل إلى سد الحاجة وإمساك الرمح فضلاً عن الرغد والثروة. أفبعد هذا دقة ووضح في بيان أهمية البيع وهو بعد أن يورد تعريف البيع كما جاء في المادة ٢٣٥ من القانون المدني الأهمى (وقد سبق ذكر نصها) يعلق عليه بقوله ومن قراءة هذا التعريف يتبين أن القانون المصرى تلاقى العيب الذى وقع فيه الشارع الفرنسى فنص على نقل الملكية في تعريف البيع ويستهل المؤلف كلامه في المقايضة بقوله : « أصل البيع المقايضة والفرق بينهما أن المقايضة لا ثمن فيها، لأنها مبادلة شئ بشئ، فكل عاقد من العاقلين يتعهد فيها بتمليك الآخر شيئاً على سبيل التبادل، ولذلك قالوا كل طرف في المقايضة يعتبر بائعاً ومشترياً في آن واحد، لأنه يبيع ملكه للطرف الآخر على أن يحل ملك الآخر محل ثمن الشئ الذى بذله له ».

وتأمل فيما يقوله أستاذنا الدكتور محمد كامل مرسى (في كتابه الملكية والحقوق العينية الطبعة الثانية المنشورة في سنة ١٩٢٨ في تعريف المال : المال لغة كل ما يقتنى ويملك من الأعيان » وكان في الأصل خاصاً بالذهب والفضة، ثم أطلق على كل ما ينتفع به وقانوناً هو كل شئ نافع للإنسان يصح أن يستأثر به دون غيره، وبعبارة أخرى يملكه، وعرف في الشريعة الغراء بأنه ما يمكن إدخاره لوقت الحاجة... وكانت الأموال بادية الأمر قاصرة على الأشياء المادية، سواء كانت منقولة أو ثابتة ولـكنها أصبحت الآن تشمل أيضاً كل ماكون جزءاً من الثروة وأمكن تملكه لمصلحة فرد أو جماعة، فتشمل المنازل والأراضي وأثاث المنزل والإيرادات وحقوق الارتفاق والانتفاع وحقوق المؤلفين وشهادات الاختراع وغيرها، أى أنها الآن تطلق أيضاً على الأشياء غير المادية... ويجب عدم الخلط بين المال والشئ لأن المال شئ وليس كل شئ مالا....

ولينرد تأملنا فيما كتبه الأستاذ الدكتور عبد الرزاق السنهورى في مؤلفه (عقد الإيجار المنشور في سنة ١٩٢٩) في صدد تحديد الأجرة : أما عن الأجرة فيجب

أن يقوم تحديدها على أساس التضامن اللازم بين رأس المال والعمل بحيث لا يجحف أحدهما بالآخر فكلا العاملين ضروري للإنتاج، ومستأجر الأرض الزراعية مثلا لا يجنى محصولا من غير مواتاة الأرض له والأرض لا تواتى إلا بالعمل فاذا أريد تحديد الأجر الذى يوفيه المستأجر للمؤجر، وجب أن يراعى فى ذلك تحقيق المساواة بين هذين العاملين، فاذا كان ربح تشاطره الفريقان وإن كانت خسارة أصابتهما معا. غير أن للمسألة وجهها آخر، وذلك أن المالك إذا أجر ملكه، فليس ذلك بنية أن يكون شريكا للمستأجر يشاطره الربح والخسارة، وهو لو أراد ذلك لوجد السبيل إليه فى عقد الشركة أو فى عقد المزارعة وإنما يريد أن يضمن لنفسه ربحا ثابتا يأخذه من المستأجر ويتركه وشأنه له الربح وعليه الخسارة. وهذا مطلب مشروع لا يجوز أن يمنع منه المؤجر» .

وإذا ما تناولنا مؤلف الأستاذ أحمد أمين فى (شرح قانون العقوبات المصرى - القسم الخاص - الطبعة الثانية المنشورة فى سنة ١٩٢٤) وجدناه يعرف الرشوة بقوله « الرشوة إتفاق على جعل أو فائدة مقابل أداء عمل أو الامتناع عن عمل يدخل فى وظيفة المرتشى أو مأموريته» ويعقب على هذا التعريف بقوله : « إذا ذكرت الرشوة انصرف الذهن إلى موظف عمومى يتجر بوظيفته وما يتصل بها من عمل وسلطة ذلك هو الأصل ومن أجله سبق حكم المادة ١٠٣ ولكن الشارع المصرى خرج على هذا الأصل فى المادة ١٠٤ عقوبات ، فأدخل فى حكم المرتشين أشخاصا ليسوا بالموظفين العموميين ولكنه اعتبرهم كذلك ليجرى عليهم أحكام الرشوة» أفبعد هذا دقة وبيان ووضوح .

ثم تراه، فى الباب الخاص، بالمنح التى تقع بواسطة الصحف وغيرها، أو الجرائم القولية والكتابية، يبدأ الكلام بقوله : «من الحقوق المعترف بها للأفراد حرية الفكر، أى أن يكون لكل إنسان الحق فى أن يفكر كما يشاء وأن يجاهر بفكره ورأيه قولاً وكتابة وحرية الفكر تستتبع حتما حرية الخطابة وحرية الكتابة، وفى ضمنها حرية الصحافة غير أن هذا الحق مقيد كسائر الحقوق الشخصية، فلا يجوز استخدامه للإضرار بالمصلحة العامة أو بحقوق الأفراد الآخرين، ومن أجل ذلك عنيت الحكومات ببيان الحدود التى يباح فيها استعمال هذا الحق ووضعت الجزاءات لمن يتجاوز تلك الحدود » هذا الكلام الفقهى قبل ونشر فى مصر قبل ما يزيد على نصف قرن من الزمان تتأمل . . !!

ونصل بعد ما تقدم إلى مؤلف كتب، في أواخر المرحلة الأولى من مراحل لغة
 فقه القانون في فرع من فروع القانون عسير بالنظر إلى الخلاف في موضوعه ومصادره
 وطبيعة قواعده مما يحتاج إلى دقة في الفهم وترو في إبداء الرأي ووضوح في العرض ويسر
 في الأسلوب هذا المؤلف هو كتاب (القانون الدولي الخاص المصرى والمقارن المنشور في سنة
 ١٩٢٨) لصاحبه الأستاذ الدكتور على الزيني ويكفي لبيان قدر هذا الفقيه في الموضوع
 وفي لغة القانون أن نورد عبارة جاءت في كتابه بصدد مسألة « بيان طبيعة قواعد
 القانون الدولي الخاص وتأثير تطبيقها على موضوع القضية » ونص هذه العبارة هو :
 « تختلف قواعد القانون الدولي الخاص في طبيعتها وتأثير تطبيقها اختلافا بينا عن
 القواعد التي يحكم بها في القضايا الوطنية ، ويظهر هذا الاختلاف أولا ، في كون
 الأولى خلافا للثانية ليس من شأنها إذا طبقت أن يكون الحكم بها فاصلا في موضوع القضية
 ولا تنهى مهمة القاضى بمجرد تطبيقها بل تبتدىء وذلك - وهذا هو وجه الخلاف الثانى -
 لأنها قواعد إرشاد وليس قواعد حكم كالثانية ، لأنها ترمى إلى بيان حدود اختصاص القاضى
 بنظر القضايا ذات العنصر الأجنبى أو إلى تعيين القانون الذى يجب عليه أن يبحث فيه عن
 الحل الذى يقضى به ليكون حكمه فاصلا في موضوع القضية بشكل تنهى معه
 الخصومة .

وبعد فانى لم أقصد بذكر هؤلاء الفقهاء دون غيرهم ممن عاصرهم غرض الطرف عن
 هؤلاء، ففقهاء هذه المرحلة أسهموا جميعا في إنشاء لغة الفقه، وإنما قصدت إلى الاكتفاء
 بذكر بعضهم بوصفهم نماذج تعبر عنهم جميعا.

ولقد كانت السمة السائدة للغة في هذه المرحلة الأولى مرحلة التكوين هي
 اتباع الطريقة المقارنة في الدراسة، وهى مقارنة تناولت عادة القانون الأهلى والقانون
 المختلط والقانون الفرنسى، وكذلك الشريعة الإسلامية حيثما كان النظام القانونى الوارد
 في هذين القانونين له ما يقابله في هذه الشريعة .

وقد عنى فقهاء هذه المرحلة بوضع المصطلح القانونى الفرنسى بجانب المصطلح
 القانونى العربى، وكان من شأن ذلك تيسير الرجوع إلى المراجع القانونية الفرنسية، فقهية
 كانت أو قضائية، وكذلك تيسير الدراسة العليا للراغبين فيها وقد هجر فقهاء المرحلة
 الثالثة هذه الطريقة فأصبح استئناس خريجها بالمراجع الأجنبية عسيرا عليهم، وتعثرت
 الدراسات العليا على الساعين إليها في مصر أو في الخارج، وبخاصة بالنظر إلى ضعفهم
 في اللغات الأجنبية بعامة، وإنه وإن كان الفقه المصرى قد بلغ من الثراء ما يكفي لمعاونة
 القضاة في تطبيق القانون ومعاونة المحامين وغيرهم من رجال القانون في تفهم القانون
 المصرى وأداء واجباتهم، إلا أنه مما لا شك فيه أن معرفة لغة أجنبية لا تزال ضرورة

للتفقه في القانون، وبخاصة للدراسات العليا بل أنه مما لا شك فيه أيضا أن معرفه أكثر من لغة أجنبية أصبحت ضرورة للباحث في مختلف فروع المعرفة، فالتقدم العلمي يجرى حثيثا، والتسابق فيه أصبح ظاهرة من ظواهر العصر الذي نعيش فيه والعلماء، في أي بلد إن وقفوا حبيسي حدود وطنهم، امتنع عليهم متابعة التقدم العلمي وفاتهم موجته وانعزلوا عن جهود زملائهم في الخارج ولقد أصبحت معرفة لغة أجنبية أو أكثر ظاهرة عامة عند المشتغلين بالعلم في مختلف بلاد العالم .

كذلك كان فقهاء القانون الوضعي في هذه المرحلة الأولى قراء للمتنوع من كتب التراث بما ضمه من أدب أو لغة أو فقه إسلامي، مما أحدث أثرا واضحا في لغة فقه القانون الوضعي التي بنوها فجاءت هذه اللغة منتقاة اللفظ دقيقة التعبير رفيعة الأسلوب

وإذا ما انتقلنا إلى المرحلة الثانية في حياة لغة الفقه، التي أطلقنا عليها «مرحلة الازدهار» لوجدناها تشمل المدة من أول الثلاثينيات حتى أوائل الخمسينيات من القرن العشرين وقد شارك في هذه المرحلة عدد من فقهاء المرحلة الأولى ممن أطال الله عمرهم وفريق نشأ وتكون خلال هذه المدة وقد تلفت هذا الفريق إلى الوراء فوجدوا فقه القانون لغة وموضوعا ماضيا غنيا تليدا يتجه إلى أعلى، فافادوا منه غذاء فكريا دسما ونظروا إلى المستقبل تحذوهم الرغبة والإرادة في أن يضيفوا إلى ما ورثوه جديدا حتى يستمر الخط البياني في الاتجاه إلى الأعلى . ولقد حملوا عبء شرح ما صدر من تقنيات جديدة في هذه المرحلة (التقنين المدني الصادر في سنة ١٩٤٨ وتقنين المرافعات الصادر في سنة ١٩٤٩ وتقنين الإجراءات الجنائية الصادر في سنة ١٩٥٠) وكذلك بذل المزيد من العناية بفروع من القانون أو بموضوعات من موضوعات فروعها زادت أهميتها في تطور مختلف العلاقات القانونية والاقتصادية ، سواء من الوجهة الداخلية أو من الوجهة الدولية، مثل القانون الدولي الخاص والقانون البحري والقانون الجوي، وشركات المساهمة وعلاقة العمل والمنظمات الدولية والعقود الدولية والتحكيم الدولي في مواد القانون الخاص .

وقد نهج فقهاء هذه المرحلة نهج أسلافهم فقهاء المرحلة الأولى من حيث الاستفادة من دراسة القانون المقارن ، والحفاظ على سلامة اللغة ودقة التعبير مع تخير اللفظ والعبارة ، وكذلك الحفاظ ، عند غالبهم ، على وضع المصطلح الأجنبي بجوار المصطلح العربي . وزاد الإنتاج الفكري في الميدان القانوني كما وارتقى كيفما ، سواء اتخذ صورة بحوث أو مؤلفات مطولة أو وسيطة أو موجزة . ولما وات بعض البلاد العربية نهضة متطلعة، في أعقاب الحرب العالمية الثانية، تناولت فيما تناولته الارتقاء بما هو كائن من جامعات

أو إنشاء جامعات جديدة ، وجدت هذه البلاد في الفقه القانوني المصري معينا غنيا فاض عليها ، وصار له أثره في فقه القانون ولغة هذا الفقه فيها . فهذه المرحلة الثانية في لغة فقه القانون هي بحق مرحلة الازدهار .

وبانتهاء هذه المرحلة في أوائل الخمسينيات بدأت المرحلة الثالثة القائمة حتى الآن ، مما أطلقنا عليها « مرحلة الارتقاء أو النكس » في لغة الفقه . ولهذا الارتقاء أو النكس أسباب عديدة يتشابه بعضها ببعض . فقد حشر الطلاب في كليات الحقوق حشرا هو في الأغلب على غير رغبة وعلى غير استعداد لدراسة القانون ، وتعثرت العملية التعليمية وانقطعت الصلة بين الأستاذ والطالب ، وضعف مستوى الخريجين عما كان عليه فيما مضى من الزمان ، حتى بالنسبة لغالبية الأوائل منهم . وكان لهذا الضعف أثره في اختيار من يعدون للدخول في هيئة التدريس فتغير مستوى أعضاء هذه الهيئة بصفة عامة ، فيما عدا ندر يسير منهم . وجرى البدار في التأليف (مؤلفات وبحوث) لدوافع لا محل لذكرها ، وجاء أغلبه دروسا للطلاب ، بعيدا عن البحث العلمي العميق ، واستبعدت الإفادة من القانون المقارن ، وقل ، وأحيانا انعدم ، الاستئناس بالفقه الأجنبي (في القوانين الأجنبية التي تعد من مصادر القانون المصري) حتى عندما يكون ضرورة في دراسة القانون الوضعي ، وأصبح التأليف الجديد ، بصفة عامة ، معتمدا على المؤلفات العربية التي نشرت في المرحلتين السابقتين . وهجرت طريقة وضع المصطلح الأجنبي بجانب المصطلح العربي فتعثر الطلاب في الدراسات العليا . وأخذت لغة الفقه في الهبوط ، وشابهتها أحيانا أخطاء لغوية صرف . وساعد على تضخم هذه المشكلة وجود تلك الموجة العارمة من التشريعات ، على الوجه السابق ذكره ، وإدخال بعضها في مناهج الدراسة بكلية الحقوق ، فزاد عدد مواد الدراسة مما ترتب عليه المزيد من التأليف المتعجل الفطير .

ويمكن تلخيص ما آلت إليه لغة الفقه في هذه المرحلة الثالثة على هذا الوجه : لغة متعجل في كتابتها ، يشوبها أحيانا عدم الضبط والدقة في التعبير عن المعنى ، مجردة أحيانا من العناية بانتقاء اللفظ والأسلوب مع عدم خاوها من الأخطاء اللغوية . ولقد أصبحت هذه الأمور سمات عامة في لغة الفقه . ومع ذلك فلا تزال الدنيا بخير فقد نشرت في هذه المرحلة مؤلفات بعض فقهاء المرحلتين الأولى والثانية أو أعيد نشرها . كما نشرت خلالها مؤلفات لبعض فقهاء ذات مستوى رفيع أو مقبول ، مجردة من العيوب التي شابت لغة الفقه في هذه الحقبة من الزمان .

وهذا الذي نقوله ينبغي أن لا يدعو إلى التشاؤم واليأس . وإنما هو تنبيه إلى واقع معيب ، نقصد به إلى الحفز على النهوض بلغة الفقه من جديد . فهذه اللغة ، شأنها

شأن مختلف جوانب حضارة أمة من الأمم ، قضى وتنبؤ ثم قضى ، تعلو وتهبط
ثم تعلو من جديد .

ثالثا - لغة القضاء :

وإذا كان ما تقدم هو حال لغة الفقه فما حال لغة القضاء ؟

يوجد خلاف بين القضاء والفقه ، يترتب عليه اختلاف بين لغة الواحد منهما
ولغة الآخر . فيقول الأستاذ الدكتور عبد الرزاق السنهوري : « الفقه هو استنباط
الأحكام القانونية من مصادرها بالطرق العلمية . والقضاء هو تطبيق الأحكام القانونية
على الأقضية التي ترفع إلى المحاكم . الفقه هو المظهر العلمى للقانون والقضاء هو المظهر
العملى . . . ولكل من الفقه والقضاء مزايا وعيوب فمزية الفقه هى نظرة إلى الروابط
الاجتماعية نظرة واسعة شاملة فلا يضيق بخصوصية ولا يقف عند منعرج ، بل يسير
قدما إلى الأمام ، يتمشى مع التطور ويسابق الزمن . . . ولكن عيب الفقه أنه كثيرا
ما ينصرف عن الحياة العملية ، وهو قى سعيه إلى العموميات يتبعد عما فى الحياة من ملايسات
وظروف خاصة فى كل قضية من أقضيتها . ومزية القضاء أنه دائم الاتصال بالحياة العملية ،
يستمد قواعده منها ، ويحرر القانون بحيث يجعله يتمشى مع تطوراتها . ولكن عيبة
نظرة ضيقة لا تحاط إلا بما حولها ، ولا تمتد إلى ما وراء ذلك ، وشىء من البطء
فى التطور يتفق مع نزعة محافظة القضاء . . . ونرى من ذلك أن للفقه مزايا ليست للقضاء ،
وأن للقضاء مزايا ليست للفقه ، وأن عيب كل منهما هو فقداه لمزايا الآخر ، فهما
يكملان بعضهما بعضا . . . وخير النظم القانونية هو النظام الذى ينطوى على مزاج
موفق من الفقه والقضاء . . . » .

ولما كان عمل القضاء هو تطبيق القانون ، وكان مظهر هذا التطبيق هو ما يصدره من
أحكام ، كانت لغة القضاء هى لغة هذه الأحكام . وهى تتصف ، بجانب السمات
العامة للغة القانون الوضعى ، بصفات خاصة تميزها من لغات التشريع والفقه والمحاماه
وتشتق هذه الصفات من طبيعة عمل القاضى ، الذى أحسن بيانه الأستاذ زكى عريبي
المحامى (فى الكتاب الذهبى للمحاكم الأهلية) فى قوله : « الأحكام أداة توزيع العدالة ،
فهى عنوان الحقيقة . . . والحكم تقرير للحقيقة كما استطاع أن يراها القاضى على
ضوء عناصر الدعوى ومرافعات الخصوم . . . وعمل القاضى عمل حكيم هادىء يتحسس
مكان النصفة فيدل عليه . . . والقاضى قبل كل شىء ناقد . والنقد يتطلب قدرة
على فهم الرأى المعروض ثم قوة على تحليله ورده إلى عناصره الأولية ، ثم صحة نظر

وسلامته . تقدير يستطيع بهما الوقوف على الحقيقة وسط بحر زاهر من الآراء المتناقضة ، وقد ينطوى كل منها على بعض الوجاهة . . . على أن مهمة القاضي وقد أصاب المحز لا تنهى باصابتها ، إذ عليه بعد ذلك أن يؤيد حكمه بقلمه ، فتكون أسباب حكمه مقنعة . وليس الإقناع في مكنتها إلا أن يكون كاتبها من المقدرة بحيث يستطيع أن يعالج بقلمه القضية من جميع نواحيها . يبين وقائعها بجلاء ويستعرض مختلف الآراء فيها بدقّة وإيجاز . يناهض ما يرى مناهضته ويؤيد ما يرى تأييده . ثم يقف عند الرأى الذى يعتقد صحته موقفا له قوته وله جلاله . تلك هى مهمة القاضي ككاتب . وليس يستسهلها إلا جاهل بأعباء الكتابة ومشاقها .

تم يضيف الأستاذ زكى عريبي إلى ذلك قوله : « لكل قلم قوته ، ولكل كاتب طريقته فمن العبث أن نضع قواعد مطلقة لصياغة الأحكام . الأمر قبل كل شيء حسن ذوق وحسن تصرف . ولكن للغة الأحكام مع ذلك مميزات يجب التنويه بها ، وهى حسن اختيار اللفظ ودقة الأداء ، والابتعاد عن العمل والتزيد ، والحرص على الوقار إذ يكره فى لغة الأحكام العنف والشدة وجموح العاطفة ، فالقضاء بطبعه وبالمهمة السامية التى يؤديها . . . » .

وإذا ما رجعنا إلى تاريخ لغة القضاء فى مصر قبل إنشاء المحاكم الأهلية فى سنة ١٨٨٣ لوجدنا لغة الأحكام التى كانت تصدر من مجالس الأحكام ومجالس التجار (السابقة الإشارة إليها) مشوبة بالعجمة وضالة التعبير وركاكة الأسلوب . ثم بذل قضاء هذه المحاكم جهودا فى تخليص لغة الأحكام من هذه العيوب ، وهى جهود وضحت ثمارها منذ سنة ١٨٩٠ تقريبا ، حين استقامت لغة القضاء وأخذت فى اكتساب صفاتها المميزة السابق ذكرها ، واستمرت ترتقى صعدا على مر الزمان .

ولو شئت أن نورد لك أمثلة للغة القضاء منذ ذلك التاريخ البعيد لوجدنا الكثير . نخذ حكم ٧ فبراير سنة ١٨٩٥ الذى صدر من محكمة استئناف مصر الأهلية (دائرة أحمد بك عفيفى ومستر كوريت وسعد بك زغلول « الزعيم السياسى فيما بعد ») وقد جاء به « وحيث إن الزعم بوجود صالح أو حق لشخص أجنبى فى العين المتنازع فيها لا يغير اختصاص المحاكم الأهلية بنظر الخصومة المرفوعة بها ما دام الخصوم من رعايا الحكومة المحلية (أى من المصريين) ، حتى ولا يغير أيضا هذا الاختصاص تغير صفة الخصوم بعد رفع الدعوى ، بمعنى أنه إذا انتقلت تبعية أحد الخصوم من رعايا الحكومة المحلية إلى متبوعية دولة أجنبية أو انتهاء لها فلا تخرج

الدعوى عن اختصاص المحكمة الأهلية المنظورة أمامها قبل حدوث هذا التغير ما دام أنها مختصة بنظر موضوعها .

وتأمل حكما صدر من المحكمة نفسها في السنة ذاتها (دائرة حامد محمود وقاسم أمين ومسيو دى هيلتس) جاء به : « . . . وحيث إن القاضى بتخطيه هذه الحدود (أى حدود اختصاصه) صار عديم الصفة في الفصل وأصبح كأنه في بلد أجنبي . ومتى أنعدمت صفة المحكمة في الفصل لا تكون أحكامها أحكاما ولا قضاتها قضاة ، وإنما يكونون كأفراد فصلوا فيما رفع إليهم وصاغوا فصلهم في قالب الأحكام . وإن كان ذلك في استطاعتهم فليس في وسعهم أن يمنحوها من عند ياتهم ما هدفه الشارع من القوة . . . »

ونخذ حكم المحكمة ذاتها الذى صدر في ٤ مايو سنة ١٨٩٩ (دائرة سعد زغلول ومسيو دو هيلتس ومستر كولجن) ، وقد جاء به : « . . . وحيث إن الوكالة بلا مقابل ليست كغيرها من العلاقات التى ترتبط بتبادل المنافع وتجعل كل طرف خصما للآخر في منفعته ، وإنما هى علاقة مبنى ايجابها الثقة ، وموجب قبولها النجدة ، وموضوعها معونة الموكل ، ومقتضاها تبادل الإخلاص بين طرفيها وتعاونهما بالصدق على الوفاء بما ينشأ عنها من التعهدات . . . » .

وأضف إلى ذلك حكم المحكمة ذاتها الذى صدر في ١١ مارس سنة ١٩٠٦ (دائرة سعد زغلول ومستر التون ومستر ساتو) ، وقد جاء به : « . . . وحيث إن الحكم بالشفعة للشفيع ليس عبارة إلا عن تقرير صحة الطلب ، فهو من الأحكام المبينة للحقوق لا المنشئة لها خلافا لما قدره قضاة أول درجة . وحيث أنه بناء على ذلك لا يعتبر بيع العقار المشفوع فيه بعد طلب الشفعة وقبل القضاء فيه من قبيل بيع الآمال ولا بيع ما لا يملكه الإنسان بل هو من قبيل بيع الحقوق المتنازع فيها ، وهذا جائز بلا خلاف . وحيث أنه مع ذلك فإن بيع الأمل ، أى الشيء الذى يأمل الإنسان امتلاكه في المستقبل جائز إلا في بعض المستثنيات ، ومتى تحقق الأمل نفذ البيع . . . » . وصدر من هذه الدائرة حكم آخر في ١٨ مارس سنة ١٩٠٦ جاء به : « . . . أن المباحث التى يجريها رجال الإدارة والإقرارات التى تحصل أمامهم من أحد الخصوم والتحقيقات التى يعملها الخبراء المعينون بحكم المحاكم ، لا يمكن أن تكون بمقتضى المبادئ القانونية حجة يحتاج لها أمام القضاء ، ولا يصح أن يترتب عليها بنوع أصلى حق لخصم على آخر ، إنما يجوز الاستعانة بها لتقوية أدلة تقدم للمحاكم بالطريقة القانونية . »

هذا طراز للغة الأحكام ، أو لغة القضاء ، في آخر القرن الماضي ومستهل القرن العشرين ، بناها رجال آمنوا بقدسية عملهم فقاموا بتفسير القانون وتطبيقه بأناة ودقة تقدير ، وصاغوا أحكامهم في أقوال سليمة دقيقة متخيرة الأسلوب . وربما ساعدتهم على ذلك نهضة واتت اللغة العربية بعامة وامتدت إلى اللغات العلمية بخاصة . وقد مضى رقى لغة القضاء ، بعد ذلك ، في طريقه غير وان ولا متردد . وسائر سمر الأسلوب نضج الفكره وغمر سيل هـــــ نهضة درجات القضاء كلها : محاكم الدرجة الأولى من جزئية وكنية ، ومحاكم الدرجة الثانية . واستمر الحال كذلك حتى أنشئت محكمة النقض في سنة ١٩٣١ لتكون المحكمة العليا المشرفة على صحة تطبيق القانون أمام جميع المحاكم الأهلية ، يلجأ إليها بطريق الطعن في الأحكام الانتهاية بسبب مخالفتها للقانون أو خطئها في تطبيقه أو تأويله ، وتكون مهمتها هي تقويم مسا يقع من المحاكم من شذوذ في تطبيق القوانين وتقرير القواعد القانونية الصحيحة فيما يختلف فيه من المسائل وتثبيت القضاء بشأنها . وقد اختير لأول تأليف لهذه المحكمة رجال قانون أفذاذ ، على رأسهم الفقيه الكبير شيخ القضاة عبد العزيز فهمي ، فأقامت المحكمة قضاء رفيع المستوى يهــــ إلى الصواب في فهم القانون وتفسيره ، وطبعت لغة الأحكام بطابع جليل ممتاز ، جمع إلى دقة الأداء رشاقة اللفظ وجمال الأسلوب . ولقد وصف الأستاذ زكي عربي المحامي (في الكتاب الذهبي للمحاكم الأهلية) لغة الأحكام في قضاء محكمة النقض خير وصف ، بقوله : « حدث ولا حرج عن أحكام محكمة النقض في عهدها الحاضر . أرجع إلى أي حكم تقع عليه يدك من أحكام دائريتها ، أقرأ ما شئت بلا تمييز تقرأ أدعاليا قد أسبغ على قضاء المحكمة العليا ما كان يجب له من روعة وجلال . . . لسنا نحاول هنا تحليلاً لهــــ الناحية من أدب العصر . ولكن من ذا يملك أن يمر دون أن يقف وقفة إعجاب وطرب على مثل هــــ القول لمحكمة النقض ترسم به حدود حرية النقد : . . . » وبما أن ما ذهب إليه الحكم المطعون فيه من أن العرف جرى على المساجلة بالعبارات الحماسية والأساليب التخيلية وألفاظ التهويل والمبالغة والتحذير والترهيب لمجرد التأثير على النفس وحملها على التصديق في الشئون التي ليس من المستطاع حمل المناظر على تصديقها بالطرق البرهانية الهادئة . هذا الرأي لا تحيزه محكمه النقض والابرام بل إنها تصرح بأن فيه خطراً على كرامة الناس وطمأنينتهم وتشجيعاً للبذاءة ودنس الشئام . والحقيقة ليست بنت التهويل والتشهير والمبالغة والترهيب ، بل بنت البحث الهادئ والجدل الكريم . وإذا كان لحسن الهيئة مظهر ناطق فانه الأدب في المناظرة والصدق في المساجلة . . .) . بل أنظر إلى لغة هــــ العاطفة الحياشة تجلجل بحق الإنسان إذا عذبه إنسان ، لا فرق لدى حارسة القانون بين رجل ورجل (. . .) وبما أن هــــ المعاملة التي

أثبتت المحكمة أن المجنى عليه كان يعامل الطاعنين بها هي إجرام في إجرام ، ومن وقائعها ما هو جنائية هتك عرض يعاقب عليها القانون بالأشغال الشاقة ، وكلها من أشد المحازي إثارة للنفس واهتياجاً لها ودفعاً بها إلى الانتقام . ولو صح أن المأمور كان يطلب نوع الطاعنين بمركز البوليس كما يقول الشاهد الذي اعتمدت المحكمة شهادته وكان هذان الطاعنان يتخوفان من تكرار ارتكاب مثل هذه المنكرات في حقهما كما يقول وكيل أحدهما في تقرير الأسباب وفي المرافعة الشفهية ، فلا شك أن مثلهما ، الذي أودى وأهتيج ظلماً وطغياناً ، والذي ينتظر أن يتجدد إيقاع هذا الأذى الفظيع به - لا شك أنه إذا اتجهت نفسه إلى قتل معذبه فإنها تتجه إلى هذا الجرم موتورة مما كان ، منزعجة واجمة مما سيكون . والنفس الموتورة المنزعجة هي هائجة أبداً ، لا يدع انزعاجها سهيلاً إلى التبصر والسكون حتى يحكم العقل ، هادئاً متزناً متروياً ، فيما تتجه إليه الإرادة من الأغراض الإجرامية التي تتخيلها قاطعة لشقاها . ولا شك ، بناء على هذا ، أن لا محل للقول بسبق الإصرار إذ هذا الظرف يستلزم أن يكون لدى الجاني من الفرصة ما يسمح له بالتروى والتفكير المطمئن فيما هو مقدم عليه .

ولا شك أن الثروة التي أثمرتها محكمة النقض ، خلال الثلاثين سنة الأولى من عمرها ، سواء من حيث المبادئ القانونية أو من حيث لغة الأحكام ، لتعتبر جزءاً من الثروة القومية في الميدان القانوني . وهي بعد لا تزال هادئة ونورا لمن تولوا القضاء في هذه المحكمة ، بعد هذه الحقبة من الزمان ، وكذلك لمن تولوا القضاء في غيرها من المحاكم .

وإذا كان إنشاء محكمة النقض في سنة ١٩٣١ حدثاً هاماً في تاريخ القضاء المصري ، فثمة حدث آخر في هذا التاريخ له أهميته من وجهة نظر أخرى . هذا الحدث هو إنشاء مجلس الدولة في سنة ١٩٤٦ ليكون داراً للافتاء والتشريع والقضاء . وإذا كان دور هذا المجلس في الإفتاء والتشريع ليس جديداً في الميدان القانوني ، إذ كانت تقوم به إدارة قضايا الحكومة من زمن بعيد ، على ما سبق بيانه ، فإن دور المجلس في القضاء هو الجديد كل الجدة والخطير كل الخطورة . ذلك أن القضاء العادي كان محظوراً عليه طبقاً للوائح المنظمة له (المادة ١٥ من لائحة ترتيب المحاكم الأهلية) النظر في طلب إلغاء القرارات الإدارية المخالفة للقوانين واللوائح ، وإن كان مختصاً بطلب التعويض عن الضرر المترتب على هذه القرارات . وكان خلو النظام القضائي المصري من قضاء له ولاية إلغاء القرارات الإدارية نقصاً فيه ، سده المشرع بإنشاء القسم القضائي في مجلس الدولة

والذى أصبح طبقا لقانون المجلس المعمول به الآن (قانون سنة ١٩٧٢) يضم المحكمة الإدارية العليا ومحكمة القضاء الإدارى والمحاكم الإدارية والمحاكم التأديبية . ويطلق على الوظيفة القضائية التى يمارسها مجلس الدولة « القضاء الإدارى » ، بالمقابلة « للقضاء العادى » ، أى القضاء الذى تمارسه المحاكم المدنية والجنائية ، ولعل أبرز ما يتولاها القضاء الإدارى هو « قضاء الإلغاء » ، أى إلغاء القرارات الإدارية النهائية المخالفة للقانون ، بمعنى عام . وكانت ممارسة هذا القضاء أمرا جديدا فى ميدان القضاء المصرى ، شمر بأهميته الرعيل الأول من رجال المجلس ، وكان كثير منهم قد اختيروا من بين رجال القضاء العادى ، وهى أهمية مرجعها حمل عبء التفرقة بين عمل السيادة وعمل الإدارة ، وبيان متى يكون القرار الإدارى معيبا من حيث الاختصاص أو الشكل أو مخالفة القوانين أو اللوائح أو الخطأ فى تطبيقها أو تأويلها أو إساءة استعمال السلطة . وهذه أمور تستدعى الدقة فى تحديد المعنى والدقة فى التعبير عنه ، ومن هنا تتضح أهمية لغة الأحكام أو لغة القضاء . ولقد بناها الجيل الأول من قضاة مجلس الدولة بحذق وإحكام فى أسلوب رصين شيق .

ونورد هنا أمثلة للغة القضاء عند القضاء الإدارى : خذ حكم محكمة القضاء الإدارى (الذى صدر فى ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٤٧) ، وقد جاء به : « ... لا وجه للدفع بأن منح الترخيص فى الاستيراد أو رفضه من إطلاقات الإدارة التى ترخص فى تقديرها بلا معقب عليها من محكمة القضاء الإدارى ، ما دام المدعى يستند فى طلب إلغاء قرارات الحكومة بشأن عدم الترخيص فى استيراد تقاوى البطاطس إلى أنها مشوبة بإساءة استعمال السلطة ، وهو سبب يسوغ إلغاء أى قرار إدارى مهما كانت صفته ، وسواء أكان من الإطلاقات أم من غيرها » .

وتأمل حكم المحكمة ذاتها (الصادر فى ٤ فبراير سنة ١٩٥٠) وقد جاء به : « أن أعمال السيادة ما هى إلا الأعمال التى تتصل بالسياسة العليا للدولة والإجراءات التى تتخذها الحكومة بما لها من السطة العليا للمحافظة على سيادة الدولة وكيانها فى الداخل والخارج . ولا جدال فى أن الجنسية ، وهى العلاقة بين الفرد والدولة ، تدخل فى صميم المسائل المتعلقة بسيادة الدولة التى لها مطلق السلطان فى تعيين من يكون متمتعاً بجنسيتها ومن لا يكون ، وفى فرض ما تشاء من القيود والتكاليف على مواطنيها . وبديهي أن الدولة حين تسن تشريعا ينظم الجنسية ويعرف كنهها ويحدد شرائطها ويرسم الإجراءات اللازمة لإثباتها أو

الحصول عليها الا تنزل عن سيادتها لأنه منبعث وصادر عنها ويتعين احترامه وتنفيذه، ومن واجب المحاكم تطبيقه . وليس في ذلك أى مساس بسيادة الدولة . وما تصدره الحكومة من قرارات تنفيذها لهذا التشريع يندرج تحت أعمال الحكومة (يقصد أعمال الإدارة) ولا يعتبر من الأعمال المتعلقة بالسياسة العليا للدولة . والقرار المطعون فيه لا يعدو أن يكون من القرارات الإدارية المتعلقة بتنفيذ بقانون الجنسية ، ولهذا فهو بعيد عن أعمال السيادة . . . » :

وأنظر حكم المحكمة الإدارية العليا (الصادر في ٢٥ مايو سنة ١٩٦٣) الذى تقيم فيه التفرقة بين القرار الإدارى والعقد الإدارى والعقد المدنى ، وقد جاء به : « إذا كان القرار الإدارى هو عمل قانونى غير تعاقدى يصدر عن إرادة منفردة من جانب إحدى السلطات الإدارية ويحدث بذاته آثارا قانونية معينة متى كان ذلك ممكنا وجائزا قانونا ، فان العقد الإدارى شأنه شأن العقد المدنى من حيث العناصر الأساسية لتكوينه ، لا يعدو أن يكون توافق إرادتين بإيجاب وقبول لإنشاء التزامات تعاقدية تقوم على التراضى بين طرفين أحدهما هو الدولة أو أحد الأشخاص الإدارية ، بيد أنه يتميز بأن الإدارة تعمل فى إبرامها له بوصفها سلطة عامة تتمتع بحقوق والتزامات لا يتمتع بمثلها المتعاقد معها ، وذلك بقصد تحقيق نفع عام أو مصلحة مرفق من المرافق العامة . كما أنه يفرق عن العقد المدنى فى كون الشخص المعنوى العام يعتمد فى إبرامه وتنفيذه على أساليب القانون العام ووسائله ، أما بتضمينه شروطا استثنائية غير مألوفة فى عقود القانون الخاص ، سواء كانت هذه الشروط واردة فى ذات العقد أو مقرررة بمقتضى القوانين واللوائح ، أو بمنح المتعاقد مع الإدارة فيه حقوقا لا مقابل لها فى روابط القانون الخاص بسبب كونه لا يعمل لمصلحة فردية بل يعاون السلطة الإدارية ويشترك معها فى إدارة المرفق العام أو تسييره أو استغلاله تحقيقا لنفع عام . فبينما مصالح الطرفين فى العقد المدنى متساوية ومتوازنة ، إذا بكفتى المتعاقدين غير متكافئة فى العقد الإدارى تغلبا للمصلحة العامة على المصلحة الفردية » .

ولغة الأحكام ، أو لغة القضاء ، التى نشأت وارتقت (لدى القضاء العادى أول الأمر ثم لدى القضاء الإدارى) خلال السنتين عاما الأولى من القرن الذى نعيش فيه ، قال فى شأنها أحد كبار رجال القانون فى سنة ١٩٣٣ (الأستاذ زكى عريبي الحامى فى الكتاب الذهبى للمحاكم الأهلية) ما نصه : والآن ، وقد استدبرنا حياة لغتنا القضائية كما كانت واستعرضنا بعض الأدلة على نهضة جالية لا تنكسر ، نود لو استطعنا أن نزيح طرفا من سحيف المستقبل فنظن على ما يعده الزمن لهذه اللغة الكريمة العزيزة . كأنى بها وقد راق لها الجوى وانبسط أمامها

ميدان العمل فسيحا غير محدود . كأتى بها وقد استولت على مشاعر جيل جديد ممعن فى الأدب وثقافة العصر فراح يفكر بها ويكتب ويؤلف . وكأتى بهذا الجيل وقد ضرب بسهم فى جهود البشرية نحو الكمال . وكأتى بمصر وقد وقفت على قدميها فى طليعة العالم العربى تبادل الغرب ثقافته بثقافته تقارضه علما يعلم لست بحالم إنى أرى هذا اليوم روية العين . . . » .

ولقد تحققت نبوءة هذا القانونى الكبير خلال ما يقرب من الثلاثين عاما منذ تاريخ كتابة كلمته هذه . ولكن يبدو أنها قد أخذت تحبو خلال العشرين سنة الأخيرة . فأصبحنا نصادف من الأحكام ما لا ترقى لغتها إلى المستوى السابق المزدهر . وربما كان السبب فى ذلك زحمة الحياة وزيادة الأعباء على القضاة على نحو يضيق فيه الوقت بتخير لغة الأحكام . ما حيلة القضاة ما دام جداول قضايا الجلسة الواحدة يضم ما يجاوز المائة قضية فى كثير من الأحيان ، بعضها معقد بسبب ما يلجأ إليه بعض الخصوم من الكيد واللد فى الخصومة . ومهما يكن من أمر فلا يزال القضاة يجتهدون فى الحرص على لغة الأحكام أكثر من اجتهد رجال الفقه فى الحرص على لغة الفقه .

رابعا - لغة المحاماة :

تختلف صناعة المحاماة عن صناعة كل من التشريع والفقه والقضاء ، ولذلك فإن لغتها وإن دخلت فى المعنى العام لأغة القانون الوضعى واتصفت بسماتها ، إلا أن لها من السمات الخاصة ما يفرقها من لغة كل من التشريع والفقه والقضاء . ويقول الأستاذ أحمد فتحى زغلول فى مقدمة كتابه «المحاماة» (المنشور فى سنة ١٩٠٠) ما نصه : «حق الدفاع قديم وجد منذ وجدت الخصومة ، وهى من لوازم الاجتماع ولا بد فيها من الهجوم والدفاع ، وقد يختلط الأمر على طالب أحدهما فيركن إلى من يآتمنه فى حقوقه . وهذا يرشده برأيه ويعمل لنصرته ويدفع عنه بخاصمه . وقد وجد عند الأمم فى جميع الأزمان رجال تضلعوا من القانون وقصروا عملهم على مساعدة المتخاصمين بابتداء المشورة لهم أو بالدفاع عنهم أمام القضاء ، وقد وجد هو أيضا مع وجود الأمم تبعا لوجود الخصومة ، فهو كذلك من لوازم الاجتماع» ويقول الأستاذ أحمد رشدى المحامى فى المحاماة أيضا (فى الكتاب الذهبى للمحاكم الأهلية) : «لعل صناعة من صناعات البيان والمنطق لم تشغف الناس بالتحدث عنها والتطلع إليها وإلى أصحابها قدر ما تشغفهم بذلك صناعة المحاماه ، ولعل مرد هذا الشغف ما أقامته المحاماة بينها وبين الناس من صلة القربى ، فالمحاماه منذ كانت لم تقع من آمال الناس... وحاجاتهم موقعا بعيدا عن موقع النجدة فى الضيق والعون بما لا يستطيعون من وسيلة على ما يطلبون من غاية . . ثم يصف المرافعة بقوله : «ما هى المرافعة ؟ أليست هى رسالة تؤديها عن صاحب الحق إلى من يملك إقرار الحق أو إنشاءه ؟ إذن لا مياص من أن تزود - لتبليغ هذه الرسالة - صدق اليقين

وقوة البرهان ، وأن ترى كيف تمهد سبيلها إلى الأسماع ثم إلى القلوب بلطف الأداء ورفق العبارة وحسن الخطاب . فالمرافعة ليست بذلك هي الفصاحة وحدها ، ولا هي العلم بالقانون وحده ، ولكنها ، قبل أن تكون غزارة علم وزخرف كلام ، يجب أن تكون حول الدعوى سياسة يقظة واستبصار ، وحول الدليل حذقا في الأداء ولياقة في إيراد الأمر وإصداره .

و الواقع من الأمر أن لغة المحاماة قد تكون شفوية فتسمى « المرافعة » وقد تكون كتابية فتسمى « المذكرة » وهي في الحالين « لغة دفاع » أو « لغة إقناع » . ويقول الأستاذ أحمد فتحي زغلول في المرافعة : « أساس المرافعة دقة البيان ، والمراد بها قوة الحججة ووضوح البرهان ، لا تزويق العبارة وزلافة اللسان . وأخص صفاتها الوضوح والإيجاز . أما الوضوح فشرط مهم في المرافعة لأن السامعين ينساقون مع المتكلم عادة ، فان غاب عنهم مراده لخفاء المعنى أو تعقيد العبارة كان حكمهم عليه . ولن يفيد بعد ذلك ما يعود إليه من التوضيح والتفسير ، لأن بؤادر الأفكار هي التي تعلق بالآذان فلا تمحى منها تماما . ومن الواجب أن تؤثر المرافعة في نفس القاضي وأن يكون لكل كلمة منها وقع عنده ، لأنها إذا فقدت هذه المزية انتفى الغرض المقصود منها وأصبح استعمالها خيالا باطلا . . . وأما الإيجاز فن أكبر أركان المرافعات ، فينبغي للمتكلم أن يكون كلامه مع سامعيه كما يكون القارئ مع نفسه إن وجد منها فتورا أو مللا طوى الكتاب ليعود إليه متى انصلح فكره ، وإذا مر بموضوع لا يهتم له كر عليه مسموعا ليصل إلى الأهم من الكتاب . وأن يلتفت إلى أن السامع ملزم بالإصغاء إلى ما يلقي عليه من الكلام فعلى المتكلم أن يجذبه إليه وأن لا يتعبه بما لا فائدة فيه من سقط الكلام وحشوه بما يخرج عن موضوع الخطاب . ولحسن الإصغاء حد ، فاذا تجاوزته المتكلم تولد في السامع الملل وصار القول فضيلة أحسن القائل أو أساء » . ويضيف الأستاذ أحمد فتحي زغلول في شأن « المذكرة قوله من حسن الصناعة أن يلاحظ الكاتب المكتوب إليه وأن لا يغيب عنه أنه يعرض ما كتب على رجال تعلموا وتهذبوا وتفرغوا لأعمال وظيفتهم التي استنفدت أوقاتهم كلها ، فن الحكمة أن يحفظ عليهم زمنهم وأن لا يقدم إليهم من الوقائع إلا على قدر الكفاية ولا من الأدلة إلا ما كان قاطعا في الخصومة مع الاقتصاد في الألفاظ » .

ولقد أجمل الأستاذ زكي عريبي صفات لغة المرافعة في احترام قواعد اللغة ، وكونها مطابقة لمقتضى الحال ، فلا إسهاب منها مواضع والإيجاز مواضع ، وكونها لغة حديث لا لغة كتابة ، وأنها لغة التماس بحيث يحوطها الاحترام الكلى للهيئة التي تجري المرافعة أمامها ، وأنها في الوقت عينه لغة جرأة وعزة مع الاعتدال ، فليس أزرى بالمرافعات ولا أضيع لبهجتها ولا أفل لسلاحتها من سفه لغتها .

ولقد صاحب إنشاء المحاكم الأهلية إنشاء لغة المحاماة ، وحمل هذا العبء عدد من الرواد ، أمثال الأساتذة حسين صقر واللقياني والباجورى وسعد زغلول وأبو شادى والهللأوى ، وجاء بعدهم ليكمل الرسالة فريق الأساتذة أحمد لطفى السيد وعبد العزيز فهمى ومكرم عبيد ومرقس فهمى ووهيب دوس ومحمود أبو النصر ومصطفى مرعى . ولنضرب أمثلة للمستوى الرفيع الذى بلغته لغة المحاماة فى الربع الأول من القرن العشرين . من ذلك مرافعات أحد المحامين فى قضية اغتيال سياسى صدر الحكم فيها من محكمة الجنايات فى أبريل سنة ١٩١٠ . فقد جاء فى مرافعة الأستاذ أحمد لطفى عن المتهم قوله : « أعلم أيها الشاب (يقصد المتهم) أنه إذا تشدد معك قضاتك — ولا أخالهم إلا راحميك — فذلك لأنهم خدعة القانون وهــذا هو السلاح المسلول فى يد العدالة والحرية وإذا لم ينصفوك — ولا أظنهم إلا منصفيك — فقد أنصفك ذلك العالم الذى يرى أنك لم ترتكب ما ارتكبته بغية الإجرام ، ولكن باعتقاد أنك تخدم بلادك . وسواء وافق اعتقادك الحقيقة أو خالفها فتلك مسألة سيحكم التاريخ فيها . . وأن هناك حقيقة عرفها قضاتك وشهد بها الناس وهى أنك لست مجرما سفاكا للدماء ، ولا فوضويا من مبادئه الفتك ببنى جنسه ، ولا متعصبا دينيا خلته كراهية من يدين بغير دينه . إنما أنت مغرم ببلدك ، هائم بوطنك ، فليكن مصيرك أعماق السجن أو جدران المستشفى فان صورتك فى البعد والقرب مرسومة على قلوب أهلك وأصدقائك ، وتقبل حكم قضاتك باطمئنان واذهب إلى مقرك بأمان . . . » .

وفى قضية سياسية أخرى صدر الحكم فيها من محكمة جنايات مصر فى مايو سنة ١٩٢٥ يقول الأستاذ إبراهيم الهلباوى فى مرافعته عن أحد المتهمين : « . . . معظم العلماء يميلون الآن ، أيضا فى أوروبا التى نتعلم عنها ، إلى نبذ عقوبة الإعدام . فاليكم ، ولو أنى أمام محكمة فى أمة صغيرة غير معروفة للغرب أنها تعطى حكما وأمثلة للعدل — ولكن ليس للعدل وطن ولا للحكمة دار — إذا استطعت أن أقدم بين يديكم أن هذه العقوبة علاج خطير تنفر منه النفس إلا فى الأوقات الخطرة ، فأنى أستطيع أن أقول صونوا الهيئة الاجتماعية من خطر هؤلاء السفهاء . انتفعوا من قوة هؤلاء الشبان فقد ينفعون إذا تابوا ، وقد تصلح المقادير من أمرهم ، خصوصا وأن عقوبة الجرائم السياسية مبنية دائما على خطأ فى التقدير . هؤلاء البغاة يذكرون أنهم ارتكبوا الجريمة بحسن نية . هم كالمجنون الذى يتوهم خوفه من البرىء فيقتله . فى عرفهم هو قصد الخير . أنا لأطلب منكم أن تحرموا هذا ، وإنما وأنتم تزنون قدر العقوبة عليكم أن ترزوها بقدر فكر الحانى . أعفى القانون القاصر من عقوبة الإعدام لأنه عرف أنه لا يقدر تمام التقدير الظروف كلها . . . » .

وجاء فى مرافعة الأستاذ وهيب دوس عن المتهم نفسه فى القضية ذاتها : « فرض القانون فيما فرض ضمانا لحسن سياسة القضاء وإقامة العدل بين الناس — أن لا يتقدم متهم أمام هيكل

قضائكم دون أن يرافقه في هذه المرحلة الأليمة محام يتولى الدفاع عنه — محام يشترك معكم في شرف خدمة القانون ، ويرتفع عن أوساط المتهمين إلى الوسط الذي يفهم فيه معنى العدالة كما تفهمونه أنتم ، ويقدر أغراض الشارع التي وكل إليكم تحقيقها كما تقدرونها ، فيعرض عليكم المتهم كما يجب أن يعرض — بريثا أو مذنبا — ويصور لكم العواطف التي اجتاحت نفسه وعصفت بوجدانه فافقدته أسمى ما يتحلى به الإنسان في إنسانيته ، وأرقى ما يطمح في السمو إليه من فضيلة الرفق والتضحية والتسامح التي لو سادت لما اجترم مجرم جرمه ، ولما قامت الحاجة لنظام القضاء . أوجب القانون هذا ، مع افتراض أن يكون بين هؤلاء المتهمين معترف أو متلبس بجريمته ، دون أن يحرم هذا الفريق من هذه المساعدة ، أو يقلل من أهميتها بالنسبة له ، فكان قضاؤكم باطلا إذا لم يسترشد بدفاع المحامين الذين أصبحوا ركنا أساسيا في القضاء الجنائي تسعى إلى تحقيق قيامه نفس السلطة التي تقيم الدعوى إذا قصر المتهم في حق نفسه فلم يسع إليه أو حتى إذا رفضه هو رفضا باتا . . . » .

ومن مرافعة الأستاذ مكرم عبيد في قضية فصلت فيها محكمة الجنايات في إبريل سنة ١٩٢٦ ، نقتطف قوله : « لقد أثارت هذه القضية بين الناس على تباين نزعاتهم وأهوائهم شديدا هتأفهم وكامن عواطفهم ، وهذا طبيعي لأن القضية سياسية . والسياسة كانت ولا تزال مسرحا لكل عاطفة وسوقا لكل شهوة ، وميزانا لكل ضعف وكل قوة . ولقد نتج من هذا الخلط بين السياسة والقانون أن اختلطت في القضية أسباب الحق بالباطل ، والعدل بالظلم ، والصدق بالكذب ، حتى أصبحت مجمعا لكل تناقض ومضربا لكل مثل . غير أن القضية قد أثارت أيضا هواجس الناس ومخاوفهم ، وهذا غير طبيعي ، لأن القضايا يقصد منها أولا وقبل كل شيء الوصول إلى العدل ، والعدل تطمئن له النفوس ولا تجزع . ولكن الناس خافوا — وحق لهم أن يخافوا — لأنهم خشوا أن هذه القضية ذات الأهمية الاستثنائية قد تختل لها التوازن القانوني قبل أن تصل إلى حرمة القضاء ، فتجر إلى إجراءات استثنائية في الإتهام والتحقيق ، ومن طبيعة الاستثناء أنه لا يعرف حدا ، لأنه لا يعرف قاعدة ، بل هو ضد كل قاعدة ، ولا يعبأ بعدل أو مساواة لأنه لا مساواة مع استثناء ، ولا يخضع لضمان لأنه لا يرى ضمانا إلا في هدم الضمانات . ثم أن الاستثناء هو الفكاك من كل قيد . ومن سوء حظ البشرية أن هناك نفوسا إذا لم تكبح تجمح ، وإذا لم ترعو لا تستحي . وهناك نفوس تجزع ونفوس تطمع . وهكذا فالاستثناء مهما نلظننا في تسميته ، هو الظلم بعينه لأنه يفتح الباب لكل شهوة ، ويتنافى مع كل مساواة . ولهذا قلت إن الناس قلقوا وأوجست نفوسهم خيفة ، لأن كل ظلم مهما كان فرديا فهو ظلم مزدوج ، ظلم واقع على الفرد ، وظلم يهدد المجموع ، فهو إذن فعل وتهديد وواقعة وسابقة . . . » .

على هذا الوجه المتقدم بيانه نشأت لغة المحاماة وازدهرت ، واستمر ازدهارها جنة فيحاء حتى آخر الأربعينيات . والواقع من الأمر أن المحامين لم يقف نشاطهم ، خلال هذه الحقبة من الزمان ، عند حد القضايا الخاصة في رحاب القضاء يطلبون فيه الحق والعدل ، بل أنهم شغلوا أنفسهم بالقضايا العامة ، قضايا الوطن من سياسية واجتماعية واقتصادية ، في رحاب المصالح القومية ، يدافعون عن استقلال البلاد في مواجهة المستعمر ، ويدافعون عن الحريات العامة في مواجهة حكم متسلط ، ويطالبون بالأخذ بيد الفقراء الضعفاء ، وينبهون إلى ضرورة معالجة الوضع الاقتصادي للبلاد والتطويع بسيطرة الأجانب عليه . ولقد كان من بين المحامين قادة وشركاء في العمل السياسي في ثورة سنة ١٩١٩ ، وفي الحياة النيابية بعد العمل بدستور سنة ١٩٢٣ ، وفي الحياة الصحفية ، وفي ميدان الشركات . ولم ينس المحامون ، مع كل ذلك ، عملهم الأصلي في خدمة القانون ، فكان منهم فقهاء ، واختير منهم الكثير ليشغل مناصب القضاء من أولى مستوياته حتى العليا منها .

وقد جرى منذ أوائل الخمسينيات أن اهتزت لغة المحاماة . فقد قلت في قاعات جلسات المحاكم المرافعات المدوية المجلجلة ، وأصاب لغتها ولغة المذكرات الهزال ، في كثير من الأحيان ، ويمكن القول — دون مبالغة — أن الخط البياني لمستوى لغة المحاماة أخذ ، ولا يزال يأخذ ، في الاتجاه نزولا . وهذه ظاهرة التقينا بها فيما تقدم من عرض لنشأة وتطور لغة الفقه ولغة التشريع ، وكذلك في لغة القضاء إلى حد ما .

* * *

خاتمة :

وبعد ، فاننا إذا ما أردنا تقصى أسباب الارتقاء وأسباب تقيضه في لغة القانون ، بمختلف فروعها على ما سبق بيانه ، لوجدنا أن الذين بنوا هذه اللغة ونهضوا بها عاشوا زمانا مليئا بالتطلع إلى المعرفة والسعي إلى الحضارة والنهوض بالمجتمع . فمنذ أواخر القرن الماضي ، وفي خلال الثلث الأول تقريبا من القرن العشرين ، تعاقبت أجيال من الرجال تغذوا بالثقافة العربية ، ثم اغترفوا من الثقافة الأوروبية ، وهو أمر اقتضاه سيادة الحضارة الأوروبية في كثير من جوانب العالم ، كما اقتضاه قيام علاقات بين مصر ودول أوروبا وبين المصريين ورعايا هذه الدول ، وكان أبرز هذه العلاقات علاقات مصر بالمستعمر . وبدا الاهتمام بمعرفة اللغات الأجنبية واضحا ، بجانب نهضة واتت اللغة العربية وآدابها . وكانت القراءة هي الوسيلة الوحيدة للمعرفة قبل دخول الإذاعة في مصر في أوائل الثلاثينيات ، وهي وسيلة أكثر عمقا ودقة . وكانت متطلبات الحياة أبسط وأيسر مما هي عليه الآن ، وكان المجتمع أكثر هدوءا واستقرارا مما هو عليه الآن . وكانت شعلة الوطنية ملهبة لإرادة التقدم والارتقاء .

وقد كان من شأن كل ذلك وجود أجيال من أفراد متعددى الثقافة متنوعى الاهتمامات فوجد رجل القانون أو الطبيب أو المهندس ، الأديب أو الشاعر أو الفنان ، أو العلم بشيء من الأدب أو الشعر أو الفن . ووجد رجل القانون أو الطبيب أو المهندس الملم بفرع أو أكثر من سائر العلوم الإجتماعية ، أو الإنسانية كما يسميها البعض . كعلم الاجتماع أو الفلسفة أو علم النفس . ووجد رجل القانون أو الطبيب أو المهندس المشتغل بالسياسة وبالقضايا القومية الكبرى ، وقد تكون وسيلة هذا الاشتغال هى الانضمام إلى حزب سياسى أو المشاركة فى العمل الصحفى ، أو إنارة رأى العام بطريقة المحاضرات العامة ، وقد كانت أمرا مألوفاً ، وكان الإقبال عليها شائعاً . وصاحب كل ذلك الاهتمام بترجمة الكثير من المؤلفات أو البحوث الأجنبية ليجد الساعى إلى المعرفة فيما ترجم زادا لثقافة والتعرف على الإنتاج الفكرى فى بلاد سبقتنا فى التقدم .

وعلى هذا الوجه اتفرت فى مصر بيئة صالحة لنمو العلم وانتشار الثقافة ووجود لغات علمية عربية لمختلف فروع المعرفة . وكان للغة القانون نصيب من ذلك ، فولدت ونمت وارتقت على الوجه السابق بيانه . ولكن ما كاد النصف الأول من القرن العشرين ينقضى إلا وقد أصاب هذه البيئة تغير أحدث ، ولا يزال يحدث ، أثره فى كل ما ينمو ويعيش فيها . ذلك أن المجتمع المصرى اهتز هزة عنيفة مفاجئة فى أوائل الخمسينيات غيرت نظمه السياسية وامتدت إلى التغيير فى نظمه الاجتماعية والاقتصادية . وتوالت الأحداث سراعاً فى سبيل تعجل الوصول إلى الأهداف . ويعيننا من كل ذلك - فى مقام كلامنا فى لغة القانون - ما حدث فى ميدان التعليم والثقافة . فقد جرى التوسع فى التعليم العام على نحو لم يسبق الإعداد له إعداداً كافياً ، نقص فى المعلمين وفى أدوات التعليم ، وكان اهتزاز فى مناهج الدراسة ، إذ ازدحمت بماسمى المواد القومية وأوجزت فى بعض المواضع فهزل قدر الإفادة من تراثنا الأدبى والعلمى وبدأ ضعف التلاميذ فى اللغة العربية ظاهرة عامة ، وصاحب ذلك ، أول الأمر ، بقاء نحو اللغات الأجنبية ، ونقص كبير فى عدد من يمكن أن يعهد إليهم بتدريسها ، فبدت جهالة هذه اللغات أو ما يقرب من الجهالة ظاهرة عامة كذلك .

وهذا التوسع فى التعليم العام لم يصاحبه توسع فى التعليم العالى تنوع فروعاً حسب ما تقتضيه احتياجات البلاد وما يفتح الأبواب أمام تنوع استعدادات الطلاب وصلاحياتهم . لقد جاء التوسع على حساب الجامعات ، ففتحت أبوابها لكل طارق ، واقتضى إقبال الطلاب على بعض الكليات بما يزيد على طاقتها أن أنشئ « مكتب تنسيق قبول الطلاب بالجامعات » ، الذى يوزع الطلاب على مختلف الكليات حسب الأعداد المحددة لكل منها وعلى أساس

مجموع درجات الطالب في الثانوية العامة وكانت النتيجة لذلك أن حشر كثير من الطلاب في كليات لا يألون الدراسة فيها ، وصار عدد طلاب الفرقة الدراسية الواحدة يحصى بالآلاف فضاقت بهم المدرجات وعجزت المعامل عن استقبالهم ، وتعثرت العملية التعليمية بأيدي أعضاء هيئة التدريس وضاقت أوقاتهم عن الأبحاث العلمية . ثم جاء إنشاء الجامعات الإقليمية لتجتزئ عددا من أعضاء هيئات التدريس بالجامعات القديمة فتصاب الجامعات كلها بنقص شديد في عدد أعضاء هيئات التدريس ، وتسود الانتدابات بينهم فيزداد وقت البحث العلمي ضيقا . ولم يعالج توزيع الطلاب على الجامعات على أساس إقليمي أى جانب من جوانب مشكلة التعليم الجامعي أو التعليم العالي بصفة عامة . وكان من شأن ذلك كله ضعف مستوى خريجي الجامعات ، وهو ضعف يرتفع خطه البياني من عام إلى عام ، ويتناول التكوين العلمي في فرع التخصص ، كما يتناول اللغة العربية واللغات الأجنبية والقدرة على الإفادة من التقدم العلمي على المستوى العالمي . وتراكم الخريجون في ميادين لا تستوعبهم .

هذا عن التعليم . وأما عن الثقافة ، فلم نعد نرى المثقف المتعدد الاهتمامات ، مما كان موجودا في مصر حتى أواخر النصف الأول من القرن العشرين على سبق بيانه ، وقل الاهتمام بتراثنا الفكري أو كاد ينعدم . وقل الاهتمام بالتزود من الثقافات الأجنبية . حقيقة أنه في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات ، توفر الاهتمام باعادة طباعة عدد من كتب التراث ، وتوفير الاهتمام بترجمة عدد من المؤلفات الأجنبية في مختلف فروع المعرفة ، ولكن حال دون الانتفاع بهذه وتلك ضعف ملكة القراءة عند غالبية الشباب واكتفائهم بالإذاعة المسموعة أو المرئية وسيلة للمعرفة . ومن الحقائق أيضا أن عدد المجلات الثقافية الحادة قد قل أو كاد ينعدم فلم نعد نرى ما يماثل مجلة المقتطف الشهرية أو مجلة الهلال الشهرية في عهدها القديم أو مجلة الرسالة أو مجلة الكاتب المصري . كما أن الصحف اليومية لم تعد تفسح المجال الكافي لمختلف وجوه الثقافة ، وذلك على خلاف ما كانت تجرى عليه من قبل . لقد قرأ جيلنا في شبابه في الصحف اليومية ، بصورة دورية منظمة ، الشعر قديمه وحديثه والقصة الطويلة وغيرها من ضروب الأدب .

وإذا كانت هذه هي حال التعليم والثقافة ، فاننا إذا ما أضفنا إليها القلق الذي يعيش فيه الناس ، ومشاكل حياتهم ، حتى اليومية منها ، التي تشغل بالهم وتأخذ جانبنا من تفكيرهم ، لوجدنا أنه ليس بمستغرب أن بيئة المجتمع المصري في الربع الثالث من القرن العشرين قد اختلفت تماما عن بيئته في النصف الأول من هذا القرن ، ولذلك فإن الأولى لم تنتج ، إلا بالقليل ذات المستوى من رجال الفكر مثل ما أنتجته الثانية .

إن الحيل الحاضر لمعدور ، فهو يعيش زمانا طغت فيه الماديات على كل شيء وصارت بذاتها قيا تغشى البصائر عن القيم الفكرية . ومع ذلك فإن العقل لا يزال هو جوهر الإنسان ،

ولا يزال نتاجه الفكرى هو الذى يسعد البشرية ويسير بها قدما . وما التكنولوجيا الحديثة إلا جانب من هذا النتاج . وعقل الإنسان هو الذى ابتكر العقول الإلكترونية ، وسيظل هو سيدها جميعا .

ولعل خير سبيل للنهوض بالشعب المصرى علميا وثقافيا ، هو أن يبدأ الجيل الحاضر بالتزود بتراث أسلافه القريب ، تراث النصف الأول من القرن العشرين ، ثم يتجه بعد ذلك إلى علم وثقافة من سبقنا من الأمم يتزود منها بالحديد ويلاحق تقدمها فيها ، ولا بد له من التوسل إليها بالإلمام بلغة أجنبية أو أكثر ، ومن الخير أن يصاحب ذلك حركة ترجمة تسعف من لا يعرف أية لغة من هذه اللغات وتمكنه من مزيد من المعارف .

وفما يتعلق بلغة القانون وهى موضوع كلامنا : اقول للجيل الحاضر من رجال القانون : أمامكم ثروة معتبرة ، تراكت خلال نصف قرن من الزمان ، من لغة الفقه ولغة التشريع ولغة القضاء ولغة المحاماة ، ارجعوا إليها واستمتعوا بها بعد استيعابها ، تجدونها فى المؤلفات والبحوث والنصوص التشريعية ومجموعات أحكام المحاكم ، فى القضاء العادى والقضاء الإدارى ، وفيما نشر من المرافعات فى أشهر القضايا . وعليكم بعد ذلك — أن كان هناك محل — أن تطوعوا لغة القانون حسب مقتضيات العصر الذى نحيش فيه ، مع الحرص على قواعد اللغة العربية نحوا وصرفا وأسلوبا .

ولا يغيب عنكم أن مجمع اللغة العربية قد عبد لكم الطريق بما بذله ، ولا يزال يبذله ، من جهد علمى دقيق محكم ، أسهم فيه علماء فى اللغة وعلماء فى القانون ، أثمر وضع المصطلحات القانونية وضبط تعريفاتها فى مجال عدد من فروع القانون وهى : القانون المدنى والقانون التجارى وقانون المرافعات والقانون الدولى الخاص والقانون الإدارى والقانون الدولى العام والقانون الإدارى ونشر كل ذلك فى مطبوع يصدره عنوانه « مجموعة المصطلحات العلمية والفنية » . ولا يزال المجمع بسبيل استكمال عمله بتناول باقى فروع القانون وما استجد من موضوعات أثمرها تطور الحياة القانونية .

إن ما حدث فى لغة القانون فى مصر من ارتقاء وهبوط ليس غريبا فى حياة الأمم وليس مرضا لاشفاء منه . وشأن اللغة شأن مختلف وجوه الحضارة التى قد يشع نورها ويشمل وطن ميلادها ويمتد إلى غيره من الأوطان ، ثم قد يخبو هذا النور ، ثم يقوى وينتشر من جديد . إن العيب هو فى الإستمرار فى الهبوط أو التوقف عن الإصلاح ، ومصر بخير ، وستكون لغة القانون بخير ما دام يوجد بين الجيل الحاضر من رجال القانون نابهون متطلعون إلى الحرص على الارتقاء بالقانون ، علما ولغة .

الدكتور احمد عز الدين عبد الله

عضو المجمع

المخطوآت الأولى نفساة لفكر لعلهمى فى تراننا لللكتور ناصر الدين الأوسى

كانت كثرة الكتابة أو الكلام فى أمر ما نعة من معاودة الكتابة أو الكلام فيه لامتنع الناس عن الخوض فى هذا الموضوع أو ما يتصل به من موضوعات ، لكثرة ما تناوله الكتاب والخطباء والمحاضرون والمتحدثون ، وأسرفوا فى محاولة شرحه وتوضيحه جوانبه . ولكنت اليوم فى غنى عن أن أبذل جهداً بعد جهودهم ، لا أدرى أضيف معرفة جديدة أو يكرر ما كرّروه ، ثم لا يعدو أن يكون مقالا على مقالات سابقة يزيد لها فى العدد دون أن يزيد عليها فى القيمة .

وليست كثرة الكتابة أو الكلام فى موضوع بمانعة من إعادة الكتابة أو الكلام فيه ، ولا بنافعة أحداً من الناس ، إذا كانت مليئة بأحكام عامة لا تعتمد على مقدمات متسلسلة ، أو أحكام قاطعة لا تحتمل المناقشة ، أو مبهمة تكاد تشمل كل شئ ولا تشمل شيئاً محدداً بعينه ، أو إذا كانت بغير مقدمات ، أو بمقدمات تخلو من التمهيد والتدقيق ، يقفز الكاتب أو المتحدث قفزاً إلى أحكامه النهائية ، فلا يخاطب العقل فيقنعه ، وإنما يستهوى المشاعر فيهيئها ، ثم لا تلبث هذه المشاعر أن تخبو فورتها حين تستدير الأمر مثلما اشتد عرامها وثار حين استقبلته . واقتناع العقل مستمر ، وقد يتفاعل ، مع مرور الزمن ، فيرسخ وينمو بما يضاف إليه كلما ازداد المرء تفكيراً فى الأمر الذى اقتنع به ، وحينئذ قد يتلوه ويخرج منه عمل متزن مفيد ، وذلك ينطبق على الخاصة والعامة معاً ، فللعامة عقول يفكرون بها ، فيقتنعون ثم يعملون ، أو ينكرون ثم يرفضون .

وليس المجال - في مثل هذه الموضوعات- مجال وعظ كالذي يتردد بيننا من أكثر الأحياء . ولا مجال عراك في غبر معترك ، أو توهم دفاع بأسلحة ترتد إلى نحر المدافع ، فتكون أشد نكالا عليه ، لضعفها وتهافتها ، من أسلحة الأعداء . وكم من صاحب حق أضاعه لضعف سلاحه ، أو تهافت حجته ، أو لاتباعه سبيلا غير السبيل الموصلة إلى ما كان يريد . ولكن المجال مجال بحث علمي يلتزم الأصول الصحيحة ، والمنهج القويم ، لتجلية الحقيقة وبيان جوانب الصواب ، بترتيب النتائج ترتيباً طبيعياً على مقدّمات متسلسلة ممحصّة ، ومخاطبة العقل ومخاطبة هادئة ، عن بصيرة ومعرفة ، دون استشارة أو تهجم أو اتهام ، لا تدعو إليها طبيعة البحث ولا تقود إلى تحقيق شيء من نتائجه ، بل قد تكون عقبات أمام الوصول إلى الهدف بما فيها من تنفير للنفوس واستهانة بالعقول .

ولم يكن كل هذا الذي أوردناه من قبيل المقدمة أو التمهيد أو المدخل وليس هو ببعيد عن صلب الموضوع وعنوانه ، بل هو منهما في الصميم . فذلك هو منهج علمائنا في الحوار ، وفي المواجهة الثقافية ، وفي التواصل بين الشعوب والأديان ، استمدّوه من دينهم ومن كتابهم ، وهو أمر يلتقي مع ما نحن بسبيله من وجوه ويختلف معه من وجوه ، ومهما يكن فإن هذا الضرب من الحوار إنما هو إطار وأسلوب : إطار يتضمن نتاج الفكر ، وأسلوب لنقل هذا الفكر وتوصيله ، ويبقى - بعد ذلك - السؤال قائماً عن أصول المنهج في التفكير العلمي عند أسلافنا ، يحتاج إلى روية في البحث ، ودقّة في استخراج النتائج ، وتحديد واضح للملامح والقيّمات .

وحتى نتجنّب ما عددناه عيباً في كثير من الكتابات والأحاديث ، ونتبع ، ما ذهبنا إلى أنه النهج السليم الذي يبتعد عن التعميم الفضفاض ويلتزم بالتحديد الدقيق ، فإننا سنضع كل فكرة من أفكار هذا الموضوع في فقرة منفصلة ، لها رقمها المستقل ، حتى يتقرّأها عقل القارئ فيقف عندها ممحصّاً ناقداً .

١ - لم ينشأ الفكر العلمي العربي الإسلامي من فراغ ، ولم يحدث فجأة بمعجزة ، ولم يتطور ويزدهر في ميادين العلوم المختلفة - الأساسية والتطبيقية - بمعزل عن النواميس

البشرية والطبيعية التي تعمل معاً، وفق سنة الله في خلقه وتكون سبباً في ارتقاء الأمم أو سقوطها . ولكنه نشأ ثم تطوّر وازدهر بفضل عاملين أساسيين ، أولهما : نصوص تربوية تعليمية ، نشئت عليها الأجيال تتمثل في آيات كريمة وأحاديث شريفة تكرم العقل وترفع من منزلته ، وتدعو إلى التفكير وتحض عليه ، وتشيد بالعلماء وتجعلهم ورثة الأنبياء ، وهى آيات وأحاديث أورد أكثرها كل من تناول هذا الموضوع ، ويعرفها الناس ، أو جُلُّهم وإن قلَّ بينهم من يقف عندها متدبراً مستنبطاً منهجها المتكامل . وثانيهما : جهد بشرى موصول وتطبيق عملي مستمر ، نهض بهما المسلمون بدافع من السبب الأول ، وفهم صحيح له ، استطاعوا بهما أن يرسوا الأسس الثابتة لهذا الفكر العلمى ، ويرفعوا قواعده ، ويقيموا صرحه الضخم الذى أصبح - قروناً متواصلة - كعبة للأمم الأخرى يحجّجون إليها ، ونوراً يقبسون منه .

٢ - وكان من شأن تلك النصوص التربوية التعليمية ، فى كتاب الله وفى حديث رسوله ، أنها أشارت لإشارات واضحة مستوفاة إلى أنه تعالى فتح جميع ميادين الحياة ، وجميع ما فوق الأرض وما فى باطنها ، وما فوق البحار وما فى جوفها ، وما فى الفضاء والسماء وجعلها كلها ميداناً للتدبير والتسخير ، فى خدمة الإنسان ، يصل إليها بعقله ، ويفتح مغاليقها بعلمه ، بفضل الله ، لم يحظر منها ميداناً واحداً ، ولم يخلق فيها باباً دون باب ، بل أشرعها كلها على مصاريعها جميعاً دون قيد : (وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار * وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار)^(١) (وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً . .)^(٢) و (ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض . .)^(٣) و (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)^(٤) فانطلق علماء المسلمين « يتفكرون » و « يتدبرون » دون ما خرج ولا تزمت ، لا يحول بينهم وبين ميدان من ميادين العلم حائل .

(٢) النحل : ١٤ .

(٤) الجاثية : ١٣ .

(١) إبراهيم : ٣٢ ، ٣٣ .

(٣) الحج : ٦٥ .

٣ - ولم يحاسبهم تعالى على أخطائهم في التفكير والاجتهاد والبحث ، مادامت نياتهم سليمة وما دام الحق رائدهم وهدفهم ، فهـ « إنما الأعمال بالنيات »^(١) فمنح العلماء بذلك حقاً من أهم حقوق الإنسان هو حق الخطأ . غير المتعمد (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبكم ، وكان الله غفوراً رحيماً)^(٢) و (لا يكلفُ الله نفساً إلّا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا)^(٣) ، وأكّد هذا الدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيغة تقريرية بقوله « إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان »^(٤) .

ثم زاد الإسلام على كل ذلك فضلاً آخر ، فأرّبى على كل ما يخطر على بال العلماء في أمانيتهم ، فلم يقتصر على التجاوز عن خطأ المخطئ وعلى الصّح عنه - فذلك إنما يكون في أمور العقائد والعبادات حين لا يتعمد المؤمن الخطأ - فبإِزاء ذلك على العلماء على البحث والاجتهاد حتّى ، إذ أخبرهم أنّه يكتب لهم الحسنّة والثواب حين يخطئون وهم سائرون في طريق العلم فجعل المخطئ أجراً واحداً ولم يصيب أجرين^(٥) . فكيف إذن لا يطمئن العالم على نفسه وضميره ، وكيف لا يزداد انطلاقاً في ميادين البحث المختلفة دون ما خوف ولا تردد .

٤ - وأطلق الإسلام العقل من أغلال الخرافات ، وحرّره من الأوهام والأساطير والأباطيل ، فجعل الظواهر الإنسانية والطبيعية سنّة من سنن الله تعالى ، تسيّر بنوأميس ثابتة ، وتجرى بحسّاب دقيق ، وعلى المسلمين أن يتدبّروها ، فيغوصوا في أعماقها ، وينقبّوها ، ويبحثوا ، ويكشفوا أسرارها وأسبابها ونتائجها . ف (الشّمسُ

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذى وأحمد .

(٢) الأحزاب : ٥ .

(٣) البقرة : ٢٨٦ .

(٤) رواه ابن ماجه والطبراني والحاكم .

(٥) روى الحديث البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه وأحمد ، قال الخليلي : « إنما يؤجر المخطئ على اجتهاده في طلب الحق لأن اجتهاده عبادة . ولا يؤجر على الخطأ بلى يوضع عنه الإثم فقط » (السيد سابق ، فقه السنة ٣ : ١٠٤ - دار الكتاب العربى ، بيروت) .

وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) ^(١) (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) ^(٢) (وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) ^(٣) وكسفت الشمس يوم موت إبراهيم بن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الناس : كسفت الشمس لموت إبراهيم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ فَصَلُّوا وَادْعُوا اللَّهَ » ^(٤) (وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) ^(٥) (وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) ^(٦) .

٥ - كل هذا ، وغيره كثير ، وكان الأساس في تنشئة أجيال العلماء ، وتربية عقولهم ، وتوجيه نفوسهم ، فشرعوا في بناء قاعدة العلم الإسلامي بناءً عملياً . ربطوا - كما أمرهم الله - العلم بالعمل ، وجمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح . فهم المسلمون ماجاء في كتاب الله وما وصلهم عن رسوله صلى الله عليه وسلم ، فأنشأوا لهم من داخل دينهم علومهم الخاصة بهم . لم يأخذوها من غيرهم ، ولم يترجموها عن سبقتهم : فكانت علوم الفقه ، وعلم الأصول ، والتفسير ، والقراءات ، والحديث وعلومه ، وأصول الدين ، والسير والمغازي . وتفرعت عن كل علم علوم ، وانشقت منه فروع . وقطعوا فيها أشواطاً بعيدة ، وارتفعوا بها إلى مستوى عال من المنهج العقلي من تحقيق وتدقيق ، ونقد للمتن وللسند ، وحرص على جمع المصادر والإحاطة بها والتثبت مما ورد فيها : كتابة أو شفاهاً ، ولم يقبلوا بالتسليم برأى دون مناقشة فلا بد من أخذ العلم مع دليله ، لا بد من إقامة البرهان النقلی والبرهان العقلي . ونشأت

(١) الرحمن : ٥ .

(٢) الأنبياء : ٣٣ .

(٣) يس : ٣٩ - ٤٠ .

(٤) رواه البخاري والسنن .

(٥) الأحزاب : ٦٢ .

(٦) فاطر : ٤٣ .

كتب الرجال ، والتفسير والحديث ، والجرح والتعديل والأنساب والأخبار .
وتأصلت فيهم - من علومهم - روح العلم ومفاهيمه وتقاليده وأخلاقه ، وأقبلوا على طلبه إقبالا لا نجد له نظيرا عند الأمم الأخرى ، فيما روت لنا الأخبار . ولم يكن لهم كهنوت أو « اكليروس » يحتكر فيه الأخبار والرهبان والكهنة العلم الديني والديني ويحظرونه على غيرهم ، فكان العلم بكل أنواعه مبدولا للمسلمين عامة وللعلماء خاصة ، من مصادره الأولى وينابيعه الصافية .

٦ - وكما شرعوا في بناء قاعدة العلم الإسلامي بناءً عمليا من داخل دينهم وحياتهم ، بإنشاء علوم أصلية خاصة بدينهم وبهم ، فقد دعموا هذه القاعدة بركن ثان أصيل من علوم لغتهم وآدابهم . فنشأ عندهم : النحو والصرف والمعاني والبديع والبيان وعلوم اللغة والعروض والقوافي ورواية الشعر والأنساب والأخبار .

وكانت هذه العلوم مع العلوم السابقة وحدة متكاملة ، مترابطة ، يحرص على تلقيها ، أو تلقي أكثرها ، طالب العلم حتى تُبنى قاعدته الفكرية وأصوله الثقافية . ولا نكاد نجد عالما في العلوم التطبيقية إلا وقد أخذ بهذه العلوم الإسلامية واللغوية والأدبية « النظرية » ، قبل أن ينتقل إلى العلم التطبيقي الذي أصبح به بعد ذلك معروفا مشهورا ، لأن تلك العلوم الأصيلة هي التي تربي ملكته العقلية ، وتزوده بالمعارف الأساسية ، وتصقل موهبته في النظر والتفكير .

ولم ينتقل العلم عندهم إلى الانتشار في مرحلة تالية ، إلا بعد أن رسخت أصول هذين الركنين من قاعدة العلم الإسلامي العربي . وبذلك لم يقفزوا إلى الترجمة إلا على أساس من كيان فكري أصيل ، ووجود ثقافي متميز ، وعلوم مستقلة نهضوا بعبثها فأهملتهم للانتقال إلى مرحلة جديدة . ولولا هذه الأصالة العلمية لغزاهم العلم المترجم ، وطغى عليهم ، وطمس شخصيتهم . فيما استطاعوا أن يطوروه ويحققوا فيه جديدا ، ولقضى عليهم بأن يكونوا نقلة مترجمين ..

لقد أنشأوا علومهم الخاصة بهم ، فتدربوا عليها وبرعوا فيها ، وتكون لهم منهج علمي أصيل ، فأصبحوا مستعدين عقلياً للحضارة : لتلقيها ، وللمشاركة فيها ، ولإنشائها . ولحملها ونقلها وتوصيلها .

٧ - وكما كان الإسلام ديناً عالمياً للناس كافة ، استوعب الأديان كلها في رحابه ، كذلك كان هذا العلم الإسلامي العربي : اشتركت فيه الأمم من الأجناس والأعراق والألوان المختلفة ، واشتركت فيه الأديان والمذاهب كلها ، في إطار من روح الإسلام ، وفي أجواء عقلية متقاربة ، ومناخ علمي يكاد يكون واحداً . صهرتهم نظرة الإسلام ووسعتهم روحه ، وأصبح علم العالم المسيحي واليهودي والصابئي رافداً يصب في هذا النهر العظيم ، ويؤلف مع الأصل : العلم الإسلامي . وأصبح غير العربي : أصيلاً في علوم الإسلام وعلوم العربية وشعرها ونسب العرب وأخبارهم . حتى لقد أصبح كثير منهم أئمة هذه المعارف والعلوم .

٨ - ومن تمام هذا المنهج الإسلامي الأصيل وقاعدته الفكرية والثقافية ذلك الأسلوب الذي اتبعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعليم صحابته الأبرار وفهم آيات القرآن الكريم ودراستها ، وتطبيق ما ورد فيها على حياتهم اليومية ، بحيث لا ينتقلون إلى آية أو سورة أخرى إلا بعد الفراغ من فهم الآية أو السورة السابقة ، وهو أسلوب استفاضت عنه الآثار والأخبار ، فقد قال ابن مسعود : « كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن »^(١) .

وقال أبو عبد الرحمن السلمي : « حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلّفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل ، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً »^(٢) . وعن ميمون

(١) من مقدمة ابن كثير في تفسيره ، انظر عمدة التفسير ، دار المعارف بمصر ١٩٥٦ م ، اختصار وتحقيق : أحمد محمد شاكر ، وانظر مسند أحمد ٥ : ١٠ ، المكتب الإسلامي ببيروت .

(٢) المصدر السابق .

أَنَّ عبد الله بن عمر رضى الله عنهما - « تعلم سورة البقرة في أربع سنين »^(١) . وعن ابن عمر قال : « لقد عشت برهة من دهرى وإنَّ أحدنا يوتى الإيمان قبل القرآن ، وتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم ، فيتعلم حلالها وحرامها ، وما ينبغى أن يقف عنده منها كما تعلمون أنتم القرآن ، ثم لقد رأيت رجالاً يوتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته ما يدرى ما أمره ، ولا زجره ، وما ينبغى أن يقف عنده منه ، وينشره نشر الدقل »^(٢)

٩ - وبعد أن انتهى المسلمون من بناء هذه القاعدة الفكرية الثقافية بأصولها ومناهجها من داخل أنفسهم ودينهم وعلومهم ، شرعوا في الاتصال بعلوم الأمم الأخرى ، « فالحكمة ضالة المؤمن يالتمسها أغنى وجدها » . واستشعروا القوة والقدرة عليها . فأخذوا يطلبون من يترجمها لهم ، أو يترجمونها بأنفسهم ، إلى لغتهم ، عن تمكُّن من هذه اللغة واعتزاز بها ، واقتدار عليها ، وتصرف فيها . فأطاعتهم اللغة ولائبت لهم ، وامتدت أمامهم تجرى معهم وتسابقهم ، فازدادت قوة وغنى وقدرة مع الاستعمال ، وتأسست المعارف والعلوم الأخرى فيهم ، وجرت في عقولهم ونفوسهم وحياتهم مجرى علومهم الأصلية ، يرفُّد كل منهما الآخر ويغذِّيه ، فاستبحر الفكر العلمى عندهم واستفاض . وقد كان ذلك العلم قائماً عند تلك الأمم الأخرى منذ زمن طويل ، وكان بين العرب في جاهليتهم من يعرف بعض لغاتهم ، وكان فريق منهم يتصل بهم ويطلع على ما عندهم من هذه العلوم والمعارف ، وكان المترجمون حينئذ لا يفتأون يترجمون العلم اليونانى إلى السريانية ، وكانت له مراكزه المزدهرة في بلاد يسكنها العرب أو يحيطون بها . ومع ذلك كله ظل هذا العلم بعيداً عنهم ، وظلُّوا بعيدين عنه ، على معرفة أفراد منهم به ، لم يستبحر فيهم ولم يشتدَّ عوده بينهم ، لأنه لم يتأصل عندهم بلغتهم .

(١) ابن سعد ، الطبقات ٤ : ١٦٤ تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار صادر بيروت ١٩٥٧ م . . .

(٢) الهيثمى ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١ : ١٦٥ ، دار الإكتتاب بيروت ١٩٦٧ . . .

أردأ أنواعه .

ولا يكاد القرن الثالث الهجرى يشرف على الانتهاء حتى نجد عددا كبيرا من الكتب فى ميادين متعددة قد ترجمت إلى العربية^(١) . . . ويتوالى التأليف وتتوالى معه الترجمة ، وتزخر المكتبة العربية بالكتب المؤلفة والمترجمة حتى أن فضل الله بن أبى الفخر الصقاعى ذكر^(٢) أن الشريف شرف الدين الناسخ ذكر له فى شهور سنة ست وستين وستمئة بدمشق قال : « وقفت فى المدرسة النظامية ببغداد . . . على فهرست بما صنف فى الدولة الإسلامية فى سائر الفنون إلى آخر أيام الإمام المستنصر فى سنة تسع وثلاثين وستمئة ، والفهرست ستة وخمسون مجلداً » .

وهذه الكتب العلمية المؤلفة والمترجمة ، مع شروحها والتعليق أو الرد عليها ، من بين هذا التراث الضخم ، هى التى أخذ الأوربيون يترجمونها إلى اللاتينية من القرن الخامس الهجرى (خلال القرون التالية للقرن العاشر الميلادى) وهى التى قامت عليها النهضة الأوربية الحديثة بماأخذه الأوربيون عن المسلمين من مناهج البحث التى سنذكر طرفاً يسيراً من ملامحها فى الفقرات التالية ، وإن المرء ليدعش من كثرة هذه الكتب المترجمة إلى اللاتينية فى تلك القرون ، وحسبه أن يتتبع ماورد منها فى الكتب التى تناولت هذا الموضوع وأقربها كتاب المستشرق الألمانية زيغريد هونكه^(٣)

١٠- وإذا كان المجال هنا لا يتسع لتناول تفصيلات موضوع الترجمة ، والمكتبات وكثرة المؤلفات العلمية ، وجهود العلماء المسلمين فى إضافة الجديد المبتكر إلى ما نقلوه عن اليونان والهنود وغيرهم ، فضلاً عن تصحيح كثير من الأخطاء التى وقع فيها أصحاب تلك العلوم وخاصة اليونانيين ، فإن المجال لاشك متسع للإشارة إلى هذا الطرف اليسير الذى ذكرناه قبل قليل من ملامح مناهج البحث التى طورها المسلمون وأبدعوا فيها ، فاستفاد منهم الأوربيون ، واقتبسوها منهم ، ونسبوها إلى بعضهم ،

(١) تراث الإسلام ١ : ٢٥٠ - ٢٥٣ م .

(٢) فى كتابه : تآنى كتاب وفيات الأعيان ، تحقيق جاكلىن سوبلة ، دمشق ١٩٧٤ م .

(٣) شمس العرب تطلع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ، المكتب التجارى ، بيروت ،

الطبعة الثانية ١٩٦٩ م .

حتى لقد جهلنا حقيقة نسبتها إلى المسلمين، وأصبحنا لا نعرف إلا أنها من إبداع هؤلاء الأوروبيين دون أن نعرف جهد العرب في التنبيه لها، ووضع قواعدها الأولى وإرساء أصولها، بحيث استطاع الأوروبيون بعد ذلك إقامة البناء.

فمن هذه الملامح: عدم الاقتصار على قراءة كتب الأقدمين والتسليم بصحة ما فيها، وتكراره. بل لابد من النظر فيها بعين الفحص والتمحيص، والتثبت من الآراء الواردة فيها حتى يستبين صوابها أو بطلانها بالحجة والبرهان. ومن أوضح من فصل هذا الملمح الحسن بن الهيثم بقوله^(١): «الحق مطلوب لذاته، وكل مطلوب لذاته فليس يعنى طالبه غير وجوده، ووجود الحق صعب، والطريق إليه وعر، والحقائق منغمسة في الشبهات، وحسن الظن بالعلماء في طباع جميع الناس. وما عصم الله العلماء من الزلل، ولا حمى علمهم من التقصير والخلل. ولو كان ذلك كذلك لما اختلف العلماء في شيء من العلوم، ولا تفرقت آراؤهم في شيء من حقائق الأمور، والوجود بخلاف ذلك. فطالب الحق ليس هو الناظر في كتب المتقدمين، المسترسل مع طبعه في حسن الظن بهم، بل طالب الحق هو المتهم لظنه فيهم، المتوقف فيما يفهمه عنهم، المتبع للحجة والبرهان، لا قول القائل الذي هو إنسان، المخصوص في جبلته بضروب الخلل والنقصان. والواجب على الناظر في كتب العلوم، إذا كان غرضه معرفة الحقائق، أن يجعل نفسه خصماً لكل ما ينظر فيه، ويجعل فكره في متنه وفي جميع سخايشه، ويخصمه من جميع جهاته ونواحيه، ويتهم أيضاً نفسه عند خصامه فلا يتحامل عليه ولا يتسمح فيه. فإنه إذا سلك هذه الطريقة انكشفت له الحقائق، وظهر ما عساه وقع في كلام من تقدمه من التقصير والشبه.»

وما قاله الحسن بن الهيثم طبقه في كتبه وطبقه غيره من العلماء، والأطباء خاصة، حين لم يكتفوا بقراءة كتب الأقدمين والتسليم بصحة ما فيها وتكراره،

(١) الشكوك على بطليموس، تحقيق الدكتور عبد الحميد صبره والدكتور نبيل الشهابي، مطبعة دار الكتب

وإنما نظروا فيها بعين الفحص والتمحيص ، ونقدوها ، وردّوا على ما يحتاج منها إلى ردّ ، وقبلوا منها ما رجّحت أو ثبتت عندهم صحتها .

١١ - أمّا الملمح الثاني فيتمثل في : الاعتماد على العقل ، وعدم الانخداع بالحواس بالاعتماد عليها وحدها ، والشك في الأمور إلى أن يقوم عليها الدليل . وهو منهج منتشر بين المسلمين ، وضّحه الجاحظ في قوله ^(١) : « . . . فلا تذهب إلى ما يُريك العين ، واذهب إلى ما يُريك العقل . وللأمر حُكْمَان : حُكْمُ ظاهِرٍ للحواس ، وحكم باطن للعقول : والعقل هو الحُجّة » .

ومن أعجب ما نصّ عليه الجاحظ ونبّهنا إليه قوله ^(٢) - بعد أن أورد خبراً من أخباره الغريبة - : « ولم أكتب هذا لتقريبه ، ولكنها رواية أحببت أن تسمعها . ولا يعجبني الإقرار بهذا الخبر ، وكذلك لا يعجبني الإنكار له . ولكن ليكن قلبك إلى إنكاره أميل ، وبعد هذا فاعرف مواضع الشك ، وحالاتها الموجبة له ، لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له . وتعلّم الشك في المشكوك فيه تعلّماً ، فلو لم يكن في ذلك إلا تعرّف التوقّف ثمّ التثبت ، لقد كان ذلك مما يُحتاج إليه . . . » .

وإني لأؤكد أرى أنّ هذا الملمح الثاني : الاعتماد على العقل ، وعدم الانخداع بالحواس والشك ، إنما هو متصل أوّثق اتصالاً بالملمح الأول ، بل أراه متداخلاً فيه يكاد أن يكونا ملمحاً واحداً لشدة اتصالهما وتداخلهما .

١٢ - أمّا الملمح الأخير الذي نرى أن نتوقّف بعده لأن مجال هذه المقالة لا يتسع لأكثر مما اتسع له حتى الآن ، فهو : التجربة والتحليل والاختبار . وفيه كلام طويل يحتاج إلى أن تُعرض فيه . الحجج المختلفة والردود عليها . فقد ذهب بعضهم إلى أن « الطبّ اليوناني والعربي يمثلان عصرًا واحدًا يتميز بتفكير متشابه جداً » ^(٣) وأن هذا

(١) أحيوان ١ : ٢٠٧ تحقيق عبد السلام هارون ، مصيطنى الباب الطبى بمصر ، الطبعة الأولى .

(٢) المصدر السابق ٦ : ٣٤ - ٣٥ .

(٣) الدكتور محمد كامل حسين ، مقدمة نكتاب « الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب » ،

ص : ١٥ ، ٩٨ . نشر إدارة الثقافة بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

العصر هو « عصر الخبرة المنظمة عقلياً (وليس عصر التجربة العلمية) وهو عصر دام عشرين قرناً ، وضع أبوقراط كلياته ومنهجه ، ثم فصله وفرّغ عليه جالينوس ، ومارسة الرازي ، ونسّقه وأوضحه ابن سينا إيفحاحاً ليس بعده مزيد ، إلى أن عرف الناس العلم التجريبي وعلم الكيمياء » . وذهب آخرون إلى نقيض ذلك فقررُوا أن مرحلة العلم العربي تمتاز عن مرحلة العلم اليوناني - الذي تأثر به العلماء العرب أعمق التأثير - بأنها كانت مرحلة إرساء الأصول الأولى العلمية للاستقراء والتجربة ، وذلك بتدوين المشاهدات وتقريرها واستخلاص القواعد الكلية منها ، في حين كانت مرحلة العلم اليوناني قائمة على وضع الكليات أولاً ثم محاولة تطبيق الواقع عليها وشمى الطريقة الاستنتاجية أو الاستنباطية . وليس من حافنا شئنا مناقشة هذه الآراء بتفاصيلها المتشعبة ، وحسبنا أن نشير إلى أن علماء العرب قد عرفوا التحليل والاستقراء والتجربة العلمية في الحدود التي أعانته عليها الوسائل المتاحة حينئذ والمعارف والعلوم المستنبطة في زمانهم ، والأدلة على ذلك كثيرة مبثوثة في ثنايا تراثنا ، وحسبنا أن نشير إلى ما ذكره الطبيب أبو بكر الرازي (ت نحو ٣١١ هـ) من قوله : « إِنَّا لَمَّا رَأَيْنَا لِهَذِهِ الْجَوَاهِرِ أَفَاعِيلَ كَثِيرَةً نَافِعَةً لَا تَبْلُغُ عَقُولُنَا مَعْرِفَةَ سَبَبِهَا الْفَاعِلِ وَلَا تَحِيطُ بِهِ ، لَمْ نَرِ أَنَّ نَطْرَحَ كُلَّ شَيْءٍ لَا تَدْرِكُهُ وَتَبْلُغُهُ عَقُولُنَا ، لِأَنَّ فِي ذَلِكَ سَقُوطَ جُلِّ الْمَنَافِعِ عِنَّا . بَلْ نَضِيفُ إِلَى ذَلِكَ مَا أَدْرَكَنَاهُ بِالشَّجَارِ وَشَهِدْنَا النَّاسَ بِهِ . وَلَا نَحِلُّ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ عِنْدَنَا مَحَلَّ الثِّقَةِ ، إِلَّا بَعْدَ الْامْتِحَانِ وَالتَّجَرُّبِ لَهُ » ^(١) وهو القائل أيضاً لتلاميذه : « فَعَلَيْكَ بِالْأَشْهَرِ مِمَّا أُجْمِعَ عَلَيْهِ ، وَدَعِ الشَّاذَّ ، وَاقْتَصِرْ عَلَى مَا جَرَّبْتَ » ^(٢) والنصوص على ذلك من الرازي ومن غيره أكثر من أن نتصدي لحصرها هنا .

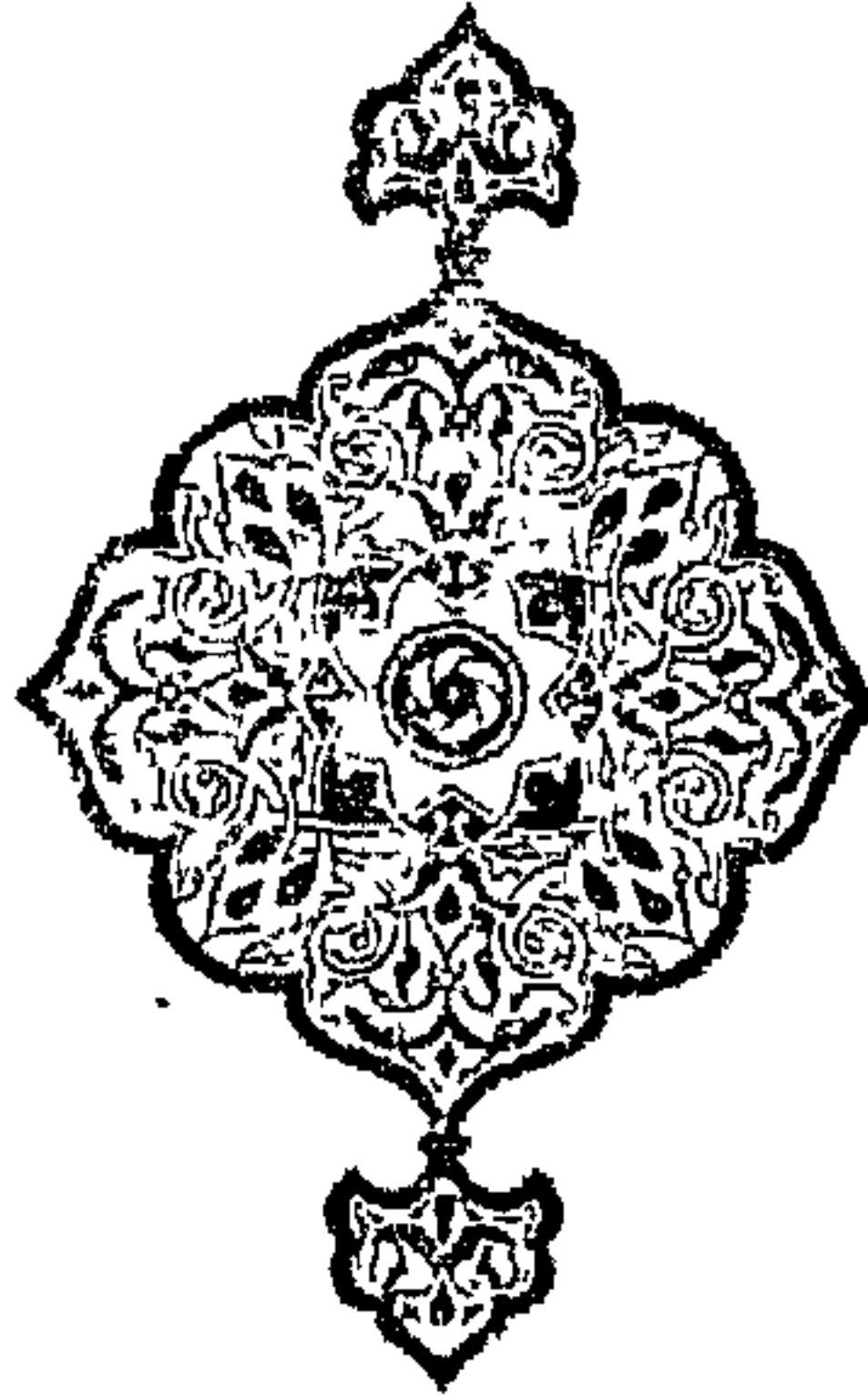
وإنَّا نرى أَنَّ هذا الملمح الثالث ، وهو التجربة والتحليل والاختبار ، مرتبط بأوثق ارتباط بالملمحين السابقين ، يمتد بعضها إلى بعض ، ويدل أحدها على الآخر ،

(١) طب الرازي : ١٩ - ٢٠ .

(٢) طب الرازي : ٢٤ .

في سلسلة محكمة الخلقات. ومع ذلك فإننا أوردنا ما أوردناه لنقول إن أسلافنا من هؤلاء العلماء الكبار وضعوا بذور هذه الملامح ، وأرسوا أسسها الأولى ، واتبعوها في علمهم واعتمدوا عليها. ولا يجوز أن نقول إنها اكتملت عندهم في صورتها النهائية ، ولا أن الاستقراء والتجارب العلمية تحدت قواعدهما واتخذتا صورتيهما على النحو الذي نعرفه اليوم ، وإلا لكنّا قد حكمنا على العلم بالتوقف عند العرب ، ولحجرنا على نموه ومنعنا تطوره في الأزمان التي تلت زمن ازدهار العلوم العربية والإسلامية. وهو ما لا يجوز أن يقول به أحد ، لا عن العرب والمسلمين ولا عن غيرهم ، فالعلم والتقدم الإنساني سلسلة تظل متصلة الحلقات ما دام الناس وما دامت الحياة. وإنكار ما قدمه العرب والمسلمون للعلم وللحضارة أو التهوين منه ، مخالف للحقيقة وللتاريخ كمخالفة التزييد فيما قدمه غيرهم والتهويل فيه .

الدكتور ناصر الدين الأسد
عضو المجمع
(الأردن)



مَجْمَعُ الْخَالِدِينَ

لِلْأَسْنَادِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَمَيْسٍ

تَحْيِيَّةُ الشَّعْرِ

حيّه بالمنى ونفح العبير
حيه حافلاً بخمسين عاماً
مجمع الخالدين فضلاً وعلماً
من أمير في قِمة الضَّادِ حبر
زامل الطُّرس والمحابر حتى
خطبته العُلافتياً فعادت
مجمع الخالدين هل أنت إلا
عشت في موكب الحياة سنياً
علم شامخ فما زعزعته
أنت للضَّاد والعُرُوبة ركن
لكما نقر العسدى واستهانوا
وجسدوا فيك قلعة لا تدانى

مجمع الفضل والعُسل والنور
مفعمات بكل معنى جهير
وجالاً يحوى صدور الصدور
يتسامى عن قائد وأمير
أخذ العلم من وراء السُّطور
بجليل المنى وأسنى الشهور
فلك دائرٌ بأبهى البُذور
وأبياً رغم اختلاف العُصور
عائيات من عاصفات الدُّبور
لهما فيك كل طرف قرير
وأتونا بمعضلات الأُمُور
أين منها ثم الذرى من ثبير

* * *

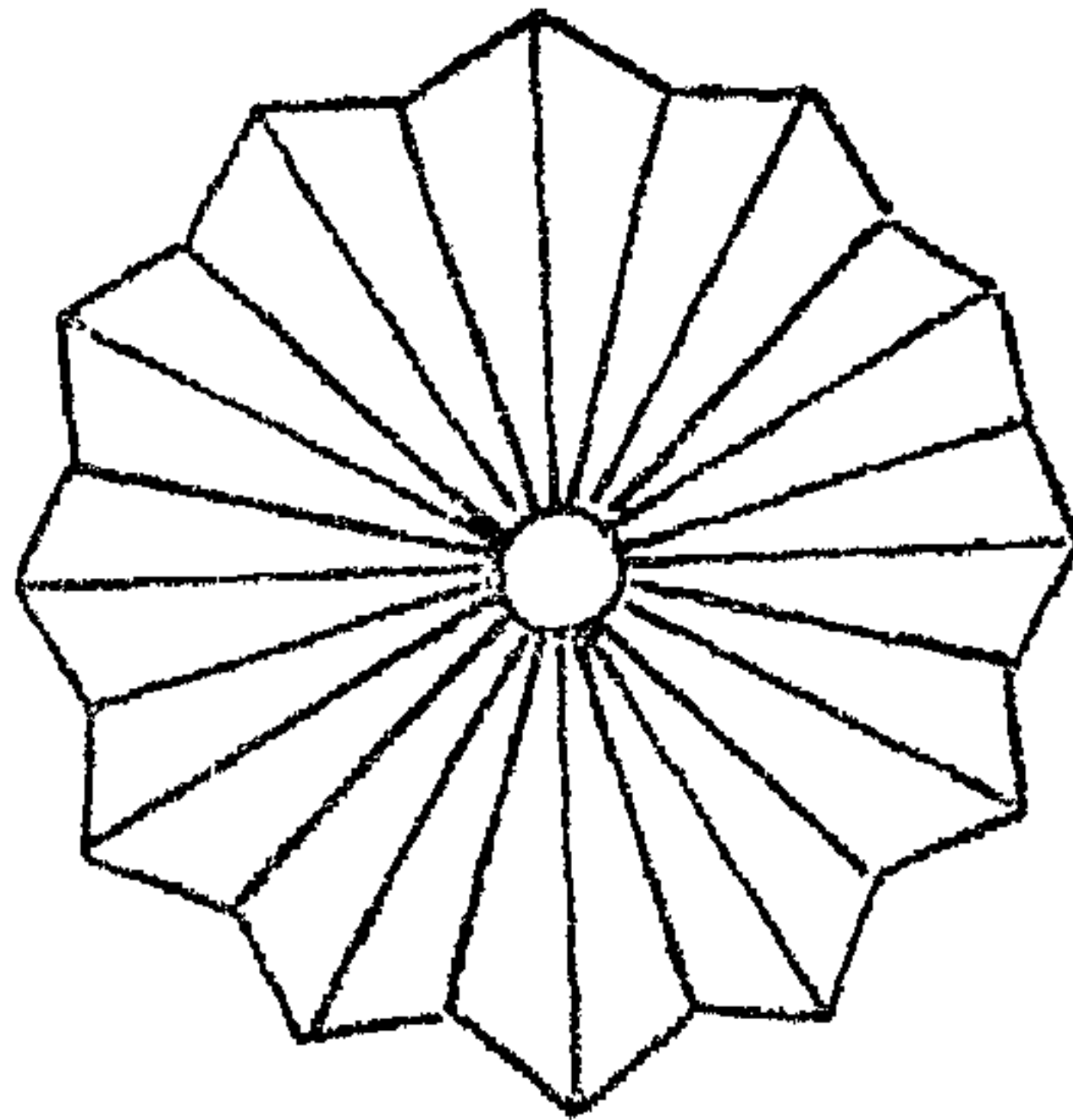
مجمع الخالدين من لى يقوم
أولعوا بالدَّخيل من ألسن القوم
عطلوا الوزن والقوافى وشدوا
ليس فيه علالة تملأ النفس
غير غث من الغشاء سراب

أولعوا بالمعطى المهجور
وجاءوا بالتأفه المَحذور
كل جبل نحو البيسان قصير
عطاء وما به من أثير
ما له في البيسان شروى نقيير

ما لها ويلهم أرميت بعقم
 أم ترائى لهم يباب فظنوا
 من غدبرى وناصرى من عقوق
 شربوا آبنا ولاكوا عشاء
 لغة اللسن والبيان إذا ما
 وسعت كل شارد وأليف
 خصها الله بالكتاب وأروى
 لم يضق ذرعها بشوس المعاني
 ألهمت منطق البلاغة حيا
 بالثاني و المرقصات تعالت
 بالقوافى بالشاردات ضروبا
 سبقت غيرها جلالا وفضلا
 أفعد الشعر عن حثيث المسير
 أنه ظل شامخات القصور
 جر أربابه لسوء المصير
 واستعاضوا من البرا بالبدير
 عى بالنطق ما بخاف الصدور
 وحوث ريق الرضاب النмир
 بهداها من كل سفر منير
 من كبير مبسط أو حقير
 وتأت بملهمات الشعر
 بالغوالى بسلسبيل الغدير
 بالمجان بالشعر نضير
 واستجابت لكل معنى شهير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الاستاذ عبد الله خميس
 عضو المجمع من السعودية



رأى في تفسير تعليم النحر

للكنوز احمد عبد الستار الجراي

كان

تيسير النحو - وهو قواعد اللغة العربية - موضع عناية ومحل اهتمام منذ زمن بعيد . ولعل رد ابن مضاء القرطبي على النحاة في كتابة المعروف ، كان مبتدأ لجهود تلت ، أخذت منه وأضافت إليه ، بل قومت من منهجه وأوسعت من سبيله . وكان أهم تلك الجهود وأكثرها نفعا في عصر الناس هذا : إحياء النحو للأستاذ إبراهيم مصطفى رحمه الله .

ولقد ألفت في وزارة المعارف المصرية أواخر الثلاثينيات لجنة لتيسير قواعد اللغة العربية ، رسمت للتيسير منهجاً لم يكد يكون موضع الرضا من أهل العربية يومئذ ، وجلهم شيوخ أجلاء بلغوا في حرصهم على قواعد اللغة العربية والاستمسك بها حداً يقارب حد المبالغة والغلو ، فلم يكونوا يرتضون مساساً بها لثلا تتغير أو تبدل مخافة أن يؤدي ذلك إلى عبث بقواعد اللغة ، يسلم إلى تفريط في تراثها الغالي وفي قيمته القرآن المجيد والحديث الشريف .

ولقد وجدت الدولة المصرية يومئذ أن المجمع هر أولى الناس بدرس هذا الأمر ، واقترح ما يقرب قواعد اللغة العربية إلى فهم الجيل الحديث دون مساس بأصول اللغة وجوهرها . فصدر قرار من وزير المعارف في ٦ / ٢ / ١٩٤١ هذا نصه :

« رغبة في ضبط الكتابة العربية بحيث يمكن أن تقرأ في غير تعرض للخطأ واللحن ، وفي تقريب قواعد اللغة العربية إلى فهم الجيل الحديث دون أن يكون في ذلك مساس بجوهر اللغة وأصولها قررنا أن يعهد إلى مجمع اللغة العربية بدرس ما من شأنه تيسير الكتابة العربية وقواعد النحو والصرف » .

ولقد اتصلت جهود المجمع في هذا الميدان منذ البداية . وكان من أحدثها عهداً ندوته التي عقدها في نطاق اتحاد الجامعات العربية لدراسة موضوع تيسير النحو في مدينة الجزائر العاصمة منذ بضعة أعوام .

(*) ألقى البحث في الجلسة الثالثة من العيد الحسيني .

ثم مشاركته الفاعلة في ندوة عقدها مجمع اللغة العربية الأردني لتقويم تدريس اللغة العربية .

إن جهود المجمع في التيسير تمتاز بالأنانة وتلتزم بأصول اللغة التزاماً يحمي تلك الجهود من احتمال الشطط .

لماذا التيسير ؟

أحسب أنه يدعونا إلى تيسير النحو وتيسير تعليمه داعيان : الأول تيسيره على أبناء العربية حتى يتقوم لسانهم وتستقيم أفكارهم وحتى يتم التواصل الفكري بينهم في دقة وفي إحكام . ومعلوم أن التقدم الفكري ، في شتى مناحيه وفروعه ، لا يمكن أن يكون إلا بتقدم أداة التفكير ووسيلة التعبير عن الأفكار والمشاعر وهي اللغة . ففيها البيان وفيها الإفصاح (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) .

الثاني : تيسير العربية على الذين يهمهم أن يتعلموها ويفهموا بها ويفهموا عنها ، ويتذوقوا أساليبها في التعبير ويدركوا حقيقة ما يراد بها من المعاني . أولئك هم أبناء الشعوب الإسلامية الذين يقدسون العربية ويفخرون بمعرفتها ويعتزون بها لأنها لغة القرآن والحديث ثم إن العربية بحكم طبيعتها في الوضوح والسلاسة واستقامة العبارة وكرامة التعقيد ، لغة إنسانية عالمية تملك كل مقومات الذبوع والانتشار ، بين أمم وشعوب تجد فيها ما تفتقده في غيرها من التصرف في المعاني والاتساع للأفكار والمشاعر ، وتجذب في أنفسها الحاجة إلى استعمال لسان قريب جد قريب من الطبيعة الإنسانية والفطرة البشرية ، قابل لأن يكون وسيلة التفاهم والتواصل في أوسع رقعة من هذه الأرض .

ومن المعلوم أن أغلب الشعوب الإسلامية تدخل دراسة اللغة العربية في مناهج التدريس في مراحل مبكرة من الدراسة ، بله المراحل المتقدمة في الجامعات ومعاهد البحث . ذلك بأنها جزء من تراث تلك الشعوب ، بل إن لها في حياتها الفكرية والشعورية مكانة لا تنكر وكثير من أهل العلم في تلك الشعوب يستمدون مصطلحات العلوم من العربية ، لأنها أدنى إلى أذواقهم وأكثر ألفة لديهم .

ونعود إلى التأمل في حاجتنا نحن إلى التيسير ، فنجد أن الذين ثقفوا من العلوم الحديثة وبرزوا فيها قل فيهم من كتب أبحاثه بلسانه العربي ، بل قل فيهم من يستطيع أن يعبر عما لديه من العلم بلغته العربية ، وهذا قد حرم جمهور الذين يتكلمونها ويقرأون بها ولا يحسنون غيرها من الانتفاع بهذه الثقافة العلمية .

ما سبب ذلك ؟

لعل أهم الأسباب أن أولئك العلماء لا يحسنون التعبير ولا التفكير بلغتهم العربية بل إنهم يفكرون ويبحثون . ويبتكرون - إذا ابتكروا - باللغات الغربية ويجدون ذلك أيسر عليهم أو ألصق بأفكارهم وتفكيرهم من استخدام لغة الأم التي تمس شغاف قلوبهم وتخالط مهجهم ومكونات أجسامهم وعقولهم .

ومثل هذا بل أشد من هذا يقال في تدريس العلوم الحديثة كالطب والكيمياء والفيزياء والرياضيات وعلوم الأحياء ، وما يلقي الدارس والمدرس من عنت ورهق في تلك الثنائية التي تفرض على كل منهما أن يفكر بلغة غير لغته فينفق من الجهد أضعافاً مضاعفة لو ادخر جانباً منها لا ننتفع به في الإثقان والإبداع والابتكار .

ثم إن هذه الفجوة بين اللسان والفكر تنعكس آثارها على الحياة الاجتماعية بمعناها الواسع فتؤدي ، في كثير من الأحيان إلى ما ندعوه سوء التفاهم بين الأفراد وبين الجماعات .

ذلك أنا لو نظرنا إلى مناهج المؤسسات الاجتماعية والسياسية نجدها في الغالب متفقة الغايات متشابهة الوسائل في ما يسطر على الورق وما تنطق به الألسنة . ولكن الذي يكون عند الممارسة كثيراً ما يسلم إلى الخلاف والشقاق ، بل إلى التناقض والاحتراب ، لأن كلا من أولئك لا يعني ما يقول ، أولاً يحسن أن يعبر عما يعنيه وما يرمى إليه . وهذا ناشئ من الخلل في أداة التفكير ووسيلة التعبير وهي اللغة . ومرد هذا الخلل إلى اختلال قواعدها وعقم أساليب التعليم بها .

تيسير التعليم وتيسير عرض القواعد :

وقد كنت أقلب في محاضر جلسات المجمع فوقفت على عبارة للدكتور طه حسين عقب فيها على مناقشة مستفيضة في موضوع أبواب الثلاثي قال فيها (رحمه الله) : نحن لا نستطيع إطلاقاً أن نبسط اللغة مهما كانت شاقة عسيرة ، ولكننا نملك تبسيط تعليمها فحسب . وهذا حق لامرأ فيه ، فإن اللغة صورة محكمة لفكر الأمة . وأصول اللغة وقواعدها قوام أسلوب التفكير وعماد بنيانها الفكري والشعوري . ولغتنا العربية ، بما رعت من تراث في الأدب وفي فنونه المختلفة ، بناء راسخ القواعد متين الأركان ، قامت على تشييده وصقل حواشيه جهود أجيال ، حتى أكرمها الله بنزول الكتاب العزيز ، وأطلقها في أرجاء هذه الأرض لغة الدين الحنيف والحضارة التي قامت بقيام الرسالة الإسلامية .

ولقد نهضت لخدمة هذا اللسان العربي المبين أناس وقفوا عليها حياتهم وأنفقوا في سبيلها جهدهم حتى أنشأوا علوم العربية على الصورة التي نعرفها اليوم ، ثم كان منهم ما يكون من الإنسان حين يغلو في أمر من أمور الحياة ، يدفعه الحب الزائد والتعلق الشديد ، فلا يعود يتبين الوسيلة من الغاية ؛ وحين يعمن في التدبر والتعمق فيتحول إلى ما يشبه التيه عن الغاية المطلوبة من البحث والدرس .

كان ذلك في نحو العربية ، وهو في أصله وفي حقيقته انتحاء كلام العرب واتباع سبيلهم في التعبير وفي صوغ الكلام وتركيبه .

وكان ديدن تلك العصور التي دونت فيها علوم العربية يقضى بالتوسع في التفريع والتقسيم ، والإفراط في الاعتماد على المنطق الصوري والمبالغة في التعليل وتعليل التعليل ، وتداخلت أنماط العلوم وأصناف المعرفة فتداخلت وسائل البحث وطرائقه حتى اختلطت تلك الطرائق بين تعليل نظري مجرد لا يقسوم على تجربة أو يستند إلى واقع وبين بحث لا بد أن تكون أدلته وأسانيده ملموسة محسوسة مدركة .

ولعل أكثر علوم العربية حظاً من هذا التداخل والاتساع والاختلاط كان النحو ، ذلك العلم الذي قال فيه قائلهم إنه « نصيح واحترق » . وأصبح من شدة العناية به والمبالغة في خدمته يكاد يضيع هدفه ويجهل غايته ويتبدل قوامه ويتغير شكله وينحرف عن موضوعه .

ولقد ورثناه على هذه الصورة ، ونحن ألا نستطيع نهرغ له كما كان يفرغ له أسلافنا ، بل إنه ليس من شأن الدرس واكتساب المعرفة ، التي اتسعت آفاقها في زمننا هذا ، أن نهرغ بجانب منها كان قد دماؤنا بل كثير من معاصرنا يدعونه علم الآلة ؛ أي الأداة التي يفهم بها الكلام ويقدر بها على إنشائه والتعبير به صحيحاً فصيحاً سهلاً الوصول إلى الآخرين .

ثم إن بُعد العهد بالكلام الفصيح وتغير السلائق قد زاد في الحاجة إلى « نحو » قريب المنال ، بل أن يكون أقرب من ألساننا ورثنا من آثار أسلافنا فيه ، وهو في الوقت نفسه أدنى إلى أفكار العصر وطرائق البحث والدرس فيه . حتى يجد الدارس له في عقله صورة تخالط تفكيره ونماذج مداركه ، فلا يعود يتجرعه تجرع الدواء المر لا يسيغه الذوق ولا يرضاه .

وإن مما هو جدير أن يلتفت إليه ابتداءً أن التيسير ليس في حذف مسائل من النحو أو اختصارها أو تمهيد الوعر من مسالكه حسب ، ذلك جانب من جوانب التيسير وجزء من وظيفته ، ولعله ليس أهم تلك الجوانب ولا أولها بالتقديم . وإنما الجانب الأهم والمقدم والأساس هو وفقه النحو وفهم وظيفته على حقيقتها ، وتكوين المعلم الذي يستطيع أن يدرك ذلك ويتمثل في ذهنه ، ثم يكون قادراً على إبلاغ هذا الطراز من المعرفة إلى الذين يقوم على تدريسهم .

أمثلة من مصاعب النحو :

من ذلك ما يعرف بعلة النحو ، وهي عامل يتداخل بعضها في بعض بل يأخذ بعضها بخناق بعض كما يقال .

والتعليل في كل قضايا العلم وظواهره ومسائله أمر لا مناص منه ولا مفر . ولكن بقدر لا يخرج عن حدود العلم ووسائله في البحث وهي الملاحظة والتجربة واستخدام العقل في استنباط القاعدة وإجرائها والقياس عليها . ولكن علة التعليل في النحو آتية من تسلسل العمل وإمعانها في القياس المنطقي المجرد الذي يسلم أحياناً إلى البعد عن الواقع المحسوس ، بل ينتهي أحياناً إلى ما لا يقبله العقل . مثال ذلك الكلام على رفع الفاعل يقال : لم رفع ؟ فيجاب لأنه في موضع الإسناد فيقال ولماذا يرفع ما يكون في موضع الإسناد فيقال لأنه ثقيل والرفع ثقيل فاختير له .

أما العامل فقد بالغ الذين دعوا إلى إلغائه ، إذ العامل في النحو إنما هو المعنى . فمعنى الإسناد ، وهو الوقوع موقع المسند أو المسند إليه أو العمدة في الكلام ، هو الذي يقتضى الرفع وهو إذن عامل الرفع . ولكن الذي ينبغي أن يستبعد وي طرح هو التماس العامل التماساً متكافئاً ، ولا سيما العامل اللفظي . ففي مثل قوله تعالى : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) يكون الاسم مرفوعاً لأنه في موضع الإسناد إلى الفعل المذكور بعده . ولا قيمة لاحتجاج من يحتج بأن الفاعل لا يتقدم على الفعل . ولماذا لا يتقدم الفاعل ؟ يقولون لأنه سيكون مبتدأ . ولماذا يكون مبتدأ ؟ والمبتدأ هو المسند إليه في الجملة الاسمية ، وهي في الحقيقة ليست كل ما ابتدأ بالاسم بل إنها التي يخلو فيها المسند من معنى الزمن .

وقد يكون من أهم وسائل التيسير في تعليم النحو العناية بالتفريق بين أنواع الحمل ولا سيما التفريق بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية ، ولابد أن يقوم التفريق بينهما على

أساس صحيح مقبول ؛ كالأعتداد بمعنى الزمن ، وجوده في ما يقع مسنداً في الجملة الفعلية ، وعدم وجوده في مسند الجملة الاسمية . ولا عبرة بالفارق الشكلي الذي يعدونه هو المائز بين الجملتين وهو تقدم المسند إليه في الجملة الاسمية فيسمونه حينئذ المبتدأ .

دراسة التراكيب والأساليب :

ومما ينبغي أن يتجه إليه اهتمام دراسة الأساليب وأدواتها التي تسمى حروف المعاني دراسة متدرجة ، يقف بها الدارس - مثلاً - يقف في اللغات الحديثة - على التفريق بين الإثبات والنفي والاستفهام والتأكيد والنداء ، ويميز بين الخبر والإنشاء ونحو ذلك مما يعصمه من التخطي في تأويلات النحاة وتعليقاتهم التي لا يقبلها العقل من مثل تفسيرهم لأسلوب النداء ونصب المنادى ، ودعواهم أن ذلك إنما يكون بتقدير فعل ، وأن حرف النداء يقوم مقام فعل تقديره أدعو أو أنادى .

وبذلك أيضاً يعلم مراتب النفي ومعانيه مع كل أداة من أدواته ، ويعرف ضروب الخبر وضروب الإنشاء ويميز بين معانيها .

إن انصراف العناية بالإعراب جعل دراسة حروف من حروف النفي والنهي والطلب وتعلق الكلام ببعضه ببعض ، تكون كلها في باب الجزم . فـ « لم ولما » حرفا نفي ولام الأمر للطلب و « لا » للنهي وهما لمعنى الإنشاء وأدوات الشرط تعلق الكلام ببعضه ببعض .

وقد يقال إن دراسة معاني هذه الحروف بما تؤثر في التراكيب من اختصاص علم آخر من علوم العربية هو علم المعاني وأقول : إنه علم معاني النحو فلا يجوز ولا يصح أن مجرد النحو من معانيه .

الإعراب ومعانيه :

ثم إن الإعراب ، وهو أصل من أصول النحو ، قد أصبح هو الأصل الأول ، بل لقد انفرد بالنحو على وجه التقريب . وصار ما سواه من أصول النحو تابعاً له لا يكاد يستقل بوظيفة من وظائفه . مثال ذلك تركيب الكلام وترتيب أجزائه تقديماً أو تأخيراً ، حذفاً أو إثباتاً . . .

فقد أحاطها النحاة - غفر الله لهم - على علم المعاني ، فاستقل بها من دون نظر إلى علاقتها بالبحث النحوي ابتداء .

ولقد تحول البحث في أحوال الإعراب عن جوهر الأمر وحقيقته فأصبح معنياً بالمظهر وبالشكل ، وأهمل فيه جانب المعنى .

بل أكرهت فيه أبواب على أن تلاحق بما ليس من طبيعتها ولا من معناها . مثال ذلك ما يلاحظ في باب الأسماء المجرورة . فقد ذهب النحاة إلى أن الجر علم الإضافة . وذلك يصح حقاً في ما يعرف بالمضاف إليه ، وهم اسم ينسب إليه اسم آخر بقصد تخصيصه إن كان نكرة أو تعريفه إن كان معرفة . فلما وجدوا أن الأسماء التي تقع بعد حروف تصل بينها وبين الفعل أو شبهه صلة مفعولية ، لما وجدوها مجرورة ، قالوا في الحروف إنها حروف الإضافة ، زاعمين أنها تضيف معاني الأفعال إلى الأسماء ، وهي إضافة أشبه بخرافة . إذ إنها حتى لو ارتضيت تسميتها حروف إضافة فهي إضافة لا تشابه إضافة اسمين أحدهما إلى الآخر ، فإن تلك نسبة لها معناها المألوف ، وهذه إضافة مفعول إلى فعله على هيئة خاصة يعيّن معناها الحرف .

ومثل ذلك بل أكثر منه يمكن أن يقال في باب الأسماء المنصوبة التي زعموا أن النصب فيها هو علم المفعولية . وليت شعري أي مفعولية في الحال والتمييز ؟ بل أي مفعولية في خبر « كان » وهو خبر مسند ، أو في اسم « إن » وهو مسند إليه كان في أصله مبتدأ ؟

الإعراب بالتقدير :

وإن من أشد المشاق في تعليم النحو ما يلقاه الدارس والمدرس معاً في تقدير ما يقدرونه . محذوفاً . وهو باب واسع لا يكاد يعرف مبدؤه من منتهاه . فالفاعل يقدر والفعل يقدر ، ومتعلق الجار والمجرور يقدر وغير ذلك كثير مما يحذف في الكلام ، فلا بد لإجراء الإعراب أن يقدر . ومنه ما هو واجب الحذف وهو أيضاً واجب التقدير - حتى إن هذا التقدير صار معياراً لقدرة المعرب النحوي وبراعته .

ولقد حاول بعض الأفاضل ممن تصدى لتيسير مسائل النحو أن يستغنوا عن الإعراب التقديري بإسقاطه من المناهج الدراسية . وفي ذلك حقاً تيسير على الدارسين ولكن أولى بمن يتصدى لذلك أن يفقه أمر التقدير ويعرف حقيقته ، فهو في حقيقته مما احترق فيه النحو - كما جاء في مقالة مؤرخيه - حتى صار مما ينكر مظهره ويستنكر جوهره ، ولو أزيح هذا الذي تراكم من فوقه لبدا الأمر على غير هذه الصورة . ذلك أن التقدير عندهم قائم في الأساس على وجود أجزاء في الكلام بالضرورة ، كالفعل والفاعل والمبتدأ

والخبر ونحو ذلك من أركان الجملة ، فإذا حذف واحدٌ منها اكتفاءً أو استغناءً بذكره سابقاً قالوا بتقديره وتكلفوا لذلك وتعسفوا .

ولو أنهم أخذوا في درس الكلام جملة لا ألفاظاً مفردة ، لوجدوا ما يغني عن التقدير أو يجعله على كل حال مقبولا بعيداً عن التعسف . مثال ذلك استتار الفاعل حين يتقدم لفظه نحو : يحضر زيد ويدرس ويتعلم . . . إلخ فالفاعل مذكور مع الفعل الأول وهو نفسه فاعل الفعلين بعد .

والفاعل إن كان ضمير متكلم أو مخاطب لا يصح ولا يجوز أن يذكر وإنما تشير علامة التكلم والخطاب في الفعل إليه فلا يقول قائل : أحضر أحمد ، أو تقوم على ، بنية اعتداد الاسم الظاهر فاعلاً . فلو أن منهج الدراسة النحوية أخذ بدراسة المواضع التي لا حاجة فيها لذكر الفاعل لا ستغنى الدارس والمدرس كالأسماء عن تجشم تلك الوعورة في التقدير .

ومن أمثلة ذلك قضية تعلق الجار والجرور بمحذوف . ذلك أن تعلقهما بمذكور والاهتداء إلى ذلك المتعلق هو في حد ذاته من أوعر المسالك . لأن فهم وظيفة الاسم الجرور بالحرف قد انقلب في النحو وانحرف فصار جزءاً من الإضافة اطراداً لمقولاتهم « الجر علم الإضافة » . وهو في حقيقته مفعول لفعل أو شبه فعل لم يباشره وإنما وصل إليه بحرف الجر .

ولقد أصبح من الحديث المعاد القول : إن النحو قد ضاقت به السبل فأصبح يكاد يقتصر على مسائل الإعراب وأحواله ، أصولها وفروعها وأن الإعراب صار هو محور الدراسة النحوية .

أما انحاء كلام العرب في التراكيب والأساليب فقد تخفى خلف قضايا الرفع والنصب والخفض والجزم وعواملها في الأسماء والأفعال . وقلما تلم كتب النحو بأمور الحذف والذكر والتقديم والتأخير والفصل والوصل والخبر والإنشاء وغير ذلك من أحوال التركيب إلا حيث يؤثر ذلك في الإعراب ، وهذا بلا ريب خطأ منهجي هو الذي أسلم إلى ما أصبح موضع الشكوى من غلبة الإعراب على منهج النحو وموضوعه .

وليس المراد بهذا الكلام إهمال الإعراب أو الدعوة التي ربما دعا بها بعضهم إلى إلغاء الإعراب قسراً على الدارسين وناطقين بالعربية في زعمهم . ولكن المراد بهذا أن يدرس الإعراب من حيث معناه ، ويعرف لكل حال من أحواله ما تدل عليه وما تعنيه

فى التركيب : وحين يعرف الدارس أن الرفع لما لا غنى عنه فى التركيب وأن الخفض لأدنى الأسماء مرتبة فيه ، مما يأتى لمجرد تعريف غيره به ونسبته إليه ، أو لما هو فى موقع المفعول ولكن الفعل لا يباشر أثره فيه أو يصل إليه بنفسه ، إذا عرف الدارس هذه المعانى وأمثالها رسخ فى فكره معنى الرفع وما أراده به الذين وضعوه من رفع مكانة الاسم أو الفعل الواقعين موقع الإسناد مادام قد استقلا بهذا الموقع فلم يعتمدا على أداة كـ « إن » وأخواتها مع المسند إليه فى الجملة الاسمية ، وكحروف النصب والحزم فى الفعل المضارع .

إن من المهم حقاً أن تعود إلى هذه الأسماء معانيها التى وضعها لها أهل العربية ابتداء . ذلك أن قولهم رفع ونصب وخفض وحزم مقصود به معنى من الأصل اللغوى لهذه الألفاظ :

فالمرفوع موضعه من الكلام المرتبة الرفيعة التى لا يكون الكلام إلا بوجوده فيه ، والخفض للمرتبة المنخفضة التى لا يرقى فيها اللفظ إلى مرتبة الضرورة فى الكلام . والنصب مرتبة وسطى تتسع لمعان متعددة والحزم قطع للحركة من آخر الفعل المعرب لأنه إما قد خرج إلى معنى الإنشاء أو أنه تحول إلى معنى غير معناه (انقلب إلى معنى المضى) أو لأنه فقد شطراً من دلالة الفعلية (الشرط) . ولولا خشية الإملال لحيء بالأمثلة التى توضح ذلك .

وقد يقال فى مثل هذا الكلام إنه ليس من التيسير بل هو تعقيد وزيادة فى مسائل النحو وقضاياها .

وقد يكون بعض هذا القول صحيحاً ، ولكن هذه الزيادة ليس مراداً بها أن تضاف إلى مناهج النحو للشداة والمبتدئين ، ولكن المراد أن يتفقه بها المدرسون والمتخصصون الذين إذا فقهوا مسائل النحو وأسمها وأصولها استطاعوا أن يعرضوها للدارسين واضحة سهلة ميسرة ، لأنها فى أذهانهم وأفكارهم كذلك واضحة بيّنة ، وليست مجرد عبارات استظهروها فليس لها فى واقع تفكيرهم من أثر إلا الإعانت والغموض والإيهام .

وإذا أريد تيسير تعليم النحو فلا بد أن يصار إلى البحث عما اصطنع فيه من مسائل وأبواب قاد إلى اصطناعها القياس المجرد بتسلسله البعيد عن واقع اللغة ، فاصطنع لها أمثلة وعبارات لم ترد فى كلام العرب ولم تروى فى المأثور .

مثال ذلك أجزاء من بحث التنازع والاشتغال وباب التدريب النحوى ، وما اشتمل عليه كالإخبار بالذى فروعه من أوضح الأمثلة .

إن دراسة النحو وتدرسه ينبغي أن تقوم على دراسة التركيب جملة في البداية ، حتى إذا وقف الدارس على ما ينبغي أن يقف عليه ، يصار إلى تبين أحوال الألفاظ المفردة وعلاقتها بعضها ببعض وأثر ذلك في حركات وأواخرها .

وعندما يحيط الدارس علماً بألوان التركيب وضروره وكيف يعبر المتكلم عن نفسه ، مخبراً أو منشئاً ، لا بد أن يعرض للأدوات من حروف وأشباه حروف وكيف تؤدي بها المعانى المختلفة .

حروف المعانى :

إن حروف المعانى من أهم أجزاء الكلام ، وعليها يتوقف جانب الدقة في أداء معنى الكلام وفي فهمه وإدراك مرامييه ، وهى خليقة أن تدرس على غير الصورة التى جرت عليها العادة ، إذ يكاد يقتصر على دراسة آثارها فى ما بعدها من ألفاظ وبخاصة أثرها الإعرابى ، ولا يكاد يلتفت إلى معانيها المختلفة والفروق التى تكون بين تلك المعانى كالفرق بين « ما » و « لا » فى النفى وبين هل والهمزة فى الاستفهام ونحو ذلك .

ولا بد أن يزاح ماران على بعض عبارات النحاة فى بيان معانى تلك الحروف من مثل قولهم فى « إذا » إنها ظرف لما يستقبل من الزمان ، خافض لشرطه منصوب بجوابه . هذا القول الذى يحفظه الدارسون ويرددونه من دون فهم لحقيقة معناه . ولو كشف لهم عنها لاهتدوا بها إلى مواضع استعمال إذا والفرق بينها وبين نظيراتها من أدوات الشرط والتعليق و « إن ولو » ونحوهما .

ومثل ذلك يقال فى « لم » بأنها حرف نفي وجزم وقلب . إن فهم معنى هذه العبارة يجعل الدارس مدركاً لموضع استعمال « لم » والفرق بينها وبين قريناتها من حروف نفي الفعل ك « لا ولن ولما » .

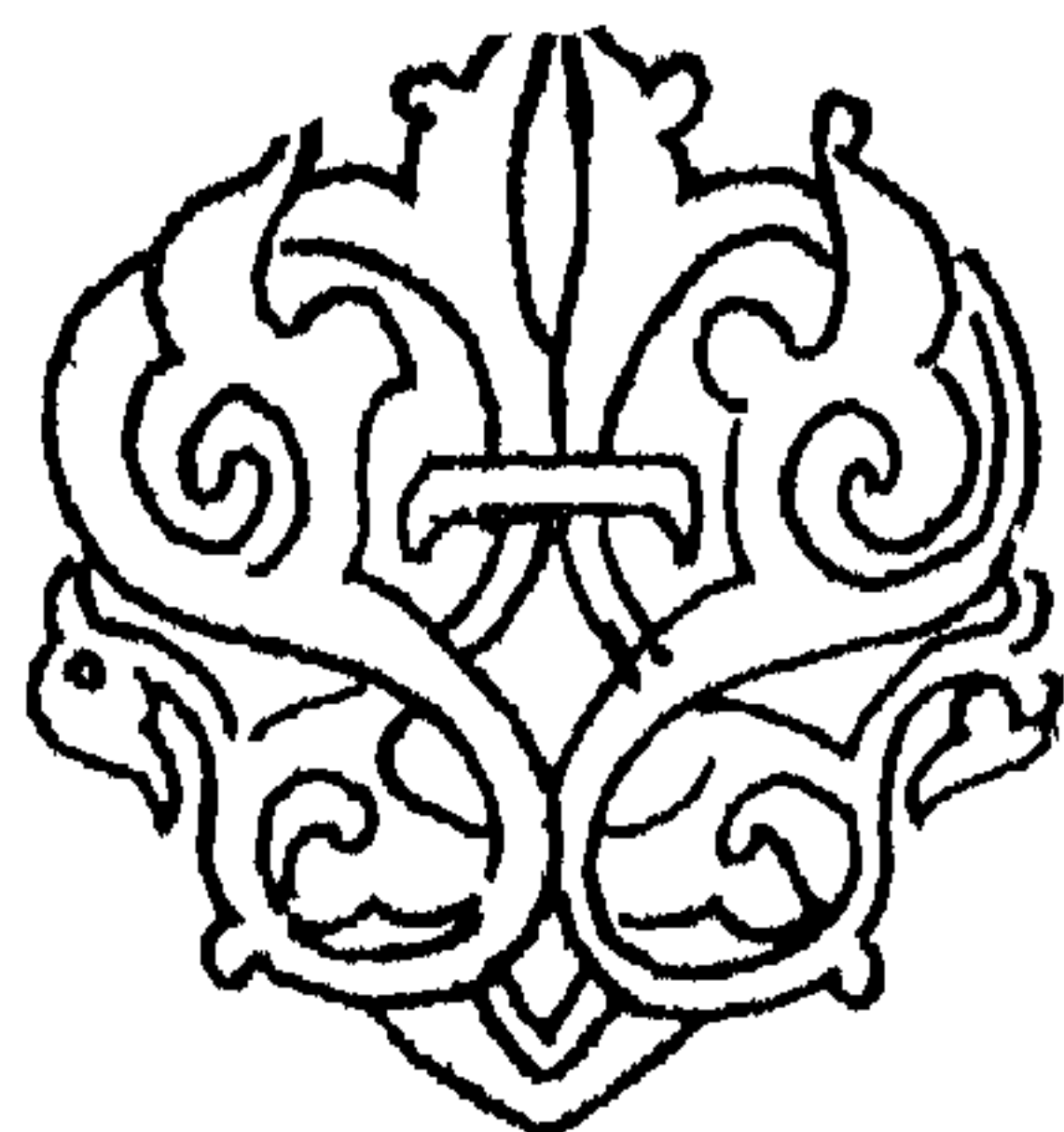
ولا ريب أن العناية بمعانى حروف العطف ، ومواطن استعمال كل منها ، والمعانى التى تتردد فيها الواو مثلاً مما يطلق دراسة العطف وحروفه من أسر انفراد الإعراب وتبعيته الظاهرة بها ومن صرف العناية إلى اشتراك حروف العطف فى ما يكون من إتباع ما بعدها لما قبلها فى الإعراب وحركاته فحسب

وفى الحق إن تيسير تعليم النحو وعلوم العربية عموماً ليس أمراً قائماً بذاته منقطعاً عما سواه من أنماط التعليم وموضوعاته ، بل إنه يتصل بها أوثق الاتصال ويتفاعل معها كما يقال ، ويستعين بها فى تمهيد سبله وتيسير وسائله ، مثلما تستفيد هى من تيسير تعليم النحو وإتقان مادته وتسديد طريقته .

وإن مما يعين على ذلك أن تكون العربية الفصيحة هى لسان المعلم والمتعلم فى حجرات الدرس ، وأن تهجر العامية فى مجال إلقاء الدروس وفى ما يجرى من مناقشات ومحاورات فى المحيط المدرسى . إن ذلك ينتج ألفة للعربية الفصيحة وانجذاباً إلى ما تمتاز به وما تشتمل عليه من آثار فيها ما فيها من فن التعبير الجميل الدقيق المتقن ، فيقبل المعلم والمتعلم على الاستزادة من ثقافتها ، ويعينه ذلك على إتقان اللغة فهماً لما يقرأ ، وقدرة على الأداء والإبانة والإفصاح ، ويسراً فى التواصل الفكرى والشعورى .

وبعد فهذه خواطر شتى فى تيسير تعليم النحو ، لعل فيها شيئاً من التذكير . (إن الذكرى تنفع المؤمنين)

الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى
عضو المجمع (العراق)



مجمع سقّة والفاظ الحضارة للكبير عبد الكريم خليفة

أيها العلماء الأفاضل ، شيوخ العربية وحماتها .
سيداتي ... سادتي .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فإنه لشرف كبير أعتز به ، أن أقف في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، في حرم مجمع اللغة الخالدة ، لكي أقدم أسمى تحية وخالص الاحترام ، لشيوخ العربية وفرسانها ، الدائمين عن حياضها ، والمدافعين عن كرامتها ، والباذلين في سبيلها أكرم ما يبذله الإنسان من عقله وجسمه . فتحية عطارة أزجيتها إلى مجمعنا الشيخ بالقاهرة الحبيبة ، حصن العروبة والإسلام ، هكذا وجدت ، منذ بنائها وهكذا ستبقى إلى الأبد أن شاء الله . تحية أزجيتها باسمي واسم مجمعكم في بلادكم الأردن الصامد أمام أشرس هجمة استعمارية صهيونية تستهدف الوطن والأهل وأولى القبلتين .

إنها أيها الأخوة الزملاء تحية الحب والاحترام والعرفان بالفضل والعلم ، أقدمها باسم مجمعكم الأردني الفتي إلى مجمعنا الشيخ بالقاهرة العزيزة ، إلى مجمع اللغة الخالدة هذه اللغة التي شرفها الله سبحانه وتعالى وأعزها بأن جعلها لغة القرآن الكريم فأصبحت خالدة بخلود هذا التنزيل العزيز . إنها أيها العلماء الأجلاء تحية التلميذ لشيخه ... وهل هناك أسمى من هذه العلاقة الروحية ... ألسنا في ذلك في صميم قيم خلقية وإنسانية سامية يعتز بها تراث أمتنا العظيمة عبر تاريخها الزاهر ... وإنه مما يميز تراثنا هذه العلاقة الإنسانية الرفيعة التي تصل بين التلميذ وشيخه ... فالتلميذ يعتز بشيخه ، والشيخ يفخر بتلاميذه ويحوظهم بعنايته ورعايته .

أيها السادة العلماء إننا نجتمع اليوم في حرم اللغة الخالدة كي نحتفل بمناسبة كريمة

عزيزة على قلوبنا جميعاً لأنها مناسبة مجمعنا القاهري في عيدہ الخمسينى الزاهر ، وإن كنا نعلم يقيناً أن عمره المعطاء ، من حيث هو فكرة وجهه ، تمتد إلى أبعد من ذلك بخمسين سنة أخرى . . . وأسْتَغْفِرُ الله من زلل اللسان ، فإننى أتحدث عن عمره الزمنى في نهضتنا الحديثة . . . إذ أن عمره الحقيقى قد بدأ منذ بدأت أرض الكنانة الغالية ، بشعبها المعطاء وعلمائها الأفذاذ ، في رفع راية القرآن وصنع تاريخنا وحضارتنا العربية الإسلامية ، وذلك منذ قرون عمدة . وليس هذا العيد الخمسينى الزاهر : سوى رمز لما يمثله هذا الانعطاف الحضارى في تاريخنا الحديث وإن المؤرخ الحق ، الذى يكتب تاريخ أمتنا العربية في العصر الحديث — ولما يكتب بعد هذا التاريخ — لا بد أن يخص اللغة العربية ومسيرتها في العصر الحديث ، بمكانة متميزة . فهى في مسيرتها التاريخية تمثل مسيرة أمتنا في مختلف أقطارها .

فالعربية الفصحى ، لغة الفكر والعلم ، لغة المعرفة الإنسانية والحضارة العالمية ، احتلت المكانة الأولى لعدة قرون من تاريخنا الزاهر . وهى من حيث الواقع تجسد جوهر وجود أمتنا في كونها لغة العروبة والإسلام . هذه الأداة المتميزة بلغتها وحضارتها التى شرفها الله سبحانه وتعالى برسالة الإسلام ، تحمل لواءه إلى أهم الأرض قاطبة . فكانت مصدر إشعاع لقيم إنسانية سامية . تساوى بين جميع بنى البشر على مختلف ألسنتهم وأجناسهم وألوانهم ، منذ أكثر من أربعة عشر قرناً . وهى أمتنا تخوض نضالاً مريراً من أجل بقائها حرة عزيزة موحدة .

وإن إذا استعرضنا صفحات هذا التاريخ ، ولاسيما الحديث منه ،، الفينا أن كل حملة من حملات الاستعمار ، منذ القرن التاسع عشر ، وكل اعتداء على هذه الأمة في مختلف أقطارها ، كان وما زال يستهدف ، أول ما يستهدف ، اللغة العربية الفصحى وتراث أمتنا وعقيدتها ، سواء أكان ذلك في المغرب العربى أم في الشرق .

فإذا رجعنا إلى الوثائق والكتابات التى بين أيدينا ، ولاسيما فيما كان يدور بين دعاة العامية ، من حاقدين ومغرضين ، والمنافحين عن العربية الفصحى وكرامتها، وجدنا توافقاً كلياً بين الهجوم على الأمة ومحاولة اغتصاب أوطانها واستباحة أموالها وكرامتها ، وبين الهجوم على اللغة العربية الفصحى وعقيدة الأمة وتراثها . وإن النظرة الشاملة قادرة على تتبع ذلك في تاريخنا المعاصر ، منذ احتلال الفرنسيين

الشمال الأفريقي والاحتلال الإنجليزي لمصر ، مارين بتصفية الدولة العثمانية وتقاسم الدول الاستعمارية من إنجليز وفرنسيين وإيطاليين للبلاد العربية حتى المهجمة الاستعمارية الأمريكية الصهيونية الأوروبية الشرسة ، التي مازال ألوها يستعر ، وتهب سموها على وطننا العربي خاصة ، وعلى أمتنا الإسلامية بعامة ، وتكتفى في هذا الموضع بأن نشير فقط إلى ما كتبه علماءنا من جهابذة العربية في منافحتهم عن تراث الأمة ولغتها والتصدى لأعدائها ، وكذلك إلى مادونه الباحثون من تاريخ الصراع بين العامية والفصحى ، ولا سيما في أرض الكنانة الغالية ، فقد نافح شيوخ العربية وحماة عن جوهر وجود أمتنا بلدهم عن حياض اللغة العربية الفصحى الخالدة ، جزاهم الله عن العربية والإسلام خيرا . لقد ظهرت مؤلفات استطاعت أن تتبع جذور الدعوة إلى العامية ، وأن تعرض بصورة شاملة ، طبيعة هذا الصراع الخبيث ، بأبعاده السياسية والعقائدية ، وعلى اختلاف مظاهره ، وأزيائه التي يختفي تحتها . (١)

وكان الصراع بين العربية الفصحى وأعدائها من الداعين إلى العامية وغيرهم ، يشتد أحيانا ويخف أحيانا أخرى . وقد بلغت هذه المعركة الحاقدة ، للنيل من اللغة العربية الفصيحة ، إلى الحد الذي يقول فيه العالم الحليل عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة الأستاذ على النجدي ناصف ، في كتابه « من قضايا اللغة والنحو » : وأعجب ما عجبنا له من شئون العامية ، أنها استطاعت في وقت ما أن تقتحم مجمع اللغة العربية ، وتجد بين المجمعين من يحنو عليها ، ويدعو إلى اصطناعها في إنتاج لون من الأدب للشعب ، لأنه يعيش ، بسبب اللغة الفصيحة واستئثار الخاصة بها ، في عزلة ووحشة في دنيا الأدب . فالمفهوم أن مجمع اللغة العربية آخر مكان يظن أن يكون للعامية فيه اعتبار ، وأن المجمعين آخر من يظن أن يحسبوا للعامية حسابا في الإنتاج الأدبي على وجه من الوجوه .

« والمشكلة في صميمها مشكلة الجهل والفقر ، فإذا أردنا أن نحلها حلا حاسما ، فعلينا أن نواصل العمل في جد ودأب ، على رفع مستوى الشعب العقلي والاقتصادي معا . . . » إلى أن يقول : « على أن الجمع ، حفاظا على سمته ، وجهادا في رسالته ،

انظر :

(١) محمود محمد شاكر ، أباطيل وأسفار ، القاهرة .

(٢) أحمد عبد الغفور عطار ، الزحف على لغة القرآن ، بيروت ، سنة ١٩٦٥ م .

(٣) نفوسة زكريا ، تاريخ الدعوة إلى اللغة العامية وآثارها في مصر ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .

لم يقر صاحب الرأي على رأيه ، ولا شاركه فيه ، فمضى مع الأيام ، كما يمضى كل رأى غير صالح للبقاء»^(١) .

ومضى مجمع اللغة الخالدة بالقاهرة يعالج قضايا اللغة العربية ، بدراسات علمية مبدعة ، حريصا على سلامة اللغة من ناحية وعلى جعلها مطواعة قادرة على استيعاب جميع المعارف الإنسانية من ناحية أخرى ، تعالج تيسير قضايا النحو واللغة والإملاء ، وتميز إلى جانب ذلك كله بما بذله من جهود خيرة خصبة في مجال المصطلحات العلمية والفنية والحضارية ، فكانت له آراء قويمة واجتهادات صائبة . مثال ذلك : اجتهاده في فتح باب الوضع بوسائله المعروفة من اشتقاق ونحت ومجاز وارتجال وذلك لاستيعاب هذا السيل الضخم من المعارف الجديدة . وقد نص قراره المعروف : بأن تدرس كل كلمة من الكلمات الشائعة على ألسنة الناس ، على أن يراعى في هذه الدراسة أن تكون الكلمة مستساغة ، ولم يعرف لها مرادف عربي سابق صالح للاستعمال . وكذلك الشأن في قبوله السماع من المحدثين ، بشرط أن تدرس كل كلمة قبل إقرارها

كانت أغراض المجمع واضحة محددة منذ صدور مرسوم إنشائه في الرابع عشر من شهر شعبان ١٣٥١ هـ الموافق ١٣ ديسمبر ١٩٣٢ م . فقد ورد في الفقرة (أ) من المادة الثانية حول أغراض المجمع ما نصه :

(أ) المحافظة على سلامة اللغة العربية ، وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ، ملائمة على العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر ، وذلك بأن يحدد في معاجم أو تفاسير خاصة ، أو بغير ذلك من الطرق ، ما ينبغي استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتراكيب .

أيها السادة العلماء ، ليس من غرضي في هذه الكلمة القصيرة ، أن أستعرض جهود مجمعنا العتيد بالقاهرة ، ولا أن أعدد منجزاته الضخمة الأصيلة ، على الرغم من الصعاب التي اكتنفت مسيرته المظفرة ، ولكنني أود أن أقول : إن تأسيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة قبل نيف وخمسين عاما ، كان إيذانا بانتصار العربية الفصحى وتبوثها مكانتها الرسمية في مؤسسات الدولة ، وكان قبل ذلك بحوالى عقد من الزمن قد رفع رايتها مجمع اللغة الخالدة في دمشق الفيحاء .

(١) على النجدي ناصف ، من قضايا اللغة والنحو ، ص ٤٨ - ٤٩ ، القاهرة .

جاء تأسيس المجمع بالقاهرة إيذاناً بانتصار مظفر للغة العربية الفصحى في معركة دامت أيضاً خمسين سنة قبل إنشائه . وقبيل تأسيس المجمع يقول الشيخ محمد الخضر حسين : « والوسيلة التي نهضت باللغة ، وترفعها إلى مستوى اللغات الراقية ، هي الوسيلة التي نهضت بتلك اللغات الحية ، وجعلتها تسير مع العلم والحضارة كتفا لكتف ، أعنى تأليف مجمع لغوى ينظر فيما تجدد أو يتجدد من المعاني ، ويضع لكل معنى لفظاً يناسبه . إلى أن يقول : « وإنما يشنى غلة العلوم المتكاثرة ، ويملاء عين المدنية الزاخرة ، تأليف مجمع لغوى يسير مع العلوم والمدنية ، ولا يتأخر عنها طرفة عين » (١) .

وفي مسيرة نصف قرن ، حقق المجمع منجزات علمية ضخمة ، وكانت له جهود متميزة في تيسير المصطلح العلمى ، وذلك من خلال منهجية علمية تحرص على أصالة اللغة وسلامتها ، من ناحية ، وعلى الانطلاق بها لاستيعاب هذا السيل الهائل من المصطلحات والرموز التي تتزايد بتسارع كبير ، ولا سيما في النصف الثاني من القرن العشرين من ناحية أخرى . ومن سمات هذه المنهجية استفتاؤه للتراث جهد الطاقة ، واستخراجه منه ماله صالة بما يطرح على بساط البحث ، متلبساً مستنداً وحجة في باب الاجتهاد والتجديد .

ولكن من الأسف لم تجد هذه الجهود العلمية الضخمة طريقها للتنفيذ والحياة العملية في أكثر الأحوال ، واستمرت سياسة إقصاء العربية عن لغة التدريس الجامعى في الكليات العلمية وفي الدراسات العليا وفي البحث العلمى ، متذرعة ، بتبريرات زائفة وحجج واهية لا تعدم لها أنصاراً . وإذا كانت مجامعنا اللغوية ، وقد مضى على إنشائها أكثر من نصف قرن ، لما « تشفى غلة العلوم المتكاثرة » ولما « تملأ » بعد « عين المدنية الزاخرة » فإن السبب في ذلك ، بعيد كل البعد عن أن تكون له علاقة باللغة العربية نفسها ، من حيث هي لغة ، ولا بالمجامع اللغوية التي تضم جهابذة من عالمنا الأذنداد ، وإنما الأمر يتعلق بالسياسة التعليمية التي فرضت على الوطن العربى ، في مشرقه وفي مغربه . وإن سياسة إقصاء اللغة العربية عن مجالاتها العلمية والتقنية ، التي مازالت مع الأسف مستمرة في كثير من أقطار الوطن العربى ، ماضى إلا أصداء للمعركة التي تخوضها العربية الفصحى منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى الوقت الحاضر . وإن هذا الصراع اللغوى هو في حقيقته صراع أمتنا بين البقاء في التبعية الفكرية والحضارية والسياسية من ناحية ، والتحرر

(١) محمد الخضر حسين : القياس في اللغة العربية ص ٢٠ القاهرة ١٣٥٣ هـ

والإبداع والمشاركة الأصلية في بناء الحضارة العالمية من ناحية أخرى . وإن وضع آلاف المصطلحات العلمية وتكديسها على رفوف المكتبات لا يعنى شيئاً ، إذا لم تصبح اللغة العربية الفصحى لغة التدريس في جميع مستوياته ، ولغة البحث العلمي والتقنيات الحديثة . فاللغة تحيا بالاستعمال ، ونمو اللغة يعنى حياتها في جميع الشؤون والأغراض الإنسانية .

أيها السادة العلماء فعلى الرغم من التجزئة السياسية التي فرضها الاستعمار على أقطار أمتنا وبذله الجهد في تعميق الحواجز ، وتغذيته أسباب القطيعة ، من خلال عملائه وحلفائه من الحاقدين على تراث هذه الأمة والمنتفعين بهذه التجزئة والقطيعة ، أقول فعلى الرغم من هذا كله ، فإن اللغة العربية الفصحى ، لغة القرآن الخالد ، تقف طوداً شامخاً تجمع حولها أبناء أمتنا وترص صفوفهم وتوحد اتجاهاتهم ومشاعرهم . وإن أهم ما تتميز به لغتنا العربية عن جميع اللغات ، على حد ما نعلم ، أنها فضلاً عن كونها فكراً وتعبيراً عن الفكر ، فهي في ذاتها لغة التراث عبر القرون ، ولغة الإسلام في هذا الكون .

وقد أدركت مجامعنا اللغوية هذه الحقائق منذ البداية ، وأن اللغة العربية الفصحى هي الدعامة الأساسية في بناء وحدة الأمة ، فعملت هذه المجامع على توثيق الروابط بينها من خلال علمائها المجتهدين . . . وإن حاجات العصر وطبيعة الظروف التي تمر بها أمتنا ، وهندسة الثورة العلمية التي تزداد بتسارع هائل ، لتفرض على مجامعنا ومؤسساتنا العلمية والجامعية والمهنية واجبات ضخمة ، تهدف إلى جعل اللغة العربية لغة العلوم والفنون والحياة في الوطن العربي . وإذا كان النص القرآني يتكفل دوماً بتوحيد اللغة الأدبية ، فإن جهوداً كبيرة يجب أن تبذل من أجل توحيد اللغة العلمية والتقنية ولغة أصحاب المهن ومتطلبات الحياة الحضارية .

وإنه لمن بدهيات الأمور ، أن يكون هنالك مجمع واحد للغة واحدة ، يعنى بها لغة عربية فصحى موحدة في العلوم والفنون والحياة الحضارية ، وفي جميع أقطار الوطن العربي . ولا شك أن فكرة اتحاد المجامع اللغوية العربية ، قد ظهرت تعبيراً طبيعياً عن هذا الواقع اللغوي ، الذي تخوض فيه العربية الفصحى صراعاتاً مريراً مع أعداء الأمس واليوم . وإننا ننظر ، بعين الأمل ، إلى اتحاد مجامعنا لكي يصبح في المستقبل القريب ، إن شاء الله ، مجمعةً واحداً للغة العربية .

ونحن نعتقد أنه قد حان الوقت لكي ينهض اتحاد المجامع اللغوية بواجباته التاريخية ، من خلال المجامع اللغوية العربية ، ومن خلال الجامعات العربية والمؤسسات العلمية في الوطن العربي ، لتحقيق مشروعين أساسيين هما : المعجم التاريخي للغة العربية ، والمعجم الموحد لألفاظ الحضارة . أما أولا هما فهو ما نصت عليه الفقرة (ب) من المادة الثانية من مرسوم إنشاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٣٢ م حيث يقول : « أن يقوم (أى المجمع) بوضع معجم تاريخي للغة العربية ، وأن ينشر أبحاثا دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها » وعلى الرغم من أن مجمعنا العتيد بالقاهرة قد حقق منجزات مهمة في مجال المعاجم ، بما في ذلك مشروعه الضخم ، « المعجم الكبير » ، فإن لغتنا تنقصها موسوعة تضم كل عناصر اللغة ، وتدوّن تطورها على مر العصور ، وكل أنواع الأساليب فيها ، وتأتى بشواهد لكل منها تبين النادر أو الكثير الورود ، وتبين العام منها والخاص في النثر أو في الشعر .

وقد بات من الضروري أن تتضافر الجهود في الأقطار العربية من أجل وضع هذا المعجم التاريخي ، بأن تبحث كل كلمة على حدة . عن أصلها واشتقاقها ، وعن درجة قدمها ، وعن وجودها في اللغة العربية وحدها أو اشتراكها فيها مع أخواتها من اللغات السامية . . . وعن مصدرها : إذا كانت دخيلة أو مبتكرة أو مولدة ، ومن أية لغة دخلت إذا كانت دخيلة ، وعن زمن ابتكارها أو زمن استعارتها ، وعن تغير شكلها أو معناها ، وإذا كانت اللفظة قد زالت من الاستعمال جرى تتبع زمن زوالها ، وبهذا يكون لكل كلمة في اللغة تاريخ وترجمة لحياتها ، (١) وذلك على غرار المعاجم التاريخية لكثير من لغات الأمم المتقدمة .

ونحن نعتقد أن إنجاز مثل هذا المشروع الحيوى ، ركن أساسى من أركان نهضة أمتنا من خلال لغتها ، فضلا عن أن مثل هذه الدراسة لتاريخ اللغة العربية وتتطور دلالة الألفاظ فيها ، ستقدم صورة دقيقة لتاريخ الحضارة العربية .

وأما المشروع الآخر ، فيتمثل بوضع معجم موحد لألفاظ الحضارة . وإن الاحتفال بالعيد الخمسينى الزاهر لمجمعنا الشيخ بالقاهرة ، لمناسبة مهمة ، تؤذن بانتقالة تاريخية في حياة اللغة العربية ، بأن تصبح لغة التدريس الجامعى في جميع مجالات العلوم والفنون ، ولغة البحث العلمى والتقنيات الحديثة ، وأن تكون لدينا لغة

(١) انظر : مراد كامل ، دلالة الألفاظ العربية وتطورها ، ص ٣٣ ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

غربية واحدة تشمل جميع مناحى الحياة : العلمية والاجتماعية والاقتصادية . فاللغة ، كما هو معروف ، أقوى دعائم التوثيق بين الأفراد والشعوب ، وأن العربية الفصحى تمثل حضارة أمتنا . ومن هنا تحتل المسألة اللغوية مكانة متميزة في تاريخ نهضتنا الحديثة .

لقد بات من الضروري وجود معجم حديث ، ليس فقط لكي يستجيب لحاجات العصر الحديث ، ولكن لكي يوحد أسماء الأشياء والأدوات والآلات ، وجميع ما يستعمله الإنسان العربي من مأكّل وملبس وأثاث ، وجميع ما يخص حياته في عالم الحيوان والنبات ، وفي شتى أنواع المهن ، من فلاحة وتجارة وصناعة . . . الخ .

إن هذا الاتجاه في التوحيد اللغوي ، الذي تسلكه العربية الفصحى في صراعها مع العاميات واللهجات والشعوبيين لا يصدر فقط عن كونها لغة التراث العربي عبر القرون ، في مجالاته الأدبية والعلمية والحضارية ، ولا يصدر عن كونها لغة القرآن الكريم ، وبالتالي فهي ليست لغة قوم من الناس فقط ، ولكنها تخص المسلمين جميعا : فهذا الاتجاه في التوحيد اللغوي لا يصدر عن هذا كله فقط ، ولكنه يصدر أيضا عن اتجاه أصيل نحو الوحدة المتزايدة الاتساع ، وهو أحد اتجاهين أصليين متعارضين تخضع لهما حياة كل لغة من اللغات ، إذ يرى اللغويون أن في حياة اللغة ميلين متعارضين : أحدهما نحو التقسيم إلى لغات ولهجات ، والثاني نحو الوحدة المتزايدة الاتساع . وهذا التقسيم والتوحيد كلاهما فعل أحداث تؤثر في الجماعات^(١) .

وقد بنى خصوم العربية الفصحى ، من استعماريين وشعوبيين وحاquدين ، نظريتهم في محاربة اللغة العربية الفصحى على المقولة التي مؤداها أن الاتجاه في حياة اللغة نحو التقسيم أقوى من الاتجاه نحو التوحيد ، وأن الاتجاه الأول هو عملية التطور الطبيعية للغة . وحجتهم في ذلك مارصده علماء اللغة ، بصورة عامة ، من ظواهر في حياة اللغة ، حيث وجدوا أنه لم تظهر لغة عامة إلا تقسمت في لغات كثيرة . وعلى هذا الأساس وضعوا فرضيتهم القائلة ، ولماذا تكون اللغة العربية الفصحى بمعنى عما يصدق من قوانين على اللغات الأخرى !!

وقد فاتهم ، وأعماهم الحقد والهوى ، عن النظر إلى الجانب الآخر من هذه النظرية اللغوية نفسها ، التي مؤداها أن هنالك قوى لا يجوز التغافل عنها ، تعمل

(١) انظر : محمود السمران ، اللغة والمجتمع - رأى ومنهج ، ص ١٧٠ ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

فى الاتجاه المضاد ، وأن هذه القوى الموحدة ، كانت فى العصور التاريخية أقوى فى حقيقة الأمر من القوى المقسمة ، وإنما لكذلك فى الوقت الحاضر على وجه الخصوص ، وستكون كذلك أيضا فى المستقبل . (١) ومما يستشهد به العالم اللغوى جيسبرسن على صحة رأيه هو ، أنه على الرغم من أن عدد اللغات الآن أكثر منه فى بعض العصور الماضية ، إلا أن عدد المتكلمين بلغة من اللغات المنبثقة عن لغة عامة - فى عصرنا المزدحم بالسكان ازدهارا لم يعرف من قبل - هو فى معظم الحالات أكثر أضعافا مضاعفة من مجموع الذين كانوا يتكلمون تلك اللغة العامة . . . ولا أدل على ذلك من عدد المتكلمين بالإنجليزية والفرنسية والإسبانية والروسية والصينية وغيرها .

أيها السادة العلماء : ليس من هدفى فى هذه الكلمة دراسة العوامل التى تساعد على ظهور لغة عامة وعلى نشرها ، ولكننى أود أن أسجل ، فى هذه المناسبة الزاهرة من أمجاد لغتنا العربية الفصحى ، على الرغم مما يثار فى طريقها من عقبات ومعوقات ، أنها تمثل فى مسيرتها التاريخية ، وفى حياتها الحالية ، الاتجاه نحو الوحدة المتزايدة الاتساع ، وأن مسيرتها هذه ، تجرى وفق قوانين الطبيعة ونواميس الحياة .

لقد أشرنا ، سابقا ، إلى مدى الترابط بين مسيرة اللغة العربية الفصحى ، فى نموها وازدهارها ونضالها من أجل استعادة سيادتها فى وطنها ، ومسيرة أمتنا فى تحررها وتقدمها ووحدتها . ونحن إذا نظرنا إلى العالم من حولنا وجدناه عالم الكتل الكبير ولاشأن فيه للصغار ولا للضعاف ، وقد أدركت الأمم الأوروبية هذه الحقيقة ، بعد الحرب العالمية الثانية ، فبدأت بمحاولاتها للوحدة الأوروبية ، الاقتصادية والسياسية أيضا ، على الرغم من اختلاف لغاتها وشعوبها ، وعلى الرغم من العداء التاريخى المستحكم بينها عبر القرون .

وإذا وجهنا نظرنا إلى أمتنا العربية وروابطها التاريخية واللغوية والروحية المتينة ، نجد الأمر مختلفا كل الاختلاف ، فعوامل الوحدة كثيرة وأصيلة تعيش فى ضمير الأمة ، مرتبطة بعقيدتها ولغتها ، وأن عوامل الفرقة ، عوامل مصطنعة مفروضة على أمتنا بمختلف وسائل القهر والسلطان .

وتحتل اللغة العربية الفصحى المكانة الأولى فى توثيق دعائم الوحدة بين أبناء أمتنا العربية ، ولا بد من أن تتكامل وحدة هذه اللغة فى جميع مجالات العلوم والفنون

(١) انظر : رأى العالم اللغوى جيسبرسن ، عن المصدر نفسه .

والآداب ومقتضيات الحياة الحضارية . فكما أن الضرورة تقضى بأن تكون العربية لغة التعليم والبحث العلمى فى جميع مستوياته ، وفى العلوم كافة ، فإن الضرورة نفسها تقضى بأن تكون هنالك لغة علمية موحدة ، وأن تكون هنالك لغة مهنية موحدة ، ولغة حضارية موحدة . بل إن العصر الذى نعيش فيه ، والذى يتميز بتفجر المعرفة الإنسانية ، ولا سيما فى عالم التقنيات الحديثة ، ليفرض على مؤسساتنا اللغوية ، ليس فقط وحدة اللغة المكتوبة ووحدة الألفاظ الحضارية التى نستعملها فى حياتنا اليومية ، بل وتفرض عليها واجب العمل على التقريب بين اللهجات ، أى بين نواحي النطق فى اللغة المسموعة والمحكية فى جميع أقطار البلاد العربية . وإننى أستطيع أن أقول : لقد دخلنا الآن فى عصر بدأت فيه الدراسة السمعية للغة تحتل مكانة متميزة إلى جانب الدراسة البصرية . وعلى حد تعبير الأستاذ إبراهيم أنيس : « فيجب أن لاتنفر آذاننا من نطق بعضنا البعض ، لأن فى مثل هذا تفرقة بين أبناء الأمة العربية التى تعمل على توحيدها أو التقريب بينها »^(١) .

ألا نرى أن ثورة لغوية عارمة قد بدأت منذ عشرينيات هذا القرن ، وازدادت خطورة فى العقدين الأخيرين ، حيث أحدث التقدم الهائل فى تقنيات وسائل الاتصال بين أبناء الأمة الواحدة وبين أمم الأرض جميعها وشعوبها المختلفة ، وما صاحبه من اتصال لغوى واسع ، تغيرات كبيرة فى الحياة الثقافية والاجتماعية ، فالتلف واللاسلكى والطيران والإذاعة بنوعها : المسموعة والمرئية ، والسينما والصحافة بتقنياتها المتسارعة فى تطورها تمدنا أيضا بقوة هائلة لم يعرفها تاريخ البشرية ، من أجل نشر اللغة العربية الفصحى وتوطيد دعائم وحدتها ، سواء أكان ذلك فى مجال الكلمة المكتوبة أم المسموعة والمحكية^(٢) .

ألا ترى فى الوقت الحاضر ، عشرات الألوف ، إن لم نقل مئات الألوف من أبناء أمتنا ، عمالا ومهنيين ومثقفين ، دون أن نذكر المعلمين والأساتذة والعلماء يعملون فى مختلف أقطار العروبة جنبا إلى جنب مع إخوانهم فى تلك الأقطار أليس من الضرورات الملحة أن يتحدث هؤلاء جميعاً لغة مهنية واحدة ، ولغة حضارية واحدة ، فالاتصال والاختلاط والاشتراك فى الحياة ، وانتشار المدارس والمعاهد والجامعات ، والخدمة العسكرية والأحوال السياسية والاقتصادية جميعها عوامل مهمة فى دعم اللغة العربية الفصحى وانتشارها وإذاعتها لغة منظوقة ومكتوبة من خلال وسائل نشر اللغة

(١) انظر : إبراهيم أنيس ، فى اللهجات العربية ، ص ٢٨ ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .

(٢) انظر : محمود السمران ، اللغة والمجتمع - رأى ومنهج ، ص ٣ - ٤ ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

فى العصر الحديث. أليست ظروف الحياة ومقتضياتها وقوانين الطبيعة ونواميس الاجتماع ، تحتم وجود معجم موحد لألفاظ الحضارة ، يشتمل على جميع الألفاظ التى يستعملها المواطن العربى فى حياته اليومية ومعاشه ، كما تحتم كذلك وجود لغة علمية وتقنية موحدة ، كما هو الشأن فى لغتنا الأدبية الواحدة .

وإن قضية الحاجة إلى مثل هذا المعجم الموحد ، قد طرحت أيضا منذ سنين طويلة كما هو الشأن فى موضوع « المعجم التاريخى للغة العربية » فقد طرحها على بساط البحث كتاب ولغويون ، وأشاروا إليها فى كثير من الندوات العلمية ومؤتمرات التعريب فى الوطن العربى . وكان من قرارات مؤتمر التعريب الأول الذى انعقد بالرباط من ٣ إلى ٧ نيسان - ١٩٦١ التوصية التالية : « يوصى المؤتمر بوضع معجم معان ليستعين به أبناء العربية فى العثور على الألفاظ الدقيقة لما يجول فى أذهانهم من المعانى والصور » ، ولا شك أن هذه التوصية وغيرها من التوصيات والآراء التى طرحها كثير من اللغويين فى دراساتهم وبحوثهم ومناقشاتهم ، تدور جميعها حول هذا الموضوع الكبير ، الذى يتمثل بوجوب جعل لغتنا العربية الواحدة لغة العلم والتدريس والثقافة والبحث العلمى ، ولغة الحياة فى جميع جوانبها .

ولا شك أن الإنجازات اللغوية المتميزة التى كانت ثمار جهود مجامعنا اللغوية ، وأخص بالذكر منها مجمع اللغة العربية ، وحصنها الحصين بالقاهرة ، قد غنت العربية الفصحى وزادتها ثروة وخصوبة ، وأن هذه البحوث اللغوية القيمة والاجتهادات الأصلية ، وعشرات الآلاف من المصطلحات العلمية التى وضعت فى مختلف مجالات المعرفة الإنسانية ، كانت من وراء هذه النقلة التاريخية للغتنا ، وجعلت فى حدود الإمكان التحول التاريخى فى مسيرة اللغة العربية الفصحى لكى تحتل مكانتها الطبيعية سيدة فى وطنها ولكى تصبح اللغة الواحدة للعلوم والفنون والتقنيات والبحوث العلمية ، كما هى فى واقع الأمر اللغة الواحدة للتراث والآداب .

لم يكن من أهداف هذه الكلمة المتواضعة أن تقدم خطة علمية مفصلة من أجل وضع « معجم موحد لألفاظ الحضارة » ، ولكنها تحاول الكشف عن أن مثل هذا المشروع قد بات ضرورة ملحة ، وأن إنجازَه قد أصبح فى حدود الإمكان وأن اتحاد المجامع اللغوية العربية مدعو بحكم موقعه التاريخى أن يتصدى لمعالجة قضايا اللغة العربية الفصحى من خلال المجامع اللغوية ، والجامعات وجميع المؤسسات العلمية والثقافية فى الوطن العربى ، التى تعنى بقضايا التراث واللغة وبقضايا الفكر والإبداع ، وذلك وفق منهجية علمية سليمة ودون بطء أو تماهل . فالتقدم العلمى

يزداد بتسارع كبير ، وانفجوة التي تفصل بيننا وبين اللحاق بالأمم المتحضرة تزداد اتساعاً . ونحن نشارك الأستاذ حسن ظاظا الرأي في قوله :

« إن صناعة المعاجم عندنا في أزمة ، وهي بعيدة كل البعد عن مسايرة التقدم الفكري والحضارى في العالم العربى الحديث ، وفي العالم الكبير الذى يعيش المدنية المذهلة التى انبثقت عنها هذا النصف الأخير من القرن العشرين » (١) .

ولا شك أن وضع معجم يوحد جميع المفردات الحضارية التى يستعملها أبناء الأمة العربية فى مختلف أقطارها ، لابد من أن يستند إلى خطة محكمة وأن تتضافر الجهود فى الأقطار العربية على القيام بجمع الألفاظ المستعملة فى شتى مناحى الحياة ، الفلاحية والصناعية والمهنية والاجتماعية والتجارية . . . الخ ، وأن تضبط ضبطاً كاملاً فى نطقها وأن تحدد دقيقاً فى دلالتها ، مستخدمين الوسائل التقنية الحديثة ، لكى تصبح موضوعاً للدراسة والتصنيف والبحث إلى جانب ما تقوم به لجان علمية فى جمع أقصى ما يمكن جمعه من مادة لغوية مأخوذة من معاجم المعانى ومن النصوص فى مختلف كتب التراث .

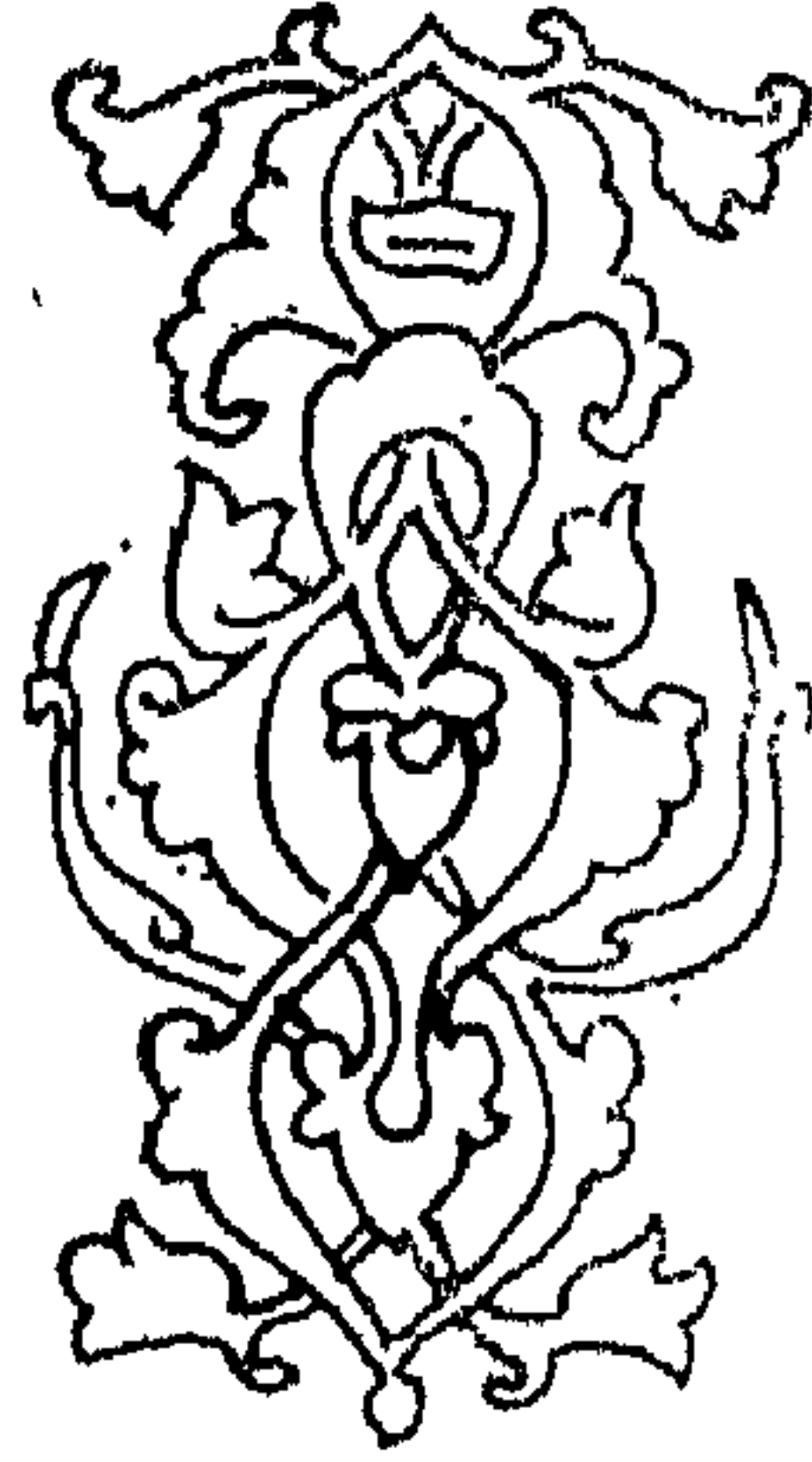
ونحن نعتقد أن استخدام الحسابات والأجهزة الإلكترونية والتقنيات الحديثة ، فى دراستنا اللغوية ، بات أمراً ميسوراً وواجباً ، إذا ما أردنا أن نلحق بركب الأمم المتحضرة . . . وأن مثل هذه الأبحاث اللغوية ستنجز بدقة متناهية وبسرعة مدهشة وسنجد أنفسنا أمام نتائج باهرة من حيث قدرة اللغة العربية الفصحى على استيعاب كل ما يجد فى عالم الفكر والمعرفة ، وذلك بسبب ما جمعته هذه اللغة من مفردات مدونة فى معاجمها ، ومما هو مثبت فى كتب التراث ، ومما هو لم يدون وتدور به ألسنة عامتها ، وهو فى أكثريته الكاثرة من اللغة الفصحى ؛ هذا من ناحية ومن ناحية أخرى بسبب خصائص العربية نفسها ، وطرائق نموها ، من قياس واشتقاق وقلب وإبدال ونحت وارتجال ومجاز واقتراض . . . الخ مما يكسبها فى ذاتها المرونة والقدرة على استيعاب كل ما يجد فى عالم المعرفة .

وأخيراً أيها السادة العلماء ، فإن أجمل تحية يمكن أن نقدمها إلى مجتمعنا الشيخ بالقاهرة ، وإلى علمائنا الأفاضل ، شيوخ العربية وفرسانها الدائدين دوماً عن حياضها أن نرسي بنيان مجمع واحد للغة العربية ، بنيان مجمع اللغة الخالدة لخلود القرآن الكريم ، وأن يمثل العيد الخمسينى الزاهر انعطافاً تاريخياً فى مسيرة لغتنا فى العصر الحديث ، بأن نتبنى مشاريع

(١) حسن ظاظا ، كلام العرب بين قضايا اللغة العربية ، ص ١٥٢ ، القاهرة ، ١٩٧١ م .

محددة على مستوى الوطن العربي ، بإمكاناته العلمية والمادية ،
ونشره ، ووضع المعجم التاريخي ، والمعجم الموحد لألفاظ -
للمصطلحات العلمية في جميع مجالاتها ومستوياتها ، إلى -
عربية تعني بنقل العلوم من حيث هي علوم والتقنيات الحديثة إلى اللغة
يصاحب هذا كله قرار سياسي ، بفرض اللغة العربية ، كى تصبح ، وبصور
لغة التعليم في جميع مستوياته ، وفي جميع الكليات والجامعات والمعاهد العالية .
وأن تكون لغة البحث العلمي والتقنيات الحديثة ، وأن تكون لغة الحياة في جميع مناحيها
وبذلك وحده تستطيع أمتنا أن تشارك بأصالة في بناء الحضارة الإنسانية .

الدكتور عبد الكريم خليفة
عضو المجمع (الأردن)



المراجع

- ١ - إبراهيم أنيس ، فى اللهجات العربية القاهرة ، ١٩٦٥
- ٢ - إبراهيم أنيس ، من أسرار اللغة ، القاهرة ، ١٩٦٦ م
- ٣ - إبراهيم السامرائى ، اللغة العربية فى العصر الحديث . القاهرة ، ١٩٧٣ م
- ٤ - إبراهيم السامرائى ، اللغة والحضارة بيروت ، ١٩٧٧ م
- ٥ - أحمد الأخضر غزال ، المنهجية الجديدة لوضع المصطلحات العربية ، الرباط .
- ٦ - أحمد تيمور ، معجم تيمور الكبير فى الألفاظ العامية ، تحقيق حسين نصار ، القاهرة ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م
- ٧ - أحمد رضا العاملى ، رد العامى إلى الفصيح ، صيدا ، ١٩٥٢ م
- ٨ - أحمد عبد الغفور عطار ، الزحف على لغة القرآن ، بيروت ، ١٩٦٥ م
- ٩ - تمام حسان ، اللغة العربية - معناها ومبناها ، القاهرة ، ١٩٧٣ م
- ١٠ - حسن ظاظا ، اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة ، القاهرة ، ١٩٧١ م
- ١١ - حسن ظاظا ، كلام العرب - من قضايا اللغة العربية ، القاهرة ، ١٩٧١ م
- ١٢ - عباس حسن ، اللغة والنحو - بين القديم والحديث ، القاهرة .
- ١٣ - عبد الصبور شاهين ، فى علم اللغة العام ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م
- ١٤ - عبد العزيز بن عبد الله ، التعريب ومستقبل اللغة العربية ، الرباط ، ١٩٧٥ م
- ١٥ - على عبد الواحد وافي ، فقه اللغة ، القاهرة .
- ١٦ - على النجدى ناصف ، من قضايا اللغة والنحو ، القاهرة .
- ١٧ - محمد الأخضر حسين ، القياس فى اللغة العربية ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ
- ١٨ - محمد عيد ، المظاهر الطارئة على الفصحى ، القاهرة ، ١٩٨٠ م
- ١٩ - محمود السمران ، اللغة والمجتمع - رأى ومنهج ، القاهرة ، ١٩٦٣ م :
- ٢٠ - محمود محمد شاكر ، أباطيل وأسمار ، القاهرة .
- ٢١ - مجمع اللغة العربية ، محاضر الجلسات .
- ٢٢ - مراد كامل ، دلالة الألفاظ العربية وتطورها ، القاهرة ، ١٩٦٣ م
- ٢٣ - نفوسة زكريا ، تاريخ الدعوة إلى اللغة العامية وآثارها فى مصر ، القاهرة ١٩٦٤ م .

الكتابة العربية بواسطة أرقام الحساب

لدكتور عبد الهادي التازي

في

أعقاب شيوع استعمال جهاز التلغراف أواسط القرن الماضي^(١) ظهرت في الأرشيف الدبلوماسي للمغرب وثيقة تتعلق أصلاً بموضوع التعليمات التي كانت الحكومة المغربية ترسلها — بواسطة التلغراف —

والحديث عن تلك الوثيقة يستدعي منا أن نتناول عدداً من العناصر لإلقاء الضوء عليها ؛ مضمونها كمصدر من مصادر تاريخ المغرب وربما من مصادر تاريخ الدول التي كانت لها صلة بالمغرب ، كذلك مركزها ومكانها من الطرق المستعملة من مدن البلاد العربية الأخرى لنقل الرسائل العربية عبر التلغراف .

لكن الذي يهمنا — بهذه المناسبة — هو الحديث عن الدوافع التي كانت تكمن وراء اختراع هذه الطريقة أو الأخرى الدوافع التي حدثت بالدولة آنذاك للاستعانة على أداء الكلمات العربية أو الحرف العربي بالأرقام الغبارية التي تحمل في الموسوعات العالمية اسم الأرقام العربية (Les Chiffres Arabes) (Arabic Numbrs)

تعتبر الوثيقة التي بين أيدينا محاولة جريئة في سبيل تنظيم المواصلات بين المدن المغربية فيما بينها ، وفيما بين المغرب ، وغيره من الدول كذلك حيث أخذ نظام الرقاص في الاختفاء بالمغرب الأقصى .

وأقصد بالرقاص^(٢) في الاصطلاح المغربي موزع البريد ، واللفظ — كما نعلم — من المفردات الحضارية التي استعملها المغرب منذ العصر الوسيط ، معتمداً على الاستعمال اللغوي في رقص الناقة القلوص بزجاجة رقصت بما في قعرها ، رقص القلوص براكب مستعجل .

(١) توجد منذ 16 ربيع الأول 543 = 4 غشت 1148 قوانين تحدد مهام الرقاص ، ابن صاحب الصلاة : المر بالامامة ، تحقيق : د. عبد الهادي التازي ، بيروت 1964 ، ص 122 — ابن القفطان : نظم الجليل تحقيق : د. مكّي تطوان ، ص 162 .

لقد كان من أبرز مضامين هذه الوثيقة أنها كانت سبقا تقنيا في ميدان ضبط الأسماء الجغرافية عن طريق الأرقام .

فلقد سبق هذا الابتكار العربى - أكثر من نصف قرن - الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوربية ، إلى التعامل بالأرقام والتوسل بها لاستعمال ما يسمى اليوم بالمصطلح البريدى لضبط المواقع الجغرافية المقصودة ، هذا المصطلح الذى يعرف فى الولايات المتحدة الأمريكية تحت اسم (Zip Coda) كما يعرف فى فرنسا باسم (EDEX) .

بل إنه أى ذلك الاختراع سبق الدول الاسكندنافية إلى اختراع ما يسمى « الرقم الشخصى » الذى يعطى للبطاقات الشخصية والذى يحمل هناك اسم (Magnétique) فلقد أخذوا يعطون الأشخاص أرقاما خاصة باعتبار أن الأرقام يمكن أن تساعد العقل الايكترونى فى الوقت المناسب .

لقد أعطت الوثيقة التى بين أيدينا منذ ذلك التاريخ لبعض الشخصيات أرقاما خاصة :

— فرئيس الدولة يحمل رقم 55

— ووزير الخارجية يحمل رقم 67

— ووزير المالية يحمل رقم 150

— والقاضى يحمل رقم 72

— والمحاسب يحمل رقم 74

وقد قدمت لنا هذه الوثيقة شبه قاموس رتبت كلماته وجمله على الترتيب الهجائى المعهود لدى أهل الأندلس والمغرب .

أما عن الدوافع التى حفزت بالمشرفين على الإدارة المغربية إلى اعتماد الكتابة العربية بواسطة الأرقام الحسابية فيمكن أن نلخصها فى الكلمات التالية :

لقد كان المغرب حريصا على مواكبة الركب العالمى فى أواسط القرن الماضى وبخاصة بعد احتلال الجزائر من قبل فرنسا عام 1930 حيث أصبح المغرب مهددا فى كيانه أكثر من أى وقت ، وكان المغرب فى نفس الوقت عموما على التعلق والتمسك باللغة العربية ، ومن هنا كان التفكير فى طريقة تجعلنا نواكب ونحافظ معا .

لقد ظهر التلغراف ، والمغرب على حال من صراع مرير كان يمارسه على عدد من الجهات ، وكان عليهم أى المغاربة أن يختاروا بين الاستفادة من ذلك الجهاز الحديث على ما هو ، وحينئذ فإن عليهم أن يقبلوا على تعلم اللغة الأجنبية ويهجروا لغتهم جانباً ، وبين أن يفكروا فى وسيلة عاجلة تجعل المدلول العربى قادراً على أن ينفذ عبر القوالب التى تستوعبها تقنية الجهاز التلغرافى .

وهكذا وجدناهم يفكرون فى ابتكار طريقة تحتفظ لهم بلغتهم العربية من جهة وتحترم إمكانيات الآلة من جهة ثانية . وجدناهم يستعينون بشكل ما من الأشكال كان مقبولا فى ملامس جهاز التلغراف وداخلا ضمن حروفه المسبوكة .

ومن هنا وردت فكرة الاستعانة بما نسميه الرقم الغبارى أى الرقم العربى . وحينئذ وجدت الحكومة المغربية آنذاك أن من السهل عليها الاتصال بجميع الأطراف داخل المغرب وخارجه ، عن طريق الترميز بالرقم :

ونظرا للغموض أو اللبس الذى لاحظ المخترع لهذا الدليل ، أنه قد يتعرض له الشخص الذى يشغل آلة التلغراف عندما يركب الرسالة بواسطة أرقام متوالية ، نظرا لذلك وجدناه ، يضع شرطة صغيرة تجعل بين الكلمات تمييزا لها فيها بينها على نحو ما يقوم عليه اليوم نشام التفريق بين الكلمات ببعض الفراغ :

ولما شعر صاحب هذا الاختراع بأن قاموسه قد لا يستوعب سائر أغراض الرسالة ، وجدناه يقدم طريقتين اثنتين أخريين للاستعانة بهما على تقنية التلغراف .

ويتعلق الأمر بالنسبة للطريقة الأولى بعملية تعويض الحروف الهجائية على تواليها بأرقام تتبدىء من (20 إلى 49) أى أن حرف الألف يقابله حرف 20 وحرف الباء رقم واحد وعشرين والتاء كذلك . . الخ .

وهكذا فعوض أن يعطى التعليمات بواسطة حروف المعجم ، تعطى بواسطة الأرقام العربية ، وزيادة فى رفع اللبس فإنه سيكون علينا أن نجعل بين الحروف فواصل . كنا فيما سبق عندما كان الأمر يتعلق بأداء الكلمات والجمل ، نستعمل الشرطة القصيرة بين الكلمات ، ونحن بالنسبة للحروف نكتفى بوضع نقطة حيث يظهر لنا الفرق جليا بين الحالىين عند رؤية التلغراف ، وهل أننا بصدد قراءة كلمات أو حروف مركبة .

وفما إذا حدث أن تعلق غرض الرسالة أو البرقية بذكر رقم من الأرقام في صلب النص من شأنه أن يربكنا ونحن نعتمد على الأرقام أساساً لأداء الكلمات أو الحروف في هذه الحالة وجدنا مخترع هـذا الدليل يجزؤ على المطالبة بتحويط الرقم الموجود في صلب النص بحرف (A) اللاتيني ، فمثلاً عندما نجد (A) 297 (A) فإن القصد يكون إلى سبعة وتسعين ومائتين وليس القصد إلى الرقم الخاص الذي يدل على كلمة (مصر) التي استأثرت بهذا الرقم في « الوثيقة » المذكورة على ما أسلفنا أما بالنسبة للطريقة الثانية التي يمكن أن نساكها أيضاً لأداء الكلمة العربية أو الحرف العربي فهي لا تعتمد فقط على الأداء بالرقم العربي . ولكنها تذهب إلى أبعد من ذلك ، أي أنها تستعين بالحرف اللاتيني ،

وليس معنى هذا أن الحرف العربي في التلغراف يقابل بحرف لاتيني من نوع صوت الحرف العربي كما نستعمله اليوم في التلغرافات العربية المكتوبة بحروف لاتينية ، ولكن بحرف لاتيني ما يصطاح عليه . . .

ومعنى كل هذا أنه كان هناك شعور بالحاجة الملحة إلى أن نجد وسيلة ما لتبليغ الرسالة العربية لتبليغ النبا العربي عبر جهاز التلغراف ، الذي كنا نجد أنفسنا مضطرين إلى الاستفادة منه حتى نظل كما قلنا مواكبين لمستجدات العصر . . .

أيها السادة الزملاء الأعزاء .

لقد كان قصدي من تقديم هذا الجانب من تلك الوثيقة (التي أشرف بتقديمها لكم اليوم) هو وضع السؤال التالي :

هل إننا بعد التجارب التي مررنا بها طيلة السنوات الحالية ، بحاجة إلى التفكير الجدي ، فيما يؤمن اقتحام الحرف العربي للآلات الإلكترونية ؟ وهل أننا بحاجة إلى تصور دقيق لما نحن مقبلون عليه في عالم الألفين .

أرجو بهذه المناسبة أيها السادة الزملاء ، ونحن نحتفل بهذا العيد السعيد وبحضور السادة رؤساء الجامعات والأكاديميات العربية .

أرجو أن أذكر هنا بأننا منذ عشرات السنين ما نزال لم نتفق على طريقة لأداء الحرف العربي ، بالحرف اللاتيني أداء سليماً نرضى عنه بإجماع ونقدمه إلى المنتظم الدولي باتفاقنا جميعاً .

فقبل ست سنوات عرضت في أثينا على أنظار المؤتمر العالمى الثالث لتنميط الأسماء
الجغرافية التابع للأمم المتحدة
(ECOSOC)

مسألة أداء الحرف العربى بالحرف اللاتينى :
ربما تتساءلون : لماذا عرض هذا الموضوع على أنظار هذا المؤتمر الذى يهتم أصلا
بـ"الأعلام الجغرافية" ؟

والجواب أن ذلك كان نتيجة لانتصار المجموعة العربية التى أتشرف بتروئسها فى
المؤتمر المذكور ، انتصارها فى فرض كتابة الأعلام الجغرافية العربية بشكلها الصحيح
على سائر الخرائط الجغرافية الأجنبية المنشورة على المستوى الدولى .

أى أننا سوف لا نقرأ من الآن فى الخرائط الأجنبية كلمة لاميك (La Méque)
عوض مكة ، ولا (داماس) عوض دمشق و (لوكير) عوض القاهرة و (ربا) عوض
الرباط .

إن الذى حصل أيها السادة المجمعون هو أننا بعد أن استمزجنا رأى مع سائر
الدول العربية ، وبعد أن أدلت كل جهة برأيها . . . اجتمعنا فى جنيف فى المؤتمر
الرابع فى السنة الماضية لنجد أن الذين اتفقنا معهم فى (أثينا) هم غيرهم الذين أعطوا
الرأى فى جنيف . أنتم تعلمون أن هناك الطريقة التى سلكها علماء الموسوعة الإسلامية ، وهناك
الطريقة التى أصبحت فى المؤتمر المذكور رسم (نظام بيروت Brout Système)
والطريقة التى تحمل كذلك نظام لندن المعدل وهناك نظام (ISO) الخ .

إن بعض العرب الذين كانوا متأثرين بالوجود البريطانى فى بلادهم لا يتنازلون
للطريقة التى تأثر بها العرب الآخرون الذين كانوا متأثرين بالوجود الفرنسى مثلا : ومن
هنا فنحن ما نزال نتخبط فى الوصول إلى الطريقة الواحدة التى توصلنا إلى التمتع بذلك
المكسب : مكسب اقتحام العلم الجغرافى الحقيقى للمجتمعات الدولية .

أعترف أمامكم أيها الزملاء المحترمون أننى كنت أشعر بالحجل يلفنى وأنا أمثل فى
تلك المؤتمرات وجهات نظر مختلفة متشتتة حول كيفية أداء الحرف . . بينما أرى أن
المجموعات الأخرى اتفقت على طريقة موحدة لأداء الحرف الصينى والروسى . الخ .

لهذا فإننى أغتنم هذه الفرصة لأتقدم بتوصية تدعو إلى لقاء عاجل قبل عام 1986
الذى سيشهد فى مونتريال المؤتمر السادس الذى ينتظر منا القول الفصل فى هذه القضية :

فما غيركم - أيها الزملاء - جدير باتخاذ المبادرة للوصول إلى هذا الاتفاق . . .
وتحت يدي الملف الكامل الشامل لهذه القضية التي تعتبر من القضايا الأولى للمؤتمر
الدولي ، سواء على مستوى خبرائه الذين يجتمعون على رأس السنتين أو على مستوى
أعضائه الذين يجتمعون على رأس الأربع سنوات .

إن المغرب ليقوم الآن بخطوات رائدة من أجل العمل على اقتحام الحرف العربي
للأجهزة المعيارية بجميع أنواعها وتسخير هذه الأجهزة لفائدة ازدهار اللغة العربية
وانتشارها وتعميمها ورفع مستواها ، تحت إشراف معهد الدراسات والأبحاث للتعريب
الذي يديره الأستاذ أحمد الأخضر غزال :

ويطيب لي أن أعرب عن أملى الكبير في أن نحظى بهذا الاجتماع على أرض المغرب
بحول الله :

فإلى أن نلتقي جميعا حول هذا الموضوع ، آتمنى للسادة الزملاء موفور الصحة والعافية
والسلام .

الدكتور عبد الهادي التازي
عضو المجمع من المغرب



مزايا العربية في لغتنا للاستاز سعيد الأثفاني

لأنك

في أن الأجنبي كان يعاني صعوبة حين يتعلم العربية ليسهل عمله في البلاد العربية المحتلة يومئذ من العراق إلى المغرب ، وبين البحر المتوسط والصحراء الكبرى فالخروف غير حروفهم التي بها يكتبون ويقرؤون والألفاظ لا تكاد تجرى بها ألسنتهم إلا بعد ممارسة وعناء وبدل أن يصبروا على ترويض ألسنتهم بها ، زين لبعضهم الهوى والخطرة أن نخدمهم نحن فنستبدل حروفهم بحروفنا ولا بأس في أن ننسف قواعد لغتنا لنضع شيئا على نمط قواعدهم ، ولنهجر الفصحى لأنها لا تفيدهم في حكم مستعمراتهم ، وليصطنع كل بلد مذهب لهجته الدارجة السوقية مشوبة بشيء من لغة السادة ، فلا أرب للمحتل وراء ذلك ، ولم لا يكون ذلك وبيدهم السلطة والحكم ، وآلات البشر في كل بلد صاغوها على هـذه المقاصد . . فإذا نجمت خططهم عادت عليهم بعد عقود من السنين ، ينفع في ميدانين تسهيل المهمة على موظفيهم ، وقضاء على مقوماتنا من ثقافة ركنها اللغة والدين .

لم يفهم درس نفسية الجماعات ، فقد عرفوا أن البدء ينبغي أن يكون بين غوغاء المتعلمين لا خاصتهم ، وأن للتكرار بينهم أثرا مهما يكن خافتا في البدء فالزمن كفيل بتقويته وتتابع الحملات بفواصل مقدرة ، سبروا في كل فاصلة ردود الفعل ، فانتفعوا بدراساتها لحملة قادمة ، ولم يلتزموا أسلوبا واحدا في دعاياتهم ، وكل دعاية ضعفت أو صلت استأنفوا بعدها غيرها في ثوب جديد وأبواق كانوا قد بثوها في كل بيئة ، علمية كانت أم أدبية أم سياسية أم طائفية ، لقد تجمعت مزاعمهم في مشكلات اللغة العربية في ثلاث :

١ - الحرف العربي .

٢ - الازدواج بين العامية والفصحى ، أو بين لغة الكتاب والقراءة ولغة الحوار السوقية .

٣ - صعوبة القواعد العربية .

(*) ألقى البحث في الجلسة الثالثة للعيد الخمسين .

أما ما زعموا من مشكل في الحرف العربي والازدواج اللغوي فلا أعرض له ، لأنه أصبح معلوما من كثرة ما نشر فيه تأييدا وردا ، بل ذهب بعض خاصة المستشرقين إلى تفضيل الحرف العربي صحة وجها لا واختصارا^(١) ، والازدواج اللغوي موجود في كل اللغات ، ففي كل منها لغة كتابة ولغة سوق على تفاوت في الفروق ، بل إن عاميتنا نحن من يوم بدؤوا بدعائهم لها ، قد تقربت جدا من الفصحى نتيجة لانتشار التعليم لئلا لم يلق الناس بالا لهذين الأمرين ، إلا في الشاذ النادر ، وكنت قد عرضت لهذين الأمرين من سنين طويلة في غير مقام .^(٢)

بقي الأمر الثالث الذي زعموا في صعوبة قواعد العربية ، وكان مصيره خليقا أن يكون كمصير الزعمين السابقين ، لولا أن كثرة ترديدهم له على الأسماع من حين إلى حين في سنين متباعدة جعلت بعضنا يتوهم أن هناك مشكلة ، وجعلتهم يفكرون ويطلبون لها دون دراسة ولا تمحيص ولندكر أن النحو كان يدرس أول القرن الماضي في الآجرومية وشروحاتها ثم شروح الألفية وحواشيها وما إلى ذلك مما ألف في عصور سلفت يبدأ الطلب باستظهار متن غامض مغلق مكثف العبارة (نثراً أو نظاماً) ثم يترقى إلى شرح المفروض فيه جلاء وإيضاح ، ثم تأتي الحاشية والتقرير يناقشان في الغالب عبارة الشارح مناقشة لفظية عقيمة ، وتنقضي سنوات حتى يحيط الطالب بعبارات المؤلفين المتأخرين لكنه لم يزاوِل في الواقع نحواً يعصم بيانه من الخطأ ، ولا قرأ كلاماً عربياً يقوى من سليقته أو ملكته . هذا كان فيما سبق ، ولعل الأجانب الذين حاولوا تعلم اللغة العربية في بلادنا أول القرن الماضي فما بعد ظنوا أن هذا هو النحو العربي ، فنعتوه بما شأؤوا من صعوبة وإغلاق وتعقيد ، وورث هذا النعت نحالف عن سالف وكثر انتشاره بينهم ، حتى حكينا نحن عنهم مزاعمهم التي بليت ، تقليداً أعمى مدة من الزمن ، ثم تكفلت النهضة باتباعنا الأساليب الحديثة في التأليف والتدريس حتى الثلاثينيات من قرننا هذا تكفلت بما يجب من إصلاح وإيضاح وتشذيب واختصار وخير ما أذكر من النماذج الصالحة سلسلة (الدروس النحوية) للمدارس الابتدائية التي اشترك في إخراجها حفي ناصف ورفاقه عليهم جميعاً رحمة الله ، فكانت حميدة الأثر في أجيال متعاقبة في أقطار شتى ثم عمل حفي ناصف (قواعد اللغة العربية للمدارس الثانوية) فكان عمله مسك الختام ، ضاماً كل ما لا يجوز لمثقف جهله من

(١) يوحنا أهتئين كرسكو الفنلندي ، ترجمة الأرشمندريت توما ديو المملوف - مجلة المجمع العلمي العربي

بدمشق ٤ / ٤٨٦ سنة ١٩٢٤ م

(٢) كتابي (من حاضر اللغة العربية) ص ١٥٦

قواعد اللغة نحوا وصرفا وبلاغة ، في حجم لطيف يقل عن مئة وخمسين صفحة من القطع الصغير ، بهذه السلسلة تخرجت والحمد لله في دراستي الابتدائية والثانوية أنا وجيلي الذي تميز من جاؤوا بعد بتفوق كبير .

مهما يكن فقد أوقع ترددات تلك المزاعم على مدى سنين بعد ذلك ، أوقع في نفوس بعض المسؤولين أن الضعف والعلّة في طبيعة القواعد العربية فكان بدء النكسة ، وتمكنت هذه الحرافة بل الدسيسة في أوهام عدد من الفضلاء ، فكانت محاولات فيما أسموه بالتيسير والتبسيط ، محاولات رسمية وغير رسمية ، وعمدت وزارة المعارف في مصر إلى تأليف لجان تطب لهذا الضعف المزعوم ، فكانت (لجنة تيسير القواعد العربية) ، عملت زمانا ثم انتهت إلى مشروع في الثلاثينيات لم يقبله أولو الشأن ، وتمضى سنوات ثم يعقد مؤتمر الجامع اللغوية العلمية العربية في دمشق بين (٢٩ / ٩ / ١٩٥٦ - ٤ / ١٠ / ١٩٥٦) ، ويعرض عليه المشروع ذاته ، ويناقش كما نوقشت دعوى ازدواج اللغة العربية (الفصحى والعاميات) وما يزعم من صعوبة وتنجح الشام في عقد الإجماع من المؤتمرين على إبعاد العاميات وتمكين الفصحى . أمّا مشروع تيسير النحو فكان في توصيات المؤتمر أنه في حاجة إلى زيادة في التمهيد وتأجيل النظر فيه إلى مؤتمر آخر^(١).

لكن أصحاب المشروع حملوا وزارة المعارف على إقراره وعلى تأليف كتب المدارس على أساسه وفرض المشروع على التعليم في مصر ، ثم دعت لجنة من وزارة التربية والتعليم السورية ، أيام وحدة الشام ومصر إلى القاهرة ، لتشارك في لجنة عامة تخطط لتطبيق المشروع مع الكتب المدرسية التي ألقت على أساسه ، على المدارس السورية وبعد درسه اعتذرت اللجنة السورية من عدم تطبيقه لأضرار وأسباب أباتها ، وانتهى نقاش المجتمعين سنة ١٩٦٠ على أن يعقد مؤتمر عام يشترك فيه كل المعنيين بالأمر في وزارتي التعليم والجامعات من القطرين معا .

وفي العام التالي عقد هذا المؤتمر باسم (حلقة تيسير النحو) في كلية دارالعلوم في القاهرة بين (٤ / ٢ / ١٩٦١ - ٩ / ٢ / ١٩٦١) وبعد الاستماع إلى كلمات المؤيدين والمخالفين أصدر المؤتمر قراره برفض المشروع^(٢).

(١) المصدر السابق ص ١٩٩

(٢) المصدر نفسه ص ٢٠٠

يدعى كثير أن التلاميذ الذين أنهموا تحصيلهم الثانوى فى المدارس الرسمية ضعفاء فى العربية أكثر من ضعفهم فى اللغة الأجنبية ويضيفون أن هؤلاء التلاميذ يعبرون عن مرادهم فى الإنجليزية أو الفرنسية بكلام واضح سليم فى الجملة ، على حين يعجزون عن التعبير فى العربية ببيان خال من التعثر واللعن . أقول : ربما كان هذا واقعا ، لكن ما السبب ؟

كنت مصطافا سنة ١٩٢٨ فى إحدى قرى دمشق ، فكنت أسمع فى كل يوم خميس مناديا يعلن فى الأزقة والحارات بصوت جهير : أن الطبيب قادم غدا ويعالج المرضى فى دار فلان ، وكان على يمين الطريق إلى تلك الدار منخفض فيه مستنقع ضحل تحوم فوقه أصناف من البعوض وتنتشر منه رائحة الماء الآسن ويستقبل الطبيب مرضاه طول النهار رجالا ونساء ، أطفالا ومسنين ، مصابين جميعا بالمalaria ، فكان يوصيهم بعد فحصهم بالحمية ويعالجهم بأقراص الكينا والاسبرين ، وعلمت فيما بعد أن هذا شأنه من أعوام ، ومصيبة malaria هى التى تعاودهم كل عام ، إلى أن يسر الله من نصح لأهل القرية بردم المستنقع فخف المرض الجماعى ثم زال .

إن الدعوى أن المسؤول عن الضعف فى اللغة العربية هو قواعدها باطلة كل البطلان ومقدمتهم التى أرادوا البناء عليها فى تعليل الضعف مقدمة غير صحيحة ، والصحيح أن هؤلاء التلاميذ الضحايا درسوا الإنجليزية وما درسوا العربية ، درسوا الإنجليزية بالإنجليزية على أحسن أساليب وأقومه ، ولم يدرسوا العربية بالعربية ، بل بالعاميات الدارجات فى قراهم وأريافهم وبلدانهم ، لقد اختلفت المقدمتان فكيف لا تختلف النتائج ؟

يلقى الأحداث فى أول دراستهم اللغة الإنجليزية مثلا حوارا وحديثا سهلا حول كلمات يسيرة مما يستعمل يوميا بلغة سليمة ثم يتدرجون فى الصعود ، وقد حدد الزاد اليومى من الإنجليزية بدقة ورسم المنهج بإحكام بحيث يزيد محصول الطفل من المفردات والتراكيب كل يوم ، ويدرب على استعمالها فى محادثة هينة ، هذا شأنه حتى ينهى دراسته الثانوية . أما فى اللغة العربية فالأمر مختلف ، فخطوات التدريس غير متدرجة والازاد من المفردات والتراكيب غير محدد بعناية ، الطفل لا يتكلم العربية الصحيحة ، ولا يسمعها من من معلمه أو مدرسه ، أما الخطأ فعلى ما خيلت إن كانت هناك خطة ، بل أجهر بالقول - وأنا فى غاية الألم - أن الدراسة الثانوية لغتها هى العامية الدارجة حتى فى درس القواعد العربية ، والجامعات حتى أقسام اللغة العربية منها تلقى فيها أكثر المحاضرات بالعامية الدارجة وهى لغة الدرس فى الواقع وإن كان الدستور وقوانين الجامعات تنص

على أن لغتها الرسمية هي العربية ، وهذا ما سمعته كثيرا ولم أكن لأصدق له لولا أني أنا نفسي حضرت في زيارتي لأحد الأقطار العربية - وذلك في الأربعينيات - محاضرة في قاعة الدراسات العليا من قسم اللغة العربية في إحدى جامعاته ، عنوانها (الأصوليون واللغة) وهو كما يعلم المختصون من أعلى الموضوعات وأدقها ، ألقى ارتجالا دون نظام بلغة أكثرها عامى سوقى :

وفي سنة ١٩٦٣ كنت أزور جامعة طهران فسألت أحد مدرسيها الفضلاء في قسم اللغة العربية فيها عن مستوى العناية العربية عندهم فأفاد أن لهم بها عناية فائقة ، فلها ست ساعات أسبوعية في المدارس الثانوية ، لكن النجاح فيها لصعوبتها لا يوازي النجاح بالإنجليزية التي ساعاتها أقل ، فسألته عن الكتب التي يتعلم بها الطلاب فسمى لي كتبا قديمة ، بطريقة المتون المعقدة المكثفة ، وعليها شرح باللغة الفارسية ، وبطبيعة الحال يكون الحوار بالفارسية ، فعلمت أسأله عن الكتب الإنجليزية أهى مشروحة متونها بالفارسية ويتعلمونها على الطريقة التي يتعلمون بها العربية ؟ قال : لا ، هي نوع آخر ، فقلت إنكم لا تدرسون العربية ، بل تشرحون بالفارسية معنى المفردات العربية في المتن أتريدون أن يتعلم طلابكم العربية ؟ علموها كما تعلمون الإنجليزية تماما في تسلسل حلقاتها وفي الحوار بها في الدرس واحفظوا الشرح والحوار بغيرها ، فلم يجب لكن ملامح الاستنكار بدت على وجهه كأني حين نصحت بتغيير الكتب وطريقة التدريس جعلت مع الله شريكا .

إذا أردنا العافية بصدق وإخلاص ، فعلينا الإقرار بمرضنا لا نخفى من أعراضه شيئا إن ما يذكر من إخفاق التعليم العربى في أقطارنا سببه أننا ندرس بغير اللسان العربى القويم مخالفنا طبيعة الأشياء في تعليم اللغات ، ونطق الأشياء (غير) طباعها متطلب في الماء جذوة نار ، سببه أننا نمارس عملنا في غيبة من (ضمائرنا) ومن مراقبة الله في عملنا ، سببه أننا نعالج بالكينا والإسبرين ومولدات المرض ملأت من حولنا الأجواء ، فالذنب ذنبنا لا ذنب النحو والقواعد ولا ذنب الطلاب ، علينا أولا أن نردم المستنقع ، علينا ألا تشهد مدارسنا ومعاهدنا شيئا من العاميات السوقيات علينا أن نأخذ أنفسنا وأبنائنا بالفصحى السليمة السهلة الواضحة حتى في درس الرياضة وأن يكون تعلمنا اللغة العربية على أقوم الأساليب في التربية وأصول التدريس ، ولن نحتاج بعد هذا إلى النحو أو القواعد النظرية لأننا نكون قد ملكنا اللغة عمليا .

أما نقل مسائل من باب إلى باب ، واستبدال المصطلح المعقد بالمصطلح الواضح المفهوم ، وأن يجرب كل متعرض لما لا يحسن ما يظنه براعة في نقل مصطلحات من المنطق إلى النحو ، أو من نحو لغة أجنبية يترجمها إلى العربية^(١) ، أو تفريق مجتمع في باب نحو أو تجميع متفرق ثم تقديمه في مشروع أو محاولة إصلاح في باب آخر فهذا كله اشتغال في غير موضع العلة .

لقد آن لنا أن نوقن يقينا لا شك فيه بالبديهة التي سلم بها كل أصحاب الألسنة ، وهي أن اللغات تكتسب بالممارسة سماعاً ونطقاً لا بحفظ القواعد أما علة انخداع أفاضل منا فمن المسلمات في بحوث علم النفس وفي باب أساليب الدعاية خاصة ، ما للترديد والتكرار الملح من أثر حتى على أشد الناس مناعة ، وأعترف أن مكر أولئك الدعاة من أعدائنا في بث السموم مزينة متنوعة ، أحدث زيفاً حتى في نفوس من لا شك في سلامة نياتهم ، وشل الوعي في غير واحد منا من رجال العلم والأدب فاستسلمنا للتنويم فرددنا ما قال أولئك الماكرون في صعوبة القواعد العربية ، حتى أذكرونا مثلاً كان ضربه ابن المقفع في كتابه (كيلة ودمنة) أن ناسكاً اشترى عريضا ضخماً لي يجعله قرباناً ، فأتمر به قوم ليخدعوه عنه فعرض له أحدهم فقال له أيها الناسك ما هذا الكلب معك) ثم عرض له آخر فقال « إني لأظن هذا الذي عليه ثياب الناسك ليس بناسك ، فإن الناسك لا يقود الكلاب » ثم عرض له آخر فقال له : « أنت تريد الصيد بهذا الكلب ؟ » فلما قالوا له ذلك لم يشك أن الذي معه كلب وقال في نفسه (لعل الذي باعني سحرني وخدعني) فخلى عنه ، فأخذته النفر فذبحوه واقتسموه .

أفحتم علينا إذا بقي الماكرون يمكرون أن نبقي نحن إلى اليوم — ذلك الناسك المغفل ؟

أما بعد فهل على من حرج — ونحن نحتفل بالعام الخمسين لإنشاء هذا المجمع الخير — أن أعود بالذاكرة إلى عهد سلف ، عهد الصبا وكنت قريب الدار من مكتبة الملك الظاهر في شمال الجامع الأموي الكبير بدمشق ، وقبالته المدرسة العادلية الكبرى حيث أقيم المجمع العلمي أيام الملك فيصل بن الحسين رحمه الله ، وكنا فتيّة أجالس المكتبة ، نشغل أوقاتنا بالمطالعة ، ونحضر في أمسيات المجمع محاضرات عامة كانت لإقامتها من سنة المجمع منذ إنشائه حتى إلغائه سنة ١٩٣٤ ، وظللت أطلع مجلة المجمع

(١) انظر مثلاً : أنيس فريجة من الجامعة الأمريكية في بيروت ، تبسيط قواعد العربية وتبويبها على أساس منطق جديد — مطابع المرسلين اللبنانيين — جونييه . وله نشرة (هذا الصنف وهذا النحو أما لهذا الليل من آخر) والعنوان يشهر بتعصب ذمير لهذه الطائفة على العربية .

بانتظام ، حتى إذا أنشئ بالقاهرة مجمع اللغة العربية (وكان اسمه مجمع فؤاد الأول للغة العربية) ابتهجنا بالخبر أيما ابتهاج ، فلما ورد العدد الأول من مجلته تخاطفناه بيننا ، وتمت لنا بشريان : بشرى تأسيس مجمع القاهرة وبشرى صدور مجلته ، ثم صار وصول كل عدد جديد منها خبرا سارا نتناقله ، وظلت أسماء الرعيل الأول من أعضائه ملهج ألسنتنا ومدار أحاديثنا ، نتذكر بحوثهم وآراءهم ، وقد استأثرت رحمة الله بهم جميعا ، فلا أقل من وقفة خاشعة نذكرهم فيها بالخير ، ونضرع إلى الله أن يجزل لهم الثواب والكرامة .

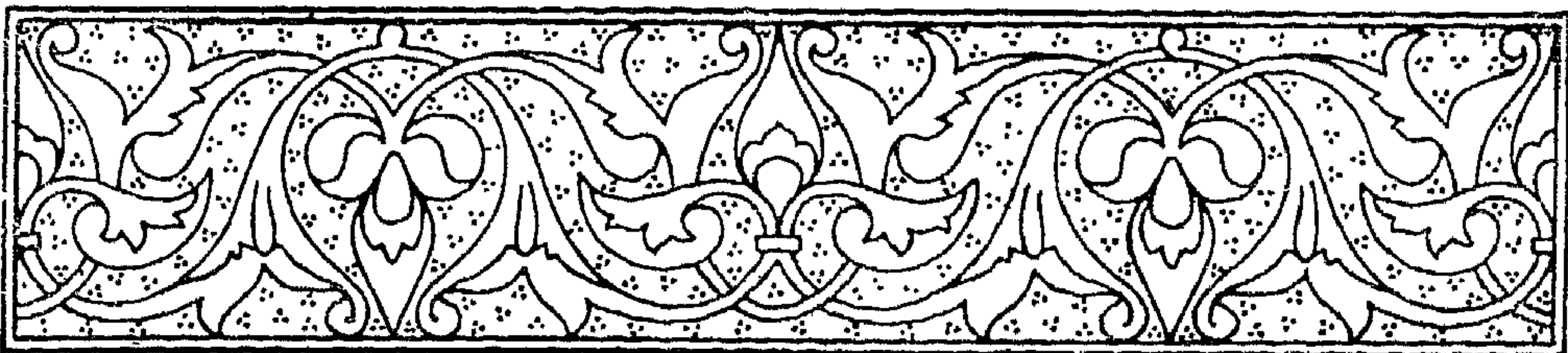
لقد صارت مجامعنا الثلاثة في دمشق وبغداد والقاهرة قلاعا للعربية ، ومن حسن حظنا أنا كنا نتابع نشاطها بغبطة وسرور ، فإذا شغل الجلاس والسمار بأخبار الحكام والسياسة وأقوال الصحف ودعاة الأحزاب عمرت مجالسنا بما كتب محمد كرد علي وشكيب أرسلان ومحمد سليم الجندى وأسعد الحكيم وعز الدين التنوخي وعبد القادر المبارك المغربي والفكرى والشهبانى بدمشق والشبيبى وطه الراوى ونعمان القاضى بالعراق وأحمد الإسكندرى ومحمد الخضر حسين وحمروش ومحمد حسين والى والعوامرى والحارم فى القاهرة ، وتذكرنا ما أجدوا من بحوث ومقالات وأوضاع ،
جمال ذى الأرض كانوا فى حياتهم لما قضوا أصبحوا للكتب والسير

أثاب الله أولئك الأعلام المناضلين عن مقوماتنا وتراثنا أفضل ما أثاب مجتهدا مصلحاعن أمته ، وأخذ بناصر من سلك طريقهم فلم يضل ولم يضل ، وأيد حاملى لواء العربية فى هذه الأيام ، أخلاف أولئك النصحة المخلصين ممن لا تأخذهم فى الحق لومة لائم ، ووفق هذه المؤسسات حتى تحقق قول الشاعر القديم :

رأيتك أمس خير بنى لوى وأنت اليوم خير منك أمس
وأنت غدا تزيد الخير ضعفا كذلك تزيد سادة عبد شمس

الاستاذ سعيد الأفغانى

عضو المجمع من دمشق



في تحية مصر للكتور إبراهيم السارحي

غلب الحنين إليك يا مصرُ فالعلم زادى منك والذكرُ
أسيلة الأمجاد معذرة أن قد تخلف عني الشعرُ
ووريثة للفن في صور أغنى على جنباتها السحرُ
صنوان شبا توأمين معا وقد استظالا : أنت والدرُ

* * *

نزلت برحبك فاقشعر سنا سود الخطوب جوائح غبرُ
وتغولتك فما ابتأست بها وعلوثها وكذلك النسرُ
وبذلت والأيام كالحة فزكا الخصب وأسلس الدرُ

* * *

أكنانة الله اسلمى ، وحمى جلى ، فكل مواطن عمرو
ولقد شقيت بكربة نزلت بالعرب ، كل بليدة مصرُ
وثارت إما جلجلت ومشت ذهياء حشو نسيجها الشرُ

* * *

يا مصرُ جئت إليك من بلد قد جال في أحشائه الضرُ
ما إن رعى الجيران حرمة وعراه مما ساء ما يعرفو
أبت الشريعة أن نسير بها غيا وملئ كياننا غمرُ
دعوى السلام أسىء محملها فكأنها في شرعة كفرُ

* * *

(*) أليت القصيدة في الجلسة الثالثة العيد الخمسينى .

يا مِصْرُ قد حمى الوطيسُ بنا هَذَا وَهَذَا اسْتَوْ قَدْ الْجَمْرُ
 فى كلِّ أَرْضٍ للعروبة ما نَشْقَى به ، وتفاقم الأمرُ
 ولقد جنحنا للسلام فما أجدى علينا مسلكُ وعُرُ
 كم قد شقينا فى حواضرنا فى غمرة وسلاحنا الصبرُ

* * *

يا مِصْرُ لَا أَخْفِيكَ أَنَّ يَدِي مِنْ نَغْمَةٍ مَانُوسَةٍ صَفْرُ
 لكنْ عَذِيرِي مِنْ جَهَابِذَةٍ أَنَّى امْرُؤٌ أَزْرَى بِي الدَّهْرُ
 وَاذْوَرَّ عَنْهُ سَحَرُ أُغْنِيَةٍ ولقد جَفَاهُ الشُّعْرُ وَالنَّشْرُ

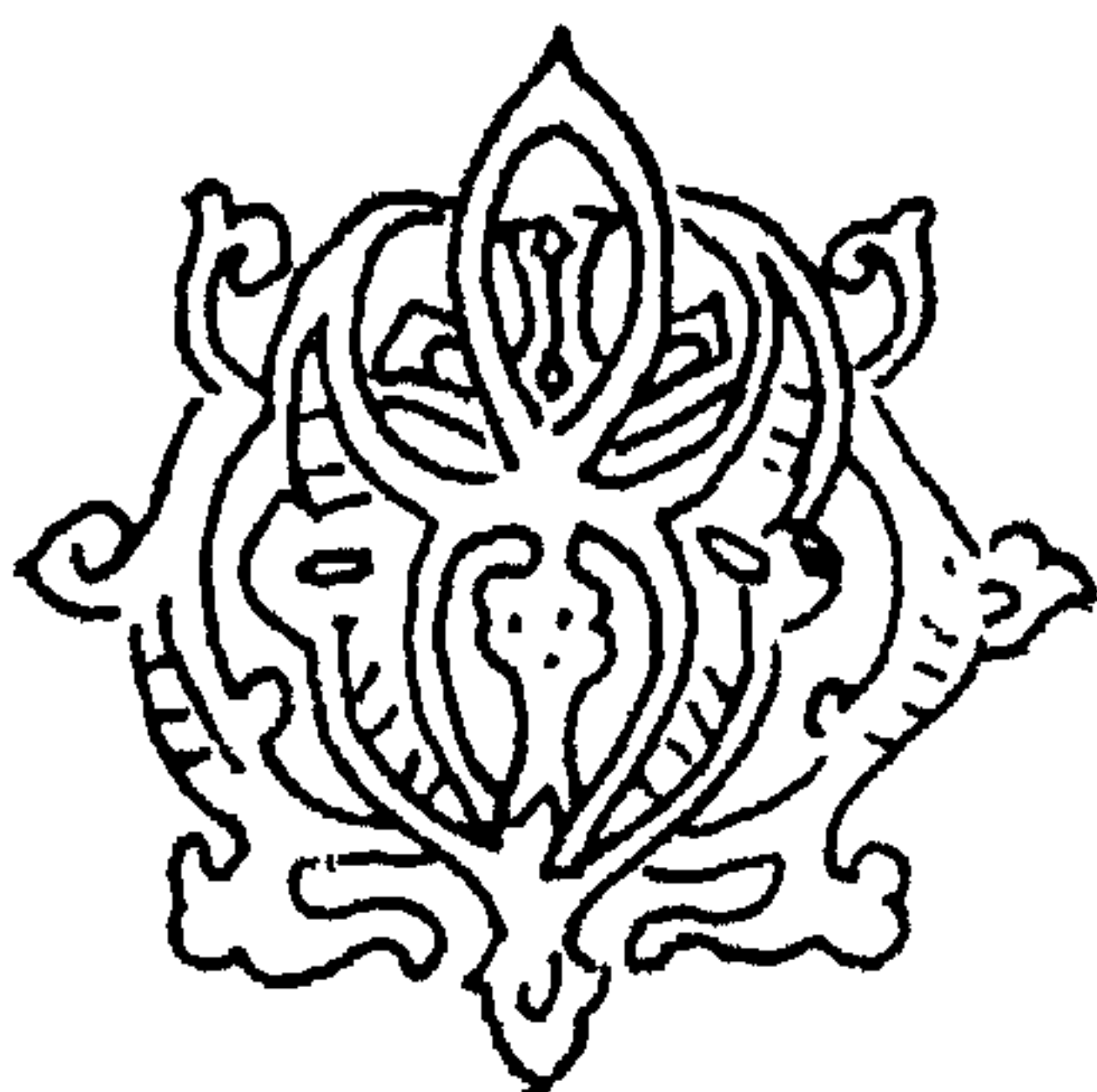
* * *

يا مِصْرُ جِئْتُ إِلَيْكَ مَعْتَذِرًا بِتَحِيَّةٍ لَوْ أَمَكْنَ الْعُذْرُ
 بِنَهْنِيكَ مِنْ جَمْعٍ غَطَّارَفَةٍ لِلْخُلْدِ مِنْ آثَارِهِمْ سِيفْرُ
 وَبِهِمْ جَلَاءُ الرِّيبِ فِي دَخَنٍ مَوْبٍ كَذَاكَ الْأَنْجُمُ الزَّهْرُ

* * *

يا مِصْرُ وَالْكَلِمُ النَّبِيلُ زَكَا فى «مجمع» جَلَّى بِهِ الْفِكْرُ
 قد هبَّ للفصحى فَجَدَّ بِهَا لَفْظُ حَكِيمٍ مُوْنِقٍ بِكْرُ
 وتلألأَ الأدبُ الرَّفِيعُ بِهِ نورًا كما يَتَنَفَّسُ الْفَجْرُ
 أَفْلِسَ لِي إِلَّا أَشِيدُ بِهِ زهواً ويملاً ماضِغِي الْفَخْرُ

الدكتور ابراهيم السامرائى
 عضو المجمع (العراق)



تأملات في الترجمة

للدكتور محمد عزيز الحبابي

اختار لجنة تنظيم هذا الاحتفال الخمسيني مباحث ، منها « الترجمة من العربية وإليها » وهو مبحث مهم جداً ، سيكتفى هذا العرض بتقديم تأملات عن الترجمة ، في المعنى التقني وفي معان أشمل .

* * *

ينكب شعب على الترجمة عندما يشعر بالحاجة إلى توسيع آفاقه المعرفية . فحركة الترجمة ، عند العرب ، لم تبدأ إلا عندما اختلطوا بثقافات جديدة لم يكن لهم عهد بها أي بعد أن اعتنقت شعوب غير عربية الإسلام وأخذت تتعلم العربية ، لغة القرآن ، وتدخل فيها مباحث ومفاهيم جديدة إذالك انطلقت تيارات كانت خميرة لما سيسمى بـ « الحضارة العربية الإسلامية » إن الدوافع إلى الترجمة كانت ملحة وقصدية : إنها حركة فرضتها ظروف تاريخية ألدعها الإسلام ودخلت المجتمع الجديد ، عنوة فرمت إلى نقل ما عند الآخرين إلى العرب . لقد كان نقلا غائيا استلزم اختياراً لما يجب ترجمته ولما يجب تجنبه . ترجمت ، عن اليونان ، كتب في المنطق والفلسفة (الحكمة) وأعرض عن الأدب (شعر ومسرح) .

إنها ترجمة انتقائية :

وحتى ما ترجم لم ينقل كما هو ، بل دخلت عليه ، أحيانا ، تأويلات ونلخص بعضه وشرح بعضه ، رغبة في الوضوح والتبسيط ، أو رغبة في التكييف حسب ما يلائم المبادئ الإسلامية . إن مثل تلك الرغبتين ، رغم ما فيهما من منافع تسيئان أحيانا إلى النصوص المترجمة .

* * *

ومما يلاحظ اليوم ، على الترجمة إلى العربية ، أنه كثيرا ما يفضل المترجم أناقة الأسلوب على الدقة ، فينحرف شيئا ما عن النص الأصلي ، حفاظاً على « فصاحة العربية » وبيانها . فمثلا ، افتن مصطفى لطفى المنفلوطي في أسلوب ترجمة « غادة الكاميليا » إلى درجة أن صيغتها العربية « ألد » منها في الصيغة الأصلية ، وهذا ما يطلق عليه ، عند المترجمين « الحميلات الخائئات في الزواج » .

ومن جهة أخرى ، إن الحرص على الدقة وهو فضيلة يدفع أحيانا إلى ترجمة حرفية تضع عبقرية إحدى اللغتين ، المنقول إليها أو المنقول منها وقد تضمحل عبقرية كليهما .

* * *

للفظ « ترجمة » معان أخرى أعم من النقل من لغة إلى لغة ، يترجم الفرد إحساساته وحسنياته شعراً أو تشكيمياً أو أنغاماً ، كما يترجم الفرد عما يشاهده ، إما لغوياً وإما بأرقام ... بيد أنه ، حتى في هذه الأحوال تقع عملية نقل من حال إلى حال مغايرة .

ولماذا « النقل » ؟

إن المعطيات تبرز أول ما تبرز في حال خام ، وتكتسب وضوحاً ودقة بفضل الانتقال من . . . إلى . . . إنه تحول يكتسبها فتصبح قابلة للتطور .

تتقوى النظريات العلمية وتزدهر عندما « تترجم » إلى أرقام أو معادلات أو رموز ، كما تبلور عواطفنا عندما تتحول شعراً أو قطعة موسيقية . إذ ذاك ترتفع الألفاظ من تسمية الخاص إلى العام ، ومن المحسوس إلى التجريد لتسمى مفاهيم وتصورات قابلة للتنظير .

تلك بداية التفلسف أو التأمل العلمي .

تتطرق الترجمة في معناها العام لنص مكتوب ، أو ظاهرة حسية ، أو شعور . . فيحول ذلك إلى شيء آخر أو حال أخرى ، دون أن يعزله عن هويته : إنه هو هو ، وفي نفس الآن ، إن هويته السابقة لم تبقى هي هي بأتم الكمال ، لقد دخلت إلى حد ما طوراً جديداً ، من حيث الشكل أو المضمون إنه طور جديد ، بيد أنه ليس الطور الوحيد فكل ما يفتح على التجدد أو التجديد مرة فيظهر قابلية على أن يتغير مرات .

لقد ترجمت بعض نصوص ويليام شيكسبير إلى العربية ، وأعاد مترجمون آخرون الترجمة ، فبدت اختلافات ملحوظة بين الترجمات إذ لكل مترجم انفعال خاص مع النص ، كما أن قوة الإدراك ، والمعرفة باللسان الإنجليزي أو بالعربية ليستا من نفس المستوى وكذلك الخبرة والمرونة تتفاوت من مترجم لآخر ، فالذاتية تتدخل أردنا أو لم نرد ، في كل ما نمارسه فنقلص أو نضيف إليه شيئاً منا ، وبما أننا نتطور بمقتضى الصيرورة التاريخية المألزمة للحياة ، يتطور معنا مجموع أفعالنا ، فانفعالات الطفولة والقدرة على العقلنة ليست هي انفعالات الكهولة وقدراتها وتجاربها ، وللمهنة تأثير على أسلوب الترجمة ومن جهة أخرى ، غالباً ما يتحرى الجامعيون الباحثون الدقة ولوينات الألفاظ والعبارات ، في حين أن المترجم العادي يكتفى بإيصال

المعنى العام ، وقد يتغلب على صعوبة بعض العبارات أو الحمل بخلفها « كم من حاجة قضيناها بتركها »

لذلك ينزع المترجمون نحو الأمانة ، ولكن الأمانة التامة صعبة المراد . لقد قيل بأن كل ترجمة ضرب من الخيانة .

* * *

صلاحية الترجمة :

إن الترجمة تمرين جد مجد في تكوين الحاسة اللسانية لدى الفرد تزداد بالعربي إتقاناً لسان الأجنبي الذي يترجم منه أو إليه ، وبالتالي ينمي معرفته بالعربية نفسها . ومن جملة مزايا الترجمة ، تكييف الأفراد على التواصل مع الآخرين . ثم إنها عنصر تخاطب الثقافات كما هي عنصر انسجام داخل نفس الثقافة بين الفنون ومختلف أصناف المعرفة .

وبالنسبة لمحبرة من العرب والمعربين والمستعربين الذين تعودوا على الإكثار من الحشو رغبة في السجع أو التفصيح بالمتزادات وعلى استعمال الغريب ، حيننا إلى الماضي وإظهاراً للاطلاع ، تعلم الترجمة الإدراك والدقة في التعبير . فالترجم إلى العربية مضطر ألا يخرج عن النص لكونه محاصراً داخل اللسان المترجم عنه فلا ينقل إلا ما هو موجود وكل إضافة تحسب عليه . إما أن يبقى حذراً وإما أن يخون النص ومن واجباته أيضاً ألا يترك النص يحرقه خارج الواقع المعطى في تجريدات حتى يغدو هو نفسه يتخبط في التجريد :

* * *

على هذا تبقى الترجمة في المعنى العام جسراً بين الثقافات ، وأداة تواصل بين الأفراد وبين الشعوب ، وتكييف للأذهان إنها محرك دينامي للتطور وللصيرورة .
وبالإضافة إلى كل ذلك للترجمة دور هام آخر : إنها تسهم في صنع تاريخ الشعوب والأمم كما تنمي تاريخية الأفراد والجماعات .

* * *

دخل الأوروبيون عصر النهضة الأولى (القرن الثاني عشر الميلاد) بعد أن مروا بمراحل خلقتها ونمتها الترجمة فتغيرت أو ضاعهم وانطلقوا في تطور حضارى من حسن إلى أحسن . وقبل الأوروبيين ، عرف العالم العربي - الإسلامى إقبالا على الترجمة ، ومالبت أن أصبح مبدعاً في شتى الميادين الحضارية .

نفس الوضع في عهد النهضة الأوروبية الثانية (القرن ١٥ والقرن ١٦) : اكتشاف جديد للآثار الفكرية الأدبية اليونانية واللاتينية عن طريق الترجمة ، نتجت عنه إنسية ورمت في تطورها ، إلى الشمول . وهذا التطور حقق الغرب حضارة التصنيع التي هيمنت على الإنسانية قرونا ، وها هي تستعد لطفرة جديدة نحو حضارة ما بعد التصنيع ، ودأما بمشاركة الترجمة الفعالة .

والملاحظة القارة التي تستخلص استنتاجا واستقراء ، هي أن كل نهضة تمر بمراحل ، ولكل مرحلة أسلوب في الترجمة بحيث إن المراحل المزدهرة يوازيها ازدهار المترجمين إنه تطور متصاعد ومتنام .

* * *

ما التطور :

كل منظومة حية تمر بمراحل انتقائية ، وأحيانا بمجرد تحركات انتقالية عشوائية بيد أن الانتقال وإن خضع لنظام ، طبقاً لقوانين ، ليس دائماً تطورا ، فقد تكون حياة ولا يحصل تطور فالتطور انتقالات حسب أنظمة موجهة أي إنها تخضع لتصميمات مسبقة ، وكل تصميم يجسد مشروعا ويرمى إلى تحقيق غاية .

العالم كله يتحرك إلا أن من بين الشعوب ما ينتقل طبقا لخطاطات تقطر السير إلى الأمام ، ومنها ما يتحرك في مكانه لا يبارحه ، أو يرجع إلى الوراء وفي كلتا الحالتين ، لا ينشأ عن ذلك إلا خلل في المسيرة . ويسمى هذا الخلل « تخلفا » أي سيرا إلى الخلف أو الدوران دون محور إنه نوع من حركات تعب ولا تنتج « جمعية ولا أرى طحنا » ومهما تضخمت الضوضاء لن « تغنى من جوع » .

* * *

يطلق « التخلف » على منظومة لا تتناسق عناصرها ، فتتحرك حول نفسها لا يقابل « التخلف » بالضرورة « التقدم » ، لأن التقدم لا يحصل إلا إذا أحكمت استراتيجية التطور قد يستجّل نمو ومع ذلك لا يتبعه تقدم على أن التقدم والتخلف كلاهما حركة تاريخية أي تطور إلى الأمام أو إلى الخلف ، فالعالم المصنع ينمو ، والعالم الثالث يتخلف وإن النمو عنصر من عناصر التطور ، وعندما تكون أمة نسياً واعيا لا استراتيجية التطور تبدأ

المراحل تتدرج والخطوات تتابع من سريعة إلى أسرع حتى تتكامل ، إذك تستثمر الأمة أكثر ما يمكن من إمكانياتها ، حسب ما تسمح به الوسائل المتوفرة .

مستقبل ما :

بفضل ذلك النسق ، وبفضل تلك الاستراتيجية ، تتبلور لدى الأمة آفاق المستقبل وتخطط لها تصميمات ، وتبنى الممشى الآنى والبعيد ، حسب قيم شمولية وبتلك القيم ، تحدد معايير السلوك الفردى وللمعاملات ذلك نوع من التقدم .

أما النوع الثانى فعبارة عن نزوع نحو نماذج حياتية لم يتم بعد تحقيقها ، فتعمل الأمة على الاقتراب منها ، تدريجيا .

* * *

الترجمة والازمات :

من الملاحظ أن حضارة التصنيع ، منذ أن بدأت تهمل التفتح على ثقافات البلدان غير المصنعة ، لا تترجم منها لتتعرف عليها بل أخذت تحتقر كل ما هو ثالثى ، باستثناء ما بالعالم الثالث من مواد خام تستغل اقتصاديا منذ ذلك ودخل الغرب عصر تنامى الأزمات المختلفة والصراعات الداخلية والخارجية .

نعم يعيش اليوم الغرب فى تقدم رائع علميا وتقنيا ، بيد أنه افتقد التقدم الخلقى والاطمئنان النفسى ، والمتعة الوجدانية (راحة البال وراحة الضمير) إنه تقدم ما دام هناك تطور به يسير الغربيون إلى الأمام الا أنه تقدم مهزوز ، مسيرة بدون مقاصد . وسبلها بلا معالم لقد باغت الحياة عتبة التيه فى متاهات اللا - معنى والاستهتار. رمى التصنيع أول مارمى ، إلى ترقية الإنسان ثم بات معاديا للإنسانية ، لا يترجم آمالها ولا يخفف من آلامها لقد فتحت كل الأبواب أمام « مارس » إله الحرب ، وسخرت له رؤوس الأموال ومخاخ الرؤوس المفكرة ، فحازت أسلحة الدمار على قصب السبق فى الرواج ، بالنسبة لبقية البضائع ، واستحوذت على اهتمام رؤساء الدول ، كبيرها وصغيرها . إنه تخلف جهنمى شامل وشمولى ، أن تقضى عليه إلا قوات متجددة تتجه بعزم ، لترجم الحاجات الإنسانية وآلامها بالتساوى . إذك تقرب وتلين القلوب وتسخى وتتعاون الحيوب .

أمام هذا المشروع الأمل يقف عائق عنيد : إن الدول القوية وأذيالها من « برامكة » الدول الضعيفة ، يترجمون على ذواتهم من مرآة السلطة ومركب الكمال ، فيكون أفكار

مسبقة ونظريات قبلية ، إنهم يحتقرون غيرهم ويزرعون بذور مركب النقص ، ويرعون نمو الاستلاب والشعور بالدونية عند الضعفاء .

هل من مخرج ؟

تلك استراتيجية استغلال واستعمار ترى إلى اصطدام بين أنماط الزمان ليتعكر سير التاريخ ولتعرض الذاكرة الجماعية إلى ثقب تصيب الشخصية بخلل ، فلا تبقى وسيلة للتمييز بين ماض وحاضر ومستقبل :

إن الماضي زمن الذاكرة والتذكر حيث تدخر المشاهدات والإحساسات لتبرز عند الحاجة ، مترجمة في ذكريات ، وترسم على شاشة الحاضر وما الحاضر ؟ إنه زمان تداعى المعانى ، والنش عما علق بالذاكرة مع التوق إلى ما سيكون . أما المستقبل فزمن المغامرات والتخوفات التي تترجم في تصميمات تحي في توتر الحال إلى ماسيأتى ، وقد لا يأتى .

وبتعاون الأنماط الزمانية الثلاثة يُترجم نمط رابع ، هو زمان الآمال الذي ينشط الحاضر ويحرّضه على الحركة والمغامرات.

يدخل مركب النقص عطبا على ذلك التعاون فمن الأفراد من ينكر وجود ذلك النمط الرابع باسم الواقعية والموضوعية ، ومنهم من يرفضونه لأنهم لا يقدرّون على تصوّره وترجمته موضعيا ، فى الواقع .

لكن أسأل أولئك القوم ؟ هل الماضى واقع ؟ لقد « مضى » ودخل عالم التخيل إنه موضوع ما أصبح فى « خبر كان » وعندما يساند التذكر التخيل ، يأتى خليط من الذكريات ، كما كانت وكما اصطنعها الحاضر .

والحاضر ، كيف يحكم على واقعه وموضوعيته وهو ما زال لم يستقر له قرار ، لم ينته

لتعرف كل أبعاده؟ إن الحاضر نمط بين نمطين ، فلاهو ماض تم وانتهى ، ولاهو مستقبل بدأ

والمستقبل ليس أكثر كثافة من الحاضر. فكيف التحدث عن واقع ما لم يحل بعد ؟

وبالنسبة للنمط الرابع إن واقعه مغلق ، لأن الآمال هى كذلك فى وضع بين بين : قد تتحقق ، وقد لا تتحقق إنه زمن يترجم عن رغبات وقاما تتوفر لأية رغبة كل الإمكانيات الضرورية لتحقيقها :

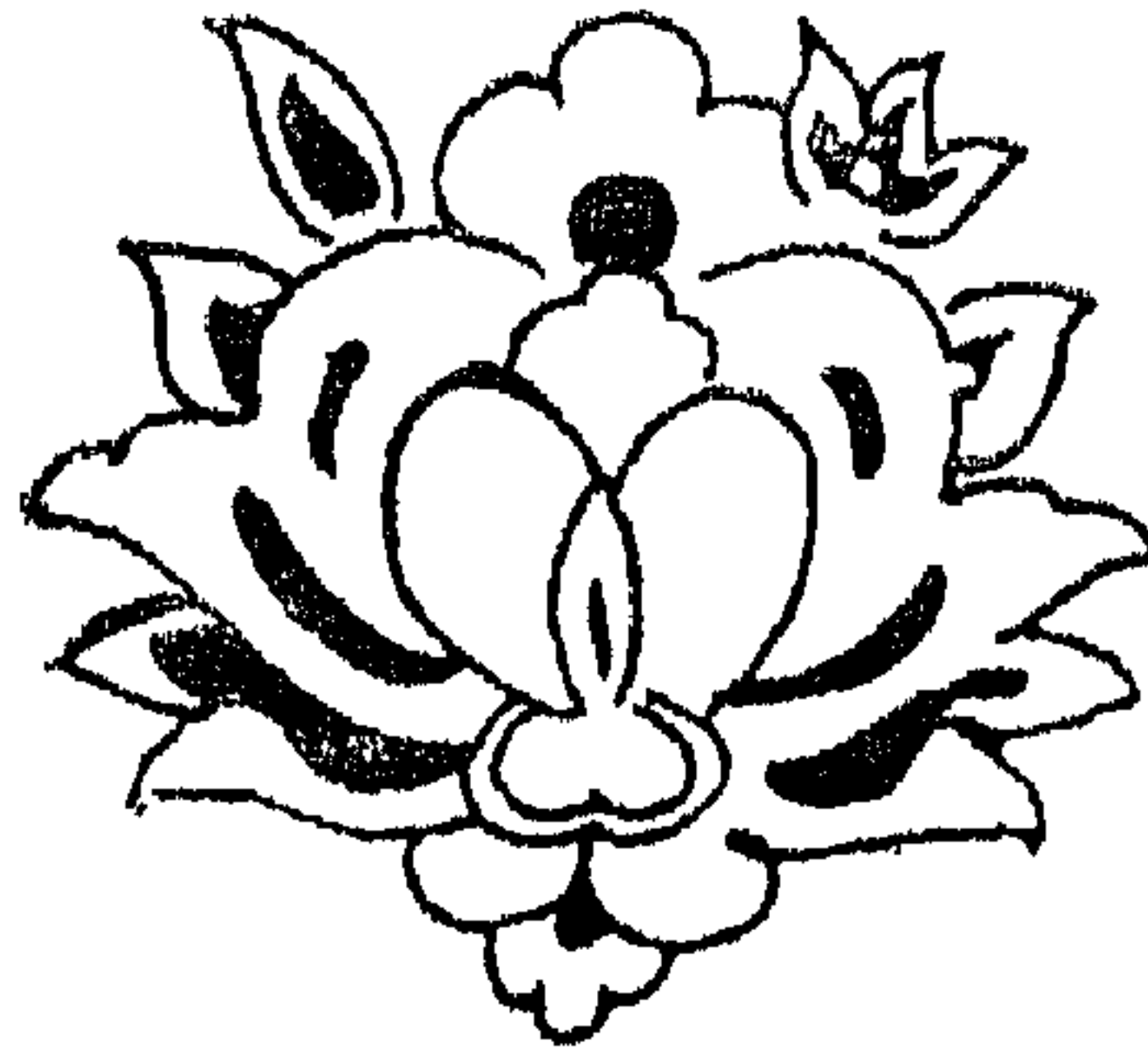
أفما آن للثالثين أن يترجموا عن أنفسهم فيتطورون وبتطورهم يطورون رؤية الآخرين عنهم ؟

أفما آن أن يتجرؤوا فيقوموا بقطيعة جذرية مع حضارة التصنيع التي همشتهم وجمدتهم في مواقف التخلف واليأس ؟

إن قطيعة من هذا الحرم لكفيلة بأن تنقذهم من الهوان ، وتعيدهم إلى صف البشر فيلجوا عهد المغامرات من أجل وعى الذات والصراع المصيري لاستعادة الكرامة الفردية والتاريخية .

ذاك هو الشرط الأساسي لترجمة الواقع ترجمة واعية والتصرف فيه بموضوعية فبدون تلك القطيعة ، لا نرى سبيلا جديا للخروج من الروى الخرافية التي أعمت وصمت الثالثين عن ترجمة الواقع وعن الالتزام بضرورة التغيير :

الدكتور محمد عزيز الحبابي
عضو المجمع من المغرب



بعض خصائص لغة المخاطبة بين اللغة الفصحى واللهجات في العالم العربي للكاتب جرجري سريانوف (*)

نات الدراسات العلمية للهجات العربية من أهم اتجاهات مجمع اللغة العربية باعتبارها مصدراً قيماً لدراسة تاريخ اللغة والفولكلور والوضع اللغوي الحاضر. وقد أشار السيد وزير التعليم والبحث العلمي في كلمته إلى ضرورة دراسة اللهجات. يشير علماء اللغة عادةً في دراساتهم العربية إلى النموذج الشنائي أو الطراز الشنائي للغة العربية أي يشيرون إلى الشكليين لكيانها وهما اللغة العربية الفصحى واللهجات العربية.

وفي سير التطور التاريخي والاجتماعي للبلدان العربية منذ مطلع القرن العشرين تجلت نزعة ملموسة إلى التقارب والتعامل والتأثر بين اللغة الفصحى واللهجات، وشاهدنا أنه في النصف الثاني من هذا القرن تنشطت أكثر فأكثر عمليات نشأة وتكون لغة المخاطبة أو لغات المخاطبة. والفضل الكبير في هذه العمليات يعود إلى السينما والمسرح، ووسائل الإعلام العصرية كالراديو والتليفزيون والصحافة والأدب الفني نشرًا وشعرًا، كما يعود هذا الفضل إلى توسيع شبكة المدارس وحركة محو الأمية إن تطور الخصائص التكوينية والوظائفية والأسلوبية للغة العربية في المرحلة الحاضرة يبرهن نشأة الطراز الثلاثي للغة: الفصحى واللهجة ولغة المخاطبة، وفي هذا التصنيف اللغوي الوظائف يبرز موقعان مقتطبان تحتل أحدهما اللغة الفصحى وتحتل ثانيهما لهجة عربية بأضيق معنى لغوي وأدقها (نقصد لهجة قرية أو قبيلة).

(*) ألقى البحث في الجلسة الرابعة للبيد الحسيني للمجمع.

وتقع بينهما، أى بين الفصحى ولهجة محلية ، تقع لغة المخاطبة الإقليمية أو لغات
المخاطبة الإقليمية للأقطار العربية .

وتمتلك اللغة العربية الفصحى بكثرة الأساليب الكتابية وتستعمل فى أغلب
أحيان فى لغة الكتابة ومع ذلك التطبيق الشفاهى للغة الفصحى مقصور ومحدد
بمجالات الحياة الرسمية .

أما لغة المخاطبة لكل بلد عربى- هى وسيلة أساسية لاتصال السكان الشفاهى
فى حياتهم اليومية (فى البيت ، فى السوق ، فى الشارع) - يسمى هذا الشكل
اللغوى فى بعض الدرامات العربية لغة ثالثة أو وسطية ، أو وسطى تارة ولغة
عامية لهجوية-أولغة نصف الأدبية ، لغة المخاطبة الشعبية، لغة محكية تارة أخرى .
ولغة المخاطبة ، فى رأينا لها عدة مستويات :

أولاً: لغة المخاطبة لمدينة وهى تتكون فى سير تطور ثقافة المدن العربية نتيجة
التعامل النشط بين مختلف التيارات اللهجوية ، التى تستوعبها لغة المخاطبة وترتفع
فوقها ، مثلما نرى فى لغة المخاطبة لأهلى الموصل والبصرة فى العراق ، أو فى حلب
وحمص واللاذقية فى سورية .

ثانياً: لغة المخاطبة لمحافظة أو إقليم وهى منتشرة فى أرض واسعة متلاحقة لعدة
أماكن (من مدن وقرى) مثل لغة سكان الصعيد ، الوجه القبلى كافة جنوب مصر .

ثالثاً: لغة المخاطبة للعاصمة التى تكونت على أساس اللهجة القديمة للعاصمة مع
اجتذاب عناصر لهجات ضواحي العاصمة مثل لغة المخاطبة لأهالى القاهرة وبغداد
ودمشق والخرطوم ، أو تشكلت من جراء السيلان العاصف للجماهير الغفيرة والبدو
إلى العاصمة مثل لغة المخاطبة فى نواكشوط بموريتانيا وطرابلس بليبيا .

رابعاً : لغة المخاطبة العامة لكافة شعب بلد ما : وهى تستند على لغة العاصمة مع التفاعل الوثيق مع لغات المخاطبة الإقليمية واللهجات الريفية والبدوية .

هذا ما يتعلق بمكانة لغة المخاطبة .

أما فيما يختص بالتكوين اللغوى فيمكننا أن نرى بجلاء ووضوح أن لغة المخاطبة من حيث التكوين مبدئياً شبيهة اللهجة المحلية لأن لغة المخاطبة - شأنها شأن اللهجة - اكتسبت النظام التحليلي analitical system فقدت الإعراب ووفقاً لهذه العلامة اللغوية النموذجية (tipological) هى (أى لغة المخاطبة) تخالف اللغة الفصحى التى تتمسك بثبات بنظامها التركيبى . (Synthetic System)

وماذا نقصد بالنظام التحليلي والنظام التركيبى فى اللغة العربية ؟

مثلاً : فى مسرحية الهاوية لمحمد تيمور : يقول أحد أبطال المسرحية عن مِروحة زوجته بهذا الشكل : المِروحة بتاعة الست بتاعى .

وهنا استعملت الكلمات الإضافية لتوضيح علاقات الكلمات فى الجملة . نأخذ مثلاً آخر نقول باللغة الفصحى : خرجتُ من البيت ورأيتُ رجلاً يغنى قرب الباب (رأيتُ رجلاً) فيقولون فى مصر فى هذه المناسبة : شُفْتُ واحد راجل ، فى العراق وبعض بلاد الخليج : مشِفْتُ فِدْ رجال ، فى الجزائر : حالرجال (من واحد الرجال) .

أما مفردات لغة المخاطبة فلها طابع عام جامع باستثناء ألفاظ ضيقة الاستعمال خاصة للهجة محلية فقط . وتُصبح مفردات لغة المخاطبة للمدينة أكثر ثراءً وتنوعاً من مفردات لهجة محلية لأنها (أى لغة المخاطبة) ضمت إليها عدداً لا يستهان من الألفاظ والتعابير الفصيحة (بما فيها المصطلحات الاجتماعية السياسية والفنية العلمية) كما استوعبت بالكثرة مقتبسات حديثة من اللغات الأوروبية المعاصرة .

إننا نلاحظ كذلك بين لغات المخاطبة فى المدن من جهة ، واللهجات الريفية

من جهة أخرى - فروقاً تكوينية ملحوسة في الأصوات والنحو والصرف ، والجدير بالذكر أن مفردات لغة المخاطبة في المدن العربية الكبيرة عبارة عن مجموعة متقاربة متلاحمة بمزاياها العامة عن لهجات الريف والبدو. فقام بعض المستشرقين في السنوات الأخيرة بالدراسات المقارنة لمفردات لغة المخاطبة بالمدن السورية واللبنانية وبعض المدن العربية الكبيرة (القاهرة ، وبغداد ، وجدة ، والدار البيضاء) . واتضح من هذه الدراسات مثلاً أن درجة قرابة المفردات السورية اللبنانية للمفردات الفصيحة عالية وتبلغ ٩١٪ ، كما تبلغ نسبتها المشتركة مع مفردات المدن المشرقية بصورة عامة ٨٤٪ ، وتتدنى هذه النسبة المشتركة مع ألفاظ المدن المغربية إلى ٧٨٪ .

ونلاحظ اختلافات ملحوسة في لغة المخاطبة حتى بين مفردات المدن في بلد واحد ، ونرى مثلاً كيف تختلف الألفاظ في بور سعيد من المترادفات المستعملة في القاهرة :

بور سعيد : (١) بازار (٢) تنورة (٣) بلحان (٤) ألس
القاهرة : (١) سوء (٢) كؤمبيليزون (٣) لوكس (٤) إثرياً
كؤنبينيزون

ونجد في مختلف المدن الجزائرية مثلاً المترادفات التالية بمعنى (أرجوحة)
جعلواه ، جوجليله ، تعليله ، دويغه ، محلحله ، حليره ، جليسه ، متينسه ، تينسه
ونود فيما يلي أن نقدم نتائج بعض بحوثنا الميدانية في البلدان العربية وذلك
مايشير إلى الفرق الكبير في المفردات بين لغة المخاطبة في القاهرة ولهجات
الفلاحين في قرى الدلتا والوجه البحري عامة ، وكذلك بين المفردات في لغة أهالي
بيروت ولهجة قرية صوانه الواقعة في جنوب لبنان على بعد ١١٠ كيلومترات
من بيروت .

القاهرة	—	الدلتا
سُلْطَانِيَّة		تُبْسِيَّة
فَتَّة		تَسْمِيَّة
طَبَقْ		صَحْن
بَطَّة		بَحَّة
بَيْت (مدام في لغة المثقفين)		جماعة
بَيْتْ		دار

* * *

بيروت	—	قرية صوانه
هَلَّا (الآن)		إِسْه لِسِي
بَنْطَلُونْ		شَنْتِنِي
كَالِيْسَتْ (جوزب)		أَلِيْسِينْ
شَمْحَاطَه (علبة)		كَبْرِيْتِي

ثم هناك عامل اجتماعي من نوع آخر يجب أخذه بعين الاعتبار ، نقتصد درجة ثقافة المتكلم وعمق معرفته للغة الفصحى وهذا ما يلعب دوراً لا بأس به في اختيار المفردات والتراكيب المرادفة في الحوار بلغة المخاطبة اليومية ، وبالتالي يؤدي إلى تأثير لغة المثقفين (الغنية بالألفاظ الفصيحة) في لغة المخاطبة العامة عند أهالي المدن ورفع مستواها وتقريبها إلى الفصحى. قد يستعمل العربي المثقف. المتعلم في حديثه اليومي مفردات خاصة أكثر تقارباً للفصحى تتميز بخصائصها الصوتية وصيغتها النحوية ومعانيها اللفظية. ونسرد فيما يلي بعض المفردات للغة المخاطبة العامة في القاهرة ودمشق وما يرادفها من المفردات المترادفات في لغة المثقفين مع الإشارة إلى الفروق بينها على مختلف المستويات اللغوية .

أولاً : الفروق في الأصوات

دمشق		القاهرة	
لغة المثقفين	لغة المدينة عامة	لغة المثقفين	لغة المدينة عامة
مَسْمَلًا	مَتَلَّا	ثَوْرَه	سَوْرَه
ضَابِط.	ضَابِط.	تليفزيون	تليفزيون
كِرْبُ	كِدْبُ	كِدْبُ ، كِرْبُ	كِدْبُ ، كِرْبُ
مُمْكِنُ	مِمَكِنُ	استقبال	استشبال

ثانياً : الفروق في الصيغ الصرفية

دمشق		القاهرة	
لغة المثقفين	لغة المدينة عامة	لغة المثقفين	لغة المدينة عامة
حَرْفِيَا	حَرْفِ حَرْفِ	حَرْفِيَا	بِالْحَرْفِ
بِيسْتَعْمَلْ	بِيسْتَعْمَلُوْ	بِيسْتَعْمَلْ	بِيسْتَعْمَلُوْه
تَحْرُنْ	تَحْمِرِنْ	أَزَلْ ، أَذَلْ	زَلْ

ثالثاً : الفروق في التراكييب النحوية

دمشق		القاهرة	
لغة المثقفين	لغة المدينة عامة	لغة المثقفين	لغة المدينة عامة
كِبَارِ الضُّبَّاطِ.	ضِبَّاطِ. اكِبَارِ	كِبَارِ الضُّبَّاطِ.	ضِبَّاطِ. كُبَّارِ
لِبْنَانِي الْأَصْلُ	أَصْلُهُ لِبْنَانِي	ضَيْقُ الْأَفُقْ	عَالُهُ ضَيْقًا
بَدَتْ الْحَرْبُ	بَدَى الْحَرْبُ	بَدُونُ شَكِّ	مَفْيِشْ شَكِّ

رابعاً : الفروق في الألفاظ المترادفة

دمشق		القاهرة	
لغة المثقفين	لغة المدينة عامة	لغة المثقفين	لغة المدينة عامة
تَوْقِيع	إِمَضًا	تَوْقِيع	إِمَضًا
مُبَاشَرَةٌ	دِغْرِي	مُبَاشَرَةٌ	على طُول
دَائِمًا	عَلَى طُول	بِسِيَّان	زَيَّ بَعْضُهُ
دَخَلَ	فَاتَ	صَدِيقُ	صَاحِبُ
حَوَّلَ	جَرَّبَ	القَاهِرَة	مَضَر
يَوْمًا مَا	شَيْ يَوْمَ	رُوجُ	أَحْمَر شَفَايِفْ

ومن حيث الخصائص الوظيفية والأسلوبية تختلف لغة المخاطبة عن الفصحى ببعض العلامات الجوهرية :

أولاً : لكونها لغة للحوار اليومي الشفاهي ، هي تستخدم بعض مجالات الحياة الرسمية وكذلك في الكتابة وإن كان النطاق محدوداً في المسرحيات . والشعر الشعبي ، السينما ، في بعض برامج الإذاعة ، في الأغاني . . . إلخ .

ثانياً : لغة المخاطبة اليومية - خلافاً للهجات - غير محددة ومقصورة في مساحة استعمالها لأنها تفهم وتقال في أراضي البلد كلها .

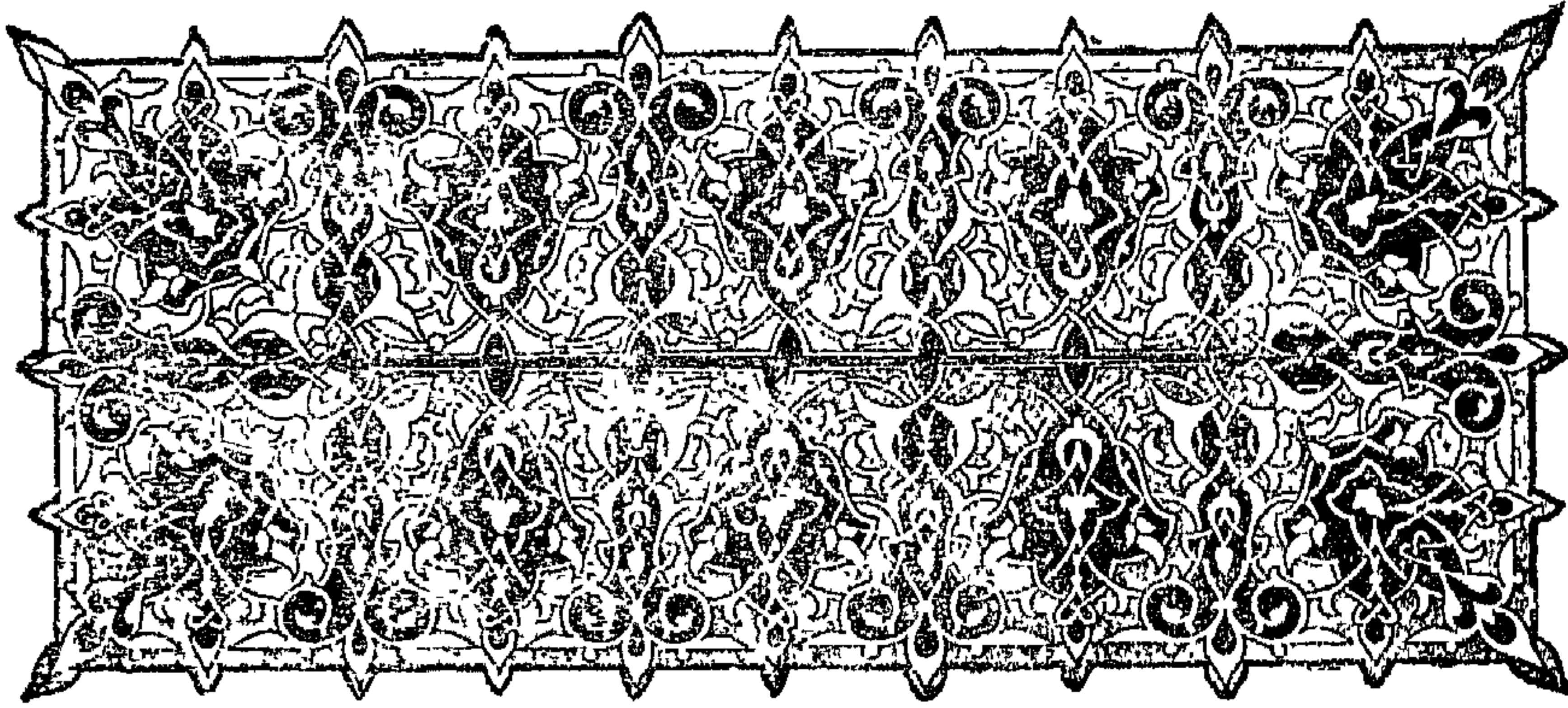
ثالثاً : يلجأ إلى لغة المخاطبة في الحوار اليومي في المدن كل من يعرف الفصحى ومن لا يعرفها .

أيها الزملاء الأجلاء : باهتمامنا بدراسات اللهجات العربية ولغة المخاطبة اليومية لسنا من دعاة اللهجات ، إنما نحن أنصار اللغة العربية الفصحى . ولهذا السبب لا يجب إهمال الواقع اللغوي الاجتماعي لكي تحتل اللغة العربية الفصحى مكانتها في كل عائلة عربية وكل مدرسة وجامعة عربية .

تستحق هذه اللغة - اللغة العربية الساحرة الخالدة - كل العناية والرعاية ، نسمعها كل يوم ونستمع بها ، وهي الحسناء الجميلة ، وتقول للقمر : قم وأنا أقعد مطرحك ، وقد شغلت محل القمر والنجوم وأصبحت نجمة كبرى في سماء العروبة بارق الأمل ، وتتألاً لأولوة الرجاء وتنير طريقنا كشمس ساطعة ترسل إلينا أشعة الانبعاث والازدهار للعلم والحياه .

الدكتور جريجورى شرباتوف

عضو المجمع من روسيا



تهنئة مجمع للغة العربية في عيد الخمسين للاستاذ حسن عبد القاشي

كُلُّ يَوْمٍ آيَةٌ لِلنَّاطِرِينَ لَكَ تَجَلَّى يَا عَرِينَا الْخَالِدِينَ !
قِفْ هُنَا فَالْخَيْرُ ثَرٌّ كَالْحَيَا حِينَ يَسْقَى الرَّوْضَ بِالمَاءِ الْمَعِينِ
قِفْ هُنَا تَخْتَلِجُ الرُّوحَ هَوًى فَرَحَةً يَبْعَثُهَا النَّصْرُ الْمُبِينِ
مَجْمَعُ الْفُضْحَى أَفْدِيكَ فِكْمَ لَكَ فِي الْخَافِقِ مِنْ مَأْوَى مَكِينِ
هِيَ خَمْسُونَ ، وَلَكِنْ رِيْعُهَا بِالسَّنَاءِ السَّاطِعِ قَدْ أَعَشَى الْقُرُونِ
هِيَ خَمْسُونَ ، وَلَكِنْ فَيْضُهَا أَخْصَبَ الْفُضْحَى بِمَا أَثْرَى الْمِثْنِ !
لُغَةُ الْقُرْآنِ مَا أَعْظَمَهَا خَيْرٌ مَدْخُورٌ لِلدُّنْيَا وَلِلدِينِ
صَنَتَهَا عَنْ عِبْثِ فَارْتَفَعَتْ فِي الدُّنْيَا عَنْ كَيْدِ كُلِّ الْكَائِدِينَ
وَتَبَدَّتْ كَعُرُوسٍ تَاجُهَا خَيْرٌ تَاجِ ضَاءٍ فِي أَسْنَى جَبِينِ
أَوْزَقَتْ بَعْدَ ذُبُولٍ وَزَهَتْ كَمَرَايَا عَكَسَتْ مَجْدَ السُّنِينِ !

* * *

إِيَّاهُ حِصْنَ الضَّادِ ، كَمْ أَثْرِيَتْهَا بَ (اصْطِلَاحٌ وَ اشْتِقَاقٌ) كُلِّ حِينِ
تَحْصِدُ اللَّوْلُوَ مِنْ مَكْمَلِهِ وَتَنْقِي جَوْهَرَ الْكَنْزِ الدَّفِينِ
فَإِذَا الدَّرُّ نَسِيقَ رَائِعٍ كَرَحِيقِ سَائِغٍ لِلشَّارِبِينَ

* * *

قُرْنَاءَ الْفَضْلِ مَرَحَى فِي الْعُلَى يَقْتَدِي خَيْرَ قَرِينٍ بِالْقَرِينِ
شَهِدَ التَّارِيخُ وَالْدُّنْيَا لَكُمْ مَوْقِفًا أَحْيَا ثَرَاثَ النَّاهِيْنَ
مَعْجَزَاتٍ بَهَرَتْ كُلَّ النَّهْيِ صِنْعَةُ الْمُسْتَبْسِلِينَ الطَّامِحِينَ
رُبَّ سَامِي الْفِكْرِ مِنْكُمْ كَمْ شَرَى لَفْظَةً مُثْلِي بِتَقْرِيحِ الْجَفُونِ
(سَيَبُويَه) الْفَدُّ كَمْ حَلَّ هُنَا وَ (ابْن سِينَا) عِبْقَرِي الْبَاحِثِينَ
وَ (كِسَائِي) كَسَا الْعِلْمَ جَدَى وَ (خَلِيلٍ) هُوَ فَخْرُ النَّابِغِينَ
مَا بَنَى هَيْثُمُ بِفَضْلٍ بَاذَخَ لَا يُبَاهِي فِي الدُّنْيَا غَيْرَ ضَنِينِ
فَقُصَّارَاكُمْ رَضَا اللَّهُ الَّذِي حُبُّهُ يَعْمُرُ قَلْبَ الْمُؤْمِنِينَ !

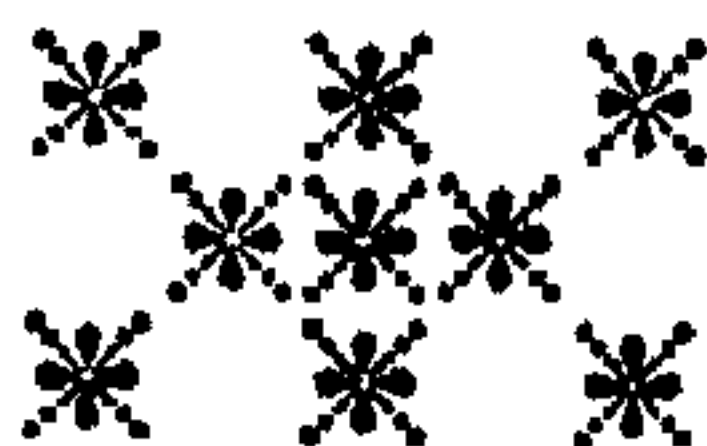
* * *

وَبِنَاءٍ قَدْ غَدَا أُعْجُوبَةً أَخْضَعَ الْمَالُ لَهُ كُلَّ قَوْمِينَ
سُخَّرَ لَهُ الْفَنُّ وَاحْتَشَدَتْ آيَةُ الْبِعْمَارَةِ الْجُهْدُ الصَّانِعِينَ
حَضَنَ الْفِكْرَ مِثَالِيًّا وَمَا أَرُوْعَ الْبِذْلِ لِفِكْرٍ النَّابِغِينَ
فَهُوَ مَثْوًى أَنْسَرٍ أَوْ شُهْبٍ وَعَرِينٌ لِلنَّهْيِ خَيْرُ عَرِينٍ !

* * *

قَادَةَ الْفُصْحَى سَلَامًا فِيكُمْ عَبَقُ الطَّيِّبِ ، وَنِبْرَاسُ الْيَقِينِ
سَوْفَ تُجْزَوْنَ مِنَ الْمَوْلَى عَلَى مَا بَدَلْتُمْ رُوحَ جَنَاتٍ وَعَيْنٍ !

حَسَنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيُّ
عَضُو الْمَجْمَعِ مِنَ السَّعُودِيَّةِ



العامية ونفصحي في القاهرة والرباط (*)

للاستاذ عبد العزيز بن عبد الله

في

هذا الجمع الحافل نحى بكل اعتزاز وإكبار اليوبيل الذهبي لظهور مجمعنا الموقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة كمجمع رائد أخذ على نفسه منذ اللحظة الأولى إمداد

العروبة بالرصيد الأصيل للغة الضاد لغة العلم والحضارة والتكنولوجيا وقد وُفي في شمولية نادرة وعمق وبعد كبيرين، بهذا الوعد الخطير مما جعل منه المنتدى العروبي الوالد الذي برهن بمنجزاته الرائعة عبر خمسة عقود من السنين على أن لغة القرآن كانت ولا تزال منبع الكلمة الرصينة الجزلة الطيعة ذات المحتوى العلمي والحضاري الدقيق .

وقد كان لإبداعات مجمعنا - الذي يضم في رحابه العامرة أقطاب الفكر وجهابذة العلم من أبناء الوطن العربي - القول الفصل في سيولة الكلمة وشيوعها فهنيئاً لمجمعنا بعيدة الذهبي وهنيئاً للعروبة بهذا الكيان الذي تنضوى تحت رايته معتزة فخوراً .

أما البحث الذي اخترناه لهذه المناسبة الفذة فهو موضوع نال من رعاية مجمعنا الحظ الأوفر وسيكون إسهامنا فيه متواضعاً يستمد أصالته وبعده من المنهج البناء الذي ركز أسيسته مجمع اللغة العربية في مئات الدراسات والبحوث التي أبدعها أعضاؤه الموقرون من مختلف أنحاء العروبة .

العامية هي ما يسميه الجاحظ بلغة المولدين والبلديين (البيان والتبيين ج 1 ص 111) وقد لاحظ أن في كل مدينة ألسنة ذلقة غير أن اللحن كان فاشياً في العوام (ص 111) .

وقد تحدث أحمد أمين عن العامية في القرن الرابع ، فقال : « إن اللغة العامية أصبح معترفاً بها يبحث في ألفاظها وأساليبها وينتقى منها خيرها إلا بعض علماء كآبي العلاء المعري (ظهر الإسلام ج 2 ص 100) :

(*) القاهرة أسست في القرن الرابع الهجري والرباط في القرن السادس .

وأغلب الأصول والقواعد الأساسية مشتركة بين الفصحى والعامية حتى ما يتصل بالقلب والإبدال والتسهيل والترخيم والنحت وغير ذلك . وتمتاز العامية بمظاهر بسيطة تجعلها في بعض الأحيان أكثر إيغالا في القلب والتسهيل .

ولهذه الوحدة الأصلية أمثلة لا تنفرد بها العامية في قطر عربي دون آخر بل تمس اللهجات الدارجة في معظم أجزاء العالم العربي ، فمن مجالى التخفيف في اللسان الفصيح والتي أثرت في ألسنة العامة وجود مترادفات يختلف بعضها عن بعض بإضافة حرف واحد وقد اختار الدهماء لتخاطبهم اليومى أخفها نطقا وإن كان أكثرها أحرفا مما يؤكد أن عقلية العامة لا تنحرف عادة عن الأصل إلا إذا لم تجد في صيغته ما يتفق وطبيعتها الميالة إلى التسهيل .

وتوجد في مجمع اللغة العربية بالقاهرة لجنة للهجات من أهدافها استقرار الألفاظ والتراكيب الجارية على ألسنة أهل الأقطار العربية من الناحية الصوتية ومن ناحية المعنى وتدوين هذا في معاجم وأطالس لغوية وقد اتخذت اللجنة لهجة القاهرة مقبasa وترتكز اللجنة في هذا البحث على تنقل القبائل لما له من أثر كبير في لهجات الأقاليم وتطورها واختلافها (مجلة المجمع جزء 7) .

وهناك مترادفات يختلف ترتيب حروفها مثل جبذ وجذب (جبذ) وخر بش وخرشب العمل أى لم يتقنه :

أما النحت فأمثله كثيرة : ويلمه وهى منحوتة من أصلها (ويل لأمه)

صبَّحه أى قال له صباح الخير .

مساءه : قال له مساء الخير :

تويِّل : قال يا ويلي :

فَسَقَمَه : قال له يافاسق .

ما شا الله (ما شاء الله) — ما طيبو (ما أطيبه) — مَحَلَّاه (ما أحلاه) الخ .

ومن أمثلة الإتياع أو الإبدال بنفس المعنى :

العُجْجَر والبُجْجَر — حَيَّيْصَ بَيَّيْصَ — هين لين (سهل) — هش بشَّش (مسرور) —

الكوع والبوع (كعو وبعو) — الجوع والنوع — شيطان لَيَّطَان — حَسَنَ بَسَنَ الخ .

وهناك مئات الكلمات تحكى الأصوات أو الحركات وتتحد فيها اللهجتان .

أما الصيغ فكثيرا ما تتخذ نفس الوزن في العامية والفصحى للتدليل على نفس المدركات كالمبالغة والتفضيل والبقية والسقطة والتظاهر والتشبيه أو التشبه والوصف مثل كثر (مكنوز) وعلاج (دواء) ووقف (موقوف) وغصب (مغصوب) وتفاقر (أظهر الفقر) وتباكى وتحامق وتجاهل وتماوت وتناعس وتشيطان وتفحل وتفرعن وتفرنج وتمدن وتوحش وبخل وجهل وسفه وضعف وفسق وغلط وكفر وأحمق (أى موصوف بالحمق) وأبله وأعمى .

ويجمع المذكر في اللسانين بإضافة تاء مربوطة إلى المفرد مثل : حمارة (أصحاب الحمير) وخيالة ورحالة وعسالة (أصحاب العسل) وتشترك الفصحى والعامية في الاشتقاق المنطقي من ألفاظ ذات معنى حسي مجرد كالحمام (من حم الماء) أى سخنه ومخدة من الخد والسماء من سما أى ارتفع .

وقد تعددت اللهجات في الجاهلية بتعدد القبائل الكبرى ونخت أوجه الاختلاف بما استوثق إذ ذاك من صلات في الأسواق الإقليمية والمبادلات التجارية والمصاهرات وقد لعبت قريش دورا هاما في انتقاء أجود اللغات ، فنسقت واجتبت أفضل لغات العرب حتى صارت لغتها أفضل لغاتهم (لسان العرب) فنزل القرآن بها وازدادت مظاهر الوحدة تحت راية الإسلام بالرغم عن الفوارق القبلية البسيطة التي ساندتها أحرف القرآن السبعة وقد احتفظت السنة جهوية عميزات خاصة « من حيث التصريف والهيئة والإبدال وأوجه الإعراب والبناء » (متن اللغة ج 1 ص 47) فقريش مثلا تفتح نون المضارعة وأسد تكسرهما والحجازيون يثبتون ما النافية وتميم تهملها أما الاختلاف في الأسماء فلا يكاد يظهر إلا في لغة حمير التي ظلت محتفظة بكثير من مفرداتها (المدينة الحميرية بدل السكينة مثلا) .

ويتجلى الاختلاف بين لهجات العرب في مظاهر مختلفة كالإظهار والإدغام والإشمام والتفخيم والترقيق والمد والقصر والإمالة والفتح والتسهيل والإبدال وهو اختلاف في الصور الظاهرة لخارج الحروف مع وحدة اللفظ ، وقد عرف العرب منها قديما العنونة عند تميم وقيس (إبدال الهمزة عينا) والكشكشة والكسكسة عند ربيعة (إبدال كاف الخطاب شينا) والغمجمة عند قضاعة (وهى إخفاء بعض الحروف) والمخفخة عند هذيل (إبدال الحاء عينا مثل حتى وعنى) والخلخانية في عمان واليمن (وهى حذف همزة ما شاء الله) (مشا الله) والتلثة في بهراء وهى كسرتاء المضارعة (تلعب) والوتم عند أهل اليمن (قلب السين المتطرفة تاء كالتات في الناس) .

وقد لاحظ الأستاذ فريد أبو حديد (مجلة مجمع اللغة العربية ج 7 ص 205) أن حركة الكسر تكاد تكون شائعة في كثير من الدول العربية مثال ذلك كسر آخر الاسم المضاف إلى ضمير المؤنثة المخاطبة فيقولون في الشرق أنت مالك (يقول المغاربة مالك بفتح اللام) وهي لهجة لحم التي تكسر ما قبل كاف المخاطبة .

والوكم والوهم عند ربيعة وكتب (كسر كاف الخطاب وهاء الضمير) (عليكم عنهم) والاستنطاء في لغة سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار (وهي قلب العين الساكنة قبل الطاء نونا) (أنطى - أعطى) وما زالت مظاهر ذلك إلى الآن عند الأعراب .

والمشترك نفسه يرجع لتعدد الألفاظ للمدلول الواحد بين القبائل كما أن في اللغة الموحدة نفسها اختلافًا في الأبنية من لغتين إلى ثلاث عشرة لغة (عباءة - عباية الخ) .

وقد أرجعت أصول الكلمات الواردة في القرآن إلى خمسين لهجة من لهجات القبائل علاوة على وجود كلمات معربة .

وظهر الانحراف في الحركات الإعرابية منذ صدر الإسلام فسار العوام في منهجهم المنحرف واستفحل هذا الزيغ اللغوي باختلاط العرب بالأعاجم بعد الفتوح فهب علماء اللغة لتقويم العامية وإرجاعها إلى أصالتها الفصحى وتجلّى هذا المجهود في «أدب الكاتب» لابن قتيبة «ودرة الغواص» للحريري فخفف البون بين الفصحى والعامية إذا روعيت شجاعته في اللغات الراقية اليوم وبقيت العامية في جميع مظاهرها لغة عربية محرفة الشكل غير مضبوطة القواعد .

وتجلّى هذا الانحراف كما سنرى في عامية الشماليين الشرقي والغربي للقارة الإفريقية أي مصر والمغرب .

وقد أشار الثعالبي في فقه اللغة (طبعة 1378 - 1959 - القاهرة ص 450) إلى أسماء فارسيّتها منسية وعربيّتها محكية أوصلها إلى مائة وواحد وأربعين منها البياع والدلال والبقال والجمال والطراز والحياط والند والبخور والغالية والحناء والمضربة والقمرى والربعة والخرج والدواة والمرفع والفتيلة والحجيرة والمزارق والطبل والشكّال والقلة والهريسة والعصيدة . وقد دخلت كلها في عامية البلدين .

ثم ذكر (ص 453) أسماء تفردت بها الفرس فعربها العرب أو تركوها ، منها :

الإبريق والكوز والطبق والقصعة والسندس والياقوت والبلور واليسميد والإكعلك

والسكتجيين والجلنجبيين والفلفل والكروياء والقرفة والزنجيل والسوسن والياسمين والمسك
والعنبر والكافور والقرنفل .

وقد تأثرت العامية المغربية بالفارسية عن طريق الدخيل في المعجم العربي لا بكيفية
مباشرة كما هو الحال في مصر لأن المغرب ظل في منحنى عن التأثيرات الفارسية .

ويختلف هذا التأثير في الأقطار العربية الأخرى ولعل الدخيل من الفارسية في لغة
العراقيين يوازي الدخيل فيها من التركية خلافا لما عليه الحال في مصر فإن معظم الدخيل فيها
في لغتها الشائعة من التركية ثم من اللغات الإفرنجية (محمد رضا الشبيبي مجلة مجمع
فؤاد الأول للغة العربية ج 8 ص 131) .

وديوان العراق لم ينقل من الفارسية إلى العربية إلا في عهد الحجاج الذي أمر بذلك كاتبه
صالح بن عبد الرحمن الذي كان يتقن اللغتين (تاريخ ابن خلدون - المجلد الأول القسم
الثاني ص 437) ،

وكذلك الأمر بالنسبة للغة التركية مثل باشا وبكرج (إناء معدنى) ونخازوق وتخوزق
(التخوزيق) وسنجد وطابور وطز (للاستهزاء والاستياء) وطوبجي (مدفعي)
وصابونجي وجبدولي (صدرية) وجامكية (مرتب عسكري في عهد الموحدين) ونخواجي
(تاجر) وبابوشة (بابوج) وبازار وباشادور وبرنامج الخ .

ومن الكلمات العربية المقتبسة من اليونانية على ما يقال :

ياقوت ، وملوخية ، ومصطكى ، ولوبياء ، ولجنة ، وكروياء ، وكرنب ،
وكافور ، وقيطون ، وقيراط ، وقيثارة ، وقنطرة ، وقنب ، وقمقم ، وقلم ،
وقصدير ، وقرنفل ، وقرميد ، وقانون ، وقالب ، وقارب ، وقادوس ، وفندق ،
وفنار ، وفلس ، وفص ، وفخ ، وطاجن ، ورطل ، ودلفين ، ودرهم ، وتؤلول ،
وبلغم ، وبجاط ، وبطاقة ، وبارود ، وأوقية ، وإقليم ، والألماس ، والرز .

أما اللاتينية فقد استمدت منها اللهجتان الفصحى والعامية ألفاظا يقال بأن منها إسطبل ،
وبوق ، ودينار ، وسجل ، وصراط ، وصاقور ، وطرطور ، وقرصان ، وفرن ،
وقفة ، وقلنسوة ، وقميص ، وقنديل ، وقنصار ، وكوفية ، ومد (مكيال) ،
ومنديل ، وميل الخ .

وبيضا كان التأثير الإسباني في اللهجة المصرية منعذما إذا به يتخذ طابعا عميقا بالنسبة للعامية المغربية نظراً للتبادل الموصول بين الأندلس والمغرب خلال الحكم الإسلامي أي طوال ثمانية قرون ثم ثلاثمئة عام، بعد ذلك احتل البرتغاليون والإسبان في غضونهما مراكز هامة في شواطئ البحر الأبيض المتوسط والمحيط الاطلنطيقي من المغرب .

وقد ذكر برونو Brunot (هسبريس 1949 — العددان الثالث والرابع) أن اللغة الرومانية اللاتينية أمدت العامية عن طريق الفصحى بألفاظ مثل مد وقصر، أو مباشرة بكلمات مثل الطابية وكرزية وكركور وذكر أن لفظ قنديل (candi) مقتبس من اللفظ العربي quindid وأن الكفتة مأخوذة من التركية .

ولاحظ في مقدمة مذكراته حول المفردات البحرية بالرباط وسلا أن وفرة الألفاظ الإسبانية الدخيلة في هذه المفردات تدعو إلى نسبة بعض الكلمات إلى أصل يوناني لاتيني وهذا الغلط هو الذي وقع فيه سيموني Simonet في معجمه glosaris حيث ذكر مثلاً أن الشابل alose مستمد من اللفظ اللاتيني sapidus وقد أعطى (برونو) صورة عن مروح التأثيرات الأجنبية في العامية البحرية بالرباط وسلا فذكر أنه بالإضافة إلى 456 لفظاً عربياً يوجد 217 كلمة إسبانية و 30 لاتينية يونانية و 6 فرنسية وإيطالية و 6 إنجليزية وكلمة واحدة برتغالية وعشر كلمات بربرية وعشر تركية وإحدى عشرة كلمة مشكوك في مصدرها وذلك من مجموع يبلغ 753 لفظة ويلاحظ هنا قوة تأثير العربية الفصحى بالنسبة إلى موانئ أخرى في المغرب مثل مستغانم بالجزائر ففي الرباط مثلاً تسمى chaloupe بالعشارية وفي مستغانم ببوطة من bota الإسبانية :

على أن البرتغالية قد تأثرت باللهجة المغربية حيث كان البرتغاليون يرسلون بالعجمية التي كانت عبارة عن برتغالية مملوغة بالألفاظ المغربية وكانوا يكتبونها بالحروف العربية (تاريخ المغرب كواساك Coissac de Chaurelrère ص 273)

ولعل أول نواة حضارية عربية يلقاها المغرب بعد الفتح الإسلامي قد جاءت عن طريق القيروان التي بدأت تنصهر فيها الحضارة الأموية بعد مرور ثلاثة أرباع قرن على الهجرة فأقيمت المساجد والدواوين والمصالح والدور الصناعية على غرار ما عرفته مصر والشام .

فأول مسجد على النسق المعماري الإسلامي في المغرب هو ذلك الذي بناه سعيد بن صالح الحميري في نكور في نهاية القرن الأول استمد في تصميمه من جامع الإسكندرية

التي ظلت مهبط الرواد المغاربة وعلى رأسهم الصوفي أحمد البدوي دفين طنطا وكانت البساطة آنذاك هي طابع الفن المعماري الذي لم يعرف بعد المقرنصات ولا التعاريج العربية . والواقع أن انعدام الاقتباس من الطبيعة والإمعان في دراسة الرياضيات ونزعة الإبداع حدثت مسلمى الأندلس والقيروان ومصر ثم المغرب إلى التسطيرات الهندسية الساذجة

مما يبرز تأثير الأندلس لإحداث الموالى الصقلية لقرية تحمل اسمهم فوق مدينة نكور (المسالك والممالك للبكري طبعة الجزائر 1911 ص 97)

أو منح اسم القاهرة تيمنا وإجلالا لمركز في قلب الأطلس بقبيلة بني دويران . ولعل الوحدة السياسية التي حققتها الدولة البربرية في المغرب الكبير قد تجلت خاصة في تجديد الاتصال بين الفن المغربي الأندلسي والفن المصري والعراقي السائدين في بجاية ومهدية وتونس الخضراء وبذلك تعززت الوصلة بين جناحي العروبة واندرجت في المجتمع المغربي مصطلحات كانت عصارة الاحتكاك الموصول :

وقد كان للأندلس أثر على بعض مظاهر الحضارة المصرية نظرا لهجرة طائفة من الغرناطين إلى بلاد الكنانة ففي عام 1019 هـ هاجرت ألوف الأندلسيين إلى فاس وألوف إلى تامسان وجمهورهم من تونس فتسلط عليهم الأعراب ونهبوا أموالهم في تامسان وفاس وسلم أكثرهم في تونس وتطوان وسلا وفسحة الجزائر ووصل جماعة إلى قسطنطينية العظمى ومصر والشام (نشر المثاني عن النفح ص 101) .

ففي الحقل العمراني يلاحظ أن « قصر البديع » الذي استغرق بناؤه زهاء العشرين سنة (986 هـ - 1002 هـ) يبرز لنا مدى التطور الحاصل في الفكر الحضاري ولغته فقد ظهرت معه فنون طريفة ومصطلحات فريدة كالرخام المجزع والزليج الملون والقباب الخمسينية كتبت في أبيهائها الأشعار بمرمر أسود في أبيض تذكرنا بروائع الأندلس : فمن شعر أبي فارس عبد العزيز القشتالي يصف فن هذه الروائع :

فإنها والتبر سال خلالها	وشي وفضة تربها كافور
وكان أرض قراره ديباجة	قد زان حسن طرازها تشجير
وكان موج البركتين أمامه	حركات سحب صافحته دبور
صفت بصفقتها تماثل فضة	ملك النفوس بحسنها تصوير

وقد كتب بجدران (المصرية) المطلة على الرياض :

باكر لدى من السرور كووسا وارض النديم أهلة وشموسا

(المصرية أى الغرفة الواقعة فى طبقة عليا (العليا بالفصحى) ولعل لوجود طبقات فى الأبنية منذ القديم بمصر أثرا فى هذه التسمية)

ولا يخفى ما لتوازي الأصلين القبطى والبربرى من أثر فى تكييف كثير من أوجه الشبه بين العاميتين بالإضافة إلى تأثير مظاهر الأصالة العربية فى فصيح المغرب وعاميتهما عن طريق القوافل التجارية ومراكب الحجيج ورسل الفكر من كبار الرحالين منذ القرن الهجرى الثانى لعظيم ما اكتسبوه على طول منازلهم بأرض الكنانة .

لقد كان لكثير من القبائل العربية التى دخلت المغرب لهجات محرفة عن لهجة قریش التى نزل بها القرآن ولكن تطورها اللغوى لم يخرج عن النطاق العادى فى تبادل التأثير بين الفصيح والعامى ، لأن المغرب ظل بعيدا عن التأثيرات الفارسية والرومية والتركية ، وعاش فى إطار مقفل طوال قرون تمكن خلالها من الحفاظ على كثير من معطياته اللغوية ، فكان الخلاف أقل بين الفصيح والعامى ، ويتجلى ذلك فى المصطلحات المستعملة فى كثير من مرافق الحياة ، ولعل أبرز مظهر لعراقة المحدث العربى فى قبيلة أو إقليم يتجلى فى صفاء لسانها ، وقد ارتكز ابن خلدون لتحقيق الأرومة على عنصرين هما : الموطن والعجمة (التاريخ ج . 6 ص 96 . وإن كان الموقع الجغرافى لا يمثل فى نظرنا عاملا جوهريا لإمكانية الهجرة فى فترات سالفة .

ومن الصعب أن نميز بعد التفاعل اللغوى الناتج عن ارتباط الأقاليم بين ما جد وما تلد فى هذه اللهجة ، غير أننا إذا قارنا بين المصطلحات المستعملة فى هذه القبيلة والتى تتبع المستعرب الفرنسى لوبينيك عام 1916 الكثير منها فى كتابه « نصوص عربية فى زعير » (طبعة باريس 1952) لمسنا مدى الصفاء الملحوظ فى الكثير من الكلمات التى درجت على ألسنة العامة من أهل زعير مما لا نجد له مثيلا إلا عند القبائل التى لا يتطرق الشك إلى عروبتها كالشاوية ، وقد أشار كثير ممن درس أنساب الفصائل السلالية المغربية إلى أن القبائل الرحالة فى سهول المغرب الغربية وأقاليم عبدة ودكالة والشاوية وشرقا بالحدود الجزائرية ما زالت تحتفظ بعروبتها الأصلية التى طبعها منذ الفتوح الأولى ، وقد أثر ذلك حتى فى العنصر البربرى حيث لوحظ أن عامية القبائلية بالجزائر تشتمل على نحو ثلث الألفاظ العربية (حضارة العرب - كوستاف لوبون - الطبعة الفرنسية ص 250) ، ولا يخفى ما تنسم به لهجات الأندلس وإفريقيا الشمالية من صفاء رغم عدم تقيدها بالهندام الشكلى

للفظ ، ورغم الألفاظ البربرية التي تسربت إلى الأقاليم العربية نفسها على أن الكثير من الكلمات التي يزعم بعض اللغويين رطانها يتضح أصلها العربي بعد التحليل فقد نشرت ^١مثلا مجلة مجمع اللغة العربية (ج. 8 ص 326 عام 1955) بحثا للأستاذ شارل كونتر خبير لجنة اللهجات حول أثر اللغة العربية في عربية المغرب أورد فيه نماذج من الصيغ والكلمات الدخيلة التي ترجع إلى أصل بربري ، وقد وفق الأستاذ في طائفة من الكلمات ولكنه لم يتحر في مقارنة الأصل العربي المحتمل لطائفة أخرى مثل :

١- أملوس (الوخل) الذي تمكن مقارنته باللفظ العربي (الملس) وخاصة المص بمعنى الزلق إذ أعظم خاصية في الوخل أنه مدعاة للزلق .

٢- داليس (الخيزران) bambou تقارن بالدلس وهو نبت يورق آخر الصيف ، ومعروف أن الخيزران لا يترعرع إلا في الحرارة وفيه عشرات الأنواع .

٣- المازوزي (الأخير من التناج) ويظهر أنه مشتق من مزز الفصحى حيث يقال فعلته على مزز أي على مهل فالمازوزي يأتي متأخرا كأنه يتهمل في انبثاقه .

٤- قطوس (قط) : من مميزات العامية سواء في المغرب أو بعض الأقطار العربية كسوريا ولبنان نقل بعض الصيغ من فعل أو فعلل أو أفعل إلى فعلول مثل أحقق وحمقوق أو حموق ، وبط (كالبطة في السمن) وبطبوط وخنفر أو مخنفر وخنقور فيمكن القول إذن بأن قط العربية أعطت قطوس العامية .

٥- أقراب وهو الخرج أو الحراب من القراب (لأن أداة التعريف بالبربرية هي الهمزة للمذكر والتاء المتصدرة أي في أول الكلمة والمتسكعة أي في آخرها) .

٦- ساط بمعنى نفخ ولعلها من ساط الفحم أي خط بعضه ببعض ليتقد كله إذا كانت النار لم تمس سوى جانب دون آخر والبادية تستعمل الكثير من ذلك كالمسوط للتحريك والنفخ وقد ورد في (المعجم الوسيط) أن المسجر هو الخشبة التي تسوط بها الوقود في التنور .

٧- كفس بمعنى لطح بسواد أو فضح، أصلها كفس أي اعوج ، والتكفاس بالعامية الاعوجاج إلخ . . . وتحدث كرد على عن « عجائب اللهجات » (مجلة مجمع اللغة العربية ج. 7 ص 128 سنة 1953) فقال :

« لعل الدخيل كان نادرا في أرض الأندلس لأن الأمويين توخوا الوحدة في

كل شيء» ، إلى أن قال : « وكانت اللهجة الأندلسية من أجمل اللهجات نقلها أهلها بعد الحلاء إلى البلاد التي نزلوها : مراکش والجزائر وتونس ومصر والشام ، ولعلها كانت لقربها من الفصحى أشبه باللهجات اليمن والحجاز ، والأندلس استعملت ألفاظا فصيححة ما استعملها العراق ومصر والشام » .

— لاحظ فليش Fleisch في « المدخل لدراسة اللغات السامية » (ص . 101) أن لهجة المثقفين العامية تقتبس من الفصحى المفردات اللغوية بكيفية خاصة ويعنى بذلك أنها لا تتقيد كثيرا بالأوزان والصيغ .

وإذا أردنا أن نبلور مدى تأثير لهجة مصر في المغرب وجب أن ننظر بين عاميتي القاهرة والرباط إذ التوافق ملحوظ في اللهجة العامية بين القاهرة والرباط عدا خلاف بسيط في الشكل مثل بات وباح يبات ويروح بكسر فاء المضارع في القاهرة وبتسكينه في الرباط وقد نشرت مجلة (مجمع اللغة العربية ج 7 ص 319) تسعا وخمسين كلمة بصدد دراستها للهجة القاهرية ولاحظنا من بينها خمسا وثلاثين لفظة مشتركة في المادة عدا الخلاف الشكلي المذكور) ومن أمثلة ذلك بخس يبخص بكسر الخاء في القاهرة وفتحها بالرباط ، وبدا يبدى (ق) ويبدأ (ر) وبدر يبدر وبرق يبرق وبرم يبرم وبشر يبشر بضم عين الكلمة (ق) بدل فتحها (ر) وبطأ يبطأ بكسر الطاء (ق) وفتحها (ر) وبل (ق) عوض بلل (ر) يضاف إلى ذلك تباين خفيف في النطق (ترقيقا وتفخما وإمالة إلخ) مع المؤثرات اللغوية الخاصة بالتركية على نسق التأثير السرياني والنبطي في الشام وهنالك نورد مفردات تفاعلت خلال التاريخ في نطاق مؤثرات واحدة أو مختلفة :

أبو جعران : كنية الجعل بوجعران .

أبو علي : الرجل اللطيف الكريم (مصر) وأبا علال في المغرب كناية عن الفقر المدقع .

انسرق أى انسل خلسة من انسرق (المغرب) ويقال انسراقى (مصر) .

أعشارى أى عشرى نسبة إلى عشرة (مصر والمغرب) .

إمتا أى متى (ويقال أيضا يمتى في المغرب وميته بالإمالة في الصعيد المصرى) .

انفضح بمعنى افتضح في مصر ويحتفظ المغرب باللفظ الفصيح وهو افتضح لأن المغرب لا يستعمل صيغة انفعل إلا لمعنى المطاوعة .

انقرع (مصر) أى لزم حده من قرع فهو قرع إذا ارتدع ويقال فى المغرب
اتقرع (بالقاف المعقوف) .

أورعينيه (مصر) قلعهما أو عورهما ويقال خور عينيه بالمغرب ولعل الكلمتين
من قاريقور قورا بمعنى العور .

أيس لغة فى يثس وهى مستعملة فى البلدين .

أيش بمعنى أى شىء خفف منه نص عليه ابن السيّد فى (شرح أدب الكاتب)
وصرحوا بأنه سمح من العرب (شفاء الغليل ص 15) ، (أيش)

باب الفتوح : أحد أبواب القاهرة وفاس .

بابوج : بابوش (كلمة فارسية) حذاء .

باس : قبل والبوس التقبيل (يقال بأنه فارسى معرب) (شفاء الغليل) .

باسل : فلان باسل أو كلامه باسل أى ثقيل لا معنى له .

الباع : مقياس يمتد من طرف أصابع اليد إلى طرف أصابع الأخرى . وتقول
العامّة فى مصر والمغرب « فلان باعه طويل » أى له قدرة ونفوذ .

بتاع : هذا الشىء بتاع فلان أى متاعه أو فى ملكه (متاع بالمغرب) .

بحلق بعينيه أى حلق النظر وحملق .

برّا أى فى الخارج ، ومنه برانى أى غريب وأجنبي .

البربر : لفظ يطلقه المصريون على سكان النوبة لبربرتهم أى كثرة كلامهم وجلبة
لسانهم ويطلقه العرب فى المغرب على سكانه الأصليين لنفس السبب .

برطم : تكلم بكلام غير مفهوم (بركم فى المغرب) .

برمكى : معناه فى مصر فاقد الغيرة ذو أعمال جنسية شائنة أما فى المغرب
فعنها الكرم نظراً لكون البرامكة كانوا فى عهد الرشيد موصوفين بذلك .

بريمة : مثقب (لعلها مشتقة من الإيطالية barrena)

البزبوز : القصبة أو القضيب الخوف ويطلقه المغاربة على أنبوب الصنبور .

بسبس : دعوة أهر إلى الطعام، يقال له بس بس (بفتح الباء فى المغرب وكسرها بمصر)

البشماط : المرادف العربى للبشماط هو الكبنة أى الحيز اليابس (المخصص)

البقسماط فى (مصر) .

بشويش : (بفتح الباء في المغرب) أى بتؤدة وهدوء ، يقال (تكلم بشويش) .
البصارة : تصنع من الفول المطبوخ بماء وتوابل وبصل وسمن .
بصبص الكلب بذنبه حركه .

بطلال : عاطل من العمل ، تعطل الأجير فهو بطلال .

بطنطة : ضريبة التجارة .

البيع : ما يخوف به الصبيان (بعو بالمغرب) .

البعضوص : أى العظم الصغير الذى بين إلتى الإنسان ويستعمل عامة المغرب
الكلمة الفصحى .

بعيد : يقال هو البعيد أى الأجنبي .

بغل : فلان بغل أى غبي ، ومن العادات المشتركة بين مصر والمغرب أن
البغلة إذا حملت وولدت فهذا دليل على انتهاء عمر الدنيا .

البقال : حسب القاموس ، بمعنى بيع الأطعمة عامية والصحيح البقال وقد ورد
في فقه اللغة أن البقال بمعنى بائع البقول معربة عن الفارسية (المغرب ومصر) .
بكرج : وعاء القهوة ويسمى في المغرب بقرح ومقرج وهى كلمة تركية معناها
غلاية .

البلغة : حذاء من جلد أصفر « ويظهر أن أصله من فاس في المغرب لأنهم ينادون
عليها البلغة الفاسية » (قاموس العادات الخ أحمد أمين ص 95) .

بندير . آلة للطرب كالدف ولعل أصلها إسباني (bandera)

بنديرة : العلم وهى إيطالية bandiera .

بهاله : أى احتقره واستخف به (لطائف المنن للشعراني ج 1 ص 175)
البورى : سمك ينسب إلى قرية بساحل مصر قرب دمياط وذلك حسب ياقوت
(شفاء الغليل ص 46) .

بوغاز : أى مضيق كلمة تركية عربيها الزقاق كغراب وهو مجاز البحر مثل
ما بين طنجة والجزيرة الخضراء (المغرب ومصر) .

بونية : عربيها جمع الكف (القاموس) وهى فرنسية الأصل (المغرب ومصر) .

بياع : أى بائع مثل بيع الرؤوس (عربها الرأس) وبيع الزجاج (عربها الزجاجى) (مصر والمغرب) .

تأفف : أى قلق وغضب فكأنه يقول لمن يخاطبه أف بك .

نهر : أى عجب من أهر أى جاء بالعجب وأصل انهر تأثر بأشعة الشمس ووهجها وقد اقتبس العامة فى مصر نفس المعنى من كلمة عربية أخرى، وهى وهر فيقولون انوهر أى انهر وعجب إذ الوهر توهج الشمس ، ويستعمل المغاربة أيضاً تفهر بالفاء .

التريعة : مكان بالقاهرة تباع فيه البضاعات المغربية من بلخ وبطاطين (أحمد أمين - قاموس العادات ص 96) وكذلك العنبر المحلول وعطر الورد والزهر (ص 115) والتريعه (بالتصغير) بتقديم الياء تفيد فى المغرب نفس المعنى .

ترزى الخياط، وهو من الدرز أى الثوب بالفارسية وبنودرز الخياطون ويقال الدراز بالمغرب وهى من الطراز أى صاحب الطراز .

تعبان : أى متعب ولم يعرف عند العرب على ما يظهر (مصر والمغرب) .

تعنطر فلان : تكبر وتجنب الناس ، ويسمى المغاربة العبيد وأولاد الإماء العناطين لأنهم يعيشون عادة معزولين عن الناس .

تفرج على لعبة : تفكه بالنظر إليها .

تفرشح : جلس وفرج ما بين رجله ويقال فى المغرب تفرشح بالخاء بدل الحاء المهملة بمعنى جلس ماذا رجله (ولها فى المغرب معنى آخر حيث يقال تفرشح البطيخ بمعنى تكسر) ، وتستعمل لفظتا فسخ وفشخ فى مصر بهذا المعنى .

تفنطر : كلمة يونانية معناها تريض phantasic وتوجد فى العامية المغربية ولعلها اقتبست من الكلمة الفرنسية fantasic لألعاب الفروسية التى كانت تسمى قبل بالتبوريدة (أى اللعبة بالبارود) .

تكابوا على الشيء : بمعنى ازدحموا عليه واشتهرت فى مصر خاصة اتكبيوا (بكسر الباء الأولى وتشديدها) .

تكرع تجشا ويقال تبعج فى الشام ولعلها من تجرع الماء إذا بلعه فالحشاء من لوازم تجرع الماء .

تمسخر ومسخرة : فلان يتمسخر بك (يتمسخر في مصر أى يهزأ بك)

تنلة : مقتبسة من Tente الفرنسية بمعنى ظلة أو خباء وعربها الزفل وهو حسب القاموس ظلة تتخذ فوق السطوح تقي من حر البحر ونداه :

تنهد أى تنفس الصعداء وعربها تنفس وزفر :

جاء الشيء : جاء به .

جاحم أى دفع نفسه وسط آخرين وقد لاحظ الدكتور أحمد عيسى في محكمه أنها من الجحيم ويظهر أنها من زاحم مزاحمة وزحاماً بمعنى مدافعة الناس .

جرجر : يجر وجذب ويقال بأنها سريانية الأصل وقد اقتبسها المغاربة من العربية الفصحى لا من السريانية التي لم تؤثر في العامية المغربية نظراً لانعدام كل صلة بين المغاربة والسريانيين تاريخياً .

الجعيدى : الجعد من الرجال المجتمع المتداخل المدمج ويطلق في مصر على من قل ذوقه وكياسته ، وفي المغرب على الضعيف البنية كأن أجزاء جسمه تندمج في بعضها .

جلبية : جلباب أو قميص (جلابية بالمغرب) .

جليطة : بتسكين اللام في مصر وتشديدها في المغرب معناها الخلط وعدم الإتيان تقول فلان جليط عمله إذا لم يتقنه (جلط في المغرب ومنها الإتيان المغربي : خلط جلط) .

جوانى : برانى .

الجوخ : نوع من النسيج والجوخة كلمة فارسية معناها الكساء من الصوف .

الجوق : فرقة تقوم بعمل واحد كالجوق الموسيقى ويقال بأنها تركيبة الأصل .

حاف : خبز حاف أى من غير إدام .

حب الرشاد : عربها الحرف (المخصص) ويستعمل عامة المغرب الكلمتين وخاصة الحرف .

الحجاب : الحرز اشتهر باستعماله المصريون ويعمله المغاربة للتحصن ويطلق عليه في كل من المغرب ومصر لفظ الحرز .

الحرقه ما يجده الإنسان عندما يطعم شيئاً محرقاً أى حاراً أو دسماً يثير نوعاً من التخممة في معدته .

الحريرة : دقيق يطبخ بابل أو دسم (القاموس) (مصر والمغرب) .
الحريف : الزبون وحريفك معاملة لك في حرفتك والزبون مولد (القاموس) ، وتستعمل
عامية مصر لفظة زبون المولدة وعامية المغرب كلمة حريف . .
الحشيش : الكيف القديم ، ولعل منه اسم الحشاشين أى القرامطة شرابي الحشيش .
حط بمعنى وضع اشتهرت في عامية مصر والمغرب وتستعمل في الفصحى في مثل العبارة
التالية : حط الله عنه الوزر أى وضعه عنه .

الحفا : عدم لبس شئ في الرجل .
حمص القهوة : قلاها على النار وهي عربية حسب الأزهرى (حب حمص أى
مقلو) .

حوائج : ما يلزم الإنسان من ملابس وغيرها . .
الحازوق : الخشبة كانت تستعمل قديماً لإعدام المجرمين وهي من الخزق أى الطعن
بالرمح ، وقد دخلت إلى مصر عن طريق التركية ولا ندرى كيف تسربت إلى المغرب؟
فهل تم ذلك في عهد السعديين بسبب تسرب العناصر التركية إلى المغرب أم عن
طريق التجار المغاربة الذين استقر منهم عادة آلاف بمصر ولا سيما في عهد العلويين ؟
خربشه : خدشه وخمشه .

خربق عمله : أفسده (تستبدل العامة في مصر بالقاف الألف فتقول خرباً) .
خرخش : أى صوت وتستعمل بالمغرب لصوت الآلة وفي مصر لأزيز الصدر .
خردة : قطع الحديد المستعمل وهي كلمة فارسية مقتبسة من الحرثى الفصحى على
ما يظهر .

الحس : بقل عريض الورق يوكل نيثا (مصر والمغرب) .
خلاه : خلاه في المحل أى تركه يقال : خلاه في المحل أى تركه حتى تعود إليه .
خمسة وخمسة : عبارة عن كف فيها خمسة أصابع يزعمون أنها تدفع العين (أحمد
أمين - قاموس 195) وقد عرفت في إفريقيا الشمالية منذ عهد القرطاجيين وتوجد
صورة لها في (متحف باردو) بتونس ويقال في المغرب خمسة لخماس بدل خمسة
وخمسة في مصر ويسمونها الفرنسيون يد فاطمة .

الخنفسة : أى غير الحميلة وفي المثل المصري « الخنفسة عند أمها عروسة » ويقابله المثل
المغربى : (كل خنفوش عند مو غزال) (كل خنفسة لدى أمها غزالة)

الخوا : بكسر الخاء (وتسكينها بالمغرب أى الفراغ . يقال : شربت على الخوا أى على الريق والخواء فراغ المعدة من الطعام .

خواجه : كانت تطلق فى الأصل على الأعيان والتجار ثم أطلقت على الأجنبي بمصر ولكن المغرب احتفظ بمعناها الأصل وهى لفظة فارسية معناها سيد (مصر والمغرب والشام) .

خوخ الفاكهة : فهى مخوخة أى فارغة القلب لا لب فيها .

الخوخة : تطلق غالباً على الباب الصغير فى قلب الباب الكبير وعربتها حسب القاموس هو الخادعة .

الدادة : المربية ، ودادا كلمة فارسية معناها خادم ومربية .

دحاح فلان : مشى على مهل أو تقارب خطوه مع سرعة ، والدحاح فى المغرب القصير وتلك هى صفة سير كل من قصر جسمه .

درازين : الحاجز الحامى فى السطح أو الدرج (دربوز بالمغرب) .

دربكة : الطبل الصغير وهى فارسية عربها الكوبة التى أشار إليها صاحب القاموس .

الدرفة : درفة الباب أى مصراعها وهو من الدفة بمعنى الجنب ويستعمل العامة فى المغرب لفظة بدل دفة درفة فى مصر .

درويش : فقير كلمة فارسية (البرهان الجامع) (مصر والمغرب) .

الدشيش : دشيش الفول طحينه وهى من جش الحب إذا دقه ويقال الدشيشة فى المغرب (الطحين المدقوق) .

دغرى : مشى الرجل دغرى أى قدماً لا يلوى على شئ ويقال بأنها من طغرو الفارسية بمعنى مستقيم أو طوغرى التركية .

الدمغة : الطابع والتبر ويقال أيضاً التمغة بالمغرب وهى فارسية (من التمغ أو الطمغ) .

دندن : غنى بصوت أو آلة موسيقية .

دهست السيارة الرجل : أى داسته ودعسته وتستعمل العامة بالمغرب معس بهذا المعنى مستبدلة الدال ميما :

الدوار : معروف فى ريف مصر بمعنى مكان يضم عناصر اجتماعية كالأمر والمدير والمعلم وغيرهم فهى نواة حضرية وأصلها فارسي (دوار) وهى بمعنى القرية بالمغرب . رأس مشعن : أى متنفش الشعر أشعت .

الرزمة من الثياب ما شد في ثوب واحد .

رغرغت عينه بالدمع : أى اغرورقت (رغرغت بالمغرب) .

الرقاق : الحيز الرقيق واحدها رقاقة (رقاقة بالمغرب) .

الرقعة : عربية معناها البطاقة استعيرت لرقعة الشطرنج وهى دخيلة حسب (شفاء الغليل) ومن أدواتها المعروفة كذلك فى عامية مصر والمغرب البيدق والرخ والفرز والفرس والشاه .

الزريبة : المكان الذى تنام فيه البهائم وهى فصحي .

زعا : صاح من الزعق (زعق بالمغرب) .

زعلوك : أى صعلوك وقد ورد زعلوك بضم الزاى بمعنى القصير المجتمع العضل ويطلق بالمغرب خاصة على شديد المراس وصعب الطبع ، (مصر والمغرب) .

زغرئت النساء فى الأفراح : من الزغردة وهى هدير الفحل يخرج من حلقه فاستعير منه صوت النساء يتردد بين ألسنتهن وأصابعهن .

زفر : ريحة زفرة أى منتنة وهى رائحة بعض الأطعمة كاللحم والجبن وهو من الذفر أى شدة رائحة الطيب أو النتن .

زلا : أى زلق (زلق بالمغرب) .

الزلط : يقول المصريون فلان رأسه زلط لا شعر فيه، وفى الجزائر : « فلان أزلط من فار الجامع » وهو المدلول المغربى للزلط بمعنى الفقر .

الزمت : شدة الحر ووقوف الريح وهى من زمته إذا خنقه .

زنبيل : وعاء من خوص وهو المعنى العربى الأصيل ويطلق فى المغرب خاصة على وعاء من نحاس .

الزواق : النقش بالألوان وهو من الزاوق أى الزئبق ويسمى الزئبق بالمغرب الزواق .

السبوع : اليوم السابع من ولادة الطفل والسبوع لغة فى الأسبوع .

السبيل : صهريج يخزن فيه الماء لشرب الناس فى قارعة الطريق ولعله من السبيل بحركتين أى المطر الهاطل والسبيل أى الطريق .

ستف : رتب وهى من صففه أو صفصفه فاصطف وهو مصطف (مستف) .

سطل : بمعنى بقرج ولكن له عروة خاصة وهو ستل بالفارسية (situla)
باللاتينية السقاء والسقا : موزع الماء على البيوت (مصر) وهو المسمى القراب بالمغرب
لحملة القربة على ظهره ، والقربة هي السقاء (بكسر السين) .

سك الباب : سدها ويقال في المغرب أيضاً سكرها وهي سريانية وفي مصر سنكر
بزيادة النون .

السميد : لون من ألوان الدقيق وهو معرب عن الفارسية (^{٢٣}فقه اللغة) واستعمله
الحريري في مقاماته ، ويقال السميد بالمغرب والسميط بمصر .

السوة : (بكسر السين في مصر وفتحها في المغرب) أسفل البطن وهي من السواة بمعنى
الفرج ولكنها أطلقت خاصة على الدبر .

سيا الأرض : غسلها (سيق بالمغرب) وهي من صيا رأسه إذا غسله فلم ينقه (متن
اللغة) :

السيفون : مجرى خاص للماء أصله siphon (مصر والمغرب) .

شاف : أى تطاول ونظر .

شألب : أى سقلب بمعنى صرع وأصلها قلب ، وهي شائعة أيضاً في الشام (شقلب
بالمغرب) :

الشايط : الطعام الذى يحترق على النار فيسوء طعمه وتفسد رائحته فيرمى ، والشايط
في المغرب هو كل ما يرمى .

الشربات : الماء يذاب فيه السكر مع ماء الورد للمناسبات المفرحة .

الشربة : الحساء الذى يقدم قبل الطعام ومقابلها التركي جوربا .

شرشر الماء : أى خر بمعنى اشتد سيله .

شرمط : مزق (اشرمط في مصر) وذكر الدكتور أحمد عيسى في « المحكم
في أصول الكلمات العامية » أنه من أثر نمط السقاء إذا انفتح والإثر نمط اطمحرار
السقاء إذا راب ورغا في ذلك معنى التمزق « ويظهر لى أن أصل شرمط شرم فهو أشرم
إذا انشق وتمزق وتشرم أى تمزق وأصل تشرمط تشرمت (تاء التأنيث) . وقد
تكون من الشرط بمعنى الشق فتكون الميم زائدة .

شقافة : أى شظية الخزف والشقف الخزف المكسر (شقفة بتسكين القاف فى المغرب) .

الشكال أى رباط العقال للفرس ولعالمها فارسية دخيلة فى الفصحى .

شكم الدابة : شد فمها بالشكيمة .

الشنطة : الوعاء من الجلد تحفظ فيه الملابس (ويطلق فى المغرب على الحقيرة) وأصلها تركى على ما يظهر (جنته) .

شوشة : شعر قمة الرأس ومعناها بالسريانية كبة القطن وتطلق فى المغرب على أزرار الحرير السوداء المتدلّية من الطربوش .

شوية : أعطى شوية أى شيئاً يسيراً .

الشياط : رائحة الاحتراق .

الشيت : نوع من القماش (أصلها هندی) .

الشين : علامة النفي فى اللهجتين مثلاً : فلان ماجاش أى لم يأت (أصلها لم يأت شئ) وما كلمتش أى لم آكل شيئاً وأخذتش حاجة أى هل أخذت شيئاً (وأضيفت حاجة لزيادة البيان) .

صرصع : صاح بصوت عال وهى من فرفر وتستبدل العين رجاءً بالمغرب فيقال صرصر .

صنارة : حديدة الصيد :

صناعى : نسبة إلى الجمع وهو صنائع (على خلاف القاعدة الغالبة) وجمعه صناعية بمصر والمغرب .

صينية : طبق يجهز فيه الطعام ويطلق فى المغرب على طبق من نحاس تصف فيه كوؤس الشراب وهو منسوب منذ العهد الجاهلى إلى الصين التى يستورد منها .

طابور : صف من العساكر (التابور تركية) .

طاجن : وعاء للطبخ (كلمة يونانية) .

الطار : محرف عن إطار الأعجمية وعربية الدف وقد دخل فى عامية مصر والمغرب وغيرهما (ويقول عامة المغرب طر) .

طاقة : كوة .

طاقية : ما يلبس على الرأس ولعلها مشتقة من تقيّة أى وقاية الرأس من الحر والقر .

طبّط على الولد : ربته .

طربوش : قبعة تركية (سربوش بمعنى غطاء الرأس كلمة فارسية) . أشار إليها ابن دحية في تفسير حديث « يلبسون الشعر » أى السرايش .

طرز : كلمة يقولها الإنسان إذا شاهد شيئاً رديئاً أو قبيحاً، فتكون بمعنى السخرية (دز بالفارسية وطرز بالتركية وقد عربت) .

الطقس : حال الجو من حر أو برد .

طنجرة : وعاء للقلّى أو الطبخ (تنجرة أو طنجرة تركيتان) والطنجير بالمغرب معناه الطنجرة الكبرى .

عافر الرجل : بذل جهده ليقوم بعمل (تعافر بالمغرب) .

عبد اللاوى : نسبة إلى عبد الله ومنه البطيخ العبد لاوى .

عربية أو عربية : عاميتان مرادفهما العربى عجلة أو أطلق على مركب ذى عجل تجره الخيل. والعربية هى الشائعة عند عامة مصر والمغرب .

عرقان : فصيحة بمعنى عرق (المصباح) يقال عرقان فى مصر والمغرب .

العرقسوس : عرق نباتى حلو يمتص .

عيان : مريض ومدلوله الأصيل فى الفصحى من الإعياء فى الأمر والمشى لا فى المرض (القاموس) (مصر والمغرب) .

عيط : نادى ، والعيطّة فى المغرب نوع من السماع يضرب فيه على الدفوف .

العينة : النموذج من السلع (العينة بتسكين الياء فى المغرب) .

غامق : لون أسود غامض أى شديد السواد ومقابله فاتح إذا خف لونه .

غرقان فى الدين : أى غريق فيه بحيث لا يستطيع أدائه .

الغريبة : نوع من الكعك يصنع من دقيق وسمن وسكرويكثّر فيه السمن (أحمد أمين ص 299) .

فتافيت : ما تبقى من قطع الخبز على المائدة من فته إذا دقه (فتايت بالمغرب) .

الفدان : وحدة المقاييس المصرية أو الممرات وهو لفظ نبطي (شفاء الغليل)
ويطلق الفدان بالمغرب على الحقل الزراعي .

الفرث : (بكسر الفاء) الكرث وأصله الفرث (وهو بفتح الفاء في المغرب) :
فرتك : قطع ومزق مثل النر .

فرجية : ما يلبسه العلماء فوق ملابسهم ويقال بأن أصلها يوناني وأن الأتراك اقتبسوها
وتطلق في المغرب على لباس يجعل فوق الثياب للرجال والنساء وهو منفرج من الأمام
لذلك لا يبعد أن يكون أصلها عربيا .

فرحان : فرح (القاموس) يقال فرحان بمصر والمغرب .

فرم : أى قطع وكسر وهى سريانية الأصل على ما يقال ولعلها دخلت إلى المغرب
عن طريق الفصحى نظرا لانعدام التأثيرات السريانية في اللهجة المغربية ، وهى تطلق في
المغرب على الكسر الجزئي كفرم الأسنان أو الكأس .

فش : أى فتح ويقال في المغرب فش الوطب أى أفرغه من الهواء وفى المثل فشه
فش الوطب أى أزال نفخته وكبرياءه .

الفشار : الكذاب المغالى فى كلامه .

فقس الطائر البيضة : فضخها .

الفتى : (بالهمزة وكسر الفاء) الفقيه .

الفلقة : الآلة تمسك بها الأقدام فى الكتاب لضرب الصبيان ويقال بأنها يونانية اقتبس
منها الفرنسيون palanque .

فلوكة : سفينة صغيرة وهى من الفلك أى المركب .

فلصو : أى زيف ، وزائف درهم فلصو أى زائف وأصلها إسباني (falso) أو إنجليزى
(false) (مصر وشمال المغرب) ويمكن مقارنتها بكلمة فلس وإفلاس العربية .

فيلية : أسرة وعاميتها عائلة بمصر والمغرب وهى من اللفظ الفرنسى famille

الفنطزية : نوع من اللعب البارود على صهوة الخيل وهى يونانية أخذ منها العربيون fantazia

قارب : سفينة صغيرة وهى يونانية على ما قبل عربت .

القراع : مرض جلد الرأس وأصله القرع بحركتين أى بثر يخرج بالرأس (القرعة
بتسكين الراء فى المغرب) .

قر نص من البرد : تبقض ، ويقال في المغرب حنية مقرنصة أو مقربصة بالباء أى متقبضة
النقش والترخيم .

القرينة : الحنية تكون مع الشخص .

القصرية : الوعاء يتبول فيه ولعلها من اللاتينية gastrum ومعناها إناء مجوف وتطلق
في المغرب على وعاء مجوف لعجن الخبز .

قطع اللبن أو ابن قاطع : بمعنى حامض (وانقطع الحليب في المغرب أو تقطع أى لم
يصلح لأن يغلى أو يروب نظرا لعدم طراوته ، ولعلها من قطع الحمرة بالماء مزجها (متن
اللغة) .

القفطان : من الملابس الخاصة بالرجال في مصر ويلبسها حتى النساء بالمغرب وأصلها
قفطان التركية المقتبسة هي أيضا من خفتان الفارسية .

قفقف من البرد : ارتعش وهي فصيحة تستعمل في مصر والمغرب .

قلع ملابسه : أى خلعها وهي بحركتين في مصر إلا أنها مشددة اللام بالمغرب
حيث تستعمل بمعنى الانتزاع كقلع الأسنان أو تقليع الحجارة من الأرض وهو معنى فصيح .
القهاوى : المقاهى .

قورمة : مأخوذة من قاورمة التركية وهي لحم يطبخ بالبصل (المغرب ومصر) .
كاكى : تقول كاكت الدجاجة أى صوتت عند البيض وأصلها قاقت وتستعمل العامة
بالمغرب هذا اللفظ فتقول : الدجاجة تقاقي .

كائى مائى : يقال بأنها تركية ومعناها كيت وكيت بمعنى الإكثار من الكلام عن طريق
التلميح والكناية ويقول العامة في المغرب كينى مينى .

وأكد الدكتور أحمد أمين بأنهما كلمتان قبطيتان فكائى معناها السمن والثانية العسل وهي
في الأصل خلط السمن بالعسل ثم استعمل في خلط صحيح الكلام بفاسده ثم في الكلام غير
المفهوم (قاموس العادات الخ ص 333) .

كاوح أو أوح : في مصر من كافح أى قاتل وناضل وتستعمل في المغرب المكابرة وتروج
عند عامة المغرب كلمة كافح الفصحى في نفس المعنى .

الكباب : قطع صغيرة من اللحم تشوى في السفايف ، ويظن ياقوت أنه فارسي عربيه
المولدون (شفاء الغليل ص 174) .

كح : سعل (كحكح بالمغرب) وهي ترديد للمحاكاة أو على نسق جرجر بدل جر .

كرنفال : مسخرة أصلها فرنسي Carnaval (مصر والمغرب) .

الكسكس : طعام معروف بالمغرب خاصة يكس أى يدق من القمح فهو مكسوس ومكسكس ويسمى الكسكس بالمغرب .

كش كش : بكسر الكاف زجر الكلب ونحوه وهو فى المغرب بضم الكاف .

الكفتة : (بضم الكاف فى مصر وفتحها بالمغرب) اللحم المهرم أى المقطع قطعاً صغيراً (ويقال فى عامية مصر والشام المفروم) ويقال بأن اللفظ فارسى دخل إلى التركية ومنها إلى بعض العاميات العربية كالمصرية والمغربية .

كنى القدر : أى قلبها (كفحها بالمغرب) .

الكمنجة : بمعنى الرباب معرب حسب «شفاء الغليل» .

الكوارع : الكراع مستندق الساق عند البقر والغنم وجمعه أكراع وأكارع وتجمعه العامة بمصر والمغرب على كوارع .

كورجة : باع كورجة أى بلا وزن ولا كيل ولا عد وهى تركية معناها العمى ووجه الشبه ظاهر بين هذه الآفة والبيع الأعمى بدون تبصر .

الكيب : فى مصر هو الحصير من ألياف البردى وهى من اللفظة التركية كيب ومعناها غطاء وتستعملها العامة فى المغرب (بالباء والميم) بمعنى غطاء من خشب يجعل فوق الدكاكين على نسق الإفريز والاستعمال المغربى أقرب إلى الأصل التركى .

الكوشة : موقد اللحم وعربها الأتون ، وتستعمل الكوشة عند عامة مصر والمغرب خاصة لأتون الآجر وهو بيت يطبخ فيه الآجر .

كومبانية : شركة (Campagnie) (مصر والمغرب) .

الكيف : بعض أنواع التبغ (يقال له فى مصر حسن كيف) .

لبارح=البارحة : أى الليلة الماضية ويقال فى مصر لمبارح باستبدال أم من أل على لغة حمير لقوله عليه السلام ليس من امبر امصيام فى امسفر .

اللبخة : دواء كالمزهم يوضع حاراً أو بارداً فوق العضو الألم (اللبخة) .

الألثغ : من فى اسانه عسر فى نطق بعض الحروف كإبدال الراء غينا بوجه خاص (وهو كثير بفاس) وتقول العامة بمصر الذغ بإبدال الثاء ذالا .

لشط الرجل فى الأكل : أى ازدد اللقم الكبرى بدون مضغ وتستعمل فى المغرب خاصة للتعبير عن إظهار التاميف فى الطعام ولفظه لطف جارية أيضاً بهذا المعنى فى البلدين .

ليلة الحنة : هى التى تسبق عادة الزواج وللحمام والحناء فيها أهمية وليلة الدخلة الزفاف والبناء .

مبلم (بكسر الميم فى مصر وبتسكينها فى المغرب) أى ساكت لا ينبس ببنت شفة .

المتختخ : أى المسترخى من كثرة الماء (بكسر الميم فى مصر وبتسكينها فى المغرب) :

المترد : وعاء اللبن والثريد وأصله المترد .

المخروع : ضعيف لا يقدر على العمل .

مخطوف : لون مخطوف أى أصفر .

مخوَّخ : فارغ اللب .

مدغمس : عين مدغمسة أى ضعيفة البصر يستعمل عامة المغرب خاصة مدغمش (بالعين المهملة) .

مزتجر : أى يعلوه الصداً أو الزنجار .

مسوكر : جواب مسوَجَر أو مسوكر أى مؤمن عليه أو مضمون (assure)

المضربة النجاد : الخيطة بالقطن (المصباح) (يقال مضربة فى مصر) .

المعجون : خليط لتخدير الأعصاب .

الملابطة : المصارعة (الملاكمة بالمغرب) .

ملط فى مصر وأملط فى المغرب : أى أملط لا شعر على جسده .

الميت : يتقارب المثلان المصرى والمغربى « الضرب فى الميت حرام » (مصر) « البكاء على الميت خسارة » (المغرب) .

المبيضة : المرحاض

نخشوش (بالنون فى مصر) ونخشوش (بالتاء فى المغرب) إذا دخل الماء فى خيشومه فأثار قلقه واضطرابه .

نش الذباب : أى طرده

نغز : أى حرص ونغزه بإبرة أى وخزه وفى الفصحى نخس :

نقر : (نكر فى المغرب) بالكاف المفخم أى أكثر من الكلام المؤلف . نكر عليه أى لمزه بالكلام المؤلم

فى للطفل لإغرائه بالنوم ويسمى غناء الأطفال بالتركية نينى والمهد بالفارسية

نانو :

نونو : العنل الحديث الولادة (مصر) وهو من الكلمة الفارسية نو ويقال فى المغرب نينو لكل جديد فى لغة الأطفال .

نينة : معناها أم جدة وأصلها ننة الفارسية وقد اقتبسها الأتراك ثم العرب ويستعمل عامة المغرب نانة (أى ترخم نه) وكثيرا ما يصف المغاربة الحدة بـ : « حنينة » فيقولون جدتى الحنينة ولا يبعد أن تكون نينة مرخمة عنها بحذف الحرف الأول على غير قياس تسهيلا .

ههبب الكلب نبح .

هتجالة : عزب ويقال عزباء (الأزهرى) وتستعمل فى المغرب خاصة بمعنى الأرملة وهى من هتجالة الفصحى .

هطّل فلان (بتشديد الطاء فى مصر وتخفيفها فى المغرب) : استرخى .

الهمج : الطبقات الوضيعة من الناس ، وأصله البعوض فى العربية ، ثم أطلق على كل رذيل من القوم .

هيه : تردد زجرا للطفل إذا استعملت ياؤها ممدودة ، هاه : هى كلمة وعيد حتى للكبار بمعنى حذار حذار .

الوحش (بفتح الواو فى المغرب وكسرها فى مصر) أى الرذيل من الناس .

وردان : أى الحارس ، أصلها (gardiano) الإيطالية أو (garabien) الفرنسية و (warden) بالإنجليزية وقد اشتق منها المصريون والمغاربة الوردية واستعمل عامة المغرب كلمة وردن للتدليل على عمل حراس الحمامك .

يوغورت : اللبن الرائب فى التركية ، وقد دخلت إلى المغرب أخيراً عن طريق الكلمة الفرنسية (yogourt) .

الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله

عضو المجمع من المغرب



المعجم العربي وتوحيد المصطلح العلمي للكاتب يوسف عز الدين

مقدمة :

ترددت كثيرا في الكتابة في هذا الموضوع لصعوبة الإحاطة التامة به فطبيعته المتحركة تحول دون الإحصاء التام . فعندرة إذا كانت خطوط البحث عامة . لأن الغاية هي إثارة الموضوع وإبراز هدفه الأول . ومن الاستقراء العام نجد أن حركة وضع المصطلحات الخادة في المؤسسات العلمية المستمرة ، يزحمها بالمناكب القوية العريضة ، العمل التجاري في إصدار المعجمات بشكل واسع ونشرها دون رقابة علمية حتى غطت على ما تخرجه الجامعات والمؤسسات العلمية وتفوقت عليها بالكثرة وجمال الإخراج وإتقان الأغلفة والإغراء النسبي في ازديت الخارجية .

ولم يقف العمل التجاري عند هذا الحد إنما تجرأ ناشر على تزوير جزء ألققه بلسان العرب جمع فيه المصطلحات العلمية التي وضعت في المجامع لم يسمع بها ابن منظور ولا عصر ابن منظور ، ورغم فائدة هذا الجمع ، فينبغي مراقبة مثل هذه الحركة قبل أن تستفحل ويصبح الفيروزابادي والزحشرى والفراهمدي من مؤلفي القرن العشرين .

المصطلح :

يوضع المصطلح باتفاق جماعة على معنى محدد لعلم أو فن أو فكر أو تيار فلسفي أو ظاهرة في الأدب والعلم والفن والفلسفة ، أو جانب منه ، أو جزء لتسهيل الفهم وتحديد الدلالة . وقد ورد في (الوسيط) بأقرب معنى وأقصره بأنه (اتفاق طائفة على شيء مخصوص ، ولكل علم اصطلاحاته) .

(١) قدم في مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في ٢١ جمادى الأولى ١٤٠٤ هـ الموافق ٢٣ شباط ١٩٨٤ م .

الحضارة الأوربية :

غمرتنا الحضارة الحديثة التي جاءت من الغرب بأنواع شتى من المخترعات والفلسفات التي لا يمكن أن تتوقف ، وزخت العلوم الجديدة والتقنية المتطورة والآراء المتصارعة على عالمنا العربي بما لم نسمع به من قبل، ولم يسمع حتى أبناؤها بها من قبل هذا القرن . وغمر اللغة العربية طوفان من المصطلحات المتناقضة والأطر الفكرية الغربية في الكتب والمجلات ووسائل الإعلام المختلفة التي ترجمت إلى اللغة العربية .

دور الجامع :

وقد حاولت مجامعنا - جاهدة - تقريب وجهات النظر المتباعدة عندما عقدت اجتماعين لها في بغداد والقاهرة ، وكانت تريد الاجتماعات دورية لإنجاز مهمتها العلمية ، غير أن الأمور الخارجة على إرادة العلم حالت دون الاستمرار فيها ، والاستفادة المرجوة من لقاء أصحاب الشأن والانتفاع بجهود الجامع .

ومع ذلك فقد كنا في المجمع العلمي العراقي ، ندرس المصطلحات التي تم وضعها في مجمع اللغة العربية في القاهرة ودمشق وننتفع بما وضع من المصطلحات الجديدة التي كانت تعرض على اللجان^(١) .

المنظمة العربية :

وقد حاولت المنظمة العربية للثقافة والعلوم عدة محاولات جادة في هذا السبيل ، كما عقد المجلس الأعلى لرعاية الآداب والعلوم والفنون اجتماعات في تونس ودمشق والقاهرة لكن حالت دون استكمال هذه الاجتماعات الظروف والعوائق المعروفة، ووقفت أمام فكرة توحيد المصطلح وحدث خطواته التي يرجوها المخلصون^(٢) .

(١) يمكن ملاحظة ذلك في المصطلحات التي وضعها المجمعون في بغداد في الفيزياء وعلم الأحياء والهندسة المدنية والري والبزل وعلم الغابات وعلم النفس والأمراض العقلية ، ومن أعضاء هذه اللجان كما وردت في (مصطلحات علمية) المطبوعة في مطبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٨٢ الأساتذة السادة أعضاء المجمع العاملون أحمد عبد الستار

الحواري وعبد العزيز البسام ومحمود الخليلي وعبد اللطيف البدرى ونجيب خروفة واللواء محمود شيت خطاب وحسن الكتاني ويوسف عز الدين ومحمد تقي الحكيم وجميل الملائكة وأحمد ناجي القيدى وجوامير مجيد سايم وفخرى الدباغ وعلى عطية وجلال محمد صالح وأحمد سوسة رحمه الله ، إضافة إلى خبراء يختارهم المجمع من ذوي الاختصاص في العلوم التي يضع مصطلحاتها . وضع المقدمة الدكتور صالح أحمد العلي .

(٢) هناك مشاريع أخرى للمعاجم تلك التي نشرت في تونس في الرياضيات والكيمياء والفيزياء ونذكر مؤتمر الجزائر الذي عقد في ١٩٦٤م بإشراف اليونسكو والمؤتمر الذي عقد في طرابلس الغرب سنة ١٩٧٧ لتوحيد المصطلحات ومؤتمر =

إن كثرة الجامعات - بما فيها من خير - وزيادة عدد المتعلمين الذين يعرفون اللغات الأجنبية وانتشار المجامع زاد في تفرق الكلمة وتناقض المصطلح فمن الضروري القيام بعملية تنسيق جادة وتنظيم مستمر بين المؤسسات العلمية في الوطن العربي .

التعريب في القديم :

عندما بدأ التعريب في العصر العباسي في بغداد ، كانت المصطلحات موحدة لأن مصدرها واحد هو بيت الحكمة وقد اعتمدت البلاد الإسلامية عليها وبالرغم من أن البداية لم تكن تلائم الذوق العربي الأصيل بدخول كلمات أجنبية في الترجمة مثل (ارثماطيقى) للحساب (وجو مطريا) للهندسة و (وبويطيقا) للشعر وغيرها مما هو معروف ، وقد تبدلت هذه الألفاظ وصقلت لما أشرف الأدباء وأصحاب الذوق العربي الأصيل على الترجمة فقد احتوى المترجم الأديب المعنى وفهمه وصبه في الذوق العربي ومن الأمثلة ما صنعه ثابت بن قرة في كتابي (اقليدس) و (الجسطى) .

التعريب في الحديث :

وأستطيع سادتي عندرا إن ذكرت بداية وضع المصطلح الحديث التي ما تزال آثارها واضحة في لغة العلوم والفنون والآداب في مصر عندما أرسل محمد علي باشا بعوثة إلى الغرب . فقد كانت هذه البعثات رائدة في عملها برياسة رفاعة رافع الطهطاوى . . فقد فرض على جميع الأعضاء بعد عودتهم الاهتمام بالتعريب والترجمة .

فقد درست مجلة (يعسوب الطب)^(١) الصادرة ما بين عامي ١٢٨٥هـ و ١٢٨٦هـ - و (روضة المدارس) التي أملك نسخة مصورة منها^(٢) وقلبت كتباً ترجمت إلى اللغة العربية في مختلف العلوم والفنون ، فوجدت جهداً كبيراً ودقة واضحة في الترجمة ووضع المصطلح تشابه حركة الترجمة الأولى التي قامت في بغداد . ومن هذه الكتب^(٣) .

= تعريب التعليم العالي في الوطن العربي الذي عقد في بغداد سنة ١٩٧٨ . وبعد المؤتمر ألزمت الجامعات والمؤسسات التربوية بالبدء في التعريب في الصفوف الأولى ، وبدأ التعريب في كلبى الطب وطب الأسنان سنة ١٩٨٠ - ١٩٨١ الجامية إضافة إلى تدريس مادة علمية باللغة الأجنبية في كل سنة دراسية . وأسس لهذا الغرض مركز للتدريب لتنظيم عملية التعريب وتنسيق المصطلحات وشارك في المؤتمر أعضاء من المجتمع العلمي العراقي العاملين هم جميل الملايكة ومحمود الجليلي ومحمود شيت خطاب وعبد الرزاق محي الدين ويوسف عز الدين وفخرى الدباغ وأسهموا في بحوث المؤتمر ودراساته وتوصياته .

(١) لا تملك دار الكتب أعداداً كاملة للمجلة .

(٢) كتب الزميل الشاعر الكبير محمد عبد الغنى حسن دراسة ممتازة عن (روضة المدارس) ونشرت بالهيئة العامة للكتاب في القاهرة .

(٣) تركت العناوين والتعليقات بأسلوبها وكررتها .

- ١ - حقائق الأخبار في أوصاف البحار . تأليف علي باشا مبارك .
 - ٢ - الصحة التامة والمنحة العامة . تأليف طبيب مصره ولقمان عصره ، عالم الأمراض الباطنية بالمدرسة الطبية محمد بدر أفندي .
 - ٣ - آثار الأفكار ومثور الأزهار . تأليف عبد الله بك فكرى .
 - ٤ - المباحث البيئات فيما يتعلق بالنبات . تأليف الحاذق الماهر ذى الفضل الباهر - أحمد أفندي ندا - مدرس المواليث الثلاثة بالمدرسة الطبية .
 - ٥ - الأزهار البديعة في علم الطبيعة . تأليف مسيو بيرون معلم الكيمياء بمدرسة الطب . جمعه من كتب الفن الفرنسية وترجمه يوحنا عنجورى المدعو بحنين مع مساعدة المؤلف المذكور لمعرفته بالعربية وصححه الشيخ يونس الواعظ المصحح .
 - ٦ - أحسن الأغراض في التشخيص ومعالجة الأمراض . تأليف محمد التونسى محرر كتب الطب ، قابله مع جامعه محمد شافعى الحكيم الماهر .
 - ٧ - حسن الصنعة في علم الطبيعة . لمدرسه على أفندي عزة أحد خواجات العلوم الرياضية بمدرسة المهندس سخانة الخديوية .
 - ٨ - التشریح العام . تأليف كلار ترجمة عيسوى أفندي النجراوى استملاه الشيخ عوض القناثى وهو المصحح الأول ، المقدمة استملاها الشيخ على العدوى وهو المصحح الثانى ، قابله مع بيرون الكياوى الطبيب العارف لكثير من اللغات .
- ومن قراءة التعليقات التى كتبت على الصفحات الأولى يجد الباحث مقدار الجهد وشكل العناية والشعور بالمسئولية التى بذلت فى سبيل خدمة اللغة العربية ولم يكتف المترجمون بالترجمة والتدقيق والمراجعة والتأكد من وضع المصطلح المناسب إنما كانوا يضعون الملاحق لتسهيل فهم المصطلح وضبط الكلمات وقد شرح الفكرة أحد هذه الكتب بقوله :
- « فيه كثير من الأسماء الأعجمية سواء كانت فرنساوية أو يونانية كأسماء مهرة المشرحين ، وبعض حيوانات قد ذكرت للتبيين ، وأسماء بعض أمراض ومفاصل ولعجمتها كان التحريف فيها حال التلفظ بها أقرب حاصل ، ولا يمكن النطق بها على حقيقتها بالضبط التام ، الذى به يستقيم الكلام ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بضبطها

بالعبارة ، لأن الضبط بالشكل غير مأمون الخسارة ، أمرني حضرة ناظر مدرسة الطب
الإنساني الآن الشهير بيرون أن أضبطها بالعبارة ليسهل التلفظ بها ويهون وأن أرتبها
على نسق حروف المعجم لتكون مراجعتها أسهل وأقوم وأحكم . . . (١)

دقة الترجمة والتطبيق :

وأعود فأقول إن دقة الترجمة ووضع المصطلح - رغم الضعف والركعة - أحيانا
مما يلفت نظر الدارس فقد كان كل طالب من طلاب البعثات الذين عادوا
إلى القاهرة حريصا على نقل علوم الغرب وفكره وطراز حياته إلى البيئة التي كان يعيش
فيها وتطبيق ما كان يراه صالحا من العلوم الحديثة إلى الطلاب والاستفادة منها في حياة
مصر العامة وما قام به الطهطاوي وما طبع نموذج حي لذلك .

كما أجريت دراسات علمية جديدة على مياه حلوان الملاحية الكبرى من (حضرة
موسيو جاستنيل خوجة الكيمياء والطبيعة وترجم الدراسة ذو المعارف الحمة فتوتلو
أحمد أفندي ندا - لأجل معرفته الفرق بين الأوصاف الكيماوية للماء حلوان المحتوي
على الأصل الكبريتي والأوصاف الكيماوية للماء المجرد عنه . . .) (٢)

وقد ذكر ما حصل للماء من التفاعل الكيماوي . . وعنيت (يعسوب الطب)
بمظاهر الأمراض ووصفها بدقة . .

توحيد المصطلح :

سبق لي أن ألفت أكثر من محاضرة في مؤتمر (تعريب التعليم العالي في الوطن العربي)
الذي عقد في بغداد ما بين الرابع إلى السابع من شهر آذار سنة ١٩٧٨ (٣) . دعوت إلى ضرورة
توحيد المصطلح العلمي في الوطن العربي وهو إحساس كل من عالج أمور المصطلحات
ومن يقرأها في الكتب والمعاجم التي تصدر في الأقطار العربية . ومؤتمر كم خير شاهد
على عمق الإحساس وصدق الشعور بالمسؤولية القومية والوطنية والعلمية في ضرورة التوحيد
سواء أكان في إطار المحاضرات والكتب أم بين دفتي المعجمات المتنوعة فقد دعت الضرورة

(١) التذريح العام ، تأليف كلار ، طبع في بولاق ١٢٦١ .

(٢) يعسوب الطب ، العددان ٢٥ و ٢٦ صفر ١٢٨٥ هـ .

(٣) أسهم عدد من أعضاء المجمع العاملين وقد نشرت بحوثهم في مجلة المجمع العلمي العراقي الصادر سنة ١٩٧٩

إلى جمع المصطلحات وضمها بعد التنسيق في معجم موحد يعتمد عليه الباحث والدارس والمترجم كل حسب اختصاصه .

وقد أحسن أعضاء المجامع في القاهرة ودمشق وبغداد والأردن بضرورة توحيد المصطلح وقد دارت الفكرة في بيت الحكمة في تونس - الجلسات الأولى - لوضع حد لهذه الفوضى في اختيار المصطلح وضرورة توحيدده .

ولتأكيد هذا الاتجاه صدرت عدة معجمات في العراق موحدة منها المعجم الطبي الموحد - ومن الصدف الحسنة أن توزع آخر طبعاته علينا في هذه الجلسة - والمعجم العسكري وغيرها من المعاجم في الطب والفيزياء والكيمياء وعلم طبقات الأرض (الجيولوجي) وللوصول إلى توحيد المصطلح في العلوم المختلفة مثل علم النفس وعلم الأحياء والهندسة المدنية والري والبزل والغابات والأمراض وكنا نراجع ما أقرته المجامع العربية وما أصدره مكتب تنسيق التعريب في الرباط ولم تكن تغفل دراسة الكتب المترجمة باختلاف المترجمين وتعدد الباحثين وكانت محاولات مجمع اللغة العربية المبكرة في القاهرة جادة في الدعوة إلى توحيد المصطلح وما قام به مصطفى الشهابي من جمع لأشهر الألفاظ اللاتينية لأنواع النبات وترتيبها على حروف المعجم وذكر ما يقابلها باللغة العربية مجال دراسة اللجان المختصة^(١) .

ولا يمكن نسيان جهود اتحاد المجامع العربية في إصدار المعجمات الموحدة في الطب والنفط والقانون والمعجم الموحد للمصطلحات العلمية في الرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلم الحيوان وعلم طبقات الأرض ، كما سعت المنظمة العربية للتربية والعلوم في هذا الصدد لشعورها العميق بهذا التمزق اللفظي .

وخارج المجامع قامت مؤسسة الكويت للتقدم العلمي بإصدار ثلاثة قواميس في الكيمياء ومشروع المؤسسة يشتمل على خمسة معاجم باللغة العربية والفرنسية والإنكليزية لشرح المصطلحات وقد وعدت المؤسسة بالالتزام بقواعد وضع المصطلحات التي أقرتها المجامع العربية .

(١) يلاحظ أعداد مجلة مجمع اللغة العربية في دمشق في أعدادها المتنوعة ومنها العدد الأول سنة ١٩٦١ ومعجم المصطلحات الحراجية الإنكليزية والفرنسية والعربية للأمير مصطفى الشهابي ومعجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية طبع مكتبة لبنان .

مشكلة المصطلح :

إن اختلاف المصطلح العلمي في الوطن العربي مشكلة آنية لا بد من حلها فقد كثرت الشكاوى من هذا الاختلاف والتفرق في وضعها واستعمالها وما تزال تدخل للحياة العامة ولغة الصحافة والكتاب ونحس بهذا الاختلاف في أبسط أشكالها في اللغة اليومية والاستعمال الرسمي :

فنحن في العراق نقول وزارة النفط وفي المملكة العربية وزارة البترول والمعادن وهناك من يسمى النفط بالزيت ووجدنا اختلافا في كثير من المصطلحات الحيوية منها على سبيل المثال :

علم الطبيعة — الفيزياء — وتسمونها الفيزيقيا .

الملاحق في الامتحان — الدور الثاني ويسمى الإكمال :

المدارس الأميرية والأعمال الأميرية تسمى الرسمية :

المدارس الحرة — الخاصة — الأهلية :

ناظر — مدير :

المرتّب — الماهية — الراتب — الرزق :

محال على التقاعد — محال على الاستيداع :

العوائد — الرسوم :

وظيفة خالية — شاغرة :

كادر — ملاك :

وكيل نيابة — حاكم تحقيق — مستنطق :

محكمة النقض — محكمة الاستئناف :

المحافظ — المتصرف — المدير .

مدير الأمن — مدير الشرطة — الحكماء :

سنترال — بدالة — مقسم :

ولو تتبعنا مثل هذه الكلمات لاحتاج الأمر إلى صفحات كبيرة إضافة إلى شيوع كلمات أجنبية مثل الطابور وسره وكوبرى ونمرة باش وتلغراف وجرنال . . والحبل على الجرار وجرائدنا العربية والإذاعة المسموعة والمرئية شاهد يومي على ما أقول . فلا بد من تدارك الأمر :

والتكاتف مع الجرائد اليومية ووسائل الإعلام بالابتعاد عن مثل هذه الألفاظ وتوحيدها في معجم واحد أو معجمات حسب حاجة الحياة المعاصرة . وحياتنا الحاضرة المتطورة تخدم عملنا بما فيها من سرعة المواصلات ووسائل النشر الحديثة وأدوات الطبع المتطورة وقد أصبحت الوثائق والرسائل والصكوك ترسل صورها من بلد إلى آخر بالهاتف المصور .

وقد توحدت الأمم المختلفة رغم اختلاف جذورها فحري بالعرب القضاء على الفارقة الفكرية والتمزق اللفظي في وضع المصطلح العلمي . إذ أخشى أن يأتي اليوم الذي لا تفهم شعوب العرب المصطلحات التي توضع في أقطارها المختلفة وأقاليمها المتباعدة .

هذه المشكلة قد حلها السلف الصالح بوضع كتب للمصطلحات مثل مفاتيح العلوم للخوارزمي والمغرب للجواليقي والمتوكلي للسيوطي والتعريفات للجرجاني والمخصص لابن سيده وغيرها من مصطلحات اللغة والأدب والفلسفة . فالدارس العربي والمسلم قد وجد المصطلحات ورآها ضرورة لمسيرة حياته الحضارية والعلمية في العصر العباسي وحاولها أحفاده في زمن محمد علي باشا^(١) وكان من نتيجة وحدة المصطلح فهم العلوم وهضمها وانتشارها واستعمالها في الكتب العلمية المختلفة حتى أصبحت مألوفة ميسورة لكثرة تداولها .

ولا بد لي أن أسجل شكوى أستاذين في المغرب العربي ومعاناتهما من المصطلحات التي توضع في مشرق الوطن العربي ، فقد قال الأستاذ الدكتور محمد السويسي زميلي في المجلس العلمي لبيت الحكمة في تونس :

(واجهنا مشكل المصطلحات في العربية حين حدث بنا الظروف منذ ما يزيد على الثلاثين سنة إلى الإشراف على تحرير القسم العلمي في مجلة المباحث وإلى تدريس أصول الرياضيات والعلوم الفيزيائية) . فقد كانت المشكلة قديمة حاول الأستاذ وضع مصطلحات جديدة اعتماداً على التراث العربي وما وضع المشاركة من مصطلحات لكنه وجد تشتتاً وتفرقاً في وضع المصطلح فقال :

(قام الباحثون في المشرق منذ أمد بعيد بأعمال كثيرة كانت مفيدة ، وأكب العديد من الأخصائيين جاهدين على إنشاء ما يقابل في العربية ، المصطلحات العلمية الجارية بها العمل ، ولكن هذه المساعي ، كانت مشتتة وكان نتائجها متباينة مختلفة فصار المعجم العربي الحديث

(١) المؤسسات العامة في زمن محمد علي باشا وضعت معجماً كبيراً في عدة مجلدات سمي قاموس القواميس الطبية ولا يمكن اغفال ما في مخطوطات التراث العربي لابن الهيثم وابن سينا والكندي وابن بصال وابن وحشية من مصطلحات في مختلف العلوم والفنون .

ملفقا تلفيقا مصطبغا بعديد من الألوان وهو مائج متحرك يعرض من المستحدثات أفواجا من الألفاظ المشتركة التي قد توازي المدلول المقصود موازاة تامة أو هي لا توازيه ، والتي تتميز بحسب البيئات وتختلف باختلاف الأشخاص ، فعرب كل أخصائي بعض مصطلحات اختصاصه ، متأثرا باللون الذي طغى على اللفظ المستعمل في لغة الأصل التي استند إليها وجعلها أساسا في بحثه فتراكت المفردات وتعددت لأداء المفهوم الواحد أو لوصف الظاهرة الواحدة . . .) (١) .

وقال الدكتور أحمد الأخضر من الجزائر :

(ولو كان المعجمون العرب العصريون قد اهتموا بتأليف معاجم متخصصة على منوال أسلافهم (كابن سيده في مخصصه) لأدركوا اضطراب المصطلحات التي لا يقبل مجال من الأحوال ، وما كان علينا أن نقوم بهذا العمل الجبار لإعادة تنظيمها اليوم) (٢) .

الخاتمة :

إن توحيد المصطلح في لغتنا المعاصرة ضرورة من ضرورات حياة العرب الفكرية المعاصرة لإثبات الذات في الوطن لأن التطور العلمي في هذه المرحلة الدقيقة من مراحل تطور الحضارة السريع لا بد له من إعداد متقن ومنسق بعد أن أصبحت البشرية عالما واحدا مشتركا في كل قضاياها العامة .

واللغة العربية هي الأداة القوية التي تربط الأقطار العربية وتسجل تطورها العلمي وتقدمها الحضاري فمن الضروري أن توجد مصطلحاتها بعد أن أصبحت جزءا من الفكر القومي والوطني لأن ترك الأمور على الغارب سوف يخلق لغات متنوعة لن تمكن الاستفادة منها في الأقطار العربية الأخرى. وليست القضية اعتزازا بالنفس واعتدادا بالإقليمية إنما هي قضية مصير موحد وقضية مستقبل الحضارة والعلوم في وطننا فمن الضروري أن تأخذ الأمور بالحد واحتواء الحضارة الغربية ومواجهتها بفهم علومها ومصطلحاتها .

إن فهم العلوم لا يتم بصورة مفيدة وفاعلة في تطور الفكر العلمي عند العرب إلا إذا فهم الباحث العلوم الحديثة في لغته المعاصرة فقد تقدمت اليابان وطورت علوم الغرب عندما درست العلوم الغربية بلغتها رغم الصعوبات الكبيرة في هذه اللغة وقد تطورت العلوم الحديثة في روسية عندما بدأ العلماء يدرسونها باللغة الروسية ، ولم تصل الصين ذات اللغة العجيبة

(١) مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي ، بغداد ١٩٨٠ ص ٥٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٨٩ .

المقدمة إلى اكتشاف أو اختراع القنبلة الذرية ومزاحمة الغرب في صواريخه إلا بعد دراسة العلوم المتطورة باللغة الصينية (١).

كنا ندرس الكيمياء ولا نعرف ما يحتويه المصطلح من كميات المواد وكنا نحفظ غيبا المصطلحات العلمية كي ننجح في الامتحان لأننا لا نعرف بصورة مضبوطة محتويات هذه المصطلحات العلمية، والطالب في الغرب يعرف ما معنى كبير توز وكبريتات وكبريتد وكبريتيك وما مقدار الأكسجين والكبريت في هذا المصطلح.

إن وضع المصطلحات باللغة العربية وتنسيق المعجمات وتوحيدها سوف يخلق جيلا عربيا يفكر بلغته ويعرف أسلوب البحث العلمي ودقائق المصطلح ومن فهم الأسلوب العلمى فقد تطور فكره في البحث ووصل إلى النتائج الجيدة وأصبح مبدعا. لأن اللغة خير وسيلة للتأصيل العلمى والفكرى. وبعث الثقة العميقة بالتراث اللغوى التى عانى من الاتهامات المريرة.

إن الإيمان بقدرة اللغة سبيل إلى بعث الثقة بالذات ووسيلة للتأصيل العلمى والفكرى فى الأمة واحتواء الحضارة الجديدة لأن العلم متى أصبح مشاعا يصبح سهلا ومتناولا من أصحاب الحرف والأعمال العامة وعلى هؤلاء المعول فى إدارة كثير من أعمال المخترعات الحديثة.

ولا بد فى هذا المجال من مراجعة المعاجم التى وضعت لمختلف العلوم والفنون والاستفادة من أصحاب الخبرة فى كل فن وعمل فى وضع المصطلح العلمى. ويمكن اتخاذ الخطوات التالية :

١- عقد المؤتمرات الدورية المتقاربة التى بدأت فى المجامع - ولم تستمر - لتوحيد المصطلح الذى يضعه الجمعيون قبل أن يطبع فى المعجم الموحد للعلم الواحد.

٢- أن يكون التنسيق مستمرا بين جميع المؤسسات العلمية والمجامع بتبادل ما وضع من المصطلحات ودراستها وإبداء رأى فى كل مصطلح.

٣- لإسهام عدد من اللغويين فى المؤسسات العلمية الصرفة عند وضع المصطلح فقد لاحظت بعض المصطلحات يضعها العالم الفاضل بعلمه ولكنه بعيد عن الذوق اللغوى والأسلوب العربى فتدخل الألفاظ الأجنبية التى ألفها العالم ويفرضها لشدة حرصه وقرب معناها إلى نفسه.

(١) لكى تلم باللغة الصينية لابد أن تعرف عشرة آلاف حرف وقد أحسست بصعوبة لغتها عند زيارتي للصين الشعبية ولا شك بأن اليابان تعانى مثل هذه الصعوبات ولكن لم تنحل الصين واليابان عن اللغة رغم الصعوبة البالغة ولم تكن بلغارية لها حروف هجائية حتى جاء (كيروستيوى) وأخذ من اليونانية الحروف وطورها.

٤ - من المهم وجود هيئة علمية للتنسيق قادرة على العمل المنظم والحركة السريعة وتملك القدرة المالية والمعنوية في التنسيق والطبع والنشر.

٥ - تحديد معنى المصطلح بوضع تعاريف مطولة واختيار الدقة في لغة العلم المعاصرة ، وإيضاح الدلالة العلمية والتفاعلات التي جاء منها المصطلح لأن الإيضاح ضرورة لفهم المصطلح في أول وضعه والاتفاق عليه .

٦ - جمع المصادر العلمية من مصادرها العلمية المعاصرة وحذف الاختلاف البين وتقريب وجهات النظر ما بين هذه المصطلحات والتأكيد على دراسة ما وضع في المشرق العربي والمغرب العربي لاختلاف القواعد الفكرية العلمية بتنوع الجذور الأجنبية التي أخذت منها هذه المصطلحات .

٧ - ولا بأس من الاستفادة من المصطلحات العلمية التي وضعت في زمن محمد علي باشا رغم ما فيها من سداجة وبدائية وقد وجدت الكتب التي انتشرت في المدارس مطبوعة أو مخطوطة في دار الكتب وقد ذكرت جزءاً منها :

شكر وتقدير :

وأخيراً أقدم جزيل شكري وتقديري للمبادرة الكريمة التي قام بها مجمع اللغة العربية للدعوة لهذا المؤتمر فإن عمله التاريخي خطوة كبيرة في سبيل الوحدة الفكرية للقضاء على التمزق الفكري في وضع المصطلح لأن توحيد المصطلح أقوى قاعدة للنهوض بالعلم المعاصر وتقريب فهمه ونشره بين أكبر عدد من المتعلمين وأصحاب الحرف . . وبالتالي فهو عمل خالداً في توحيد الفكر المشتت في بلادنا العربية.

وأرجو أن تكون هذه الخطوة العلمية باعثاً لحفزهم المؤسسات العلمية في كل الأقطار العربية للسير في هذا السبيل .

وأختم قولي هذا بالتهاني القلبية لمجمع اللغة العربية ولرئيسه أستاذنا شيخ الفلاسفة المعاصرين الدكتور إبراهيم بيومي مذكور وأساتذتي وزملائي أعضائه وأتمنى لهم أعذب التهاى والعمر المديد والإنتاج المستمر . . بالعيد الذهبي راجياً أن يكون المجمع منارا يشع بعلمه ونيراسة يهتدى بفضله وفكره يستفاد منه وفضلاً يطور الحضارة المعاصرة ويقدمها حية لجميع الأمة العربية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

الدكتور يوسف عز الدين

عضو المجمع من العراق

معجم العربية الفصحى الذى يصدر في ألمانيا الغربية للكنور رمضان عبدالتراب

من القضايا المهمة التى أحس بها وناقشها المشتغلون بالعربية فى العالم ، منذ أكثر من مائة عام ، قضية صنع معجم شامل ودقيق للعربية الفصحى ، يستقى مفرداته من نصوص هذه العربية . وقد بذلت فى هذه القضية محاولات مختلفة ، متعددة الطرائق والأهداف هنا وهناك ، غير أن محاولة من هذه المحاولات ، لم تصل إلى النتيجة المرجوة منها حتى الآن .

ومن المحاولات المهمة التى بدئ فيها فى ديسمبر سنة ١٩٥٧ م ، ماقامت به جمعية المستشرقين الألمانية ، على يد ثلاثة من كبار العلماء المستشرقين ، وهم : « يورج كرايمر » Jorg Kraemer من جامعة « إرلانجن » ، و « هيلموت جيتيه » Helmut Gätje من جامعة « توبنجن » ، و « أنطون شبيتالر » Anton Spitaler من جامعة « ميونخ » .

وقد رأى هؤلاء العلماء أن يبدعوا معجمهم بحرف الكاف ، ليكملوا معجم : « مد القاموس » Arabic-English Lexicon الذى ألفه « إدوارد لين » E. Lane ووصل فيه إلى نهاية حرف القاف ، ونشره فى ليدن سنة ١٨٦٣ - ١٨٩٣ م ، ثم أعجله الموت عن إتمامه ؛ وذلك حتى يفيد منه الباحثون عن معانى كلمات الأدب العربى القديم ، التى لم يقدر لإدوارد لين أن يضمها معجمه : « مد القاموس » ، وإن اختلف منهج هذا المعجم عن منهج المعجم الألمانى الجديد ، الذى سماه مؤلفوه : « معجم العربية الفصحى » (Wörterbuch der klassischen arabischen Sprache) .

ومن المعروف لكل المشتغلين بالعربية ، أن المستشرق الألمانى : « أوجست فيشر » August Fischer كان قد بدأ مشروعه الضخم ، لعمل معجم تاريخى للغة العربية ،

يستقى مادته من النصوص العربية ، ويستخلص منها دلالات الألفاظ والتراكيب . وقد
قضى « فيشر » في هذا المشروع زمنا طويلا ، قبل أن يختار عضوا بمجمع اللغة العربية
بالقاهرة ، منذ أول يوم أنشئ فيه هذا المجمع . وعندما عرض مشروعه على
مجمع اللغة ، لقي ترحيبا بالغاً من أعضائه ، وأنفق « فيشر » آنذاك أربع سنوات كاملة ،
في جمع مادة معجمه ، واستكمالها ، وتبويبها ، وتنسيقها . ولكن الحرب العالمية
الثانية فاجأته ، واضطرته للعودة إلى وطنه ، ثم أقعده المرض ، وعاجلته المنية ،
دون أن يخرج من مشروعه الضخم إلا مقدمة ، ونموذج من حرف الهمزة إلى
مادة (أبد) . وقد نشره مجمع اللغة العربية بالقاهرة بعد ذلك .

ولا يزال جزء كبير من جزائات هذا المشروع الكبير في حوزة مجمع اللغة .
وقد تفضل المجمع فأذن للجمعية المستشرقين الألمانية ، بتصوير الجزائات الخاصة بحرفي
الكاف واللام منها ، قبل ربع قرن مضى . كما كتب « جورج كريمر » في عام ١٩٥٥ م
مقالا في مجلة جمعية المستشرقين الألمانية (ZDMG, Bd. 105, S. 81-105) عن
هذه الجزائات ، بين فيه أنها في حاجة كبيرة إلى التصحيح والتنقيح والإكمال .

ثم وقعت تحت يد « كريمر » مجموعة أخرى من الجزائات ، صنعها : « تيودور
نولدكه » Th. Nöldeke و « ركندورف » Reckendorf لألفاظ العربية الفصحى ،
وجمعهاها من النصوص اللغوية ، إلى جانب حصيلة أخرى من الألفاظ ، التي دونها
« فيشر » نفسه على هامش نسخته من : « مدّ القاموس » لإدوارد لين .

وعندئذ فكر « جورج كريمر » مع زميليه ، أن يقوم بإحياء مشروع « فيشر »
مبتدئا بحرف الكاف ، كما ذكرنا من قبل . وخرجت الكراسة الأولى من هذا
الحرف ، ونصف المادة العلمية الموجودة بها لفيلسوف ، أما النصف الآخر فهو
من جهد « كريمر » وزميليه ، ومما استفادوه من مجموعة « نولدكه » و « ركندورف » .

وقد ذكر الثلاثة في مقدمة الكراسة الأولى ، أن عملهم يسوده روح الفريق :
فقد ذهب « كريمر » إلى القاهرة ، ودرس الجزائات التي صنعت تحت إشراف « فيشر »
بمجمع اللغة ، وانتقى منها ما يخص حرفي الكاف واللام ، ورتبها ، وقام بتصويرها
بمساعدة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية آنذاك ، ثم أعد مع زميله : « جيتيه »
في « توبنجن » مسودة المعجم ، بعد الإكمال والتنقيح والمراجعة لجزائات « فيشر » ،

وما أضيف إليها من المادة الجديدة ، وأرسلت هذه المسودة إلى « أنطون شبيتالر » في « ميونخ » ، فراجعها على المصادر ، وزاد عليها ما جمعه من قبل من مادة صالحة لهذا العمل .

أما معانى الكلمات العربية ، فقد تُرجمت بالألمانية والإنجليزية ، وقام بالترجمة الإنجليزية لهذه الكلمات : « جون ديفز » John Davis وصححها بعناية المستشرق : « دنلوب » Dunlop في « كمبردج » ، كما عاون في تصحيح تجارب الكراسة الأولى المستشرق : « سنجر » Singer في « إرلانجن » .

وفي عام ١٩٦٠ م مات « جورج كريمر » منتحراً ، بعد أن أصيب بحالة اكتئاب نفسى ، وصدرت الكراسة الثالثة من حرف الكاف ، من عمل : « أنطون شبيتالر » مع : « مانفريد أولمان » M. Ullmann وظل هذان المستشرقان الجليلان يسهران بجهدهما في هذا المعجم ، حتى انتهى حرف الكاف كله في عشر كراسات : ورأى كل واحد منهما بعد ذلك ، أن يستقل بالعمل في حرف كامل ، فكان حرف اللام من نصيب « أولمان » ، وحرف النون من نصيب « شبيتالر » .

وقد انتهى الجزء الأول ، الذى يحتوى على حرف الكاف كله في عام ١٩٧٠ م ، ويقع في ٥٨٢ صفحة من القطع الكبير ، كما كمل القسم الأول من الجزء الثانى ، ويحتوى على أول حرف اللام إلى الجذر (ل ض م) في عام ١٩٨٣ م ، ويقع في ٦٧٣ صفحة من القطع الكبير كذلك . وهذا القسم يحتوى على ٢٣١٠٠ من الشواهد اللغوية :

ويسير الجزء الثانى المختص بحرف اللام ، على المنهج الذى وضعه « جورج كريمر » في مقدمة حرف الكاف . غير أن الاستمرار في العمل طوال هذه السنوات ، أدى إلى تغيير بعض الخطوط العامة للمعجم على النحو التالى :

١ - النصوص الكثيرة المحققة ، التى ظهرت في السنوات العشرين الماضية ، جعلت المادة اللغوية أمام المؤلفين غزيرة جدا .

٢ - النصوص التى كانت بالنسبة لهم مفقودة ، وكانوا يعتمدون في استخدامها على مصادر ثانوية ، ظهرت للوجود منشورة محققة :

٣ - استبدلت بالنصوص المحققة قديما ، ما حقق منها حديثا مرة أخرى : ومن ذلك دواوين : البحترى ، وجريز ، وكثير عزة ، والراعى النميرى ، وابن الرومى ، والشماخ .

٤ - بعض التحقيقات القديمة استبقيت إلى جانب الحديد منها . مثل دواوين : العجاج والأخطل ، وحسان بن ثابت ، ومزاحم ، والنابعة الدبباني .

٥ - ترتب على ظهور مطبوعات كثيرة جديدة ، أن تغيرت مختصرات كثيرة استخدمها « يورج كريمير » متبعا فيها « نولدكه » (في معجمه الذي ظهر منه كراستان في برلين ١٩٥٢ - ١٩٥٤ م) ، فكانوا يرمزون مثلا لكتاب : « الاشتقاق لابن دريد » بالرمز : (b. Dor) . أما في الوقت الحاضر ، فإننا نعرف لابن دريد ثمانية كتب ، كلها مستخدمة في « معجم العربية الفصحى » .

من أجل هذا كله ، وضعت في هذا الجزء الثاني قائمة جديدة للاختصارات ، التي تصلح للتعبير عن كل هذا التراث الحديد . واتبعت فيها النظم التالية :

١ - ضبطت أسماء الكتب ومؤلفيها بالضبط الموافق للنطق العربي ، وليس بالنطق المعروف لدى المستشرقين (مثلا : Bakri وليس : Bekri) .

٢ - لم تعد الرموز تكتب بالطريقة الإنجليزية ، التي ترمز للصوت الواحد أحيانا بحرفين من الحروف اللاتينية ؛ مثل : Kh للحاء ، وإنما اتبعت الطريقة الألمانية ، التي ترمز للصوت العربي برمز لاتيني واحد ، مع وضع بعض النقط أو الخطوط والأقواس فوقه أو تحته .

٣ - أشار المؤلفون إلى الدواوين بذكر أسماء الشعراء فقط ، كما أشاروا إلى المعاجم العربية بمختصر لعناوينها ؛ مثل : العين ، والبارع ، والجمهرة ، والاسان ، والمختص .

٤ - أشاروا إلى غير ذلك من المراجع العربية ، بذكر مختصر لاسم المؤلف ، وبعده مختصر لاسم كتابه ؛ مثل : البلاذري أنساب ، والبلاذري فتوح ، والمرزباني معجم ، والمرزباني موشح ، والمرزباني مقتبس ، والمرزباني نساء ؛ وبذلك ظل الباب مفتوحا لمراجع جديدة تظهر لهؤلاء المؤلفين . ومع ذلك أبقى المعجم على المشهور من أسماء المراجع بلا ذكر لمؤلفيها ؛ مثل : الأغاني ، والحزانة ، والعقد .

٥ - أشار المؤلفون إلى الطبعة الثانية ، مما له طبعتان ، بذكر اسم محقق الطبعة الثانية مختصرا ، بعد ذكر أرقام الطبعة الأولى ، مفصولا عنها بشرطة مائلة ، وموضوعا بين قوسين ؛ مثل : حسان ١٧٧ / (عرفات) ١٧٥ / ٣

٦ - الكتب العربية المترجمة عن اليونانية ، كتبت أسماء مؤلفيها في صورتها العربية ؛ مثل : بقراط : فصول ، وديوسقوريدس : حشائش ، وجالينوس : تجربة . . إلخ .

وقد قام الناشر في عام ١٩٧٩ م بنشر قائمة الاختصارات الجديدة نشرة مستقلة ،
مماثلة لحالة « معجم العربية الفصحى » اعتباراً من يولية ١٩٧٨ م ، لتسهيل الأمر على مستخدم
هذا المعجم بصورته الجديدة .

وعندما ظهرت بعد ذلك نصوص جديدة ، روعيت كذلك فيما نشر بعد ظهورها
من صفحات المعجم ، كما تم الاتفاق مع الناشر على عمل قائمة جديدة مستوفاة ، ستنشر في
أول القسم الثاني من حرف اللام ، أو في نشرة مستقلة .

وعند بدء ظهور هذا المعجم بحرف الكاف في عام ١٩٥٧ م ، كانت جزازات « فيشر »
التي صورت من مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، تمثل ٥٠ ٪ من الشواهد المستعملة في المعجم ،
كما ذكرنا من قبل ، وبدأت هذه النسبة تقل بالتدريج ، حتى وصلت مع نهاية حرف الكاف
في عام ١٩٦٦ م إلى ٥ ٪ فحسب . وابتداء من مادة (لحد) في الجزء الثاني (ص ٢٧٩
وما بعدها) لم يعد الرجوع إلى جزازات « فيشر » أمراً مرغوباً فيه ؛ لأن مراجعة الأفلام
التي صوّرت عن مجمع اللغة العربية ، كانت تضيق الوقت ، كما أن المادة التي تحتويها هذه
الجزازات ، كانت مأخوذة من طبعات قديمة عفى عليها الزمن ، فترك الرجوع إلى هذه
الجزازات ابتداء من مادة (لحد) نهائياً .

وقد عمل في هذا المعجم الكثير من المساعدين ، رجالاً ونساء ؛ مثل : الدكتورة
« كيللمان » Kellermann التي قامت بين عامي ١٩٦٦ - ١٩٦٨ م باستخراج المادة
العلمية اللازمة لحرف اللام من مجموعة ضخمة من المصادر ، تصل إلى أكثر من ٣٥ مصدراً ؛
منها : ديوان العباس بن الأحنف ، وديوان علقمة ، وديوان عنبرة ، وديوان بشار ،
وديوان جرير ، وديوان امرئ القيس ، وديوان طرفة ، وديوان زهير ، إلى جانب :
الأصمعيات ، وسمط اللآلي ، والعقد الفريد ، وشرح المقامات للشريشي ، والبخلاء
للجاحظ ، والمعاني الكبير لابن قتيبة .

وفي عامي ١٩٦٣ - ١٩٦٤ م ، استخرج بروفيسور « شبيتالر » المادة العلمية اللازمة
لحرفي اللام والميم في المعجم ، من بعض الدواوين كديوان عمرو بن قتيبة ، وأوس بن
حجر ، وجران العود ، ومزرد ، والنمر بن تولب ، وسراقة البارقي ، والشماخ ،
وغیرها .

ومن عمل في هذا المعجم كذلك : الدكتور « فيلانت » Wielandt و « حبيب جلاويش » والدكتور « عثمان بوغانمي » . والدكتور « أدولف دينتس » Adlof Denz والدكتور « فيرنر ديم » Werner Diem والسيدة « توللي » Tölle والدكتور « شتيفان فيلد » Stefan Wild وغيرهم .

وقد أدى كل هذا الجهد الكبير إلى اتساع المادة العلمية ، والشواهد اللغوية المستخدمة في المعجم اتساعا كبيرا ؛ فبعد أن كان مرجع الحديث : « وهل يَسْكُبُ الناس على مناخيرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم » الوارد في صفحة ١٤ من الجزء الأول (كيب) هو كتاب الأمثال لفرايتاج (رقم ٢٥٨٣) وحده ، أصبح مرجعه في مادة (لسن) من الجزء الثاني (صفحة ٦٠٣) : رسائل الخاخط ١ / ١٦٨ والبرهان لابن وهب ٦٥ وبهجة المجالس لابن عبد البر ١ / ٨٣ وثمار القلوب للشعاني ٣٣٤ والتمثيل والمحاضرة للثعالبي ٢٥ وليس لابن خالويه ١١٩ .

واتساع المادة بهذه الصورة ، يؤدي إلى درجة عالية من الوثوق بصيغة الكامة ودلالاتها ، ومعرفة تاريخها وتطورها . وذلك أمر تجب مراعاته في البداية بكل دقة ، حتى وإن أدى إلى تضخم المعجم ، فإن هذا التضخم سيخف بالتدرج في المستقبل ، حين يمكن الإشارة المختصرة إلى المواضيع التي عولجت من قبل . فمثلا في عبارة : « باللسان وباليد » بمعنى : بالقول والفعل ، ذكر لها عشرة مراجع في مادة (لسان) ، وعندما يصل المعجم إلى مادة (يد) ، سيكتفي بالإشارة إلى هذا الموضوع السابق في مادة (لسان) . ومثل ذلك في عبارة : « هو لحم على وضم » التي ذكر لها في مادة (لحم) أحد عشر موضعا ، ولا تحتاج العبارة عند ورودها في مادة (وضم) إلا إلى إشارة يسيرة إلى ماسبق الحديث عنه . ويستخدم المعجم في هذه الحالة سهمي (←) يشير إلى موضع ورود العبارة في المعجم من قبل .

وفي بعض الأحيان يعالج مع اللفظ ما يتصل به من مرادفات ، وتشبيهات ، واستعارات ، وعبارات لغوية خاصة ؛ فقد عالج المعجم مثلا ارتباط كلمة (اللحد) في عبارات مع القبر والضريح والحفرة والرمس والقعر والهوة وغيرها . ومثل ذلك ارتباط كلمة (اللجين) في عبارات مع الذهب والنضارة والإبريز والعسجد والتبر وغيرها . ومع كلمة (اللذة) مثلا ، عالج المعجم ارتباطاتها بالشهوة واللهو والسرور والمسرة والفرح والراحة والرخاء والتمتع والأريحية والنعيم والغضار وقرة العينين والطرب والضحك والحسن والعذوبة وغيرها . وكذلك كلمة (اللجام) مثلا عالج المعجم ارتباطاتها مع الشكيم والمقود والعليق والعنان والرسن واللبب والسرّج ، وما يقابلها من الكلمات التي تستخدم مع الحمل ، كالزمام

والرحل وغيرهما ، بحيث تصبح المادة اللغوية شاملة لكل ما يدور فيه اللفظ من عبارات في العربية .

ويقوم في الوقت الحاضر الدكتور « زايدنشتيكر » Seidensticker بعمل فهرس تفصيلي لهذه الكلمات المذكورة في غير موادها ، في الجزأين اللذين صدرا من المعجم ، حتى يمكن لأي باحث الإفادة منها .

وكان المتبع في الجزء الذي صدر خاصا بحرف الكاف ، أن يذكر بعض شواهد الكلمة متضمنا السياق الذي تذكر فيه الكلمة كاملا ، وفي بعضها كان يكتفى بذكر المرجع بجزئه وصفحته دون ذكر السياق الذي وردت فيه الكلمة . ومنذ بداية الجزء الخاص باللام ، رثي تعميم الطريقة الأولى ، أي ذكر السياق الذي استخدمت فيه الكلمة دائما . وكان هذا أحد أسباب تضخم هذا الجزء ، وإن لم تخل هذه الطريقة من فائدة للباحثين في طرائق العربية ، وتغيرها من عصر إلى عصر .

ويسير « معجم العربية الفصحى » في ترتيب كلمات المادة الواحدة على تقديم الأفعال على الأسماء . وفي الأفعال يرتب ما يوجد منها في العربية على الصيغ التالية : فَعَّلَ (إلى جانب فَعَّلَ وَفَعَّلَ) وَفَعَّلَ وَفَاعَلَ وَأَفْعَلَ وَتَفَعَّلَ وَتَفَاعَلَ وَانْفَعَلَ وَافْتَعَلَ وَافْعَلَ وَاسْتَفَعَلَ وَافْعَالَ ، على هذا الترتيب . ويشار في الثلاثي إلى حركة عين الفعل في المضارع . وفي الأسماء تُقدّم الصيغ الثلاثية الساكنة الوسط على فَعَّلَ ثم فَعَلَ ثم فَعَّلَ ، ويأتي بعدها الثلاثي المتحرك الوسط ، ثم المزيد بحرف أو أكثر .

ويشير المعجم إلى أصول الكلمات المعربة في العربية ، وإلى اليسير من اللغات السامية الأخرى ، كما يهتم بالإشارة إلى الكلمات التي عالجها بعض المستشرقين في بحوثهم ومقالاتهم هنا وهناك . كما يشير كذلك إلى شيء من التحريف القديم ، الذي أصاب بعض الكلمات العربية على أيدي اللغويين العرب ؛ مثل كلمة : « اللجن » في بيت ابن مقبل (ديوانه ٢٣/٣٩) :

يعلون بالمردقوش الورد ضاحية على سعايب ماء الضالة اللجن

التي حرّفت في الإبدال لأبي الطيب ١٧٠/ ١ والصحاح للجوهري ٦٣/ ١ ولسان العرب ٢٧١/ ٧ والمزهر للسيوطي ٣٩٠/ ٢ إلى (اللجز) ، ووضعت في مادة مستقلة في المعاجم العربية ، على أنها مقلوب : اللزج !

وسأضرب هنا بعض الأمثلة من هذا المعجم الجليل ، مع ملاحظة أنني اخترت من الكلمات ما لا يطول فيه الاستشهاد :

(١) مكتنز (حرف الكاف ٣٨٣) : معناها بالألمانية : fleischig أو Fést أو kompakt وبالإنجليزية fleshy أو solid أو compact أو strong أو stark

الشواهد : بمكتنز عبل ، لأبي ذؤيب في ديوانه ٦ / ٦ وديوان الهذليين (طبعة دار الكتب) ٣٦ / ١ : ٤ والمعاني الكبير لابن قتيبة ٧٢٣ : ٧ // صقراً مجتمع الخلق شديداً مكتنزا : المصايد لكشاجم ٨٨ : ٩ والبزرة ١٨٠ : ٨ // عضدان متلئنان لحمياً مكتنزان شحما : الوصايا لأبي حاتم ٦٧ : ٤ والعقد الفريد ٣ / ٢٨٧ : ٦ // كان صلباً مكتنزا : طبقات النحويين للزبيدي ١٦٠ : ١٢ مكتنزة ضخمة : أمالي ابن الشجري ١ / ١٢٣ : ٩ // هذا الكتاب مكتنز بالفوائد : أساس البلاغة ٣٩٩ : ٥ وانظر أيضاً معجم البلدان لياقوت ٢ / ٣٤٢ : ١٥ .

(٢) مكايذة (حرف الكاف ٤٨٧) : معناها بالألمانية : List أو Kriegslist أو Betrug وبالإنجليزية : trick أو stratagem of war أو Seduction

الشواهد : مكايذة الرقيب : المختار من شعر بشار ٦٤ : ٢ // على مكايذة امرأته : الفاخر للمفضل بن سلمة ١٢٥ : ٩ // من مكايذة الروم : فتوح مصر لابن عبد الحكم ٣٥ : ١٦ // في المؤاربة والدهاء والمكايذة والمخاتلة : تاريخ الطبري ١ / ٨٤٧ آخر سطر // على تقاعده بي ومكايذته إياي : الوزراء للصابي ٩٥ : ٦ مكايذة الغلظة : مختار الحكم لمبشر ٧٩ : ١٥ .

(٣) مُلَابِس (حرف اللام ١٤٩) : معناها بالألمانية : Umgang Pflgend أو berührend وبالإنجليزية : having dealings أو touching

الشواهد : بجرباء تعدى من أتاها ملابسا : ديوان مزرد ٨ / ٣ // ويحظى بنا الحار الغريب الملابس : حماسة ابن الشجري ٢٥ : ٧ // فمنهم ملابس مكيث : الجيم (مخطوطة الاسكوريال) ٢٤٨ ب / ١٢

ومن معاني الكلمة كذلك بالألمانية : sich beimischend وبالإنجليزية mixing with

الشواهد : فإن قلنا إن النفس قائمة من دون الجسم بذاتها ، فالمراد بذلك أنها غير ملابسة له : المقابسات لأبي حيان التوحيدي ٣٠٥ : ٨ // إذا طبخت الماء صرفاً سايباً على وجهه ، لم ينعقد والنحل بخاراً حتى يتفانى ، وإنما ينعقد الكامن من الملابسة له : الحيوان للجاحظ ٥ / ٣١ : ١٤ // فلم يكن هناك ضياء كامن ملابس : الحيوان للجاحظ ٥ / ٣ : ٣

(٤) لاصق (حرف اللام ٦٥٩) : معناها بالألمانية : an etwas haften أو

in Berührung stehen أو einer Sache unmittelbar benachbart وبالإنجليزية to stick to a thing أو to be in contact with a thing أو to be immediately next to

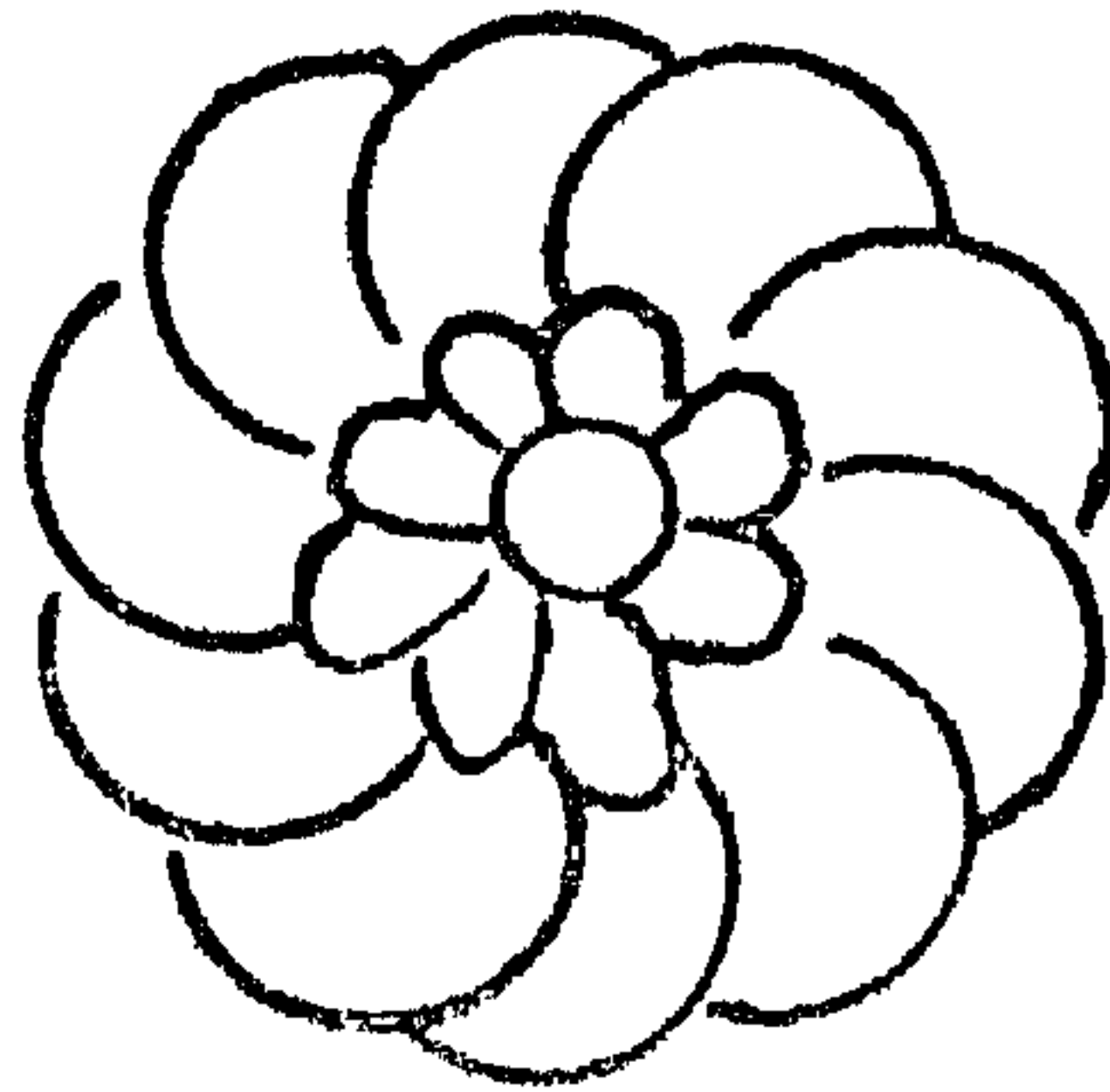
الشواهد : فبنى ذلك الرجل مسجدا يلاصق دار إسماعيل : الأغاني ١٠ / ١٣٩ : ٨
والوافي بالوفيات للصفدي ٩ / ١٧٩ : ١٣ // الدير الذي يلاصق قبر معروف الكرخي : معجم
البلدان ٢ / ٦٥٠ : ٦ // بتباع داره وجميع ما يجاورها ويلاصقها : المستجد من فعلات الأجواد
للتنوخى (طبعة كرد على) ٩٢ : ٤ // كان الوجع والورم عند الكبد ؛ لأن الكلى تلاصق الكبد :
الحاوى للرازي ١٠ / ٣٣٠ : ١٥ // لا يلاصق الزبل أصول الكرم البتة : كتاب الفلاحة
لابن العوام ١ - ٥٤٠ : ١٠

* * *

هذا هو « معجم العربية الفصحى » الذى يصدر فى ألمانيا الغربية ، منذ أكثر من ربع
قرن مضى ، ولم يتجاوز العمل فيه حرفا ونصف الحرف . ولو سار تأليفه على هذا النحو
الدقيق البطيء ، الذى ينشد الكمال ، فاننا نقدر لإتمامه أكثر من أربعة قرون ، مع تعاقب
الأجيال ، وتغير المناهج والرجال ، ومع هذا الفيض العزيز من كتب التراث العربى الذى
تخرجه المطابع يوما بعد يوم .

وصدق الإمام الشافعى الذى يقول فى رسالته (ص ١٢) : « ولسان العرب أوسع
الألسنة مذهبا وأكثرها ألفاظا ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي » . والله سبحانه
وتعالى أعلم .

الدكتور رمضان عبد التواب
عميد كلية الآداب
جامعة عين شمس



المعجم العربي في القرن العشرين : مطلحاته ومناهجه في الجمع والوضع للكاتب محمد رشاد الحزراوى

١ - مدخل ومنهج :

١ - ١ قال ابن منظور رحمه الله - صاحب لسان العرب في المعجم : «أما من أحسن جمعه فإنه لم يحسن وضعه ، وأما من أجاد وضعه فإنه لم يجد جمعه ، فلم يقدح حسن الجمع مع إساءة الوضع ولا نفعت إجادة الوضع مع رداءة الجمع » فهذا يفيد أن اعتناؤنا اليوم بهذه القضية وما إليها من مسائل ليس غريبا عن تقاليد معجمية عريقة في ثقافتنا وعن نظريات معجمية عربية سابقة وأصيلة لم تعرف مع الأسف تعريفا كافيا ، ولم تنزل منزلتها الحقيقية النقدية من التفكير الإنساني اللغوي^(١) أو بالأحرى اللساني ، حسب تعبير المحدثين^(٢) فهو مبادرة تهدف إلى تواصل جهود العرب في هذا الميدان الذي برزوا فيه في الماضي وكانوا فيه من الرواد .

والمعجم العربي في القرن العشرين لا ينحصر في قضية مفردة بل هو قضايا متعددة شائكة ، لا سيما إن أردنا أن نصف المعجم كما هو اليوم وكم انتصوره ونرتضيه اعتمادا على اعتبارات عدة ، منها مقارنته على ضوء ما وفرته لنا العلوم اللغوية المعاصرة من معلومات تتعلق بمصطلحاته ، ومحتوياته ، وفنياته ، وأهدافه التربوية والاجتماعية والثقافية والحضارية . فيبدو لنا عندئذ أن القضية المطروحة تدعو إلى معالجتها من زاويتين متداخلتين : الزاوية النظرية والزاوية التطبيقية ، انطلاقاً من تلك المعلومات المعاصرة ، شريطة تطبيقها على أمثلة عربية حاضرة ومستقبلا حتى ندرك منزلة المعجم العربي من الدراسات والبحوث المعاصرة التي غرتنا ، فأفدنا من النافع منها .

(*) ألقى البحث في الجلسة الرابعة من جلسات الاحتفال بالعيد الخمسيني للمجمع .

(١) تجاهل المؤرخون للمعجمية من الأوروبيين مساهمة العرب في هذا الميدان واول ذلك عائد إلى جهاهم بتلك المساهمة انظر في هذا الشأن : G. Matorè : G. Moumin, histoire de la linguistique Paris 1967: 1970; G. Matorè : histoire des Dictionnaires Francais - Paris 1968

(٢) محمد رشاد الحزراوى : من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا - تونس ١٩٨٣ ص ١٢٩ - ١٥٤ حيث سعينا إلى إنصاف جهود القدماء في ميدان المعجم .

١-٢ وعلى هذا الأساس لا بد أن نقرأ أن قضايا المعجم العربي في القرن العشرين مقرونة بعلم جديد في اللغة ، قد ازدهر ازدهاراً كبيراً في الخمسينيات الأولى من القرن العشرين^(١) وهو علم اللسانيات الذي ترجم إلى العربية بمصطلحات عدة ، منها « علم اللغة » و « علم اللغة العام » و « الألسنية » و « اللسانيات » و « اللسانيات »^(٢) وقد أقر مؤتمر اللسانيين العرب المنعقد بتونس سنة ١٩٧٨^(٣) مصطلح « اللسانيات » التي راجت بضاعتها أولاً في تونس ومصر وراجت على ما يعترضها من مصاعب ، في الأقطار العربية الأخرى وجامعاتها وكلياتها فلقد زودتنا اللسانيات بالطبع بمعلومات ومفاهيم أساسية نظرية وتطبيقية لا بد من الاعتناء بها ، لأنها توضح أمرنا وتيسر علينا مقارنة موضوعنا مقارنة مفيدة فيها منفعة وصلاح ، دون إفراط أو تفريط ودون قطيعة بين الماضي والحاضر ، فلقد أصبح تقريباً من المستحيل علينا اليوم أن نتقدم بقضايا المعجم العربي إن قصرنا جهودنا على الاجتهاد في المذهب ، وإن لم ندرجه علنا ومبدئياً في المحاذلات اللسانية النظرية التي لا تسلم من المهاترات ، والتي تعتبر مبررة وضرورية اقتداء بالخليل بن أحمد الذي أخرج المعجم العربي من الرسائل المفردة ، ووضع لنا نظرية لغوية معجمية شاملة أهملها العرب وحالوا عنها وهي صالحة لكل لغة ، كأنه كان يؤمن بالقول المشهور : العلم لا يستقيم إلا على ماعم ولقد تعرضنا إلى هذه القضية في مكان آخر^(٤) واعتماداً على ما سبق نرى من المفيد أن نقسم موضوعنا إلى الأقسام التالية :

المعجم تعريفاً

مداخل المعجم جمعاً ووضعاً

المعجم وقضية التعريف

المعجم : تعريفاً :

٢-١ يبدو من العسير أن نطرق موضوع المعجم في القرن العشرين في نطاق ما سبق لمجمعنا الموقر أن أسماه سنة ١٩٦٢^(٥) بالمعجميات ترجمة لمصطلحي (Lexicographie-Lexicography)

(١) B. Malmberg - Les Nouvelles tendances de la linguistique - Paris 1972

(٢) محمد رشاد الحمزاوي : المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية - حوليات الجامعة التونسية (عدد خاص)

ج. ١٤ / ١٩٧٧ . ولقد عرضنا فيه تلك المصطلحات - انظر كذلك لنفس المؤلف : العربية والحداثة أو الفصاحة

فصاحات - تونس ١٩٨٣ ص ٢١٨ .

(٣) أسغال ندوة اللسانيات واللغة العربية - تونس ١٣ - ١٩ ديسمبر ١٩٧٨ - ٤١٥ صفحة .

(٤) محمد رشاد الحمزاوي : من قضايا المعجم العربي قديماً وحديثاً ص ١٥٥ - ١٦٦ .

(٥) مجموعة المصطلحات العلمية والفنية المجلد الرابع -

(Lexicologie - Lexicology) معرفاً تلك المعجميات بـ « من يقوم على جمع مفردات اللغة وتصنيفها من حيث دلالتها وبنيتها وأصولها^(١) وذلك العسر عائد إلى كون هذا التعريف يحتاج اليوم إلى نظر وإلى كون أهل الذكر قد ميزوا بين (Lexicography-Lexicographie) و (Lexicology-Lexicologie) اللذين أصبحا علمين مستقلين بذاتيهما تعريفهما وأهدافهما وإن كانا مترابطين فضلاً عما تميز به الثاني من شمول وسعة وحدانية . ولقد رأينا من المستحسن أن نخصص للأول مصطلح « المعجميات » الذي وضعه المجمع ونخصص للثاني مصطلح « المعجمية » وهو مصدر صناعي يؤدي مفهوم العلم النظري المجرد .

٢-٢ واعتماد الترجمة مبرر فالمعجم ينسب إلى « المعجميات » وهي تفيد في نظر اللسانيات الحديثة وضع المعجم جمعاً وترتيباً فحسب فهي أساساً حرفة أصبحت في عصرنا صناعة تكاد تكون ثقيلة ، وليست بالضرورة عملية لغوية تستدعي اختصاصياً في اللغة - فمصطلح (Lexicographe - Lexicographer) يفيد اليوم جامع المعجم ومرتبته كما يفيد صانعه أو صناعه الذين ينتسبون إلى حرف وصناعات متعددة إن اعتبرنا ما يقتضيه وضع معجم لاروس الكوني الفرنسي (Larousse Universel) أو معجم اكسفورد (Oxford Dictionary) من خبرات ومهارات وتقنيات تتجاوز بكثير عمل اللغوي المعجمي - فوضع المعجم عملية جماعية إن لم نقل وطنية وسياسية وثقافية انقرضت معها صورة المعجمي الواحد الأحد واستبدت بها إدارات كاملة وشركات ووكالات .

٢-٣ أما « المعجمية » فهي أساساً علم مجرد ينتسب إلى اللغة وهي بالتالي مادة علمية غايتها دراسة جميع مظاهر اللغة وبالمخصوص محتوى المعجم - دراسة لسانية نظرية يعتبر تطبيقاً من تطبيقاتها والملاحظ أن قلة قليلة من اللسانيين العرب قد ميزت بين مفهوم المصطلحين^(٢) وذلك ليس غريباً لأن الغربيين ممن أجادوا في اللسانيات ونظرياتهم وتطبيقاتها المختلفة لم يعتنوا بالمعجميات والمعجمية باعتبارهما جزءاً من أجزاء اللسانيات التي ظلت تتنكر لهما مدة طويلة لأنهما لا يخضعان لمفهوم النظام (Systeme - System) . فكلومات المعجم في نظرها لا تكون نظاماً يشابه النظام الصوتي أو الصرفي أو النحوي الذي يمكن أن نعرفه بأنه « البنيان المرصوص الذي يشد بعضه بعضاً »^(٣) أو بأنه « كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء

(١) نفس المصدر المجلد ص ٩٤

(٢) محمد رشاد الحمزاوي : من قضايا المعجم العربي ... ص ١٥٦

(٣) ولقد جاء في سورة الصف ٦١ - ٤ « صفا كأنهم بنيان مرصوص »

بالسهر والحمى»^(١) وبالطبع يمكن أن نعود إلى تعريف مفهوم النظام بإسهاب حسبما وضعه اللسانيون المعاصرون ولا سيما دوسوسير الذى اعتمد لعبة الشطرنج للتدليل على ذلك .

٢-٤ فالمدسة اللسانية التوزيعية الأمريكية التى تزعمها بلومفيلد قد استهانت بقضايا المعجم لأنه يضع على بساط البحث قضية « المعنى » العويصة . وهى حسب رأيها من خصائص علم النفس والسلوك أو العلوم الوضعية ولما كانت هذه المدسة تدعو إلى الوصفية فحسب فإنها كانت ترى أن مسألة المعانى والمقابلات السيمية أو الدلالية ليست من مشمولاتها ولا من مشمولات اللسانيات - أما المدسة اللسانية البنيوية التى تزعمها دى سوسير فإن اهتمامها الكبير بما عبر عنه مجمع القاهرة الموقر بالنطقيات^(٢) (Phonologie - Phonology) قد أدى بها إلى إغفال المعجم وإن كان صاحبها دى سوسير قد ركز نظريته على الكلام والكلمة لأن المنطوقات تكون وحدات معنوية سفلى هى دون الكلمة المندرجة بطبيعة الكلام الإنسانى فى نظام من العلاقات والمناسبات لا سيما مناسبات التعويض ومناسبات السياق^(٣) أى عندما يختار الإنسان فى كلامه كلمة عوضا عن غيرها وعندما يضعها فى موضع أو سياق يجعلها تختلف وظيفة ومعنى عما هى عليه فى سياق آخر وجاءت المدسة التوليدية التى يتزعمها تشومسكى فاهتمت أولا بالنحو وقضاياها ثم خصصت عنايتها لقضية التعريف بالمعجم فركزته على ثلاثة عناصر : النطقيات والنحو والدلالة .

٢-٥ ولقد أفادت المعجمية والمعجم فى نهاية الأمر من هذه النظريات واستخلصت منها مفاهيم ومصادر جديدة بالعناية من ذلك أنها ميزت بين المصطلحات الثلاثة التالية : (Lexique-Lexicon) (Vocabulaire-Vocabilary) (Dictionnaire-Dictionary) التى لا تقابلها فى العربية عموما مصطلحات تؤدى معناها حسب المفاهيم اللسانية المعنية بالأمر فمعجم وقاموس ومنجد النخ هى أوصاف فيها اختلافات فى أصلها^(٤) وليست مفاهيم لسانية فضلا عن أن أغلب الجمعيين القدامى قد تجنبوها عند تسمية معاجمهم التى قال بعضها بمفهوم « المدونة » الذى اعتمدناه لتطبيقه على لسان العرب لا بن منظور^(٥) .

فالمصطلح الأول يفيد حسب رأينا ما عبر عنه الخليل بن أحمد الفراهيدى بـ « المهمل » أو المار جود بالقوة وشومسكى « بالقدرة اللغوية » (competence) وهو رصيد اللغة الكامل

(١) تضمين مأخوذ من الحديث الشريف المشهور .

(٢) مجمع اللغة العربية بالقاهرة : مجموعة المصطلحات العلمية والفنية مجلد ٤ / ٩٥ .

(٣) عبر عنها فى الفرنسية بـ Rapports Syntagmatiques Rapports Paradigmatiques

(٤) محمد رشاد الحزراوى : مجمع اللغة العربية بالقاهرة : تاريخه وأعماله - تونس ١٩٧٥ (بالفرنسية) ص ٢٣

والمؤلف يترجم إلى العربية .

(٥) محمد رشاد الحزراوى : المعجم العربى قديما وحديثا ص ١١٧ - ١٢٨ .

الذى تجرأ الخليل على إدراكه نظريا باعتماد عملية التقاييب الرياضية والذى تصور شومسكى باعتماد عملية التحويل ونحن نقترح أن نطلق عليه مصطلح « الرصيد اللغوى » باعتبار أنه المعجم المثالى الأكبر الذى يشمل معاجم كل المتكلمين بالعربية الفصحى فى الماضى والحاضر والمستقبل والذى لا يحيط به حسب الشافعى إلا نبى .

أما المصطلح الثانى الذى أطلق عليه الخليل بن أحمد اسم « المستعمل » أو الموجود بالفعل وابن دريد « الجمهرة » « وشومسكى « المنجز أو المطبق » (Performance) فيستحسن أن نطلق عليه اسم المعجم « والمصطلح الثالث الذى يحتوى على القائمة الشاملة لكل الكلمات المثبتة فى مدونة معينة أو ميدان معين فلقد أطلق عليه ابن سيده اسم « المخصص » فيجوز أن نسميه « مخصص الألفاظ » مثل مخصص ألفاظ السيارة أو الكهرباء أو البترول الخ . . .

٢-٦ فما هو عندئذ « المعجم » فى نظر اللسانيات الحديثة ؟

إن تعريفه يتكون بالضرورة من أوصاف عدة وإن كان المنجد والمعجم الوسيط قد اقتصرنا على تعريفه بعبارات ملخصة للغاية فهو حسب الأول « كتاب اللغة وما يعرفونه بالقاموس من أعجم الكلام أو الكتاب أى أزال عجمته وإبهامه وفسره^(١) وهو حسب الثانى « ديوان لمفردات اللغة مرتب على حروف المعجم^(٢) وفى التعريفين اختلاف ونظر .

إن المعجم أصناف ووظيفة وثقافة وعقيدة فالمعجم معاجم إذ يشمل مثلاً معجم الكلمات ومعجم الأشياء — فالأول مؤلف يهتم بوضع الكلمة صوتياً وصرفياً ودلالياً ونحوياً وبلاغياً واستعمالاً فى سياق كثير ما يعتمد النصوص والشواهد أما الثانى فإنه يهتم بالشئ أو الموضوع المعبر عنه بكلمة من الكلمات معتمداً فى ذلك جملاً تصف ذلك الشئ أو الموضوع واستعماله وأصله ومكانته من ثقافة المجموعة ولا يحتوى بالضرورة على جميع كلمات اللغة المستعملة فيدعى الأول المعجم اللغوى والثانى الموسوعة اللغوية ويوجد صنف ثالث يجمع بينهما ويشمل الأسماء والأعلام والأماكن وهو المعجم اللغوى الموسوعى وعلى هذا الأساس يمكن أن نعتبر أن دائرة المعارف ليستثنى من صنف معجم الأشياء وأن المعجم الوسيط من صنف المعجم اللغوى وأن المعجم الكبير من صنف المعجم اللغوى الموسوعى مع ما فى ذلك من نظر .

٢-٧ المعجم أداة تؤدى رسالة معرفية وتربوية وثقافية باعتبار وظيفته. فالمعجم معاجم إذ لا تقدر منزلته بحجمه فحسب. إن مبدأ الوظيفة يستدعى منا أولاً أن نفرق بين المعجم التاريخى، مثل معجم

(١) المنجد ص ٥١٠

(٢) المعجم الوسيط ج ٢ / ٥٩٢

فيشر الذي تبناه المجمع وعدل عنه ومعجم أصول الألفاظ الذي لا وجود له في العربية ومعجم الاستعمال المعاصر المعلوم عندنا ومعجم الطلاب ومعجم الأدباء والمثقفين والمعجم الحضاري الذي يربط الماضي بالحاضر والذي سعى المعجم الوسيط إلى الاقتراب منه فلقد جاء فيه « قصر همه على اللغة قديماً وحديثاً وتوسع في المصطلحات العلمية الحديثة ودعا إلى الأخذ بما استقر من ألفاظ الحياة العامة ^(١) وللغة الصحافة في هذا الشأن دور ما في ضبط قواعد الفصاحة الحديثة وإدراجها في المعاجم الحضارية المعاصرة ^(٢) في اللغة العربية .

إن تلك الوظيفة مربوطة ربطاً بالمستعمل أو ما يعبر عنه بالمستهلك لأن المعجم أصبح اليوم أداة ضرورية فرضتها ديمقراطية التعليم وتزايد المعارف وتشعبها وضبطت محتوياتها وأهدافها حاجات المستهلكين المختلفة المتنوعة والملاحظ أن ذلك المستهلك أو « الإنسان المعجمي يحتاج إلى التعريف باعتبار حاجاته التي تجاهلتها معاجمنا فارضة عليه معارف لا تعود عليه بالضرورة بالفائدة — وكثيراً ما تصورناه حسب تصورنا الذاتي لمعايير اللغة والثقافة والمعرفة والاستعمال التي تبرز بين حاجات المستهلكين الأموات والأحياء في الماضي والحاضر — ولم يحظ هذا الموضوع بدراسة إلى يومنا هذا تضبط تلك الحاجات المختلفة وتبني على أساسها نماذج لمعاجم معينة . إن معجم لاروس الصغير مثلاً يسقط كل عشر سنوات ما يقرب من الخمس من مداخله التي عدل عنها أو التي أهملت حسبها يقر ذلك الاستقرار اللغوي المعجمي ولعل الاستدراكات والخواشي والتكميلات والتذييلات الملاحقة بمعاجمنا سواء القديمة منها أو الحديثة تدل دلالة واضحة على أن مراجعة المعجم لانهائية لها لأنه أداة تحتاج إلى التطور باستمرار حتى يكون شاهداً حسب المستطاع على أمور الناس وتطلعاتهم .

٢-٨ المعجم عقيدة ومذهب من حيث محتواه بالخصوص فهو يعتمد على اختيارات كثيرة منها اختيار ديني وسياسي وحضاري — فالمعجم يقول بالثقافة السائدة والعقيدة القائمة ويكفي أن نذكر أن المنجد مثلاً لا يعتمد شواهد من القرآن ولا يصلي ولا يسلم على محمد رسول الله كما أنه لا يسلم على المسيح وأنه لا يذكر الشيوعية ولا يعرفها ويعرف تشيع : « ادعى دعوى الشيعة » أما المعجم الوسيط فإنه يعرف بالشيوعية تعريفاً قوياً ويقول في تشيع : « انتحل مذهب الشيعة واتخذ مذهب الشيوعية » فانتحل وادعى يدلان على حكم

(١) المعجم الوسيط — المقدمة ص ٧ .

(٢) محمد رشاد الحزاي : الحدث الصحفي وأثره الاجتماعي واللغوي في المجتمع العربي — مجلة شؤون عربية

عدد ٢١ نوفمبر ١٩٨٢ م / محرم ١٤٠٣ هـ — ص ١٢٧ — ١٤٤

لا على وصف : ولسنا بحاجة إلى أن نفصل في شأن معاجمنا القديمة التي نستقي منها المعارف وكانت تعتمد « اللعن والتكفير » وكانت كذلك تنزع نزعة ثقافية استيعابية بإعادة كل شيء إلى العربية إذ تأثرت بمجادلات الفقهاء والمفسرين في شأن العرب في القرآن مثلاً يرى بعضها أن يكون (شيطان — والنجاى) مثلاً من لغات غير عربية الخ
فالعقيدة الثقافية أو اللغوية وما وراءها لا تنفي الموضوعية اللغوية ومستلزماتها وفي ذلك مجال للبحث والنظم :

مداخل المعجم : جميعاً ووضعاً (محتوى وترتيباً) :

٣-١ اللسانيون يفضلون مصطلح مدخل جمع مداخل على « كلمة » ومادة لأنهم يعتبرون أن مفهوم الكلمة^(١) قضية شائكة فهي ليست اللفظة الواحدة وليست القول المفرد كما أنها ليست سوادا يسبقه بياض ويتبعه ولأنهم يرون أن اللغة ليست مادة وجوهاً قاراً مستقلاً بذاته، بل أشكالا مصطلح عليها ولذلك قالوا بالمدخل أو المعجمة^(٢) ج معجمات كما قالوا بالأساس والأصل^(٣) الأول للمداخل المعبرة عن الألفاظ المزامنة لنا والمدججة في المعجم التزامني أو السنكروني والثاني للمداخل المعبرة عن تطور الألفاظ والمدججة في المعجم التاريخي أو الدياكروني الذي يسجل تطور معاني الألفاظ .

وتفيد الدراسات والأبحاث أن مداخل معاجم العربية مثلها مثل مداخل المعاجم في اللغات الأخرى لا تنحصر في معجمات بسيطة فحسب وهي المسماة بالمفردات تقليدياً بل تتكون كذلك من معجمات مركبة ومن معجمات معقدة ومثلها : فرس — فرس — بحر — غاق غاق — حيص بيص — شدرمذر — عدم قابلية التصرف — لأول وهله — التي تكون وحدات مهيكلية متلازمة لا يمكن تجزأتها دون المساس بمعناها الكلي الذي لا يستقيم إلا بجزأيه — فهي وحدات تتجاوز المعجمة البسيطة — ولقد أطلق عليها اللسانيون المعجميون مصطلح العبارة المقترنه أو المتلاحمة (synapsie) وهي تتطلب عناية خاصة وسنعود إليها عند الحديث عن ترتيب المداخل في المعجم .

٣-٢ المعجم جمع ووضع وبعبارة أخرى محتوى وترتيب وكثيراً ما تاه المعجميون في حل هذه القضية ولقد أحسن ابن منظور التعبير عن تيههم بقوله في مقدمة لسان العرب :

(١) ما الفرق بين هذه الكلمات : م ؟ يد — الأولاد — اعطيناكه — هيدر وحديد وسيانيك ؟

(٢) وضعناها لتأدية Lexie (adresse — Entree)

(٣) وضعناها لتأدية Etymion base

« أما من حسن جمعه فإنه لم يحسن وضعه وأما من أجاد وضعه فإنه لم يجده جمعه ، فلم يقد حسن الجمع مع إساءة الوضع ولا نفعت إجادة الوضع مع رداءة الجمع » -- فالجمع يعتمد الاختيار والاختيار مغامرة إن لم تعتمد منهجية تضبط أنواع الكلمات بحسب صنف المعجم المقصود لأداء أغراض معينة دون إسقاط أو إهمال أو تكرار فالواجب في المعجم مهما كان صنفه أن يكون شاهدا على لغة العصر أو العصور التي يريد أن يسجل لها فيأخذ بجميع أنواعها من عامة وفنية وتقنية وحرفية وعامة وعادية وسرية وبديثة وسوقية ومعربة ودخيلة الخ وهذا وارد في معاجمنا القديمة فهو مدعو بالضرورة إلى استنباط منهجية تضبط جمعه ووضعه إلى محتواه وترتيبه وبالتالي :

٣ - ٣ فإن الجمع يفترض اختيار مصادر ومراجع شعرية أو نثرية قديمة أو حديثة وافية بالغرض أي أنها تمثل تمثيلا صادقا كاملا العصر أو العصور التي نسعى إلى تسجيل لغتها واستعمالاتها وفصاحتها لأن الفصاحة حسب رأينا فصاحات^(١) فهو يستوجب منا اختيار « مدونة » معينة (Corpus) وما يعبر عنه بالحقول المعجمية (Champs Lexicaux - Lexical Fields) والمراد بالمدونة مجموعة معينة من النصوص المكتوبة أو المقولة أو مجموعة من المراجع المختارة تؤخذ سنداً لوضع أسس لغة ما أو معجم حتى تضبط حدود المعجم زمانا ومكانا وميدانا ولقد سبق ابن منظور إلى ذلك بالاعتماد على خمسة معاجم كبرى لوضع لسان العرب^(٢) أما الحقول المعجمية فهي تكملة للمدونة وتعني مجموع الكلمات التي توفرها اللغة أو تنشئها للتعبير عن مختلف عناصر تقنية من التقنيات أو شيء من الأشياء مثل حقل السيارة المعجمي وحقل الطيران والجبر والأنبياء والأمة الخ لندرج منها ما يفيدنا في معجمنا المقصود وضعه .

٣ - ٤ أما الترتيب فإنه مرتبط بالمدخل أو المعجمات البسيطة ، والمعقدة والمركبة والعبارات المتلاحمة -- فإن كان أمر المعجمات البسيطة بسيطاً ، وأمر المعجمات المركبة يسيراً (بطنيات الأقدام ورأسيات الأقدام ترتب تحت قدم) فأين توضع المعجمات المعقدة والعبارة الملتحمة . مثل : يتأثر بالحرارة وحلقة دائرة وعوضاً عن وإن لم يسعدني الحظ ، وحيص بيص ، وشذر مذر ، فهي موضوع جدال مازال قائماً فضلاً عن الجدل القائم في شأن المعجمات البسيطة أو المفردات التي ما زال يستبد بها الترتيب بالاشتراك ينازعه في ذلك الترتيب بالتجنيس . فهناك نظرة القائلين بالاشتراك^(٣) ويعني باللفظ المشترك ، اللفظ الذي له شكل واحد ومعان مختلفة .

(١) محمد رشاد الحمزاوي : العربية والحداثة أو الفصاحة فصاحات - تونس ١٩٨٣ ص ١١ - ٢٩ .

(٢) محمد رشاد الحمزاوي : من قضايا المعجم العربي قديماً وحديثاً ص ١١٧ - ١٢٨ .

(٣) إصطلاح عربي قديم - وهو يقابل Polysemie

و و مستمد من مبدأ الاقتصاد في اللغة التي تعبر عن معان لا تخص بأشكال محدودة . وهناك نظرة القائلين بالتجنيس^(١) ويعنى به أن يكون اللفظان مختلفين معنى ومتشابهين شكلا . والخلاف بين أصحاب الاشتراك وأصحاب التجنيس في العصر الحديث . يكمن في أن الأولين يقولون بأن الكلمة وحدة لغوية لها أصل دلالي ثابت ، لا يتغير مع الزمن وله مدلولات ثانوية تستخرج من الاستعمال . ويعتبر أصحاب التجنيس الكلمة وحدة كلامية مستقلة بحسب سياقها وعلى هذين الأساسين يدعو الاشتراك إلى الإيجاز في عدد المداخل ويقر التجنيس تعددها بحسب سياقها ومعانيها المتولدة عنه : إن المعجم الوسيط والمنجد ، كثيرا ما يعتمدان مداخل مرتبة حسب طريقة الاشتراك : وهذا شأن أغلب المعاجم العربية . ويمكن لنا أن نقارن بين الطريقتين بالمثالين التاليين^(٢) يعبر فيهما الجدول الأول عن وضع المداخل بحسب الاشتراك ويعبر فيهما الجدول الثاني عن وضع المداخل بحسب التجنيس .

(١) اصطلاح عربي قديم - وهو مقابل Homonymie ولقد ذكر الثعالبي في فقه اللغة (ط الثانية ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ٣٦٠ - ٣٦١) والتجنيس هو أن يجانس اللفظ اللفظ في الكلام والمعنى مختلف كقوله تعالى : « فأدى دلوه » و « فأقم وجهك للدين القيم . »

(٢) المثال مأخوذ عن المعجم الوسيط ، ج ١ / ٧٩ .

طريقة الاشتراك بالوسيط	طريقة التجنيس (من ترتيبنا)
<p>(بان) منه وعنه بينا وبيونا وبيونة :</p> <p>بعد وانفصل - ويقال : بانت المرأة عن زوجها - ومنه انفصلت بطلاق - فهي بائن .</p> <p>و - الفتاة : تزوجت و - فلان : رحل .</p> <p>و - النخلة ونحوها : طالت طولاً ظاهراً .</p> <p>والولد بان بائنة بيونا : ظهر واتضح .</p> <p>والشيء بيانا : ظهر واتضح و - الشيء أوضحه وأفصح عنه ، فهو بائن وبين .</p> <p>و - الشيء بينا . فصله وقطعه - ويقال : بان صاحبه : فارق وهجره .</p> <p>فهو بائن :</p>	<p>(بان) : (فعل لازم يفيد الظهور والرحيل والزواج والطول)</p> <p>١ بان الشيء بيانا ؛ ظهر واتضح .</p> <p>٢ بان فلان : رحل</p> <p>٣ بانت الفتاة : تزوجت</p> <p>٤ بانت النخلة ونحوها : طالت طولاً ظاهراً</p> <p>(٢) بان (فعل متعد إلى مفعول يفيد الإفصاح والوضوح)</p> <p>١ أبان الشيء : أوضحه</p> <p>(٣) بان (فعل متعد بحرف يفيد البعد والفصل)</p> <p>١ بان فيه وعنه : . . . (بعد .</p> <p>٢ بانت المرأة عن زوجها : انفصلت بطلاق .</p> <p>(٤) بان (فعل متعد إلى مفعولين يفيد الفراق والهجر)</p>

وإليك مثال آخر بكلمة « الكريك » (المأخوذة أيضاً من المعجم الوسيط (٢٧)

طريقة الاشتراك بالوسيط	طريقة التجنيس (من ترتيبنا)
<p>الكريك : الخشبة التي يدفع بها الحجاز الأرغفة ويجذبها (تركية) .</p> <p>وأداة ذات خشبة طويلة تنتهي بسلاح من الحديد منبسط ، مفاطح ، عريض يحفر بها حفراً خفيفاً ، وينقل بها التراب (مع) ، وآلة حديدية ترفع عجلة السيارة (محدثة) .</p>	<p>(١) الكريك : الخشبة التي يدفع بها الحجاز الأرغفة ويجذبها (تركية)</p> <p>(٢) الكريك (أداة ذات يد خشبية طويلة تنتهي بسلاح من الحديد منبسط مفاطح عريض يحفر بها حفراً خفيفاً وينقل بها التراب (مع) .</p> <p>(٣) الكريك : آلة حديدية ترفع عجلة السيارة (محدثة) .</p>

فما نستنتج من الطريقتين باعتبار المثالين اللذين أخذناهما كما هما من المعجم الوسيط (على ما فيهما من نظر) نلاحظ أن طريقة الاشتراك تعتمد في المثالين على ما يلي :

١ - اعتبار معنى (بان) موجودا في كل المعاني الثانوية الأخرى وليس ذلك واضحا . وتظهر نسبية هذه الطريقة في المثال الثاني الذي لا يوجد فيه ربط معنوي واحد بين معاني الآلات المختلفة التي لها وظائف ومعان متباينة لأنها مأخوذة من لغات مختلفة - ولقد خلطت الطريقة بينها كأن معناها الأساسي واحد .

(٢) الخلط بين سياقات لغوية مختلفة في المستوى الدلالي والنحوي مما لا يساعد المتعلم على إدراك مختلف التراكيب والسياقات لاستخراج مختلف المعاني - وهذا ضعف تربوي لا يليق بمعجم يدعى أنه أداة تربوية .

(٣) الخلط بين فترات مختلفة من اللغة ، فلا نعلم متى استعملت هذه المعاني وكيف تطورت .

أما طريقة التجنيس فإنها تمتاز على سابقتها بما يلي :

- ١ - التدرج من سياق بسيط عناصره قليلة إلى سياق معقد عناصره كثيرة .
- ٢ - استخراج مختلف المترادفات باعتبار المعاني العامة لها وباعتبار صلاتها بحيطها الدلالي والنحوي .
- ٣ - التمييز بين معان لا صلة بينها كما يظهر ذلك في المثال الثاني .
- ٤ - الوضوح التعليمي والتربوي الذي ييسر على المتعلم إدراك نظام اللغة ومعاييرها المختلفة .

المعجم وقضية التعريف (الحد) :

تعتبر قضية تعريف المداخل أعسر قضية يواجهها اللسانيون لأنها تهتم بقضية المعنى المقابل للمدخل . وكثيراً ما ظن المعجميون أن لكل مدخل مرادفاً أو دلالة كونية (Universal) قارة في شكل مفردة أو جملة تعبر عنه في كل زمان ومكان . إلا أنهم يخرجون عن ذلك باعتماد تعريفات عديدة متضاربة منها التعريف الاسمي وفروعه ، والتعريف المنطقي والتعريف بالشواهد ، والصور فضلا عن التعريف البنيوي والتعريف السيمي (١) اللذين حل ركبهما بنا اليوم .

(١) محمد رشاد الحمزاوي : من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا ص ١٤٩ - ١٥٢ . حيث تضرب أمثلة عدة لتلك التعاريف مأخوذة من المعجم الوسيط .

ولقد رأينا من المفيد أن ندعو إلى اعتبار التعريف البنيوي الذي يركز على أساسين :

١ - تنظيم الكلمات وترتيبها حسب طريقة التجنيس ولقد سبق ذكرها .

٢ - المعاوضة : وهي مرحلة تلي المداخل - فما هي ؟

مفادها أن نعوض الكلمة بمرادفها في سياقات مختلفة باعتبار أن المرادف أو المعادل هو ما يقوم مقام غيره في كل مقال : فإن أخذنا فعل جلس ومرادفه قعد كما جاء في المعجم الوسيط ، فإننا نرى من واجبتنا أن نعوض الواحد بالآخر في نصوص مستعملة حتى ندرك ما لها من صلة - مثال ذلك :

جلس الولد : قعد الولد

جلس قرب المنزل : قعد قرب المنزل

لكن لا يمكن أن يقال وجلس الأربعاء أو الأربعاءى وقعد الأربعاء . . أى تربيع

جلس القرفصاء قعد القرفصاء

قعد عن الأمر جلس عن الأمر .

وهكذا دواليك . فإن كان جلس يفيد قعد عامة في سياقات معينة ، فإنه لا يفيد ذلك في نصوص أخرى . فيظهر لنا أن المرادف المطلق الذي يتحدث عنه المعجم عموماً ليس دائماً محققاً . فهو ممكن في مقال ومعلوم في مقال آخر . إن ميزة طريقة المعاوضة لغوية بحيث إذا أنها لا تعتمد إلا على الوسائل اللغوية . وهو دقيقة لأنها تجنبنا المترادفات الكثيرة للمدخل الواحد ، وتخلصنا من تعسف التعريف المنطقي والشواهد الأدبية أو التعليمية المتعسفة التي تذكر مبادئ التربية ، وتنفي تصور معجم تربوي يساعد الطلاب على فهم نظام اللغة واستيعاب خصائصها .

الخاتمة :

إن العرض المتواضع الذي قدمناه في شأن المعجم وقضاياها يهدف بالضرورة إلى الاهتمام بتلك القضايا بالاعتماد على تراثنا اللغوي الذي ما زال يحتاج إلى تحايل ووصف واستقراء حتى ننزله منزلته من التفكير اللغوي الإنساني ماضياً وحاضراً ، وعلى ضوء الدراسات اللسانية الحديثة التي نرجو أن نستوعبها استيعاباً ذاتياً وأن نسهم فيها حتى تصبح أداة من أدوات تطوير المعجم العربي وتقديمه - ورجاؤنا أن ينحصر مجموعنا مدراساً^(١) خاصاً للسانيات العربية المعاصرة - وهي موجودة ومفيدة - لاستقراء مبادئها واعتماد طرقها ومناهجها لترقية العربية ومعالجتها .

(١) والكلمة من موضع الجمع في أيامه الأولى .

قائمة في المصطلحات اللسانية المعجمية الواردة
في الدراسات بحسب تسلسل الصفحات

المصطلح العربي	المصطلح الاجنبي E: English; F: Français
١ — المعجمات :	1— E : Lexicography — F: Lexicographie
٢ — المعجمية	2— E : Lexicology — F : Lexicologie
٣ — نظام	3— E : System — F: Systeme
٤ — النطقيات	4— E : Phonology — F : Phonologie
٥ — اللسانيات التوزيعية	5— E : Distributional linguistics — F: linguistique distributionnelle
٦ — اللسانيات البنيوية	6— E : Structural linguistics — F : linguistique structurelle
٧ — اللسانيات التوليدية	7 — E : Generative linguistics — F : linguistique generative
٨ — مناسبات التعويض	8— F: Rapports paradigmaticus
٩ — مناسبات السياق	9— F : Rapports syntagmatiques
١٠ — الرصيد اللغوي .	10— E : Lexicon — F : Lexique
١١ — المعجم	11 — E : Dictionary — F : Dictionnaire
١٢ — مخصص الألفاظ	12 — E : Vocabulary — F: Vocabulaire
١٣ — مدخل	13 — E: Entry-dress — F : Entrée-adresse
١٤ — معيجمة	14— E : Lexie — F : Lexie
١٥ — الأساس	15— E : base — F : base
١٦ — الأصل	16— E : Etymion — F : Etymion
١٧ — العبارة المقترنة أو الملتحمة	17— E : Synapsia — F : Synapsie
١٨ — المدونة	18— Corpus
١٩ — الحقول المعجمية	19— E : Lexical fields — F : Champs lexicaux
٢٠ — الاشتراك	20— E : Polysemia — F : Polysemie
٢١ — التجنيس	21— E : Homonymia — F : Homonymie
٢٢ — مفردات كونية	22— E: Universals — F : Universaux .
٢٣ — المعاوضة	23 — Substitution

اللغة العربية والحاسب الآلى

للككتور على حسن فهمى

اشترك فى الإعداد :

د . سمير إبراهيم شاهين

د . أحمد محمود نظيف

مقدمة

نالت الصناعات الإلكترونية ، وعلى وجه الخصوص صناعات الحاسبات ، حظا وفيرا من الاهتمام فى السنوات الماضية مما أسفر عن تقدم هائل فى تكنولوجيات صناعة الحاسبات ونظريات تشغيلها . وقد صاحب هذا التقدم التكنولوجى انتشار سريع فى مجالات الاستخدام بحيث أصبحت الحاسبات الآلية فى متناول العديد من الفئات ذوات الخبرة المحدودة بأسس تصميم ووسائل برمجة وتشغيل هذه الحاسبات .

دعا هذا الانتشار فى مجالات الاستخدام المتخصصين فى تطوير البرمجة إلى تطويع اللغات المستخدمة لكتابة البرامج لتناسب احتياجات المستخدمين فنشأت لغات عديدة لكتابة البرامج العلمية والتجارية وطورت هذه اللغات على مراحل تاريخية مختلفة لتشمل تعبيرات أكثر قوة .

فى نفس الوقت ، جرت محاولات عديدة لتبسيط استخدام الحاسبات فنشأت مجموعة أخرى من اللغات المتخصصة للاستخدام فى الأغراض التعليمية مثل لغة « البيزك » التى أريد بها أن تكون لغة ميسورة التداول لكى يتمكن الطلاب ومن فى مستواهم من استخدام الحاسب .

وفى رأينا أن زيادة مستخدمى الحاسبات الآلية إلى الحد الذى يصبح فيه الحاسب جهازا أساسيا فى المتجر والمصنع والمدرسة بل والمنزل أمرا متوقعا حدوثه فى القريب العاجل خاصة وأن بؤادر هذه الظاهرة قد وضحت فى الدول المتقدمة تكنولوجيا وباستعراض الوضع فى كثير من الدول النامية ودول العالم العربى خاصة فإننا نجد أن الحاسبات الآلية قد انتشرت فى بعض المجالات المحدودة مثل مكاتب الخبرة والبنوك والجامعات إلا أن انتشارها لباقي

المجالات والتطبيقات مقيد بالمشاكل الناجمة عن ضرورة استخدام لغات برمجة وتشغيل تعتمد في صياغتها على لغة أجنبية مما تسبب عنه فجوة متزايدة الاتساع بين الاحتياج لاستخدام الحاسبات والإمكانيات المتاحة . ومن المؤكد أن وجود هذه الفجوة وزيادتها سيكون له تأثير سلبي على انتشار هذه الصيغة من صيغ التكنولوجيا المعاصرة ، والتي يعتقد عليها كثير من الأمل في تحريك عملية التطور وزيادة الإنتاج وتجويده .

غنى عن الذكر أيضاً أن استخدام لغات برمجة وتشغيل أجنبية المصدر يمثل عائقاً أساسياً في سبيل استخدام الحاسبات في مراحل التعليم الأولى ، بل والثانوى ، في دول العالم العربى ، مما سيؤدى مستقبلاً إما إلى زيادة فجوة التخلف أو التحول إلى تعليم المواد الأساسية مثل الرياضة والفيزيكا باللغة الإنجليزية إذا لم تتخذ بعض الخطوات الفعالة في هذا المجال .

من هذا المنطلق . وبمنظرة مستقبلية ، فإن الحاجة ملحة في الوقت الحالى لإرساء قواعد المعاملات المختلفة باللغة العربية مع الحاسبات على أساس قياسي موحد يشمل نظم تشفير الحروف والعلامات الكتابية والحسابية وقواعد إدخال وإخراج البيانات وتبادلها على شبكات نقل البيانات مع إيجاد لغة خاصة لبرمجة الحاسب ، مشتقة من اللغة العربية وتصلح لكافة الاستخدامات .

أولاً : شفرة الحروف العربية :

من أهم التطورات في نظم تشغيل الحاسبات هو ظهور واستقرار عدد محدود من الشفرات المعيارية القياسية مثل الشفرة المعيارية القياسية الأمريكية لتبادل المعلومات (ASCII) التى تستخدم حالياً على أغلب شبكات نقل البيانات والتي تمكن من استخدام حاسبات مختلفة التصنيع دون الحاجة إلى الاستعانة بأجهزة خاصة أو برامج معقدة .

أما بالنسبة للغة العربية فإننا نجد أن الشفرات المستخدمة متعددة ما بين الشركات المنتجة للحاسبات بل وفي نفس الشركة من طراز إلى آخر .

وقد انتشر استخدام بعض الشفرات مثل CODAR-UFD (الرباط ١٩٨٢) و SASO (السعودية ١٩٨٣) في بعض البلاد العربية إلا أن هذه الشفرات تعرضت لبعض النقد من مصنعى الحاسبات لاستخدامها بعض الرموز الخاصة في مواقع لا تتفق مع النظم العالمية للاتصالات .

وجدير بالذكر أن بعض الشفرات المقترحة (ARCI) - كندا ١٩٨٣ - على سبيل المثال) لم تبني على أسس لغوية سليمة . لهذا فإن المطلوب في هذا المجال هو توفير شفرة عربية موحدة تتسم بالموصفات التالية .

- ١ - تتفق مع النظم العالمية للاتصالات .
- ٢ - تتفق مع الاستخدامات الحالية والمستقبلية للحاسبات .
- ٣ - تسمح بالاستخدام المزدوج (عربي - لاتيني) .
- ٤ - تكون صحيحة لغويا من حيث الترتيب الهجائي للحروف والصلاحيية للتطبيق في الدراسات اللغوية .

ثانيا : نظم ادخال واخراج البيانات :

تتعدد النظم المستخدمة في تداول اللغة العربية على الحاسب وفي تسجيل البيانات على وسائل الحفظ المختلفة مما يعوق تبادل البرامج ويحد من إمكانية استخدام كثير من الأنظمة الجاهزة مثل قواعد البيانات .

وفي بعض التطبيقات نجد أن النظام الموضوع يلزم المستفيد إما إلى التعامل مع اللغة العربية على أساس كتابتها من اليسار إلى اليمين أو كتابة الحروف بترتيب عكسي ؟

مما تقدم فإن المطلوب في هذا المجال هو تدارس النظم القائمة وانتخاب أصلحها ، أو وضع نظام جديد يتفق مع متطلبات اللغة وفي نفس الوقت يكون قابلا للتنفيذ على الأجهزة القائمة .

ثالثا : لغة عربية لكتابة البرامج :

في الآونة الأخيرة تعددت محاولات إيجاد لغة عربية لكتابة البرامج واتسمت جميع هذه المحاولات بالفردية وعدم التكامل . والمطلوب في هذا المجال هو لغة تسمح للطلاب في مدرسته وللتاجر في متجره وللعامل في مصنعه باستخدام الحاسب دون اللجوء إلى المتخصصين في كتابة البرامج . لذا يجب أن تتصف هذه اللغة المنشودة بالموصفات الآتية :

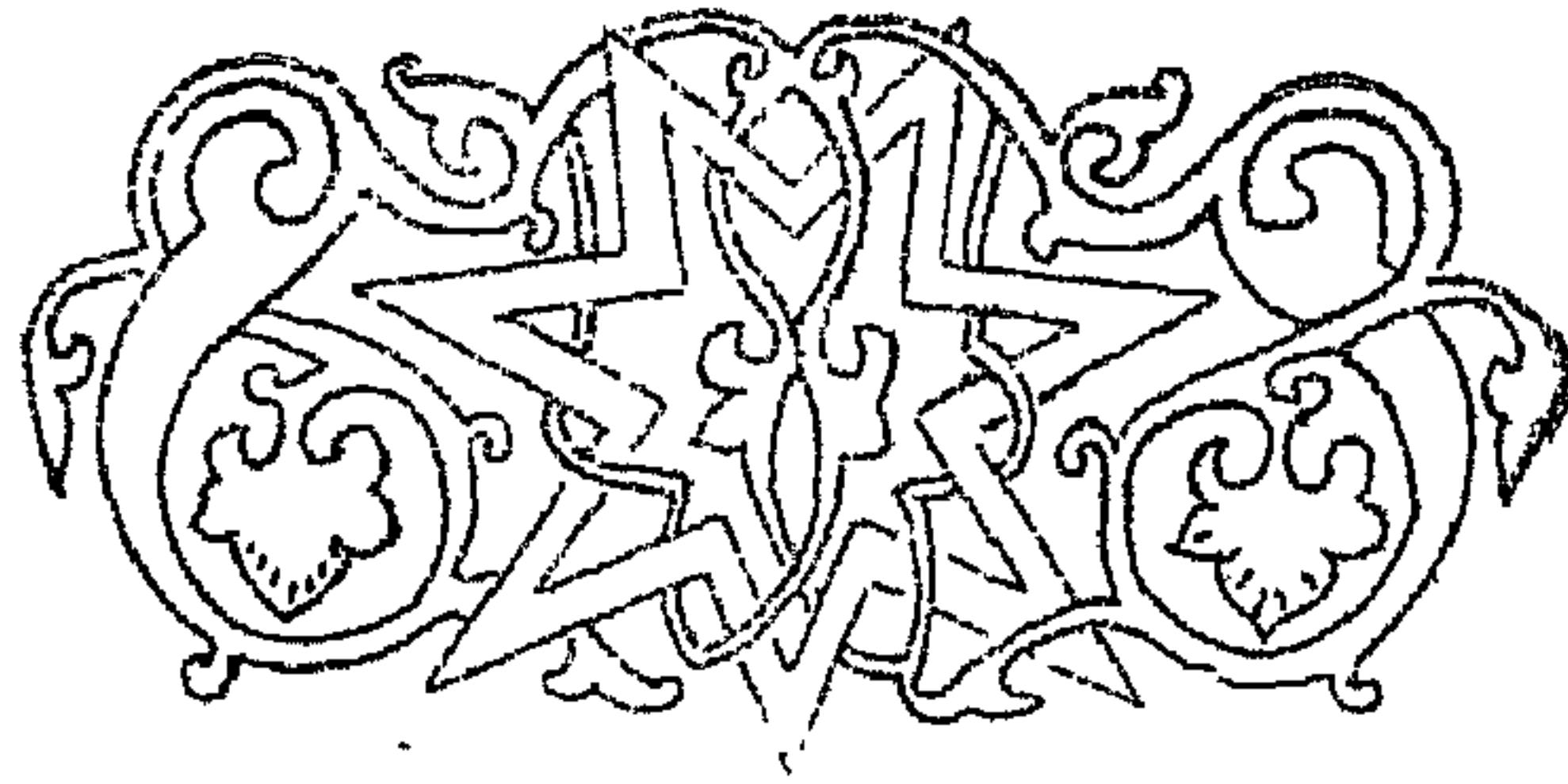
- ١ - سهولة التعبير ؛ لتعم وتنتشر .
- ٢ - التكامل ؛ لتفي بمتطلبات كافة الاستخدامات .
- ٣ - المرونة في التطبيق ، لتيسير تنفيذ المترجمات ،

- ٤ - إمكانية التطوير ، لملاحظة التغيرات المستتمة .
- ٥ - قابلية التداول : الاستخدام على انظمة مختلفة .
- ٦ - القابلية للترجمة والتحليل الآلى .

الختمة :

عرضنا فى هذا الحديث بعض المتطلبات والمشاكل التى يلزم تدارسها وإيجاد حلول مناسبة لها بهدف الحفاظ على اللغة العربية فى مستوى التعامل والاستخدام العلى المعاصر . وإننا نعتبر هذه المقالة « ورقة عمل مبدئية » نأمل أن يتم تناولها بالجدية والاهتمام المناسبين مع الأهمية القومية للهدف منها : وندعو الدوائر المسئولة إلى الاشتراك فى المناقشة والإضافة لتبذليل العقبات التى تقف فى سبيل استخدام الحاسبات الآلية فى كثير من المجالات .

الدكتور على حسن فهمى



تواريخ تأسيس مجمع اللغة العربية في القاهرة بحساب الحمل وسرا للككتور حسين على محفوظ

هذه مجموعة صغيرة متواضعة من التواريخ الشعرية والنثرية بحساب الحمل أرخت فيها عام تأسيس مجمع اللغة العربية في القاهرة (سنة ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٢ م) وعيده الخمسيني (سنة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م) وذلك بمناسبة الاحتفال ؛ احتفاء بهذه الذكرى .

وهذه التواريخ هي عبارة عن مقطوعة تشير إلى السنة الهجرية وتاريخين اثنين كل واحد في بيتين كذلك . وجمل يضم بعضها التاريخ الهجري ، وبعضها التاريخ الميلادي .

(١)

ومجمع طاول همام العلى	موثق الوجهه أغر الحبين
خمسون مرت وهو ساهى الندى	في أعلواء المجد ، يطوى السنين
أنخلص في تغليده أم اللغنى	سائرة في ضوء وحى الأمين
ضم جناحيه على نخبة	تفتخر الدنيا بهم كل حين
كالشمس جلاها نهار الهدى	يمحو اللداجى قورها المستبين
تنبهج الفصحى بتاريخه (الضـ	ساد لسان عربياً مبين)

١٣٥٢ هـ

(٢)

من أولى الفضل بذكرى مجمع	سام جلا عليها مر السنين
بالأحد الفرد استعن وارخ (الضـ	ساد لسان عربى مبين

١٣٥٢

(١) إشارة إلى إضافة واحد إلى جملة التاريخ . ويسمى هذا النوع من التواريخ الشعرية بالتاريخ المذيل .

(٣)

(هي لغة عربية) أو (لى لغة عربية) أو (هي لغة عربية) = ١٣٥٢ هـ .

ذا مجمع بالضاد ومستمسك معتصم منه بحبل متين
فزد^(١) وبارك (عام) تأريخه (هذا لساني عربي مبين)
١٣٥٢ هـ

(بيد مجمع الخالدين يحمى الضاد المبين)
(يحمى الضاد المبين بيد مجمع الخالدين)
(الضاد المبين يحمى بيد مجمع الخالدين)
(حمى الضاد المبين بيدى مجمع الخالدين)
(بيد الخالدين يحمى مجمع الضاد المبين)
(مجمع الخالدين حمى بيدى الضاد المبين)
(حمى مجمع الخالدين بيدى الضاد المبين)
(مجمع الضاد المبين يحمى بيد الخالدين)

١٩٣٢ م

(٦)

(دام قرن^(٢) مجمع اللغة العربية)
(ناد مقر مجمع اللغة العربية)

١٩٣٢ م

(٧)

تاريخ ذكرى المجمع الذهبية في عيده الخمسينى بالسنة الهجرية^(٣) (أحياء اللغة العربية)
(هادى اللغة العربية) . وبالسنة الميلادية (قرنه^(٢) مربد لغة العربية) ١٤٠٤ هـ

١٩٨٤ م

١٤٠٤ هـ

(١) إشارة إلى إضافة كلمة عام وتساوى (١١١) إلى جملة التاريخ . وهو التاريخ المذيل كما تقدم .

(٢) القرن هنا بمعنى الزمان .

(٣) التفسير في لفظ قرنه يعود إلى مجمع اللغة العربية . والقرن - هنا بمعنى الوقت من الزمان ومطلق من الزمان .
أى . أن زمان المجمع وذكره الذهبية بمناسبة عيده الخمسينى هي بمنزلة المربد يلتقى فيه العلماء والأدباء والكتّاب
والشعراء والنقاد .

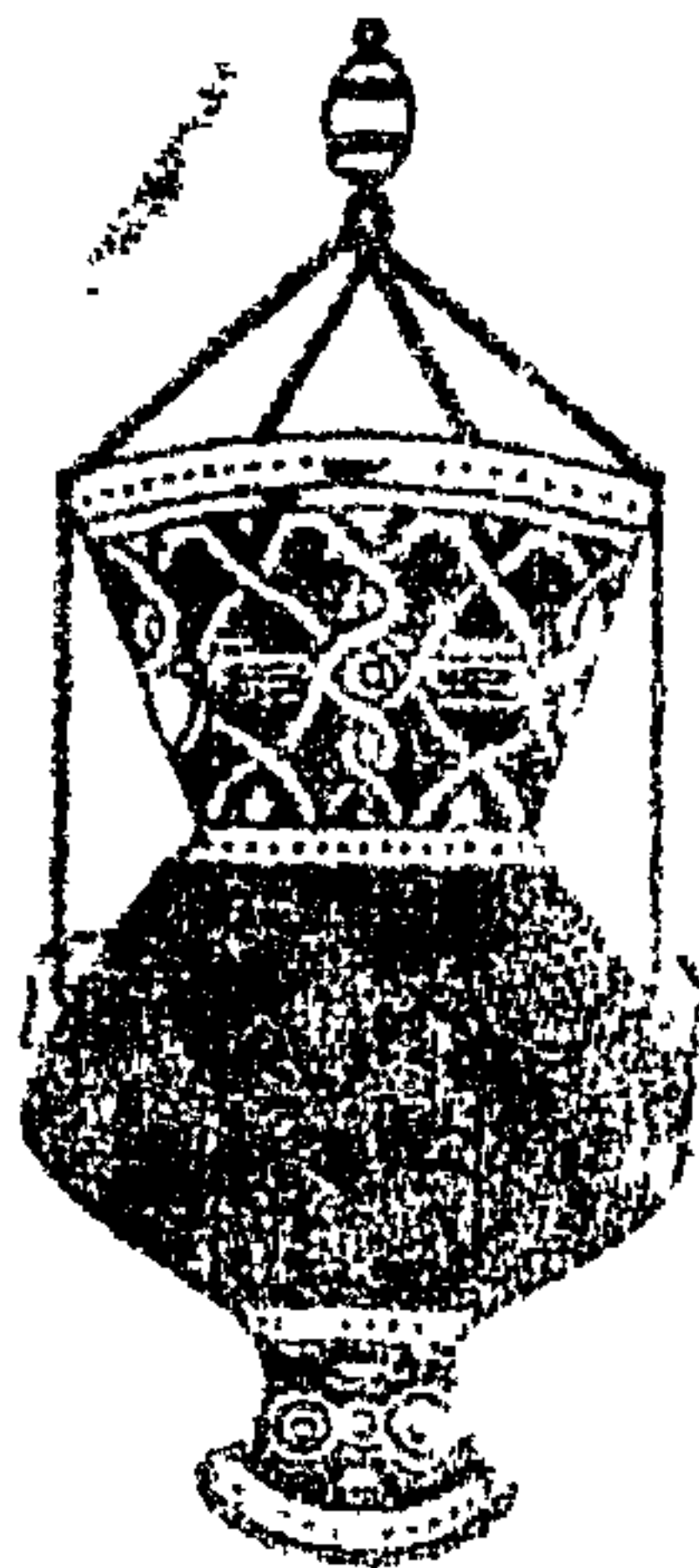
تحفة مجمع اللغة العربية في الذكرى الذهبية للدكتور حسين علي محفوظ

مجمع جواز مجده الأقمارا وتعالى فطاول الدوارا
جمع الشمس والضحي في سناه فاستحال الليل البهيم نهارا
مفرق الشمس موطن الكعب منه وقفت عنده النجوم حيارى
غلبم الناس أننا أمّة الضما في لسانا مجليّا ألا يجارى
إن تراعى تشعشع السحر منه عبقرىّا يُحير الأنظارا
لمسات تمحو اللّيات دُهما ينحدر شعاها الأنسوارا
لو أطلت على الدجى آض صبحا وغدت فحمة الدياجير نارا
غلواء الإعجاز يختال كبرا في بلاغاتها فصاحا غزارا
هى أم اللغات أكرم بها أم ما وبنت العرباء طابت نجارا
إن في الفجر من شائلا البيـ ض خصالا تكسو الظلام نهارا
لو رآها الدجى تنفس صبحا أو رآها الظلام كان منارا
عرجت في العلاء معجزة الوح فى مبينا ، وأنزلت معطارا
رقم الفضل صفحتيها ففا ضت بالمعاني تفاخر التيارا
بنت العقل شامخا يلهم الرؤ فى أصيلا مسددا مختارا

(*) شجرت أوائل أبيات القصيدة بحروف كلمات (مجمع اللغة العربية في القاهرة) تخليدا للمجمع في المناسبة .

يتناهى إليه حُسن الأَعاري : ب بياناً يجلو المعاني قصارا
 هؤلاء العظام أعضاؤه الغر كرام يعنعنون الفخارا
 فاز بالسبق كل أروع منهم يتردى برد الجلال وقارا
 باحصى الخالدين بُورككت في الع يد تُقاوى الأزمان والأغصارا
 أنت يا مجمع الفضائل قامو س لآل يُولى الدراى كبارا
 لحت في منكب الفضائل طوداً يتحدى القرون والأدهارا
 قُم وحي الخمسين حافلة بُج را سجلاً فياضة مدرارا
 إن هذا البيت المُعظم صرح أنجد القول في ثناء وغارا
 هذه دارة البيان نصيراً : هو ذا مُربع الكلام نضارا
 ردد النثر نعتة أريحيا والقوافى تنافست أبسكارا
 هل ترانا نقول إلا معاداً ما أَرانا نقولُ إلا معاراً

الدكتور حسين على محفوظ
 عضو المجمع (من العراق)



معلقة المجمع

أنجوم هـدى الى تراه
أم شمس تواضعت في ثراه
عكس النيل في صفاء سماها
واستحمت في صفوه ساجات
هل أضاعت في تربه حاجبها
أم هوت تنشد الطالع في مص
أم ترى راعها عسلاه فأحت
تتقرى براحتيها الرخامها
ضارعات نحدود هن احترامها
فألمت بمائه إمامها
ناشرات في شاطئيه الحمامها
فبهادت تزوم أمراً عظامها
ر بروجاً مشيدات عظامها
منكبها تقبل الأقدامها

* * *

هذه مصر حتى مجمعها البا
هذه مصر حتى في ربعها الضا
والتمس هاهنا اللسان مبينا
يتثنى على الزمان اختيالا
ويلالى في ذروة السكاهل الأع
هي ذى مصر أليس المجمع عطفه
دخ طوراً يعانق الأهرامها
د شموخاً يطاول الأعلامها
يتجلى فيه الفصيح إمامها
وتوطى له الدهارير هامها
سبل نوراً يحير الأوهامها
بها جلالاً وسرباته احتشامها

* * *

مصر با مركز اللهايم غراً
مصر يا جنّة الزمان بهيجا
(جنّة تبعث الحياة وتجلو
والأساطين سادة قوامها
يا ربعا يزين الأيامها
صداً النفس رونقاً ونظامها)

* * *

يا عراقين مصر يا حلية الأد
(قد نزلنا جواركم فحمداً لنا
(وحلانا في أرضكم فأصبنا
(وغشينا دياركم حيث شئنا
نسل الفاضلون من كل فج
هر فياضة العباب عظاما
منكم الود والنسدى والدمامها
منزلاً مخصباً وأهلاً كراما
فلقينا طلاقاً وابتسامها
يرفعون التبجيل والإعظاما

* * *

هـام في النيل شاعر العرب الأكـ
قال في أهلها (نعم أهل مصر
ثم لفت عليه أضلع مشتـ
بر وجداً واختار مصر مقاما
أنتم خير أمة) لن تضامـ
في حنوا وأضمرة احترامـ

* * *

أنا يا مصر شاعر العرب الشا
إنني شاعر العراق سباني
وطحاني هـواك يا لغة الذكـ
شغفتني حبـا مناقبه الغر
في وكم في ليم في هواه ولاما
حسن مصر وزاد توقي ضراما
بر وحسبي اسان قومي عظاما
وعلقت صـبوة وغراما

* * *

أنا ظل الرضى أنـلى الشعـ
أنا أروى مسلسل الضاد عن أمـ
علمتني أمي البيان بديعـا
روقت لي هي الفصاحة درا
بر صبيا وعلنيـه غلامـا
لي صحيفا معننا لا يسامـ
وأي زقني المعاني كوامـا
وسقاني هو البلاغة جـاما

* * *

جارك الغيث يا بلاد أمون
(بلد يرحل الأنام إليه)
في أساريه انطوى العالم الأكـ
أمطري يا كنانة الله عزـمـا
وأعيني العرباء من صـولة العا
فنجـوم السماء تزداد وقدا
والسيوف الصقال تشد لمـعا
وسقاك الربيع دارإـامـا
جامع بين لايتيه الأنامـا
بر يهي مداره سجـامـا
وانثلي يا ابنـة العزيز سـامـا
دي وعودي بالضاد بيتا حرامـا
كلما اشتدت الليالي ظلامـا
كلمـا ازدادت الجواء قتـاما

* * *

ها هنا داوة البهاء زهير
شاعر النيل قام فيها هـزارا
وأمير الأشعار أحمد شوقي
وهنا الجارم المفوه يختهـا
غرد علم الطيور التغني
وابن هاني يرققان النظامـا
يتغنى فيرقص الأنغامـا
بقوافيه أطرب الأيامـا
ل بليغا ويعتلى نظامـا
صاحح علم الهدى الحمامـا

وأقام العقاد تستعذب الأب
 رفل النظم في دمعس مبانيه—
 وجرى سابقاً أباطة يقضى
 يتهادى وراء (قافلة النـو
 وحده الخريف ظمآن تسا
 والصعيدى دبج الشعر إفصا—
 هـذ دالية التحية في بغـ
 والشببي حجة الأدب البـا
 ينتقى من جماهر الشعر ما طـا
 حيث جرى أبو زهير زهيرا
 واستطارت ملاعة الخضر لزا الـ

يات منه ويستجاد عصـاما
 هـ وأهدى نثر الدرارى كلاما
 لبيان المعنى البديع ذماما
 ر (ضياء مشعشعـا مسجـاما
 قط أوراقه ولاقى الحماما
 حا وأعلى بسفره الآطاما
 سداد ينحو في السرد نحو القدامى
 هر شيخ البيان ربعا قاما
 ب ومن جيد النثر الفخـامـا
 بالقوافى يعتامهن اعتيا مـا
 عذر فها وعانقاها توأمـا

* * *

هــذه حلبة القصائد تزهى
 جال فيها البصير وابن خميس
 تنقياً ظلال أيامه الأشـ
 ردد الطيب المرنم عند النـ
 وتبلى مهلهـلا شاعر الأهـ
 وأعاد الحسين نهج الرضيـه
 شادلى عمى الكميت القـوافى
 ونمتنى إلى وشاح جـود
 فترعرعت ناشئا في خمـاه

٦٠ —

بفحول يدبجون الكلامـا
 وأبو زاهر أديباً همـامـا
 عار رقراقة البيان وسامـا
 سيل أصداءه ، وحن هيامـا
 رام يعلو بشعره الأهمـرامـا
 بن يضوعان كالشميم انسجامـا
 وعبيد أنى أقام المدعـامـا
 ركبوا غارب القريض سنامـا
 وتمشيت في فناءه غلامـا

* * *

قام في المجمع المبجل سوق الشـ
 وبدا المربد المجلجل في مصـ
 تتبارى فوارس النظم فيه
 وأشاد اللسان فيه ابن منظو
 والزبيدي صاحب التساج قامو
 ملا العين بالصحاح أساسـا

٧٠ —

عر يحيى عكاظه الأيامـا
 ر رواقاً أعظم به أن يسامى
 ويزين القصيدة فيه الكلامـا
 ر أديبا مكرما علامـا
 سا محيطاً أوعى اللغات تمامـا
 فائقاً جاوز النهاية هامـا

وتجلى ضوء المقاييس مصبها
ها هنا معقل النفوس كبرارا
كلما الأعجمى رام يقاوى الض
وإذا طاول الفصيحة حوش -
حا منيراً يمحو الدجى والظلاما
ها هنا ندوة العقول عظاما
داد أوهى قرناً وعاد حطام -
ى عشا فى شعاعها يترامى

* * *

عطرت أرض مصر بضعة طه
عبقة المصطفى ومسحة ياسيه
هاهنا نبعه النبوة كالرح
تتمشى أنفاسهم كالربيع الط
خسد الطيب عرفها وفتنتا
خلق الورد عاطراً من شذاها
تربة فاقت الضراح علوا
وابن بنت النبي طابا مقه - اما
ن يצועان عزة واحتشام -
مة ينهل قطرها تسجام -
لى يختال ضاحكاً بسام -
مسك فواحده انتشى نماما
وسقى ربيها الأريج البشام -
واجتبت مفرق الثريا سناما

٨٠ -

* * *

وثرى السيد المطهر فى طنه
يتهاوى الفجر المنير حفافيه
حسبه جوده نجارا نضارا
طايبا هى به الصعيده الساما
به وفيه شذا الرسول أقام -
حسبه آله جدودا فخام -

* * *

واستطابت للشافعى قباب
أخذ الصبح قبسة من سناها
ظل يحنو على الفصاحة أما
سامقات شم تجير الغمام -
فتجلى راد الضحى بساما
وأنارت آراؤه الأحكاما

* * *

شمخ الأزهر الحيد رفيعا
سجد الدهر فى رواقيه عبدا
كبر الله ضارعا ألف عام
وتهاوى الإيوان فيه ركوعا
وتعالى التهليل فيه دهورا
يتحدى السنين والأعوام -
وجثا عنده الزمان غلاما
فعلا شاهقا وعز مراما
والأساطين سبحة قياما
فانحنى فوقه الهلال احتراما

٩٠ -

* * *

واستطالت دار العلوم نديا
حاول الدهر أن يغـير عليه
مشمخراً يبدد الأوهامـا
فانشئ سيفه خشيباً كهامـا

* * *

وزمت بنت مصر جامعة العصر
(سوف تفتى في ساحتها الليالي)
مر هي الصبح يصدع الأظلاما
وتشيب الدهور والأيامـا

* * *

شاد هذا الرواق للضاد إبرا
رافعاً من قواعد البيت ما أسـ
حجرات يطوف الفضل فيهمـ
فكان البيت العتيق جباهـا
وكان المقام أهدى إليها
وكان الركن اليماني أولاً
بسطت كفها تشير إليه
وتجلى نور القصـاحـة وضـا
وتراءى فجر البلاغة سحرا
كلمات الرحمن عزت جلالا
فهو البحر لا يساجل ثجا
وهو اللحم لا يخافل موا
هم صرحاً ممردا وأقامـا
س أسلا فه القروم القدامـا
ن وتسعى فيها الفهوم مدامـا
كسوتيه فمسحت أعظاما
لمعات منه هزمن الظلامـا
ها جلالا فأوسعته استلاما
وأكبت تبره إكرامـا
مشعا فباركته التزامـا
ينطق القـدم والعبي العياما
وكلام النبي جل كلامـا
جايـل الصدى ويشفي الأواما
را يهيل الجـدا ويعطي الجـاما

* * *

وعلى الفاضلين ضم جناحيـ
نخبة فيهم الأديب أريبـا
والطبيب الآسى يناجي ابن سينا
والحكيم اللبيب يستلهم السكـ
ها هنا الراغبون في كل علم
فرشوا المجمع المعلى نجومـا
تخذوا من بلاغة القدم نهجا
كلهم ها هنا أقام عزيزا
ه صناديد صفوة أعلامـا
ينثر الدر واللالى نظامـا
ويميط الأمراض والأسقامـا
لدى آراه ويأبى ذامـا
لازموا الدرس رحلة ومقامـا
زاهرات وظلوه غمامـا
عربيـا وأصابتوه حسامـا
كلهم ها هنا عزيزا أقاما

* * *

شمخ المعجم الكبير كتابا
وحسوى المعجم الوجيز أفانيا
وتعالى مباركنا معجم الألفاظ
موجب يحتوى على كلمات الذ

يمطر المعجم الوسيط رهاما
من من القول تؤنس الأفهاما
لفاظ بحراد ثرا يروى الأواما
كرجلت حروفه لا يسامى

* * *

وضع المجمع البسيط من الألفاظ
وألف الألفاظ قد كشف الح
وألف الألفاظ عربها الح
منهج قوم المقاول لكنها
وأجار البيان من جنف العج
وأعاذ المنشور من عرة اللوح
(وسماع لولا الحسابة منى)
ذكرتنا مسعاة جلد أبينا

لفاظ رقت عذوبة وانسجاما
سمع عن وجهها الجميل اللثاما
سمع راحت تداعب الأقالما
وهدى الناثرين والنظاما
سمة فازدان معرباً واستقاما
من وصان المنظم يوم يزهى نظاما
عاطرات كمثل نشر الخزامى
وأبى جدنا الرفيع دعاما

* * *

بالسان التنزيل بوركات وهما
لغة الله والنبي وأهل الـ
يتجلى القرآن فيها سراجا
والكتاب الحكيم ذو الذكر زخا
والكتاب المنير نزل بالحقق
والكتاب العزيز يسر للذك
والكتاب المبين أنزل نورا
فيه تبيان كل شيء لسانا
خشعت سجداً له الكتب إعظا
مطلع أعجز الحلائق بدءا

جا تزيل الدجى وتردى القتاما
سجدة المكرمين عز كلاما
مستطير السنا وبدرا تماما
را عبابا يرمى الرشاد ركاما
عظيما مباركا مسجاما
رضياء ينور الأفهاما
وهدى جل نعمته أن يراما
عربيا يحير الأوهاما
ما ونخرت لعزه استسلاما
ونختم أعيان البرايا ختاماً

* * *

وحديث النبي معجزة الوح
نصحه صلى جوامع الكلم الثا

بى بحور تطمو علت أن تعاما
قرب فيها مثل النجوم اضطراما

هو ثانی الثقلین یأتلق الذو
أفصح الناطقین بالضداد أمطى
بیسد أنى إلى ذراریه أنمى
وبأبنسائه شرفت فخورا
نجلتني عقائل من بنات الـ
ورقت بی إلى العواتك أنسا
نسب یرتقى العلاء نضار

ر حوالیهما وینفی الظلاما
لغة الضاد غاربا وسناما
والی آله بدورا تمامما
وبأسباطه اعتصمت اعتصاما
وحی تأبی مدى الدهور انجلدما
ب تعاورن زمزما والمقامما
ونجار یعلمو للذری قد اما

* * *

١٥٠ - وتسامیت أیها الکو کسب الدر
وسراجاً یعشو إلى ضوءه النـ
(أیها الباهر العقول فما ید
سرح اللیل مظلما وادلع الصبـ

ی شمسا تشعشع الأيامما
س وتهفو إلى سناه ازدحامما
رك وصفما ولا ینال مرامما
ح لسانا صلتنا یقد الظلامما

* * *

حی هدی الآکام صناجة الحـ
أنت مطراب سرحة النيل فنوا
وأعنى بالقول یا شاعر الأهمـ
نحن فی هذه الحمیلة خلا
تستبینا طباء وجرة حورا
نحن سـیان یا خلیلی فی الوجـ
ملکت حبنا ابنة الضاد الفیه
فکلانا یشکو الغرام أسیراً
کلنا هکذا جوشفه الحب
یا بنی عمنا الأفاضل حیوا
واذكروا أمة الفطاحل من قبـ
والهالیل عصبة الأدب الغض
عمروا المحمـع المبعجل بالفضـ
خدمو العلم والمکارم والآ
باهلوا الأبحر الطوامی وهم أغـ
طاولوا الشمخ الرواسی وهم أر

مع واهزج وزم الأنغامما
ء فطارح ورقاءها تهمامما
رام واثـر سحر البیان نظاما
ن أدار الوفا علیهـا جامما
ونفدى فی حاجیهـا الظلامما
سد ألفا سقنى التشاکى مداما
ن وذنبـا شوقاً وتهنا هیامما
وکلانا یشکو الأسار غراما
ویفنى مدلهـا مستهامما
مجمع الخالدين عامما فعامما
ل أناخوا هنـا وزاروا المامما
وضیما یغری الدجى صمصامما
ل ومدوا على السماء دعامما
داب والضاد والراث اعتزاما
سـدق منها طولا وأندى غماما
فع منها ذری وأعلى سنامما

١٧٠ - سابقوا الصافات جردا وهم
لفهم في جلاله عالم الصم -
واستحبوا وادى السكوت وقدكا
سبقونا إلى الحقيقة والحق
رضى الله عنهم ورضوا عنه -
أوسع منها جريا وأرخی زماما
ت وباتوا في بردتیه نیاما
نوا قديماً يفجرون الكلاما
كراما وغادرونا كراما
ه ولقاهم النعيم مقاما

* * *

١٨٠ - أهذا الوادى الملقح بالرح
جارك الغيث كلما ذرت الشم
وهي هاطلا ملث العزالي
ويروى ثرى محمد توفيه -
ويغادى مزار أحمد لطفي
ويندى ضريح طه حسين
نضر الله وجهه كرد على
والفحول القروم من (شيخه الضا
رحم الله (عصبة الخير للفص
حمة يرعى للراجلين ذماما
س وأرخی على ريك الغماما
يغمر السهل منه والاكاما
ق علا رفعة وجل مقاما
سيدا بارزا وفحلا هماما
عقرياً كم قارع الأياما
والشبيبي شاعرا علاما
د (مصاليت قيادة أعلاما
حي) جميعاً ما روحها النعامي

* * *

وسلام عليكم أيها الأخ
كلكم فاضل خبير بصير
أوتى العزم والفصاحة والحكم
هنىء المجمع المبارك بالخم
وة ترعون للفصيح ذماما
ملكته شمس العلوم زماما
حمة والعقل والنهى قواما
سين با دى بعيدها الأياما

* * *

١٩٠ - هنىء المجمع المحيى بكم طو
مثل طيب الحبيب يأرج عرفا
يتعالى ويستطير سناء
هن أعضاء الكواكب كالشم
وبنى عمنا ذوائب عدنا
كل دار فيها العروبة دارى
دا وهنتم به أعلاما
ونسيم الصبا وريح الخزامى
وينير الدهور والأعواما
س (تميط الدجى وتجلي القتاما)
ن وقحطان حيثما الضاد قاما
لست أرضى أنا سواها مقاما

* * *

حى فى الشام من عمومتنا البية
أسسو المجمع الخلد ريعا
ظل يسقى عذب المعاني فراتا
واستنارت بحلق مقلصة الدهر
أنا أفدى بحاجب الشمس مصرا
نض عرائن يعتزون كراما
شاهقا جاوز الثريا مقامها
سائغا رائقا ويهمى سجاما
بروضات بروقهها من شاما
وبجاء البدر المنير الشاما

* * *

وسقاة الربيع ياروضة الأرب
راعنا دوحية البهيج نصيرا
وارتقى فى عمان مجمعها العما
جبل تطمح الرواسى إليه
وتلألأ يشع مجمع آل الـ
يتقرى التراث فى كل واد
دن جودا يدر غزرا ركاما
وطعمنا ربا شذاه مداما
مر أعلى الذرى وهز سناما
شامحات الشعاف يقرى الغماما
بيت يننى عن الوجود الظلاما
ويباهى بأخشبيه لكماما

* * *

وتراءت جبال لبنان عصما
مربع لقن الجمال رواه
دار أهلى محجابين وأعما
عمروا الفضل فى ذراها قررنا
زينت عاطل الزمان حلاهم
وتجلى الصباح فى المغرب المش
تتمشى فيه المعالى طوالا
وعلى العلم زرت الأكاذم
أسفر الصبح فى مطالعها الغر
شاهقات فذكرتنا شامما
وسقاه تفاح لبنان جاما
مى فحولوا أكرمهم أعماما
وأقاموا فى روقهها أعلاما
وأعزوا السيوف والأقلاما
مرق بدرا تما يشق الظلاما
وتلوح العلياء فيه سناما
يه تنضو فى الغرب عنه اللثاما
يروع الدجى ويورى الهاما

* * *

ورياض الحنات فى تونس الخضر
يستعير الربيع فوح شذاها
مراء طابت أرائحها ونساما
وأريج الأنفاس منها الخزامى

* * *

وطرابلس جهة الدهر وضاً حا تزف العلاء للعزلاما
ظل فيها المختار يختال رمزا عبقر يا يوهى الخميس الالهاما

* * *

شمخت ساحة الجزائر تروى قصص المجد قلدها والتواما
تخذت منكب النجوم مقاما وترقت إلى النوى تتسامى

* * *

٢٢٠ — ومفانى السودان علمت الكح ل عيون المها فهمن وهـ — اما
نخلع الليل حلتية عليها وسقى الصبح ثغرها بساما

* * *

وموريتانية المقرطقة السم راء يجلو قشيبها الأظلاما
ورثت عالياتها مجد شنقي ط وحامت على الجمال وحاما

* * *

وارتيرية لواح — ظ عيني بها ملئن السحر الحلال مداما
شاق زنجى ليلها الصبح فافتر سنا برقه يضئ ابتساما

* * *

رفلت في مطارف الوشى جيبيو تى ودار السلام فاضت سلاما
أخذ البرق من ضحاها سناه وروى المسك عن دجاها الظلاما
ويفاع الأفيال فى اليمن الخ صب لاحت آثارها أطاما
ذكرتنا دياراً سنمة العز ة فى ربعا طوالا جساما
يتراءى الفخار فى بطن وادي بها وأعلى بقاعها أعلاما
(تلك آثارنا تدل علينا) ونباهي بشمها الأقواما

* * *

وكويت الخليج طرزت السا حمل وردا وفوفته بشاما
وقفت مثل غرة الصبح يحكى وجهها طلعة الحبيب ابتساما

* * *

ولآلىء البحرين حالية السم ط تزين الظباء والآراما
خلعت صفوها على البحر رهوا فصفا ماؤه وجاد الغماما
وأول الفخار والمجد كم من أمة أخرجت أوال عظاما

* * *

وعمان الراسى علا الجبل الأنح ضر طودا نال الثريا هاما
ناوحت شمه جبال سرندي ب فأمـطرن لؤلؤا معتاما

* * *

والأمارات أنهن عذارى الـ بحر حلم يراود الأحلاما
لقت غنها الطيور صداها وحببت ريمها الظباء البغاما ٢٤٠ -

* * *

قطر كالجمان قطر نداها يقت يورث البياض الثغاما
قانت الشمس لونها الساحر الزا هر مثل الشراب يغرى الندامى

* * *

والعراق العظيم منبت آباى فى وقوى غلبا سراة عظاما
مجمع الكوفتين منتجع الأم ة مرثاد شهما فمقاما
إنها (الدار ما ترام امتناعا من عدو) ولاتسام اهتضاما
روقت للصدى عذبا هنيئا وأمرت للمعتدين سهامـا
هى أم البلاد مبتدأ التا ريخ تسمو بداية وختامـا
تلك دارى بغداد سيدة الدى يا تربى محتاجها الأعلامـا
ومناط الرجـا (وأول أرض مس جلدى ترابها) إكراما ٢٥٠ -

* * *

وفلسطين ملقى الصحف الأو لى تناجى النجوم فيها الرضا ما
منزل الوحي موضع المسجد الأة صى ومرقى النبي جل مقاما

* * *

وتجلت جزيرة العرب الشماء فى بطن مكة تتسامى
واستطالت أم القرى مهبط الوحى تشع الذكر الحكيم جماما

بزغت في قرارة الأرض شمساً
بسمل الأنبياء في سرّة الأر
واستدارت من فوقه القبة الزر
وانحنت فوقه السماوات تقدي
وثنت دارة الملال حزاماً
ض فقام البيت العتيق حراماً
قاء عينا ترنو إليه دواماً
سا وخرت جباهها إعظاماً

* * *

شرفت هجرة النبي ثرى طا
حسدت تربها السماوات عليا
تخذت من ذوابة الشمس فرقا
واستحال الصعيد فيها جمانا
واستجارت بقبره القبة الخض
ودنا في علوه قاب قوسية
وتدلى في حضرة القدس صدي
وأثاه اليقين وانشرح الصد
وحد الله والرسالات والأم
سيد الرسل مستجار النبى
بلغ المنتهى من المجد والشأ
٢٦٠ - هو مجد أمتع به أن يضاماً
تستعير السماء منه قباها
عارضا بي مفديا ركب نجد
واكتبا ذلك الحديث بدمعى
وأعيدا ذكر الجزيرة معطا
دار قومي ومربع الصحب والأه
أباغا نخلة الأبرق شوقى
به طابت مهاجرا ومقاما
ء وسأوى النضار فيها الرجاما
ومن النجم سجدا أقداما
وتللا التراب فيها ساما
مراء تحنى هاماً وترفع هاماً
ن وجاز السبع الطباق مقاماً
قما نبيا برا وخاف مقاماً
روبت الإيمان والإسلاماً
ة فردا ونكس الأصناما
ن منار الهدى الرفيع دعاما
ن وصلى الورى عليه احتراماً
هو فخر أعظم به أن يراماً
ويلف الأفق المبين لفاماً
واستملا عراره والبشاماً
وارويا غنى الدموع سجاماً
را يزيد الشوق الملح ضراماً
ل يضم الأخوال والأعماماً
وانثرا أدمعى عليها سلاماً

* * *

وتذكرت والحديث شجون
رب قوم تغافل العصر عنه
وتناسى الزمان عيلمه الطا
وكلام الصفا يجر الكلاما
وجفته الأيام سجلا رهاما
مى وأرخت عنه العيون قراما

٢٨٠ - وهمام يفجر الفضل ينبو عا ويحذى جدا يديه الغماما
نسيته مرابع الفضل غيدا قا فألقى السنى عليه ركاما
غفلت عنه أعين الناس وضما حا فأرختى الدجى عليه ظلاما
ليس عجباً فالعين لا تبصر الأخ رى على قرب هذه وهذى مقاما

* * *

رب بحر غادرته أنت دثرا وسحاب أغفلته مسجما -
وسناء تركته مستطير - را وعلاء جنفت عنه سناما -
وعليم جانبته لودع - ما وتجافيت عنه فحلا هماما -
وتجاهلته سراجا - منيرا وتباعدت منه بدرا تماما -

* * *

ذكرتني هذى الخليل الفراهي -دى بحراً غطامطا هلقاما -
فجر الفضل والزكائة والفظ نة والعقل ألعيا هماما -
ترك العين مبصرا ولم تره الأء ين إلاميتا يعب الحماما -
تجيب الشمس بالقتير ويخشى الـ بدر تما على سنماه الرغاما -
ويزن البحر المحيط أجاجا وهو يعطى العذب الفرات الغاما -
يحمد الصارم الصقيل وقد يغ مد عضبا ، ولا يسيل هداما -
ويعاف الخطى لدنا وقد كا ن يعير السمر الطوال قواما -
إنما تكسف الشمس كبارا إنما تخسف البدور تماما -

* * *

ونسينا عين الخليل فغاضت ثم فاضت فوارة لن تراما
ثم نحنا على الخليل وقلنا : عبقرى مضى وكان إماما -
وبكيننا فسال بالدمع واد كان يرجو لو نال منه ثماما
كم طويننا عن مثلها ذاك كشحا وتركناه يستطيع الزواما -
وسد لنا دون المنجد ثوبا وهجرناه فاستحال ذماما -
عد عن ذا فالشمس تحجبها الأص بع مهزولة وتختفى لماما -

* * *

لو أطلنا المقال في لغة الضأ
طاب في نعمها الكلام افتتاحا
فاسلمى ثمت اسلمى أيها الدأ
وتفرع يأياها المجمع البأ
واستنيرى من مقبس الحمد يامص
واعتلى أمة العروبة لأفض

د يد الدهر مابلغنا المرامأ
عبقا ذاكيا وطاب اختتامأ
ر وتيهى على الزمان دوامأ
هر مجدا قدامسا قد امأ
مر فخرارا يطاول الأيقامأ
لك الدهر ما اجتمعت نظامأ

* * *

أمة العرب جهة الحسب العد
وجبين التأريخ أبيض وضأ
ولباب الأقوام ليس كمثل الـ ٣١٠ -
جمع الناس يستظلون بالأأ
وتجلى الإنسان في شرعة التو
هو بنيانه تعالى على الأر
من يعظم بناءه يلق سلامأ

تعالت مفارقا وللمأ
ح الأسارير معرقا قدامأ
عرب شعب يباهل الأقوامأ
فمة بندا مرفوفا قوامأ
حيد شيئا مقدسا وكرامأ
ض وحسب الإنسان هذا مقاما
من يهدم بناءه يلق أثامأ

* * *

وتسامى طلاعة يابلاذ الـ
هل تباهى الشعوب عسلاء
هل تساوى أم الكتاب افتتاحا ٣١٧ -

عرب لاتدركين قط اعتزامأ
هل تضاهى أم البلاد مقامأ
هل توازى أم الكتاب اختتامأ

الدكتور حسين على محفوظ
عضو المجمع من العراق

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

رئيس مجلس الإدارة
رمزى السيد شعبان

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٧/٢١٠

الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية
٢٠٠٠ — ١٩٨٦ — ٤٦١٠

